لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تَأْلِيفُ الإِمَامِ المُفَسِّرِ

تَاجِ القُرَّاءِ الكَرْمَانِيِّ

بُرْهَانِ الدِّينِ أَبِي القَاسِمِ مَحْمُودِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ نَصْرٍ الكَرْمَانِيِّ

المُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠هـ

يُطبع أوّل مرّةٍ محقّقاً على ثلاث نُسخٍ خطّيّة

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٣)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القراء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعاج

المجلد الثالث

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المَائِدَةِ

سُورَةُ المَائِدَةِ

مئة وعشرون وثلاث آيات[1]

مدنيّةٌ

وقيل: مدنيّةٌ[2] إلّا آيةً، وهي قولُه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [٣]؛ فإنَّها نزلَت بمكّةَ يومَ عرفةَ.

وقيل: السُّورةُ مدنيّةٌ كلُّها.

وقرأ[ها][3] رسولُ الله عليه السَّلامُ في خطبتِه يومَ حجّةِ الوداع، وقال: «يا أيُّها النّاسُ، إنَّ سورةَ المائدةِ من آخرِ القرآنِ نزولًا، فأحلُّوا حلالَها، وحرِّموا حرامَها»[4].

---

(١) «مئة وعشرون وثلاث آيات» من (ن).

(٢) في (ن): «مكية».

(٣) ما بين معكوفتين مستدرك من «تفسير الثعلبي» (١١/ ١٠٩).

(٤) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ١٦١) عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس مرسلاً، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٠٩).

وروى الإمام أحمد (٢٥٥٤٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢١٠) عن جبير بن نفير، قال دخلت على عائشة فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟ قال قلت: نعم. قالت: «فإنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه». والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. =

وآيُها مئةٌ وعشرون كوفي، وثلاثٌ وعشرون بصري[1].

***

= وروى الترمذي (٣٠٦٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: آخر سورة أنزلَت المائدة والفتح. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(١) في (ن): «مئة وعشرون كوفية». والمروي في عدد آيات القرآن ستة مذاهب: المدني الأول، والمدني الثاني، والمكي، والكوفي، والبصري، والشامي: فالمدني الأول: مروي عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح.
والمدني الثاني: عن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.
والمكي: عن عبد الله بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب.
والكوفي: عن حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام.
والبصري: عن عاصم الجحدري.
والشامي: عن يحيى بن الحارث الذماري.
وذكر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٤٧) أن عدد آيات هذه السورة مئة واثنتان وعشرون آية حجازي شامي.
قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ١٣٣): «أعلى الروايات وأصحها العد الكوفي؛ فإن إسناده متصل بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه». وانظر: «جمال القراء» للسخاوي (ص: ٢٧٤)، و«الإتقان» للسيوطي (١/ ٢٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾؛ أي: بعقودِ اللهِ فيما أحلَّ وحرَّم[١].

الحسنُ: بعقودِ الدِّين[٢].

ابنُ جريجٍ: الخطابُ لأهلِ الكتاب، والمرادُ بـ(العقود): العهودُ التي أُمِرَ أهلُ الكتابِ أن يعملوا بها من تصديقِ النَّبيِّ عليه السَّلام وتبيينِ نَعتِه[٣].

ابنُ زيدٍ: العقودُ خمسةٌ: عقدُ النِّكاح، وعقدُ الشَّركة، وعقدُ اليمين، وعقدُ العهد، وعقدُ الحِلْف[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٤٧) بلفظ: «يعني: ما أحل وما حرم، وما فرض، وما حد في القرآن كله...». وعلقه البخاري قبل حديث (٥٤٧٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٣).

(٤) في هامش (ن): «الحلف: ما كانوا يعاهدون فيما بينهم أن يقول الرجل لصاحبه: إن مت قبلك فمالي لك، ويقول الآخر مثل ذلك». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠).

وزِيد: عقدُ البيع[١].

وقيل: العقودُ المذكورة، وهي الفرائضُ الـمُبيَّنة في هذه السُّورة، وهي إحدى عشرة. وقيل: ثماني عشرة.

والعقدُ: الجمعُ بين الشَّيئين بما يعسرُ الانفصالُ، وأصلُه الشَّدُّ.

والوفاءُ: إتمامُ العقدِ بفعلِ ما عُقِدَ عليه، تقولُ: أوفى ووفَّى.

﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الجمهورُ: استئنافُ حُكمٍ[٢]، ويحتملُ التَّفصيل.

والبهيمةُ: كلُّ حيٍّ لا يُميِّزُ.

والأنعامُ أصلُها: الإبلُ، أُخِذُ من (نعمة الوطء)[٣] ـ وإضافةُ البهيمةِ إلى الأنعامِ من بابِ: (ثوبُ خزٍّ)[٤] ـ ثم استُعمِلَ[٥] للبقر والشّاء، ولا يدخلُ فيها الحافرُ[٦]؛ لقولِه سبحانه: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ [النحل: ٥]، ثم عطف عليها: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ﴾ [النحل: ٨][٧].

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢٩٦)، ولفظه: «إنهن ست: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين».

(٢) «حكم» ليست في (ن).

(٣) قال الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٧٣): «والأنعام: الإبل والبقر والغنم، مأخوذ من نعمة الوطء»، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٣): «سميت بذلك لنعومة مسها، وهو لينها». يُقال: تنعم الرجل: مشى حافيًا، والوطيءُ من كلِّ شيء: ما سهُلَ ولانَ، والوطيءُ والوطيئة: العصيدة الناعمة. انظر: «لسان العرب» مادة (و ط أ) ومادة (ن ع م) (١٢/ ٥٨٧).

(٤) أي: من باب إضافة الشيء إلى جنسه.

(٥) في (و): «يستعمل».

(٦) في (و): «الحافي».

(٧) ففصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوانات. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ١٥).

الحسنُ: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبلُ والبقرُ والغنم(١).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الوحشُ(٢).

ابنُ عمر رضي الله عنهما: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الجنينُ إن خرجَ ميتًا جازَ أكلُه(٣). ورُوي عن ابنِ عبّاسٍ أيضًا(٤).

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بذكر تحريمه لكم.

ابنُ عبّاسٍ والحسنُ في جماعةٍ: هو قولُه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ...﴾ الآية(٥).

أبو العالية: هو قولُه: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾(٦)؛ أي: إلا ما كان من الأنعام صيدًا؛ فهو حرامٌ وأنتم حُرُمٌ.

وقولُه: (غيرَ) منصوبٌ على الحال من قوله: (أوفوا بالعهود غير محلّي الصّيد)، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٢)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢١) عن الكلبي، بلفظ: «قال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش». واختاره الفراء انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٩) عن مطرف بن الشخير والربيع بن أنس.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣). وعد المصنف هذا القول من العجيب في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٢١) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي.

(٦) لم أقف عليه عن أبي العالية، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٩) عن الربيع بن أنس، قال: جلسنا إلى مطرف بن الشخير وعنده رجل، فحدثهم فقال: «﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: صيداً، ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: فهو عليكم حرام؛ يعني: بقر الوحش والظباء وأشباهه».

وقيل: بالاستثناء؛ أي: إلَّا محلِّي الصَّيدِ وأنتم حرم. حكاه ابنُ عيسى[١].

وقيل: على الحال من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ غير محلي الصيد[٢]، وهو الأظهر[٣].

قوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ ابنُ عبّاسٍ: وأنتم في الحرم[٤].

غيرُه: في الإحرام.

وقيل: في الحرم والإحرام، تقول: جاء رجلٌ حرامٌ وقومٌ حُرُمٌ[٥].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعة[٦]: يحلُّ ويحرِّم ما يريد[٧].

وقيل: يحكم فيما خلَقَ ما يريد على الإطلاق.

***

(٢) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥) دون نسبة، واستغربه.

(٢) «وأنتم حرم حكاه ابن عيسى، وقيل: على الحال من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم ... غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾» من (ن).

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥).

(٤) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، فنهى المحرم عن قتله في هذه الآية».

(٥) ذكر الأوجه الثلاثة الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦٧).

(٦) «في جماعة» من (ن).

(٧) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ١٦٣). وذكره بلا نسبة: الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٦) وغيرهما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَت في الحُطَمِ، واسمُه شُرَيحُ بن ضُبَيعة، أتى النَّبيَّ عليه السَّلام من اليمامة إلى المدينة، فخلَّف خيلَه خارجَ المدينة، ودخلَ وحدَه على النَّبيِّ عليه السَّلام فقال له: إلامَ تدعو النّاسَ؟ فقال: «إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلّا الله، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزكاة» فقال: حسنٌ، إلّا أنَّ لي أمراءَ لا أقطعُ أمرًا دونهم، ولعلِّي أسلمُ وآتي بهم، وقد كان النَّبيُّ عليه السَّلام قال لأصحابه[1]: «يدخلُ عليَّ[2] رجلٌ يتكلَّمُ بلسان شيطانٍ»، ثم خرجَ من عنده، فلمّا خرج قال رسول الله عليه السَّلام: «قد[3] دخلَ بوجهِ كافرٍ وخرجَ بعَقِبَي غادرٍ، وما الرَّجُلُ بمسلمٍ»، فمرَّ بسرحِ المدينة فاستاقه، فطلبوه فعجزوا عنه، فلمّا خرج رسولُ الله عليه السَّلام عامَ القضيّةِ سمعَ تلبيةَ حُجّاجِ اليمامةِ فقال لأصحابه: «هذا الحُطَمُ وأصحابُه»، وكان قد قلَّدَ ما نهبَ من سرح المدينة وأهداه إلى الكعبة، فلمّا توجَّهوا في طلبه أنزلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[4].

وفي غيرِ هذه الرِّواية: فمرَّ بسرحِ المدينةِ واستاقه، وانطلقَ وهو يرتجزُ ويقول[5]:

باتـوا نيامًـا وابـنُ هِنْـدٍ لـم يَنَـمْ
بـاتَ يقاسـيها غُـلامٌ كالزَّلَـمْ

---

(١) «قال لأصحابه» من (م).

(٢) في (و): «عليه».

(٣) في (ن): «لقد».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره بلا نسبة: السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣) عن عكرمة مرسلًا.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢) عن السدي.

خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ القَدَمْ
قد لفَّها اللَّيلُ بسوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعي إبلٍ ولا غَنَمْ
ولا بِجَزّارٍ على ظَهْرِ[(١)] وَضَمْ
هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتَدِّي زِيَمْ[(٢)]

وقولُه: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ على هذا: ما يحرمُ في الإحرام، وهو قولُ ابن عبّاسٍ[(٣)].

وقيل: مناسكُ الحجِّ، وهو قولُ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا[(٤)].

وقيل: الأعلامُ المنصوبةُ للفرقِ بين الحلِّ والحرم، نهاهم أن يتجاوزوها إلى مكّةَ بغير إحرامٍ.

الحسنُ: دينُ الله كلُّه[(٥)].

ومعنى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟﴾: لا تستحلّوا.

﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: القتال فيه.

---

(١) في (و): «لحم».

(٢) اختلف في نسبة الرجز؛ فنسب لرشيد بن رميض العنبري، كما في «البرصان والعرجان» للجاحظ (ص: ٢٧٥)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣٦٢)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٠٣). ونسب للحطم القيسي، كما في «الكامل» (١/ ٣٠١)، و«سمط اللآلئ» (١/ ٧٢٩). ونسب لأبي زغبة الخزرجي، كما في «لسان العرب» مادة: (خ ف ق) (١٠/ ٨٢)، ومادة: (و ض م) (١٢/ ٦٤٠). وقد استشهد الحجاج ببعض هذا الرجز في خطبته المشهورة في الكوفة عندما ولي العراق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٩).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦).

وقيل: تأخيره، من قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

والمرادُ به هاهنا: ذو القعدة، وقيل: رجب، وقيل: أشهر الحرم كلُّها.

﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾: هو ما يُهدى إلى مكّةَ للذَّبح.

﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ ابنُ عبّاسٍ: هي مُقلَّداتُ الـهَدْي(١).

وكانوا في الجاهليّة إذا خرجوا من الحرمِ قلَّدوا إبلَهم من لحاءِ سَمُرةِ الحرم، فلا يتعرَّضُ لهم أحدٌ، وإذا خرجوا إلى الحرمِ قلَّدوها بقلائدَ ليُعلَمَ أنَّها هَدْيٌ.

وقال عطاءٌ: هي القلائدُ نفسُها، كانوا يأخذون من لحاءِ سمرةِ الحرم، فنهى الله أن يُنزَعَ من شجرِها(٢).

وقيل: القلائدُ: ما تُقلَّدُ به من حذاءٍ ونعلٍ(٣).

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: قاصديه.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾: رزقًا بالتِّجارة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ بزعمهم.

قتادةُ: هو أن يُصلحَ معاشَهم في الدُّنيا، فلا يُعجِّلَ لهم العقوبة(٤).

وقيل: الفَضْلُ للمشركين والمؤمنين عامٌّ، ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ للمؤمنين خاصّةً؛ لأنَّ الآمِّين من المؤمنين والكافرين.

والجمهورُ: على أنَّها منسوخةٌ بقولِه: ﴿اقتلوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥](٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٥١). واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٤١).

(٥) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٥٩ ـ ٣٦١): «ذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه =

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: خرجتم من الإحرام، ﴿فَٱصْطَادُواْ﴾ أمرُ إباحةٍ، وكذلك كلُّ أمرٍ وقعَ بعدَ حظرٍ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنَّكم ويُكسِبنَّكم[١]، قال:

ولقد طَعَنْتَ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فزارةَ بعدَها أنْ يَغْضَبوا[٢]

﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ مَن فتح[٣] جعلَه مصدرًا؛ أي: إبغاض قوم، ومَن سكَّنَ فالمعنى: بغيضُ قومٍ؛ فإنَّ المصدرَ على (فَعْلان) قليلٌ، وقد جاء (اللَّيَّانُ)[٤].

﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾؛ أي: لأن صدُّوكم عامَ الحُديبيةِ ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾.

= الأحكام الخمسة منسوخة، وذهب بعضهم إلى أن فيها منسوخًا، وذهب بعضهم إلى أنها محكمة؛ فممن ذهب إلى أنها منسوخة قتادة، وروي ذلك عن ابن عباس... وأما مجاهد فقال: لم ينسخ منها إلا القلائد... وعلى مذهب أبي ميسرة أنها محكمة، وأما عطاء فقال: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تتعرضوا ما يسخطه واتبعوا طاعته واجتنبوا معاصيه، فهذا لا نسخ فيه، وهو قول حسن؛ لأن واحد الشعائر شعيرة، من شعرت به؛ أي: علمت به، فيكون المعنى: لا تحلوا معالم الله، وهي أمره ونهيه وما أعلمه الناس، فلا تخالفوه».

(١) في (ن): «لا يحملنكم ولا يكسبنكم».

(٢) البيت لأبي أسماء بنِ الضَّريبة أو عطية بن عفيف في «مجاز القرآن» (١/ ٣٥٨)، و«شرح أبيات سيبويه» (٢/ ١٣٤)، ونسبه في «الكتاب» (٣/ ١٣٨) للفزاري مبهمًا، ونُسِبَ لأبي أسماء بن الضريبة في «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٠)، و«الإبانة في اللغة» (٣/ ٣٢٥).

(٣) قرأ أبو عمرو وابن عامر بإسكان النون، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «التيسير» (ص: ٩٨)، وذكر ابن مجاهد الخلاف على بعضهم. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢).

(٤) جاءت المصادر على فُعلان وفِعلان، أما فَعلان فقليل، ونقل ابن السراج في «الأصول» (٣/ ٨٧) عن المبرد أنه قال: فَعْلانٌ لا يكونُ مصدرًا ولكن استثقلوا الكسرةَ مع الياء، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٦)، واستغربه.

المعنى: لا يحملنَّكم إبغاضُ قومٍ أو بغيضُ قومٍ على الاعتداء لأجلِ صدِّهم إيّاكم عن المسجد الحرام.

ومَن قرأ: ﴿إِنْ صَدُّوكم﴾[1] فالتَّقديرُ[2]: إن يقعْ مثلُ هذا لا يحملَنَّكم على الاعتداء؛ فحذفَ الجزاءَ لدلالة الكلام عليه.

ولا يجري على الظّاهر؛ لأنَّ الشَّرطَ في الماضي محالٌ، ومنه بيتُ «الكتاب»:

أَتَغْضَبُ إِنْ أُذْنا قُتَيْبَةَ حُزَّتا ... جِهاراً ولم تَغْضَبْ لقَتْلِ ابنِ خازِمِ[3]

أي: إن يقع مثلُ هذا تغضب.

وكذلك قولُ الآخر:

إِذا ما انْتَسَبْنا لَمْ تَلِدْني لَئِيمةٌ ... ولم تَجِدي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بها بُدّا[4]

المعنى: إن تنسُبْني لم تجدني مولودَ[5] لئيمةٍ.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾؛ أي: لِيُعِنْ بعضُكم بعضًا على متابعة الأمر.

﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: مجانبة الهوى.

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾: المعصيةِ ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٢) في (ن): «بكسر الألف فتقديره».

(٣) البيت للفرزدق في «ديوانه» ضبطه: إيليا الحاوي (٢/ ٥٦٤)، و«الكتاب» (٣/ ١٦١)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧).

(٤) البيت لزائدة بن صعصعة الفقعسي، كما في «شرح أبيات المغني» للبغدادي (١/ ١٢٤)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٦١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٥٧).

(٥) في (و): «مولودًا».

(٣) - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ بيانٌ لقولِه: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[١].

﴿وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ سبقَ في (البقرة).

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: هي التي تنخنِقُ في حبالةِ الصّائد، أو يدخلُ رأسُها بينَ شُعبتينِ من شجرةٍ، أو تُخنَقُ عمدًا فتموت.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: المضروبةُ بالخشبةِ أو بغيرِها إلى أن تموتَ، من قولهم: وقذْتَه؛ أي: ضربْتَه.

ابنُ عمر رضي الله عنهما: المضروبةُ بالبُنْدُقةِ موقوذةٌ[٢].

والمجوسُ تقذُّ ليبقى الدَّمُ فيها فتكونَ أطيبَ بزعمهم.

---

(١) في (و): «عليكم والميتة».

(٢) علَّقه البخاري بعد حديث (٥٤٧٥)، وذكر ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٥٠٠) ثلاثة أخبار يصل بها هذا الأثر:

الأول: قال مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٩١) عن نافع قال: رميت طائرين بحجر فأصبتهما، فأما أحدهما فمات، فطرحه ابن عمر.

الثاني: ما رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٩٤٦): عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول في المقتولة بالبندقة: «تلك الموقوذة».

الثالث: ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٢٤٦) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان لا يأكل ما أصابت البندقة والحجر.

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: التي تردَّتْ مِن عُلُوٍّ أو وقعَتْ في بئرٍ فماتَتْ.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: ما نُطِحَتْ حتى تموت، فَعِيْلةٌ بمعنى مَفعولٍ، وأُلحِقَ الهاءُ به لأنَّه اسمٌ، وقيل: إذا انفرد عن الموصوف أُلحِقَ به الهاء، نحو: الكَحيلة والدَّهينة[١].

وقيل: هي بمعنى الفاعل؛ أي[٢]: تَنْطَحُ حتى تموت[٣].

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أراد: ما أكلَ منه السَّبُعُ فمات.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ عليٌّ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم: الاستثناءُ عائدٌ إلى الكلِّ؛ أي: ما أدركْتُم ذكاتَه بأنْ يوجدَ له عينٌ تطرفُ أو ذَنَبٌ يتحرَّكُ[٤].

وقيل: يعودُ إلى ما أكلَ السَّبُعُ فحسب.

والذَّكاةُ: اسمٌ شرعيٌّ لقطعِ الأوداجِ ـ وهي الحلقومُ والمريءُ والعِرقان ـ بسكِّينٍ أو ما قامَ مقامَه على اسمِ الله مُسْلِمًا.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كان عند البيت ثلاثُ مئةٍ وستُّون حجرًا يعبدونها ويقرِّبون الذَّبائحَ لها.

---

(١) الأصل في (فعيل) إذا كان بمعنى (مفعول) ووُصفت به أنثى ألا تلحقه علامة التأنيث، فيُقال: ملحفة جديد، فإن جُرِّد عن الوصفية لحقته، فيقال: ذبيحة، وكذا نطيحة. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤٧)، و«إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٢٠٠)، و«شرح الشافية الكافية» لابن مالك (٤/ ١٧٤٠).

(٢) في (و): «أن».

(٣) وتلحقها الهاء إذا وُصفت بها الأنثى على هذا على الأصل. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٦٠)، و«المخصص» (١/ ٣٨٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٣/ ٣٧٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «ما أدركت ذكاته من هذا كله، يتحرك له ذنب أو تطرف له عين، فاذبح، واذكر اسم الله عليه، فهو حلال». وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٤٤) عن علي رضي الله عنه.

الحسنُ: كانوا يذبحون لأصنامِهم[١].

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: أنَّها قداحٌ ثلاثةٌ مكتوبٌ على أحدِها: (أمرني ربِّي)، وعلى الآخر: (نهاني ربِّي)، والثالثُ غُفْلٌ، فإذا أرادوا أمرًا ذا خطرٍ من سفرٍ أو نكاحٍ أو تجارةٍ أو عقلٍ أجالوها، فإذا خرج (أمرني ربِّي) مضى على ذلك، وكذلك إذا خرج (نهاني ربِّي) امتنع، فإن خرج الغُفْلُ أَجالوها[٢] ثانيًا.

ومعنى: ﴿تَسۡتَقۡسِمُواْ﴾: تطلبوا ما قُسِمَ لكم.

المبرِّدُ: الاستقسامُ: إلزامٌ كقسمِ اليمين، كأنَّهم ألزموا[٣] أنفسَهم ما تأمرُهم به القِداح[٤].

والثاني: الأزلامُ: سهامُ زَلَمٍ ـ كجَمَلٍ ـ وزُلَمٍ ـ كصُرَدٍ ـ وهي عشرةٌ يقسمونَ عليها لحمَ الجزور، وقد سبق.

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥٣)، ونقل الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٣٨) عن الحسن تفسير النصب بالأوثان في سورة المعارج، ونقله عنه أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ١١٥) في تفسير البقرة، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٢): «في النصب قولان: أحدهما: أنها أصنام تنصب، فتعبد من دون الله، قاله ابن عباس والفراء والزجاج، فعلى هذا القول يكون المعنى: وما ذبح على اسم النصب، وقيل: لأجلها. والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج».

(٢) في (و): «أجالها».

(٣) في (و): «ألزمهم».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٥٠)، ونجم الدين النيسابوري في «إيجاز البيان» (١/ ٢٦٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٧) دون نسبة، واستغربه.

الثالث: الأزلامُ: كِعابُ فارس والرُّومِ التي يتقامرون بها، قاله مجاهدٌ[١].

الرابع: قال سفيانُ بنُ وكيعٍ: الأزلام: الشِّطرنج[٢].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: الأزلامُ: حُصيّاتٌ كانوا يَستقسمونَ بها[٣].

والأوَّلُ هو الذي عليه الجمهور.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارةُ إلى الاستقسام، ويحتملُ أن يعودَ إلى الكلِّ.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هو يومُ فتحِ مكّة[٤].

مقاتلُ بنُ حيّانَ: هو يومُ عرفة[٥].

وقيل: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ عبارةٌ عن الوقتِ.

ومعنى ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾: من إبطالِ دينِكم.

وقيل: من رجوعِكم عن دينكم.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم.

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في مخالفة أمري.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّها نزلَت يوم الجمعة، وكان يومَ عرفةَ بعدَ العصرِ في حجّةِ الوداع، سنةَ عشرٍ، والنَّبيُّ عليه السَّلام واقفٌ بعرفاتٍ على ناقته العضباء[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٤).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٢).

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل بن حيان، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٤٥٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٩) عن ابن زيد، وانظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٥١٢).

(٦) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (١٩٠).

وروى البخاريُّ: أنَّ رجلًا جاء إلى عمرَ رضي الله عنه وقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّكم لتقرؤون آيةً في كتابكم لو علينا معشرَ اليهودِ نزلَت لاتَّخذنا ذلك اليومَ عيدًا، قال: وأيُّ آيةٍ هي؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال عمر رضي الله عنه: والله إنِّي لأعلمُ اليومَ الذي نزلَت على رسول الله ﷺ، والسّاعةَ التي نزلت، عشيّةَ عرفةَ في يومِ جمعةٍ(١).

ورُويَ مثلُ هذا عن ابن عبّاسٍ(٢).

ومعنى ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ أي: بالبيانِ والشَّرائعِ والفرائضِ حتى لا يُزاد فيه بعدَ اليوم.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال(٣): لم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرامٌ(٤).

وعاشَ النَّبيُّ ﷺ(٥) بعدها أحدًا وثمانين يومًا(٦).

وقيل: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: حجَّكم فحججْتُم، وليس معكم مشركٌ(٧)؛ لأنَّهم(٨) مُنِعوا عنه في (سورة براءة)(٩).

---

(١) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٤٤)، وقال: «حسن غريب».

(٣) «قال» من (ن).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٠) عن ابن عباس والسدي، وذكره الواحدي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٥)، وقال: «هذا معنى قول ابن عباس والسدي، وهو الاختيار».

(٥) «النبي ﷺ» من (و).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨١) عن ابن جريج.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨١، ٨٢) عن الحكم وقتادة وسعيد بن جبير.

(٨) في (و): «لأنه».

(٩) يوضِّحه ما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٣) عن ابن عباس، قال: «كان المشركون والمسلمون =

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بالإسلام.

وقيل: يخافون ولا تخافون.

الحسنُ: ﴿نِعْمَتِي﴾: الجنَّة(١).

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾: ما استقرَّ عليه الشَّرعُ ﴿دِينًا﴾.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: أُحوِجَ وأُلجِئَ في مجاعةٍ ـ مشتقَّةٌ من (خماص البطن) ـ فأكلَ ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾: مائلٍ لها بأن يأكلَها تلذُّذًا مجاوزًا حدَّ الشِّبع، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن أكلَ ﴿رَحِيمٌ﴾ حيثُ رخَّصَ.

ويحتملُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فليأكلْ منها.

* * *

(٤) ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام أمرَ بقتلِ الكلابِ، فجاء ناسٌ إلى رسول الله عليه السَّلام فقالوا: ما هذه الأُمَّة التي تقتلُها؟

= يحجون جميعًا، فلما نزلَت براءة، فنفى المشركين عن البيت، وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، فكان ذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾».

(١) لم أقف عليه عن الحسن في تفسير هذه الآية، ولكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» عنه أنه فسر النعمة بالجنة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٤) عن سعيد بن جبير أنه قال: «من تمام النعمة، دخول الجنة»، وذكر الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يريد أنه حكم لهم بدخول الجنة».

فسكت، فأنزلَ الله هذه الآية، فأذِنَ في اقتناءِ الكلابِ التي يُنتَفَعُ بها، ونهى عن إمساكِ ما لا نفعَ فيه منها[١].

وعن سعيدِ بنِ جبيرٍ: أنَّها نزلَت في سؤال عديٍّ بن حاتمٍ وزيدِ الخيلِ حينَ جاءا إلى رسول الله عليه السَّلام فقالا: إنّا قومٌ نصيدُ بالكلاب، فمنه ما نُدرِكُ ذكاتَه ومنه ما لا ندركُ ذكاته[٢]، وقد حرَّمَ الله الميتةَ، فماذا يحلُّ لنا منه؟ فأنزل الله هذه الآية[٣].

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: الحلالُ.

وقيل: المأذونُ في أكلِه.

وقيل: المستلَذُّ؛ لأنَّ التي حُرِّمت غيرُ مستلذَّةٍ.

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: ما لم يجرِ ذِكرُه في المحرَّمات.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾؛ أي: وصيدُ ما علَّمتم؛ أي: علمتموه الصَّيدَ[٤].

﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾: الكواسبِ للصَّيدِ على أهلها، وهي الكلابُ والفهودُ والبُزاةُ والصُّقورُ وغيرها، واحدُها: جارحةٌ، والجَرْحُ: الكسبُ، من قوله: ﴿مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

ورُوِيَ عن محمَّدِ بنِ الحسنِ: ﴿ٱلْجَوَارِحِ﴾: من الجِراحة، وقال: إذا صادَ ولم يجرحْهُ وماتَ لم يُؤْكَل؛ لأنَّه لم يُجْرَحْ بنابٍ ولا مخلبٍ[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠٠، ١٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢١٢) عن أبي رافع، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) «ذكاته» من (ن).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٦٨)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٢).

(٤) «أي: وصيد ما علمتم؛ أي: علمتموه الصيد» من (ن).

(٥) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٣٠٩)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ٤٤)، وفيه: «في الرواية =

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُعلِّمين إيّاه الصَّيدَ[١]، والـمُكلِّبُ: الذي يُعلِّمُ الصَّيدَ ويؤدِّبُ[٢].

وقيل: مُضَرِّيْنَ، مِن (التَّضرِيةِ)[٣]، فيكونُ أعمَّ من الأوَّل.

وذهبَ ابنُ عمرَ والضَّحّاكُ إلى أنَّه لا يحلُّ إلّا أكلُ صيدِ الكلابِ وحدَها[٤].

والجمهورُ على القول الأوَّل.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ العليمُ الذي بيَّنَ حُكمَها لكم.

وللتَّعليمِ[٥] حدٌّ عند بعضِهم، وهو: أنَّه إذا أُرْسِلَ تبعَ الصَّيد، وإذا أَخَذَ أمسَكَ على صاحبِه، وإذا دُعِيَ استجابَ.

وعند بعضِهم: ليس في تعليمِه شيءٌ يُحدُّ.

الحسنُ: لا يجوزُ أن يُؤكَلَ ما صادَه كلابُ المجوس[٦].

= المشهورة أنه إذا لم يجرح لا يحل حتى لو خنق أو صدم ولم يجرح ولم يكسر عضوًا منه لا يحل في ظاهر الرواية، وروي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه يحل»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٨)، واستغربه.

(١) في (ن): «الصيد».

(٢) في (و): «للصيد ويؤدبه».

(٣) شرحه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٨) فقال: «وهي الحثُّ والحمل على الصيد»، وفي «لسان العرب» مادة (ض ر ي) (١٤/ ٤٨٢): «ضري الكلب بالصيد ضراوة؛ أي: تعود، وأضراه صاحبه؛ أي: عوده، وأضراه به؛ أي: أغراه، وكذلك التضرية».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠٥) عن ابن عمر والضحاك والسدي، وردَّه، لكنه غير صريح عن ابن عمر، فلفظه: «أما ما صاد من الطير والبزاة من الطير، فما أدركت فهو لك، وإلا فلا تطعمه»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٨)، واستغربه.

(٥) في (و): «والتعليم».

(٦) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٢٠٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٦١٧)، ولفظه: «كان =

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ لا لأنفسِهنَّ، وإنَّما يُعرَفُ ذلك بالأكل.

وعند أبي حنيفةَ رضي الله عنه: لا يُؤكَلُ إذا أكلَ منه الكلبُ، ويُؤكَل إذا أكلَ منه البازيُّ حيث لا يمكنُ تعليمُه وضربُه عند الأكل[1].

وعند الشافعيِّ رحمه الله: لا يُؤكَلُ إنْ أكلا[2].

مالكٌ والأوزاعيُّ رحمهما الله: يُؤكَلُ منه وإنْ أكلا[3].

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ على الإرسالِ، وفيه تقديمٌ.

وقيل: يريدُ التَّسميةَ عندَ الأكل. وقولُ الحسنِ في المجوسِ من هذا[4].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أكلِ الميتة.

= يكره أن يستعين المسلم بكلب المجوسي فيصيد به، ولا يرى بأساً أن يستعين بكلب اليهودي، والنصراني فيصيد به»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٩)، واستغربه.

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥٧): «أما كلب المجوسي وبازه وصقره فكره الصيد بها جابر بن عبد الله والحسن وعطاء ومجاهد وإبراهيم النخعي والثوري وإسحاق بن راهويه، ومالك رحمه الله والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم على إباحة الصيد بكلابهم إذا كان الصائد مسلمًا، قالوا: وذلك مثل شفرته».

(١) انظر: «التجريد» للقدوري (١٢/ ٦٢٧٣ ـ ٦٢٧٧)، و«المبسوط» للسرخسي (١١/ ٢٢٣).

(٢) هذا على مذهبه الجديد؛ فقد ذكر الماوردي أن للشافعي في إباحة أكل ما أكل الجارح من الصيد سواء كان من كواسب البهائم أو كواسر الطير قولين؛ القديم: يحل أكله، والجديد: لا يحل أكله. انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٥/ ٨)، و«المجموع شرح المهذب» (٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٣) انظر قول مالك في: «الجامع لمسائل المدونة» (٥/ ٧٤٨)، و«بداية المجتهد» (٣/ ٩)، وانظر قول الأوزاعي في «الاستذكار» (٥/ ٢٧٥).

(٤) «وقول الحسن في المجوس من هذا» من (ن).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: واتَّقوا ولا تأكلُوا ما لم يُذكَرِ اسمُ الله عليه(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يُعطي ما لك ويأخذُ ما عليك.

ويحتملُ أنَّ (ما)(٢) في ﴿ما عَلَّمْتُم﴾ للشَّرط، ﴿فَكُلُواْ﴾ جزاؤه، والكلامُ تمَّ على ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

ويحتملُ أيضًا أنَّه الموصولُ، ﴿فَكُلُواْ﴾ خبرُه(٣).

***

(٥) - ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: الحلالات واللَّذيذات، كما سبق.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ابنُ عبّاسٍ والحسنُ في جماعةٍ: ذبائحُ اليهودِ والنَّصارى(٤).

وقيل: أراد به كلَّ طعامٍ، فتُفيدُ الآيةُ تناوُلَ طعامِهم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٧).

(٢) «ما» من (ن).

(٣) وهذا الوجه أيضاً مبني على أنَّ الكلام تمَّ عند ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾. انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ١٩٦)، و«والمكتفى» للداني (ص: ١٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٩١٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٥٥٠٨).

والأوَّلُ أظهرُ؛ لأنَّ سائرَ الطَّعام كالخبز والدُّهن لا يختلفُ حكمُه بأن يتولّاه مجوسيٌّ أو كتابيٌّ أو مسلمٌ بإجماعٍ.

﴿حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ وسعيدٌ: ذبائحُ المسلمين حلٌّ لهم(١).

وقيل: فطعامُكم حلٌّ لهم؛ أن(٢) تُطعموهم وتتصدَّقوا(٣) عليهم.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ سبق ذكرُها.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الحسنُ والشَّعبيُّ والسُّدِّيُّ: العفائفُ الكتابيّات(٤).

مجاهدٌ: الحرائرُ الكتابيّات(٥).

﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: إذا التزمتم مهورَهنَّ.

﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾؛ أي: بالنِّكاحِ لا بالزِّنى؛ سرًّا وجهرًا.

---

(١) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ٨٩) عن ابن عباس، وذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٧)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٧٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٨)، ولم ينسبوه لأحد.

(٢) في (و): «أي».

(٣) في (و): «ويتصدقون».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٤٣) عن الشعبي والسدي، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٩) عن الحسن، وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٦٩٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٤٠٦) عن عامر الشعبي: «إحصان اليهودية والنصرانية أن تغتسل من الجنابة، وأن تحصن فرجها».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٦٧).

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ﴾ مجاهدٌ: باللهِ(١).

غيرُه: أبى الإيمانَ وامتنعَ منه(٢).

ويحتملُ أنَّه مصدرٌ واقعٌ موقعَ المفعول، ويحتملُ: يُنكِرُ وجوبَه وفرضَه(٣).

﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾: بطلَ(٤) ﴿عَمَلُهُۥ﴾.

ابنُ بحرٍ: هو مستعارٌ من قولهم: حَبِطَ بطنُه(٥).

﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الحسنُ: كلُّ خسرانٍ في القرآنِ فهو خُسرانُ النَّفسِ والجنَّة(٦).

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٠)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٩) بلا نسبة، واستغربه.

(٢) هو قول الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥١).

(٣) أي: مَن يكفر بالمؤمَنِ الذي آمن به المؤمنون، وجاء به محمد ﷺ، أو يُنكره ويجحد لزوم اتباعه.

(٤) «بطل» من (ن).

(٥) حبط بطنه حَبَطاً: انتفخ. وقد سبق الأزهريُّ ابنَ بحر فيما ذهب إليه؛ فإنه قال في «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٣٠): «ولا أرى حبط العمل وبطلانه مأخوذًا إلا من حبط البطن؛ لأن صاحب الحبط يهلك، وكذلك عمل المنافق والمشرك يحبط، غير أنهم سكّنوا الباء من قولهم: حبط عمله يحبط حَبْطًا، وحركوها من حبط بطنه يحبط حَبَطًا». وذكر نحو ذلك الزمخشري في «أساس البلاغة» مادة (ح ب ط) (١/ ١٦٥).

(٦) هذا من تفسير القرآن بالقرآن، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٤٣) عن الحسن أنه قال: «خسروا أنفسَهم؛ بما حرموها من الجنة، وأهليهم؛ من الحور العين الذين أُعِدُّوا في الجنة».

(٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أردتُم القيامَ؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقيل: أردتم الطَّهور، فذُكِر بلفظ الصَّلاة؛ لأنَّ القصدَ به إليها.

في الآيةِ إضمارٌ تقديره: إلى الصَّلاة مُحدِثين، وهذا إجماعٌ إلَّا ما رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه وعمرَ: أنَّهما كانا يتوضّآن لكلِّ صلاةٍ[١]، وذلك محمولٌ على النَّدب والاستحباب.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ في جماعةٍ: أي: قمتم من النَّوم[٢]؛ يريد: من نومٍ يُوجِبُ الوضوء.

وقيل: قمتم من الطَّعام، وهذا على زعمِ مَن يُوجِبُ الوضوء ممّا مسَّته النّار، وذلك قولٌ لا يُعتدُّ به[٣].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٧) عن علي رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٠) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢١) عن زيد بن أسلم، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٦ ـ ١٥٧) عن زيد بن أسلم والسدي.

(٣) ذهب طائفة من أهل الحديث إلى وجوب الوضوء مما مسَّته النار، ونُقل ذلك عن ابن عمر وأبي طلحة وأنس وأبي موسى وعائشة وزيد بن ثابت وأبي هريرة والحسن البصري والزهري =

﴿فَاغْسِلُوا﴾ الفاء جوابُ الشَّرط، وقد اتَّصل بالغسل والمسح معًا؛ لأنَّ الواو لا تدلُّ على التَّرتيب بإجماعٍ من أهل اللغة.

والغسلُ: إمرارُ الماء على العضو، والدَّلكُ ليس بفرضٍ، خلافًا لمالكٍ[1]، ولا يقتصر على مسحٍ بالماء كالدَّهن، خلافًا لأبي يوسف رحمه الله[2].

﴿وُجُوهَكُمْ﴾: جمع وجهٍ، وهو ما واجَهْتَ به غيرَكَ، من قُصاصِ[3] الشَّعر إلى الذَّقن طولًا، ومن شحمةِ الأذنِ إلى الشَّحمة عرضًا.

ويُمسح على ظاهر اللِّحية.

والمضمضةُ والاستنشاقُ والتَّخليلُ سنّةٌ؛ لأنَّها لا يقع عليها اسم المواجهة.

وكذا التّكرارُ سنّةٌ.

ولا يجبُ إيصالُ الماء إلى داخل العينين، خلافًا لابنِ عمرَ رضي الله عنهما[4].

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ اليدُ: عبارةٌ عن الأنملة إلى المنكب، فدخلَ المرفقُ

= وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وذهب الإمام أحمد وإسحاق وأبو ثور إلى تخصيص ذلك بلحم الجزور، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٩)، وعدَّه من العجائب، وانظر: «اختلاف الفقهاء» للمروزي (ص ١٠٠ ـ ١٠١)، و«المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة» للحثيثي (١/ ٤٧).

(١) انظر: «المدونة» (١/ ١٣٣)، و«بداية المجتهد» (١/ ٥١).

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ٣)، و«المحيط البرهاني» لابن مازة (١/ ٣٥).

(٣) قصاص الشعر: منتهاه، وفي القاف ثلاث لغات، أعلاها الضمُّ. انظر: «العناية شرح الهداية» لجمال الدين الرومي (١/ ١٤)، و«لسان العرب» مادة (ق ص ص) (٧/ ٧٣).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٦١). ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٤٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٩٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٦٩)، لكنهم رووا ذلك في غسل الجنابة، ولفظ عبد الرزاق: «كان إذا اغتسل من الجنابة نضح الماء في عينيه، وخلل لحيته».

فـي الغسـل لهـذا، فصار (إلـى) لإخـراجِ مـا وراء المرفـق عن الغسـل، خلافًـا لزُفَرَ رحمه الله[١].

وما ذهبَ إليه بعضُهم من أنَّ (إلى) هاهنا بمعنى (مع) ضعيفٌ؛ لأنَّه إذا جُعل بمعنى (مع) لم يبقَ فيه معنى التَّحديد[٢]، فيجب غسل المرفق مع العضد؛ لأنَّ مطلق اليد يشتمل عليها كلِّها[٣].

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ المسحُ: مباشرةُ الرَّأس بالماء من غير إمرارٍ.

والمفروضُ قدرُ الربع[٤]، ولا يستوعب الرَّأس خلافًا لمالكٍ[٥]، ولا يقتصرُ على ما دونه، خلافًا للشَّافعيِّ رحمه الله[٦].

ولا تكرارَ في المسح.

والأذنان من الرَّأس.

ولا يمسح على العمامة، خلافًا للأوزاعيِّ والثوريِّ[٧].

---

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٦)، و«بدائع الصنائع» (١/ ٤).

(٢) في (و): «التجريد».

(٣) ذهب إلى ذلك السمرقندي والثعالبي وبعض أهل اللغة، ونُسب إلى الشافعي والمبرد، وفي هذه النسبة شيء؛ فالشافعي يقول بوجوب غسل المرافق، لكنه لا يقول به، فقد صرَّح بأن المعنى: إلى أن تُغسل المرافق. انظر: «الأم» للشافعي (١/ ٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٣)، وللنحاس (٢/ ٢٧١)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (١/ ٣٧٢)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٩)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٢٧٩)، وقد عدَّه المصنِّف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٠).

(٤) وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله. انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ١٩١)، و«فتح القدير» لابن الهمام (١/ ١٣).

(٥) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» (١/ ١٩)، و«التمهيد» (٢٠/ ١٢٥).

(٦) انظر: «الأم» (١/ ٤١)، و«المهذب» (١/ ٤٠).

(٧) انظر: «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (١/ ١٤٥)، وذكره الترمذي بعد حديث (١٠٠) عن الأوزاعي.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ النَّصبُ[1] عطفٌ على ﴿أيديكم﴾، ويحتمل العطف على محلِّ ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، والخفضُ عطفٌ على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، ويحتمل الجوارَ، فصار من المجمل الذي بيانُه إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، وقد بيَّنَ بقوله: «ويلٌ للعراقيبِ من النَّار»[2]؛ إذ لو كان ممسوحًا لم ينلْهُ الوعيد، وتحديدُه بالكعبين يرجِّحُ جانبَ الغسل.

والكعبان داخلان في الغسل كالمرفقين، وهما العظمان النّاتئان على جانبي السّاق، خلافًا لمحمَّدٍ رحمه الله؛ فإنَّه ذهب إلى أنَّه النَّاتئ فوقَ القدم حيث يقعُ عليه الشِّراك[3].

فهذه الأربعة هي المفروضة في الوضوء.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾؛ أي: فاغتسلوا.

والاغتسالُ: غسلُ ما يمكنُ من البدن، فتدخلُ فيه المضمضةُ والاستنشاق.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ سبق تفسيرُه وذِكْرُ سببِ نزول آيةِ التيمُّمِ في (سورة النِّساء).

---

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ نصباً، وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو ﴿وأرجلِكم﴾ بلا رسم مصحف خفضاً. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨).

(٢) رواه مسلم (٢٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري (١٦٥) بلفظ: «ويل للأعقاب من النار».

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٩)، وذكره فيه عن هشام عن محمد رحمه الله، ثم قال: «وهذا سهو من هشام لم يرد محمد ـ رحمه الله تعالى ـ تفسير الكعب بهذا في الطهارة، وإنما أراد في المحرم إذا لم يجد نعلين أنه يقطع خفيه أسفل من الكعبين، وفسر الكعب بهذا، فأما في الطهارة، فلا شك أنه العظم الناتئ، كما فسره في الزيادات». ونحوه في «بدائع الصنائع» (١/ ٧).

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيقٍ، فرخَّص في التَّيمُّم.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن الأحداث والجنابة.

وقيل: معناه[1]: لم يفرض عليكم الطَّهارة ليضيِّقَ عليكم، ولكن يريدُ ليطهِّرَكم عن الذُّنوب؛ فإنَّ الوضوءَ تكفيرٌ لِما قبله.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ في الدِّين والإسلام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا نعمتي.

والآيةُ مشتملةٌ[2] على سبعةِ فُصولٍ كلُّها مثنى؛ طهارتين: الوضوء والغسل، ومُطهِّرَين: الماء والتراب، وحُكمين: الغسل والمسح، ومُوجِبَين: الحدث والجنابة، ومُبيحَين: المرض والسَّفر، وكنايتين: الغائط والملامسة، وكرامتين: تطهير الذُّنوب وإتمام النِّعمة، والحمدُ لله على نعمه.

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلامِ وسائر نعمِه.

وقيل: أكثروا تعدادها.

وقيل: اشكروا.

﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾؛ أي: العهد الذي عاهدتموه.

---

(١) «معناه» من (ن).

(٢) «مشتملة» من (ن).

مجاهدٌ: هو مِن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢][١].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هو متابعةُ النَّبيِّ عليه السلام فيما يأمرُ وينهى[٢].

وقيل: هو الإيمانُ يومَ بيعة الرضوان[٣].

ابـنُ بحـرٍ: وذلك مفسَّـرٌ في الآية، وهــو قولـه: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سـمعنا أوامرَك ونواهيَـك، وأطعنا بالانقيـاد والإذعان.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ميثاقِه ونقضِه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بخفيَّاتِ القلوب.

وقيل: بحقيقة ما في الصُّدور، وذاتُ الشَّيء: نفسُه وحقيقتُه.

* * *

(٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾؛ أي: قائمين بما يلزمُكم القيامُ به.

﴿شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ﴾ الحسنُ: الشَّهادةُ بحقوق النّاس[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠) بلفظ: «الذي واثق به بني آدم في ظهر آدم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠١٣) بلفظ: «يعني: حيث بعث الله النبي ﷺ، وأنزل عليه الكتاب، فقالوا: آمنا بالنبي وبالكتاب، وأقررنا بما في التوراة. فذكرهم الله ميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء به».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩).

الزَّجّاجُ: الشَّهادةُ لأمرِ الله أنَّه حقٌّ(١).

والقسطُ: العدلُ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنَّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: إبغاضُ قومٍ وبغيضُ قومٍ(٢).

﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾؛ أي: على الجور.

﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ﴾؛ أي: العدلُ أقربُ ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: هو التَّقوى، وقيل: أقربُ لاتِّقاء النّار.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الحسنُ: هو تكرارٌ للآية الأولى(٣)، وقد سبق.

غيرُه: نزلَت في غيرِهم، ورُوي عن عبد الله بن كثيرٍ أنَّه قال: نزلَت في اليهود، ذهبَ رسول الله ﷺ يستعينُهم في ديةٍ فهمُّوا بقتله(٤).

وقيل: هو عامٌّ؛ أي: لا يحملنَّكم بُغضُ قومٍ على تركِ العدل.

***

(٩) - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في مفعول ﴿وَعَدَ﴾ قولان:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٥)، وفيه: «﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل ﴿شُهَدَآءَ﴾؛ أي: مبينين عن دين الله؛ لأن الشاهد يبين ما شهد عليه».

(٢) فالمصدر (بغض) معنى قراءة (شَنَآن)، والاسم (بغيض) معنى قراءة (شَنْآن)، وقد قرأ بهما الأعمش. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٠).

(٣) فالمخاطب أهل الإسلام، كما في تفسير الآية الأولى من هذه السورة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٣).

أحدهما: أنَّه محذوفٌ، ودلَّ عليه لفظ (وعد) خلافَ ما يدلُّ عليه لفظ (أوعد)[١]؛ أي: خيراً.

وقيل: محذوفٌ يُفسِّره[٢]: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

والثّاني: الجملةُ مفعولُه واقعةٌ موقعَ المفرد؛ كقول[٣] الشَّاعر:

وَجَدْنا الصّالحينَ لهم جزاءٌ وجَنّاتٍ وعَينًا سلسبيلا[٤]

فعطفَ (جنّاتٍ) و(عينًا) على محلِّ[٥]: (لهم جزاءٌ).

وقيل: تقديرُه: وعد الله أنَّ لهم مغفرةً، فلمّا حذف (أنَّ) ارتفع (مغفرة) بالابتداء[٦].

وقيل: ما بعده رُفِعَ على الحكاية؛ لأنَّ الوعدَ قولٌ؛ أي: قال الله: الذين آمنوا... [٧].

ثمَّ أوعدَ الكافرين فقال:

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، وعبارته هناك: «محذوف وهو الخير؛ لأن الوعد عند الإطلاق لا يكون إلا في الخير».

(٢) في (و): «تفسيره».

(٣) في (و): «لقول».

(٤) البيت لعبد العزيز بن زرارة الكلابي في «الكتاب» (١/ ٢٨٨)، وهو بلا نسبة في «المقتضب» (٣/ ٢٨٤)، و«الأصول في النحو» (٣/ ٤٧٤). وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٣): «واستدلال من استدل في الآية بقول الشاعر ـ وذكر هذا البيت ـ بعيد؛ لأنَّ (وجد) تأتي على وجوه».

(٥) في (و) زيادة: «قوله».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، وعدَّه من العجائب.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، واستغربه.

(١٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾؛ أي: لا يفارقونها كما لا يفارقُ الصَّاحبُ مالَه.

***

(١١) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ اختلف المفسِّرون في سببِ نزول الآية:

فذهب الحسنُ إلى أنَّها نزلَت في الذين صدُّوه عن الحجِّ، وهمُّوا بالتَّعرُّض له وللمؤمنين، فألقى الله في قلوبهم الرُّعب، فكفُّوا عمّا همُّوا[١].

وقال الواقديُّ: بلغ رسولَ الله ﷺ أنَّ دُعثُورَ بن الحارث جمعَ جمعًا من بني ثعلبةَ ومحاربٍ؛ لينالوا من الأطراف شيئًا، فخرج النَّبيُّ عليه السَّلام[٢] إليهم، فلمّا علموا به هربوا إلى الجبال، والنَّبيُّ عليه السَّلام يراهم فلا يقفو أثرَهم، وأصابَ النَّبيَّ عليه السَّلام والمؤمنين مطرٌ، فخلا في موضعٍ وألقى ثيابَه على الشَّجر، فباغتَه دعثور ومعه سيفُه، وقال للنَّبيِّ عليه السَّلام: مَن يمنعك منِّي؟ فقال: «الله»، وألقى جبريلُ السَّيفَ من يده، وأخذه رسولُ الله عليه السَّلام فقال لدعثور: «من يمنعك منِّي؟»

---

(١) لم أقف على هذا عن الحسن، وقد ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩) عن الحسن في سبب نزول الآية قال: أن قريشاً بعثت رجلًا ليقتل رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك، وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٨) عن الحسن نحو حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) «النبي عليه السلام» من (ن).

فقال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا رسوله، ثم أتى قومه وجعل يدعوهم إلى الإسلام[١].

وعن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا جاء إلى[٢] رسولِ الله عليه السَّلام وسيفُه في حجره، فقال: يا محمَّد، انظر إلى سيفِك هذا، قال: «نعم»، فأخذه فاستلَّه ثم جعل يهزُّه، ويهمُّ به، فكبَتَهُ اللهُ، ثم قال: يا محمَّد، أتخافني؟ قال: «لا»، قال[٣]: أما تخافني وفي يدي السَّيفُ؟ قال: «يمنعُني الله منك»، ثم غمدَ السَّيف، فردَّه إلى رسول الله عليه السَّلام[٤].

وقال مجاهدٌ والكلبيُّ وعكرمةُ: قتَلَ رجلان من أصحاب رسول الله عليه السَّلام رجلين من بني سليمٍ، وبين النَّبيِّ عليه السَّلام وبينهم[٥] مُوادعةٌ، فجاء قومُهما يطلبون الدِّية، فأتى النَّبيُّ عليه السَّلام، ومعه أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعليٌّ[٦] وطلحة وعبد الرحمن بن عوفٍ، فدخلوا على كعب بن الأشرف وبني النَّضير يستعينُهم في عقلهما، فقال: نعم يا أبا القاسم، قد آنَ لك أنْ تأتينا وتسألَنا حاجةً، اجلسْ حتى نطعمَك ونعطيَك التي سألتنا، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضُهم ببعضٍ وقالوا: إنَّكم لن تجدوا محمَّدًا أقربَ منه إليكم الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ١٩٤ ـ ١٩٦).

(٢) «رجلاً جاء إلى» من (ن).

(٣) «قال» من (ن).

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٨٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٢)، وأصل الحديث رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

(٥) «وبينهم» من (ن).

(٦) «وعلي» من (ن).

عليه صخرةً ويريحنا منه، فقال عمرو بن جحاشٍ بن كعب[١]: أنا، فجاء إلى رحًى عظيمةٍ ليطرحَها عليه، فأمسكَ الله يدَه، وجاء جبريلُ وأخبره بذلك، فخرجَ النَّبيُّ عليه السَّلام، وأنزل الله هذه الآية[٢].

وإلى هذا ذهب الزَّجّاج[٣]، وسياق الآية يدلُّ عليه، وهو قولُه: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾: مضرَّتهم[٤] ﴿عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنَّه الكافي والدّافع والمانع.

***

(١٢) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ قيل: المراد بالبعث الرِّسالة، وكانوا أنبياء.

وقيل: المراد به الإمارة والولاية والخلافة.

والنَّقيبُ: الضّامنُ.

---

(١) «ابن كعب» من (ن).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٨) عن مجاهد وعكرمة وغيرهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٦).

(٤) في (و) زيادة: «حتى لا يجبنوا عن قتالهم»، وستأتي هذه العبارة في موضعها المناسب قريباً.

الحسنُ وقتادةُ: الشَّهيدُ على قومه[1].

وقيل: الأمين والكفيل.

الزَّجّاجُ: هذا الأصلُ معناه: التَّأثيرُ الذي له عمقٌ ودخولٌ، ويُستَدَلُّ بالرَّجُلِ النِّقابِ، وهو العالمُ، والنُّقبةُ: من الجَرَب، والكلبُ النَّقيبُ: هو الذي نُقِبَ حنجرتُه لينقصَ صوتُه في نُباحِه، وسُمِّيَ الرَّجل نقيبًا؛ لأنَّه يعلم دخيلةَ أمرِ القوم ويعلمُ مناقبَهم[2].

وأصحابُ الجيوشِ خمسةٌ: الأمراءُ ثم الإسفهسلارون[3] ثم النُّقباءُ ثم العُرفاءُ ثم المناكِب.

وجاء في القصص: أنَّ الله تعالى وعدَ موسى عليه السَّلام أن يورِّثه وقومَه الأرضَ المقدَّسة، وهي الشَّام، وكان يسكنُها الكنعانيُّون والجبّارون، ووعدَه أن يُهلكَهم، ويجعلَ أرضَ الشَّام مساكنَ بني إسرائيل، فلمّا استقرَّت ببني إسرائيل الدّار بمصرَ، أمرَهم الله بالمسير إلى أريحاء، وقال: يا موسى، إنِّي كتبتُها لكم دارًا وقرارًا، فاخرجْ إليها وجاهدْ مَن فيها من العدوِّ، فإنِّي ناصرُكم عليهم[4]، وخذ من قومك اثني عشر نقيبًا، من كلِّ سبطٍ نقيبًا[5] واحدًا يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بما أُمروا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦) عن قتادة، وذكر الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٢٠)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٢٦) عن الحسن أنه قال: «الضمين».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٩)، و«المخصص» لابن سيده (١/ ٢٦١).

(٣) ذكر في «صبح الأعشى» (٦/ ٦) أنَّ الإسفهسلار بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء، وأنَّه من ألقاب أرباب السيوف، وأنَّ معناه: مقدّم العسكر، وهو مركَّب من لفظين؛ فارسيّ، وتركيّ؛ فـ(أسفه) بالفارسية بمعنى المقدّم، و(سلار) بالتركية بمعنى العسكر.

(٤) «عليهم» من (ن).

(٥) «نقيبًا» من (ن).

به، فاختارَ موسى عليه السلام النُّقباء، وبعثَهم إليها يتجسَّسون الأخبارَ ويعلمون علمَها، فلقيهم رجلٌ من الجبّارين يُقال له: عاجٌ، فأخذَهم جميعًا في كمِّه، وانطلق إلى امرأته فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يريدون أن يقاتلونا، ألا أطحنُهم برجلي، قالت: لا حتى يُخبروا قومَهم، وكان الشَّطرُ من قشرِ الرُّمانة فيهم يدخلُ فيه خمسون من النُّقباء، وعنقودٌ من العنب لا يُطيقُ حملَها جميعُهم، فتوافقوا أن يكتموا أمرهم من قومهم[١]، ثم توافقوا على أن لا يخبروا بني إسرائيل بما شاهدوه من شدّة بأسِ القوم - وقيل: من عظم أجسامهم - لئلَّا يجبُنوا عن قتالهم، وأخذ بعضُهم على بعضٍ الميثاق بذلك، فوفى اثنان بالعهد، ونكثَ العشرةُ[٢] العهدَ، وجعل ينهى كلُّ واحدٍ سِبطَه عن قتالهم، ويخبرُهم بما رأى[٣].

---

(١) من قوله: «فلقيهم رجل» إلى قوله: «أمرهم من قومهم» ليس في (ن).

(٢) في (و) هنا زيادة: «وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا».

(٣) انظر القصة في «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٦ - ٤٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٣٠ - ٢٣٤)، و«زاد المسير» (١/ ٥٣٣)، وروى نحوها الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٧) عن السدي، وستأتي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٦٨): «وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عوج بن عنق، ابن بنت آدم عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع... وهذا شيء يُستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرًا، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله تعالى ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٩ - ١٢٠] وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣] وإذا كان ابن نوح الكافر =

والجمهورُ على هذا إلَّا الحسنَ فإنَّه قال: جعل النَّبيُّ عليه السَّلام على الأنصار اثني عشر نقيبًا ليلةَ العقبة؛ ليراعوا أمورَ النّاس، ويرفعوا أخبارَهم وما يعرضُ لهم من الحوائج على النَّبيِّ عليه السَّلام(١).

والأوَّلُ أظهر.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: قال لهم.

الرَّبيعُ: خطابٌ للنُّقباء(٢). والجمهورُ على أنَّه خطابٌ لبني إسرائيل.

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وكانتا فريضتَين عليهما.

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ يريدُ: مَن مضى منهم، ومَن يبعثُهم الله من غير تفريقٍ بين أحدٍ منهم.

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أبو عُبيدةَ: عظَّمتموهم(٣).

الزَّجّاجُ: نصرتموهم، قال: وأصلُه من الذَّبِّ والرَّدِّ؛ أي: ذببتُم الأعداءَ عنهم. ومنه التَّعزيرُ، وهو كالتَّنكيل(٤).

= غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر، والله أعلم». وقال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٤٠٩): «أخبار متقادمة كان الناس في الجاهلية يروونها، تشبه أحاديث الخرافة». وانظر: «الإسرائيليات والموضوعات» لمحمد أبو شهبة (ص: ١٨٤).

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٤٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٩٦).

(٣) هذا ما نقله الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤) والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٥٩) وغيرهما عن أبي عبيدة، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٥٦): «﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم وأعنتموهم ووقرتموهم وأيدتموهم»، وذكر نحوه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٢٣)، وهو قول ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٤١).

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٩): «قال أبو عبيدة: (عزرتموهم) عظمتموهم. قال غيره: =

﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قيل: الصَّدقةُ؛ لتقدُّم ذكر الزَّكاة.

وقيل: الخيرُ كلُّه.

و﴿قَرْضًا﴾ جائزٌ أن يكون مفعولًا به، وجائزٌ أن يكون مصدرًا بحذف الزِّيادة[١].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ هذه شرائطُ لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، وذهب بعضهم إلى أنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فأدخلَ عليه لامَ توطئة القسم، والمقسمُ محذوفٌ، وجوابُ القسم قولُه[٢]:

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: بترك المؤاخذة بها.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾: بعد الميثاقِ المذكور، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: عدلَ عن الطَّريق المستقيم.

***

(١٣) ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾؛ أي: نقضوا العهدَ، وبسببِ نقضِهم لعنَّاهم.

= عزرتموهم: نصرتموهم. وهذا هو الحق، والله أعلم، وذلك أن العزر في اللغة: الرد، وتأويل عزرت فلانًا ـ أي: أدبته ـ: فعلت به ما يردعه عن القبيح، كما أن (نكلت به) فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاودة، فتأويل (عزرتموهم): نصرتوهم بأن تردوا عنهم أعداءهم».

(١) أي: أقرضتم الله إقراضاً، ولكن حُذفت الهمزة، وهو ما يقال فيه: اسم مصدر. انظر: «إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/ ١٣٣) و(٢/ ٧١٧).

(٢) «محذوف وجواب القسم قوله» من (ن).

و(ما) زائدةٌ أفادت تفخيمَ الأمر؛ أي: بنقضِهم العهدَ أيَّ عهدٍ.

وقيل: بنقضِهم الفظيعِ الشَّأنِ، كما قال:

.... لأمرٍ ما يُسوَّدُ مَنْ يَسودُ[١]

﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾ ابن عبّاس[٢] رضي الله عنهما: المرادُ بهم الذين كانوا في زمنِ النَّبيِّ عليه السَّلام، وفسَّرَ ﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾ بالجزية[٣].

الحسنُ: لعنّاهم بالمسخ[٤]؛ أي: أوائلهم، فصاروا قردةً وخنازير، من قوله: ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾ [النساء: ٤٧].

وقيل: ﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾: أبعدناهم من الرَّحمة، فيكون لهم جميعًا.

﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةً﴾: يابسةً، لا رحمةَ فيها ولا لينَ، فاعلةٌ من (قسا يقسو)، و﴿قَسِيَّةً﴾[٥]: فعيلةٌ بمعنى فاعلةٍ[٦]، وقيل: ﴿قَسِيّة﴾: رديئةٌ، من قولهم: درهمٌ قَسِيٌّ؛ أي: زائفٌ رديءٌ يشوبُه غشٌّ، قال:

---

(١) عجز بيت صدره:

عزمت على إقامة ذي صباح

والبيت لرجل من خثعم في «الكتاب» (١/ ٢٢٦)، وهو أنس بن مدركة الخثعمي كما في «الحيوان» (٢/ ٣٩)، و«الدلائل في غريب الحديث» (٢/ ٤٤٣)، وقد ذهب مثلاً، ومعناه: لا يسود من يسود إلا بالاستحقاق. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٩٦).

(٢) في (و): «عامر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٣٥)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٠١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٢٧).

(٤) المراجع السابقة نفسها.

(٥) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٦) وبناء فعيل أبلغ من فاعل، فتكون (قسية) للمبالغة، كما قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٣).

ومـا زَوَّدُونِـي غَيـرَ سَـحقِ عِـمامةٍ وخَمسِ مِـئٍ مِنهـا قَسِـيٌّ وزائـفُ[١]

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ قيل: بالتَّأويلِ، فأوَّلوه على مرادهم.

وقيل: بتغييرِهم لفظَ التَّنزيل.

﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: تركوا بعضَ ما أُمروا به.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: من اتِّباع محمَّدٍ عليه السَّلام[٢].

وقيل: لم ينالوا منه نصيبًا حين حرَّفوه.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾؛ أي: أبدًا تشاهدُ وتشرفُ ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: خيانةٍ، كالخاطئة والعافية[٣].

وقيل: على فرقةٍ خائنةٍ.

وقيل: على خائنٍ، والهاءُ للمبالغة، كقول الشَّاعر:

حَدَّثْـتَ نَفْسَـكَ بِالوَفـاءِ ولـم تكُنْ لِلغَـدْرِ خائِنـةً مُغِـلَّ[٤] الإِصْبَـعِ[٥]

---

(١) البيت لمزرد بن ضرار في «ديوانه» (ص: ٥٣)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢١٤)، و«الدلائل في غريب الحديث» (٢/ ٤٩٩)، و«تهذيب اللغة» مادة (م أى) (١٥/ ٤٤٣)، و«إسفار الفصيح» (٢/ ٨٥٦).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٠٤)، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٩٠).

(٣) فاسم الفاعل هنا جاء على معنى المصدر. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٢٥٢).

(٤) في (و): «مفك».

(٥) البيت بلا نسبة في «إصلاح المنطق» (ص: ١٩٢)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٤٧).

ولرجل من بني أبي بكر بن كلاب وهذا البيت من شعر له خبر في «الكامل» (١/ ٢٨٢)، و«الاقتضاب» (٣/ ٢٨٣).

وفي «الكامل»: «وقوله: «ولم تكن للغدر خائنة»، ولم يقل خائناً. فإنما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير: ولم تكن ذا خيانة».

الدِّمياطيُّ: خانوه حين همُّوا بقتله(١).

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: عبد الله بن سلامٍ وأصحابه(٢).

وقيل: الاستثناءُ من قوله: (جعلنا قلوبهم قاسيةً) إلّا قليلًا منهم(٣).

قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ قيل: منسوخةٌ، والنّاسخُ آيةُ السَّيف، وقيل: بقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقيل: محكمٌ، والمعنى: فاعفُ عنهم واصفح بعد أن أعطوا الجزيةَ وحَقنوا الدَّمَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

***

(١٤) - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ قيل: تقديرُه: ومِن الذين قالوا: إنّا نصارى قومٌ أخذنا، أو مَن أخذنا.

وقيل: (مِن) متَّصلٌ بـ(أخذنا). وهذا أظهرُ.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٥٣) عن مجاهد وعكرمة، وصوَّبه.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٠٦)، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٩٠).

وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٤٦٢)، وابن الجوزي في «تفسيره» (١/ ٥٢٨) دون نسبة.

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٠٦)، وقال: «هذا فيه بعد».

الحسنُ: إنَّما قال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ ليدلَّ على أنَّهم ابتدعوا النَّصرانيّةَ وتسمَّوا بها[١].

ويحتمل: أي: لهم الدَّعوى لا المعنى؛ لأنَّهم لم يقوموا بما أُمِروا به في شرعهم.

﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾: أمرناهم بتوحيد الله والإيمان برسله وشرائعه.

﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا﴾: ألصقنا، والغِراءُ: ما يُلصَقُ به الشَّيء.

وقيل: حرَّشنا.

﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ مجاهدٌ: بين اليهود والنَّصارى[٢].

الرَّبيعُ: بين النَّصارى خاصّةً[٣].

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: يوم البعث بالأهواء المختلفة والمقاتلة؛ فإنَّ النَّصارى اختلفوا فصاروا فِرقًا؛ يعقوبيّةً[٤]، ....

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٠٧)، وذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٢٨)، ولفظه: «إنما قال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، ولم يقل: من النصارى؛ ليدلَّ على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠)، وقدَّمه على الذي سبقه.

(٤) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]. وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين؛ فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركَّبا تركيباً كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً، والقبط في مصر ينحلون مذهب اليعقوبية. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٣٠)، و«الخطط والاعتبار» للمقريزي (٢/ ٢٧).

ونسطوريَّةً[١]، وملكانيَّةً[٢].

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾؛ أي: في القيامة بالجزاء والعقاب.

* * *

(١٥) - ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى، ووحَّدَ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنَّه للجنس.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلام.

﴿كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: صفةَ محمَّدٍ عليه

---

(١) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرَّف في الأناجيل بحكم رأيه، فقال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة؛ الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وقالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تصيبه الآلام. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٩).

(٢) الملكانية: أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، وصرَّحوا بأن الجوهر غير الأقانيم، كما صرحوا بإثبات التثليث، وأخبر عنهم القرآن بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧).

السَّلام ونعتَه وآيةَ الرَّجمِ في التَّوراة، وبشارةَ عيسى بمحمَّدٍ عليه السَّلام في الإنجيل حيث قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ فلا يُخبرُ به.

وقيل: فلا يُبَكِّتُكم بكتمانِه.

وقيل: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(١) من عداوتِكم إيّاه، فلا يُؤاخذُكم به.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلام.

وقيل: القرآن.

﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾: هو القرآن.

***

(١٦) ـ ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾: يرشدُ بالقرآن.

وقيل: بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

وحَّد(٢)؛ لأنَّ حُكمَهما حكمٌ واحدٌ.

﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾: رضاه.

﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ مَن سلكَها سَلِمَ.

وقيل: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دينُ الله، والسَّلامُ هو الله عزَّ وجلَّ.

وقيل: طريقُ الجنّة.

---

(١) «فلا يخبر به، وقيل: فلا يبكتكم بكتمانه، وقيل: يعفو عن كثير» من (ن).

(٢) أي: وحَّد الضمير، فقال: به، ولم يقل: بهما، مع أن المراد النور والكتاب؛ لأنَّ حُكمَهما واحدٌ.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من الكُفر.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إلى الإسلام.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بعلمِه، وقيل: بوعدِه.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* * *

(١٧) ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أجمعَت[1] الفرقُ الثَّلاثُ؛ اليعقوبيّةُ والنَّسطوريّةُ والملكيّةُ، وقيل: الملكانيّةُ ـ وإن اختلفَت مقالاتُهم لعنهم الله ـ على أنَّ معبودَهم جوهرٌ واحدٌ أقانيمُ ثلاثةٌ، والأقانيمُ الأبُ والابنُ والرُّوح؛ أي: الحياة، ويسمُّونها روحَ القدس؛ وأنَّ[2] الابنَ لم يزل مولودًا من الأب، ولم يزل الأبُ والدًا للابن، ولم تزل الرُّوحُ منبثقةً بين الابن والأب.

وأجمعوا[3] على أنَّ المسيحَ لاهوتٌ وناسوتٌ؛ أي: إلهٌ وإنسانٌ، فلمّا قالوا: المسيح إلهٌ، والإله واحدٌ، فقد قالوا: الله هو المسيح.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا أحدَ يقدرُ على مغالبةِ الله ودفعِه.

---

(١) في (و): «اجتمعَت».

(٢) في (و): «لأن».

(٣) في (و): «اجتمعوا».

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وإذا ثبتَ أنَّه ممكنٌ إهلاكُه، فقد ثبت أنَّ المتمكِّنَ من الإهلاك هو الله لا هو.

ومعنى: ﴿يُهْلِكَ﴾: يميتُ، وقيل: يعذِّب.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين النَّوعين، قال:

طَرَقا، فَتِلْكَ هَماهِمِي، أَقْرِيهِما قُلُصًا لَواقِحَ كالقِسِيِّ وَحُولا[1]

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

(١٨) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ ذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّهم عنَوا بهذا: القُربَ؛ أي: قُربًا كقُربِ الولد والعطفَ، وذهب بعضُهم إلى أنَّهم اعتقدوا ذلك.

قال السُّدِّيُّ: قالت اليهود: أوحى الله إلى إسرائيلَ: أنَّ ولدَك بِكري من الولدِ، فأدخلُهم النّار، فيكونون فيها أربعين يومًا حتَّى تطهِّرَهم، وتأكلَ

(١) البيت للراعي النميري في «ديوانه» تحقيق: راينهرت فايبرت (ص: ٢١٦)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٧٣٠)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦٠)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٢٦٨)، ووجه الاستشهاد أن الشاعر جعل الهماهم ـ وهي جمع ـ نوعاً واحداً، وكذلك السماوات في الآية نوع واحد وهي جمع، والأرض نوع وهي مفرد، فصارت السماوات والأرض نوعين، فجازت التثنية على هذا الاعتبار.

خطاياهـم، ثم يُنادي منـادٍ: أن أخرجوا كلَّ مختونٍ من ولدِ إسـرائيلَ، فأخرجُهم[(١)].

وذكر بعضُهم: أنَّ في الإنجيل: (أذهبْ إلى أبي وأبيكم)، فتأوَّلوا على ذلك.

وذكر بعضُهم: أنَّ عيسى عليه السَّلام كان يقول: (إذا توضَّأتَ فقل: يا أبانا الذي في السَّماء ليتقدَّسِ اسمُك).

وزاد بعضُهم: (وإذا صُمتَ فادهنْ وجهَك؛ كي لا يعلمَ به غيرُ أبيك الذي في السَّماء).

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المراد: نحنُ أبناءُ أنبياءِ الله.

فاحتجَّ الله عليهم فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ والأبُ لا يعذِّب ولدَه؟ وكانوا مقرِّين بالتَّعذيب على ما سبق.

وقيل: يريدُ: تعذيبَ مَن سبقَ منهم بالقتلِ والأسرِ والمسخِ قردةً وخنازير.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾؛ أي: أنتم خلقٌ مِن خَلقِه لا مزيّةَ لكم على غيرِكم.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ منكم ومنهم بعد الإيمان به وبرسله، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من الفريقين على الكفر والذُّنوب.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجازي المحسنَ بإحسانِه والمسيءَ بإساءتِه، وكلُّكم في ذلك سواءٌ.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤٠)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣١٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٤) دون نسبة، واستغربه.

(١٩) - ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾: شرائعَكم؛ فإنَّ ما أنتم عليه ضلالٌ لا يرضاه دينًا.

﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: على انقطاعٍ.

وفترَ الشَّيء: انقطعَ حدَّتُه من (الماء الفاتر) و(العين الفاترة)[١].

وقيل: فترَ: سكنَ.

وقيل: ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾: على دُرُوسٍ[٢] ممّا جاؤوا به.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: مدّةُ الفترةِ خمسُ مئة سنةٍ وتسعٌ وستُّون[٣].

وعن سلمانَ رضي الله عنه: ستُّ مئة سنةٍ[٤].

وعن قتادةَ: خمسُ مئةٍ وستُّون سنةً[٥].

الضَّحّاكُ: أربعُ مئةٍ وبضعٌ وثلاثون سنةً[٦].

﴿أَن تَقُولُواْ﴾: كراهةَ أن تقولوا، ولأنْ لا[٧] تقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾، يُعْلِمُ موضعَ المخافة.

---

(١) أي: اندثار، يقال: درس الأثر يدرس دُروساً، ودرسَتْه الرِّيح تدرسه دَرْساً؛ أي: مَحته. انظر: «لسان العرب» مادة (د ر س) (٦/ ٧٩).

(٢) أي: ليست حديدة النظر. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ف ت ر) (١/ ٣٩٣).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٤) من طريق محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤٢).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩١)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥).

(٧) «لا» من (ن).

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٌ﴾ للكافرين؛ يعني: محمَّدًا عليه السَّلام، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

(٢٠) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ يُرشدونكم، وفيه شرفُ الدُّنيا وسعادة العُقبى.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قيل: منكم وفيكم؛ كداودَ وسليمانَ وغيرِهما.

المؤرِّج: أحرارًا بلغة هُذيلٍ(١).

الحسنُ: ملكوا أنفسَهم من استعباد القِبط(٢).

قتادةُ(٣): كانوا أوَّلَ مَن مَلكَ الخدم(٤).

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلام قال: «كانَتْ بنو إسرائيلَ إذا كانَ لأحدِهم خادمٌ وامرأةٌ ودابّةٌ يُكتَبُ ملكًا»(٥).

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨١) عن السدي نحوه فقال: «﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٥) بلا نسبة، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٤)، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣) عن الحسن أنه قال: «ملَّكهم الخدم»، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩) عنه نحو ما رُوي عن مجاهد وابن عباس.

(٣) «قتادة» من (ن).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٨).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٨٤٥)، وعزاه ابن كثير في =

ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: مَن كان له بيتٌ وخادمٌ وامرأةٌ فهو ملكٌ[١].

وقيل: ﴿جعلكم ملوكًا﴾ أي: أغنياءَ لا تحتاجون إلى غيرِكم.

الضَّحّاكُ: مَن كان مسكنُه واسعًا وفيه ماءٌ جارٍ، فهو ملكٌ[٢].

وقيل: مَن لم يدخل أحدٌ دارَه إلّا بإذنه، فهو ملكٌ[٣].

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: عالَمِي زمانِهم؛ من المنِّ والسَّلوى وتظليلِ الغمام، وما ذُكِرَ آنفًا.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خطابٌ لأمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام[٤]؛ فيكونُ تمامُ الكلام: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾[٥].

* * *

(٢١) ـ ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ مجاهدٌ: المباركة[٦].

= «تفسيره» (٣/ ٦٦) إلى ابن أبي حاتم وقال: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٥)، واستغربه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣١).

(٣) هذا اختيار الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٦٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٢١) عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨١) من طريق واحد عن أبي مالك وسعيد بن جبير، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٥)، واستغربه.

(٥) على قول سعيد بن جبير، أما على غيره فنهاية الآية تمام الكلام. انظر: «المكتفى» للداني (ص: ٥٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦).

غيرُه: المطهَّرةُ منَ التَّدنُّس[١]، وقد سبق.

وقيل: تطهِّرُ الإنسانَ من الذُّنوب[٢].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي دمشقُ وفلسطينُ وبعضُ من الأردنِّ[٣].

مجاهدٌ: هي الطُّورُ وما حوله[٤].

قتادةُ: أرضُ الشّام[٥].

ابنُ زيدٍ: أريحا، وهي أرضُ بيتِ المقدس[٦].

﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ السُّدِّيُّ: أمركَم بدخولِها[٧].

ابنُ إسحاقَ: وهبَها لكم[٨].

وقيل: فرضَ عليكم دخولَها[٩].

---

(١) في (و): «التقديس».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٣)، و«معانيه» له (٢/ ٢٨٨)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (١/ ٣٨١).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥) دون نسبة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٤).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٧)، واختاره يحيى بن سلام في «التصاريف» (ص: ١٧٣)، ومكي في «الهداية» (١/ ٥٦٥).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٧).

(٩) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٢٣) عن ابن عباس وعطاء.

وقيل: كتبَ الله لكم في اللَّوحِ المحفوظِ أنَّها لكم مسكنٌ[١].

ولا منافاةَ بينَ ﴿كَتَبَ﴾ و﴿مُحَرَّمَةٌ﴾؛ لأنَّ التَّقديرَ: كتبَ الله لكم إنْ آمنتم وأطعتم[٢].

وقيل: اللَّفظُ عامٌّ، والمرادُ: لبعضِكم، وقد دخلَها بعضُهم[٣] على ما نَذكُر.

وقيل: وهبَها لهم، فلمَّا عصَوا حرمَهم[٤].

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: لا ترجعُوا عن دخولها خوفًا ممَّن فيها.

قيل: لا ترجعُوا عن ولايتي، ولا تتركوا طاعتي.

﴿فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ بمعصيةِ الله، وفَوْتِ رضاه، وتفويتِ الأرضِ التي هي مسكنُ الصّالحين.

* * *

(٢٢) ـ ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ المفضَّلُ: ممتنعين من أن يُقهَروا أو يُذَلُّوا[٥]، وكلُّ ممتنعٍ جبّارٌ، والجبّارُ منَ النَّخل: ما علا جدًّا[٦].

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٣٤).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٦).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٢٨٦).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٢٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٢٦)، وقد ذكر المصنف الوجوه التي ذكرها هنا، وأضاف: أن التحريم مقيَّد بأربعين سنة، كما ذكر أن جَعْل (كتب) بمعنى: أمر؛ من الوجوه التي تزيل المنافاة.

(٥) ذكره المصنِّف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧).

(٦) فامتنع بطوله عن يد المتناول. انظر: «العين» مادة (ج ب ر) (٦/ ١١٧)، و«المنجد» (ص: ١٦٢).

ابنُ عيسى: الجبّارُ: مَن[1] يُجبِرُ على ما يريدُ ويَعظُمُ عن أن يُنال، والإجبارُ: الإكراهُ.

وقيل: جبّارٌ من (جبرت العظم)؛ أي: يُصلِحَ أمرَ نفسه.

وقيل: ﴿جَبَّارِينَ﴾: طوالًا، وُصِفُوا بذلك لكثرتِهم وقوَّتِهم وعِظَمِ خلقتِهم وطولِ جثَّتِهم[2].

ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: إنَّ جبريلَ أخبر موسى عليه السَّلام خبرَ القومِ، فخافوهم وجبُنوا، فبعث موسى الاثني عشر نقيبًا، من كلِّ سبطٍ نقيبٌ، فمكثوا أربعين يومًا يتفحَّصون أحوالَهم، ويتجسَّسون أخبارَهم، حتَّى علموا منها ما شاء الله، ثم رجعوا ومعهم عنقودُ عنبٍ يحملُه اثنا عشرَ رجلًا، فقال عشرةٌ منهم: هذا عنبُ القوم، والرَّجلُ الواحدُ منهم يُدخِلُ مئةَ رجلٍ منّا في كمِّه، فلا يدان لنا بهم[3].

عكرمةُ: أُمِرَ موسى أن يدخلَ مدينة الجبّارين، فسار بمَن تبعَه حتَّى قربوا[4] من المدينة، وهي أريحا، وبعثَ إليهم اثني عشر رجلًا، فدخلوا المدينة، ورأوا أمرًا عظيمًا من هيبتِهم وعِظَمِهم، فدخلوا حائطًا لبعضهم، فجاء صاحبُ الحائطِ؛ ليجتنيَ الثِّمار من حائطه، فنظر إلى آثارِهم فتبعَهم، وكلّما أصابَ واحدًا منهم أخذَه فجعلَه في كمِّه مع الفاكهة حتَّى التقطَ الاثني عشرَ، فذهبَ إلى ملكِهم فنثرَهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم بستاننا وأمرنا، فاذهبوا فأخبروا صاحبَكم، فرجعوا إلى موسى، وأخبروه بما عاينوا من أمرهم[5].

---

(١) في (و): «ما».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ج ب ر) (١١/ ٤١)، و«المنجد» (ص: ١٦٢).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨).

(٤) في (ن): «حتى نزل قريبًا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٠) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

السُّدِّيُّ: إنَّ النّقباءَ ساروا فلقيَهم رجلٌ من الجبّارين يُقالُ له: عاجٌ، فأخذَهم جميعًا، فجعلَهم في حُجْزَتِه، وعلى رأسِه حَمْلةٌ[1] من الحطب، فانطلقَ بهم إلى امرأتِه، فطرحَهم بين يديها فقال: انظري إلى هؤلاء القومِ الذين يزعمون أنَّهم يريدون أن يقاتلونا، ثم قال: ألا أطحنُهم[2] برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلِّ عنهم حتَّى يخبروا قومَهم[3] بما رأوا، ففعل ذلك بهم[4].

وذُكِرَ أنَّ أمَّه عَنَقُ ـ وقيل: عَناقُ ـ إحدى بناتِ آدمَ عليه السَّلام، وكان كلُّ أصبعٍ من أصابعها ثلاثَ أذرعٍ، وكان موضعُ مجلسِها من الأرض[5] جريبًا[6].

فحينئذٍ قالوا: إنَّ فيها قومًا جبّارين، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

* * *

(٢٣) ـ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: يوشعُ بن نونٍ وكالوبُ بن يوقنّا[7].

---

(١) في (ن): «حمل».

(٢) في (و): «أرجلهم».

(٣) في (و): «حتى تحيروا عنهم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٧ و٢٩٠).

(٥) «من الأرض» من (ن).

(٦) الجريب من الأرض: مقدار كان معلوم الذرع والمساحة، يُقدَّر بعشرة أقفزة. انظر: «تهذيب اللغة» (ج ر ب) (١١/ ٣٧). وقد ذكر هذا الخبر الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٣٢)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٦)، وعدَّه من العجائب، وتقدم الكلام على مثل هذه الروايات الإسرائيلية.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٦)، وفيه: «يوفنة» بدل «يوقنا».

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: الجبابرة.

وقيل: يخافونَ الله.

وقيل: هما رجلان من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى وقالا هذا القول[١]، ويقوِّيه قراءة: (يُخافون) بالضَّمِّ[٢].

والـمَخُوفونَ: الجبابرةُ لا غير.

﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ الجمهورُ: بالإسلام.

وقيل: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ فلم يخافا منهم.

﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾: بابَ القرية؛ أي: امنعوهم من الإصحار[٣]، وضاغطوهم في المضيق.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧)، واستغربه.

(٢) قراءة شاذة نُسبت لسعيد بن جبير ومجاهد. انظر: «المحتسب» (١/ ٢٠٨)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٨)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧).

وقد ذكر ابن جني في بيان هذه القراءة غير ما ذهب إليه المصنف فقال: «تحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون من المؤمنين الذين يُرهبون ويُتَّقون لما لهم في نفوس الناس من العفة والورع والستر؛ وذلك أنه من كان في النفوس كذلك رُهب واحتُشم وأُطيع وأُعظم؛ لأنَّ من أطاع الله سبحانه أُكرم وأُطيع، ومن عصاه امتُهن وأُضيع.

الآخر: أن يكون معناه: من الذين إذا وُعظوا رهبوا وخافوا، فإذا أتاهم الرسول بالحق أطاعوا وخضعوا؛ أي: ليسوا ممن يركب جهله ولا يصغي إلى ما يُحدُّ له، فيكون كقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]، ونحو ذلك من الآي الدالة على رهبة المؤمنين وطاعتهم؛ فهذا إذن من (أُخِيفَ)، والأولُ من (خِيف)».

(٣) أي: البروز إلى الصحراء. انظر: «التقفية» للبندنيجي (ص: ٣٧٩).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾؛ أي: إذا أخذتم عليهم البابَ، فقد غَلبْتُم.

ورُويَ عن[١] بعض المفسِّرين أنَّ معنى: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾: ادخلوا من الوجهِ الذي تؤتون منه، كما تقول: ائتِ هذا الأمرَ من بابه؛ أي: وجهِه وصوابِه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾؛ أي: ثقوا بوعد الله؛ فإنَّه أخبرَكم[٢] بالنُّصرة.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ فإنَّ[٣] الإيمان بالله يوجب ذلك.

* * *

(٢٤) ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾: دهرًا طويلًا، ثمّ عيَّنوا فقالوا: ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾: مدّةَ كونِهم فيها، ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ هذا كفرٌ منهم، وسوءُ أدبٍ.

وقيل: تقديرُه: اذهبْ أنت وربُّك يعينُك، وفيه ضعفٌ[٤].

وسمعتُ شيخَ الإسلامِ القاضي أبا المعالي رحمه الله يقول: المرادُ بقولهم: ﴿وَرَبُّكَ﴾ هارون؛ لأنَّه كان أكبرَ منه سنًّا[٥].

---

(١) «روي» من (ن).

(٢) في (و): «فإنه وعد».

(٣) في (و): «بأن».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧)، واستغربه، وسبب ضعفه أنَّ الله ذكر بعده قولهم: فقاتلا. انظر: «تفسير ابن عطية» (٢/ ١٧٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٢١)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٥).

(٥) ذكر هذا القول السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٣٨٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٢/ ٢٧)، وعدَّه =

(٢٥) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ ﴾؛ أي: لن يطيعني إلّا نفسي وأخي هارون.

قيل: هو عطفٌ على اسم (إنَّ)؛ أي: وإنَّ أخي لا يملكُ إلّا نفسَه.

وقيل: عطفٌ على النَّفس؛ أي: اصرفهما في طاعتك.

﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ قيل: معناه: اقضِ بينَنا وافصلْ.

وقيل: باعِدْ.

وقيل: دعا الله أن يفرِّقَ بينهم في الآخرة.

وقيل: دعا عليهم بالهلاك.

وسمّاهم فاسقين؛ لخروجِهم عن طاعةِ الله وطاعةِ رسوله.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا ﴾؛ أي: الأرض المقدَّسة ودخولها.

﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ ﴾؛ أي: ممنوعون من دخولها بسبب عصيانهم، قال:

جالَتْ[١] لتصرَعَني فقُلتُ لها: اقصِري إنـي امْـرُؤٌ صَـرْعـي عَلَيكِ حَرامِ[٢]

= المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧) من العجائب، وقال ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ١٧٥): «وهذا تأويل بعيد، وهارون إنما كان وزيرًا لموسى وتابعًا له في معنى الرسالة، ولكنه تأويل يخلص بني إسرائيل من الكفر».

(١) في (و): (جاءت).

(٢) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ١١٦)، و«النكت والعيون» =

أي: ممتنعٌ.

وقيل: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ تحريمَ التَّعبُّد، وكانوا يقدرون على دخولها.

﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الزَّجّاجُ: محرَّمةٌ عليهم أبدًا، و﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نصبٌ بـ﴿يَتِيهُونَ﴾[1].

الفرّاءُ: يحتمل الوجهين[2].

ومعنى ﴿يَتِيهُونَ﴾: يتردَّدون مُتحيِّرين، والتِّيهُ – المفازةُ ـ من هذا، والتِّيهُ: الكِبْرُ أيضًا.

الخليلُ: التَّيهاءُ والتَّوْهاءُ: الفلاةُ[3].

الحسنُ وقتادةُ: ما دخلَها أحدٌ منهم حتَّى ماتَ البالغون، ونشأ أولادُهم[4].

(٤/ ٢٣٩)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ٣٨)، وهو من قصيدة قوافيها مجرورة، ويُستشهد به على جرِّ (حرامِ) تشبيهاً بـ(حذامِ)، أو على ألحاق ياء النسب، قال ابن هشام في «المغني» (ص: ٨٩٢): «ولو أقوى لكان أولى»، والمصنِّف إنما استشهد به على أن معنى حرام: ممتنع.

(١) ذكر الزجاج عن بعض النحويين جواز نصب (أربعين) بـ(محرمة) وبـ(يتيهون) ثم قال: «أما نصبه بـ(محرمة) فخطأ؛ لأن التفسير جاء بأنها محرمة أبدًا». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٦٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٥)، ورجَّح الطبري أنها منصوبة بـ(محرمة)؛ لأن قوم موسى دخلوا الأرض المقدسة بعد الأربعين سنة. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣١٤).

(٣) ذُكر في «العين» (٤/ ٨٠) المنسوب للخليل: أنَّ (التِّيْهُ) و(التَّوْهُ) لغتان، يقال: تاه يَتِيهُ تَيْهاً، وتاه يتوه توهاً، والتِّيهُ أعمُّ من التَّوه.

(٤) في (و): «أمرهم». روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣١٠) عن قتادة، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٦٥) دون نسبة، وذكر الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٣٢) عن الحسن: أنَّ موسى لم يمت في التيه.

الدِّمياطيُّ: نجا منهم الرَّجلان اللذان أنعمَ الله عليهما، فدخلا بعد انقضاءِ الأربعين بأولادِ الفاسقين[1].

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما بخلافٍ: أنَّ موسى وهارون[2] ماتا في التِّيهِ[3].

محمَّد بن جرير[4]: حُرِّمَ عليهم أربعين سنةً، ثمّ دخلَها موسى وهارون مع القوم، وقتلَ موسى عوجًا[5].

وقيل: لم يكن موسى وهارون في التِّيه، والصَّحيحُ الأوَّل.

وذكر المفسِّرون: أنَّ الأرضَ التي تاهوا فيها ستّةُ فراسخ، وكانوا ستَّ مئة ألفٍ يمسون حيث أصبحوا، ويصبحون حيث أمسوا، وطعامُهم المنُّ والسَّلوى، وماؤُهم من الحجر الذي يحملونه.

وذلك التَّحيُّر من باب قلب العادات للمعجزات.

وقيل: كانوا إذا قاربوا الخروجَ من التِّيه حوَّلَ الله تلك الأرضَ، فجعلَها بالبُعدِ ممّا كانوا قربوا منه.

وقيل: يجوزُ أن يكونوا أُمروا بالتَّردُّد في تلك الفلاةِ عقوبةً لهم على[6] فسقِهم، لا أنَّهم لم يهتدوا للخروج منها.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: لا تحزنْ عليهم.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣١٠) نحوه عن قتادة.

(٢) في (و): «وعيسى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٩)، وروى (٨/ ٣١٥) عن ابن عباس أنَّ موسى قتل عوجاً.

(٤) في (و): «جويبر».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣١٤).

(٦) «على» من (و).

الجمهور: خطابٌ لموسى عليه السَّلام.

الزَّجّاجُ: خطابٌ لمحمَّدٍ عليه السَّلام[1].

***

(٢٧) - ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أخبرهم.

ويحتمل: اتلُ عليهم القرآن؛ ففيه خبرهما.

﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ يعني: خبرَهما، والنَّبأُ: الخبرُ له خطرٌ.

وجلُّ المفسِّرين على أنَّ ابني آدم كانا لصُلبِه، وهما قابيلُ وهابيلُ، وفي قابيلَ لغاتٌ[2]: قابيلُ وقابِلُ وقابينُ وقابِنُ وقَبَن، وهابيلُ وهابِلُ وهابِنُ[3].

قال الحسنُ[4]: كانا رجلين في بني إسرائيلَ[5]. واستدلَّ بالقُربانِ فقال: لم يكن ذلك إلّا لبني إسرائيلَ، وبقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢].

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٦٦): «جائز أن يكون هذا خطابا لموسى، وجائز أن يكون خطابا لمحمد ﷺ».

(٢) في (و): «ثلاث لغات».

(٣) في (و) زيادة: «وهبل»، وقد قال الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٧٠): «هابيل في اسمه ثلاث لغات: هابيل وهابل وهابن، وقابيل في اسمه خمس لغات: قابيل وقابين وقابل وقبن وقابن».

(٤) في (و) زيادة: «البصريُّ».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٨)، واستغربه، واستغربه أيضاً ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٨٢) فقال: «هذا غريب جدًّا، وفي إسناده نظر».

واستدلَّ الآخرون[١] بقوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ [المائدة: ٣١]؛ لأنَّه لم يمتدَّ[٢] جهلُ النّاسِ[٣] بما يفعلون بموتاهم إلى زمانِ بني إسرائيل.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾[٤]؛ أي: إخبارًا على وجهِه المفصَّلِ في الحقِّ، والحقُّ: القرآنُ.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وذلك أنَّ حواءَ كانَت تلدُ في كلِّ بطنٍ اثنين؛ غلاماً وجارية، فولدَت في أوَّل بطنٍ قابيلَ وأختَه أقليما، وقيل: كان ذلك في الجنّةِ قبلَ أن أُهبطا، وقيل: في الأرضِ بعدَ أن أُهبطا، ثم مكثَت سنينَ فولدَت هابيلَ وأختَه لِيُوذا، فلمّا أدركوا، أمرَ اللهُ آدمَ عليه السَّلام[٥] أن ينكحَ قابيلُ أختَ هابيل، وهابيلُ أختَ قابيل، فرضيَ هابيلُ بذلك، ولم يرضَ قابيلُ؛ لأنَّ أختَه كانت أحسنَهما، وقيل: لأنَّها وُلدَت معه في الجنّة، فقال آدمُ عليه السَّلام: قرِّبا قربانًا، فأيُّكما تُقبِّلَ قربانُه، زوَّجتُها منه[٦].

وعن محمَّدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهم: أنَّ آدمَ عليه السَّلام قال لهابيلَ وقابيلَ: إنَّ ربِّي[٧] عَهِدَ إليَّ أنَّه يكونُ من ذرِّيتي مَن يقرِّبُ القربان، فقرِّبا[٨] قربانًا حتَّى تقرَّ عيني إذا تُقبِّل قربانُكما[٩].

---

(١) نقل الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٥) إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل على أنهما ولدا آدم لصلبه وفي زمانه.

(٢) «لم يمتد» من (ن).

(٣) «الناس» من (ن).

(٤) في (ن): «نبأ ابني آدم بالحق».

(٥) «آدم عليه السَّلام» من (ن).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٤٦٩)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٣٢١، ٣٢٢)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٧٢).

(٧) «إن ربي» من (ن).

(٨) في (ن): «فتقربا».

(٩) عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٧٥) إلى ابن أبي حاتم.

وذكرَ الثَّعلبيُّ: أنَّ معاويةَ بنَ عمّارٍ[١] قال: سألتُ الصّادقَ رضي الله عنه: أكان آدمُ[٢] يزوِّجُ بناتِه من بنيه، قال: معاذَ الله، لو فعل ذلك آدمُ ما رغبَ عنه رسولُ الله عليه السَّلام، ولا كان دينُ آدمَ إلّا دينَ محمَّدٍ عليهما السَّلام، ولكن لـمّا أدركَ قابيلُ أظهرَ الله له جنّيّةً من ولدِ الجانِّ يُقالُ لها: جمانةُ في صورة إنسيّةٍ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى آدمَ أن زوِّجها من قابيلَ، فلمّا أدركَ هابيلُ أهبطَ الله حوراءَ في صورة إنسيّةٍ لها رَحِمٌ، فأوحى الله إلى آدمَ أن زوِّجها من هابيلَ[٣]، ففعلَ ذلك، فقال قابيلُ: فضَّلتَه وآثرتَه عليَّ بهواك. فقال آدم: إنْ كنْتَ تريد أن تعلمَ ذلك فقرِّبا قربانًا، فأيُّكما تُقُبِّلَ قربانُه فهو أولى بالفضلِ من صاحبِه[٤].

قلتُ[٥]: هذه روايةٌ فيها ضعفٌ؛ لأنَّ الإجماعَ على أنَّ آدمَ عليه السَّلام كان يزوِّجُ بناتِه من بنيه إلّا التَّوأمَ، ولو لم يفعل ذلك لانقطعَ النَّسلُ أو بقيت بناتُه أيامى[٦].

---

(١) في (و): «عمران»، والصواب ما في (ن) و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٧٢)، وهو معاوية بن عمار بن معاوية الدهني البجلي الكوفي، سمع أباه وجعفر بن محمد، روى له البخاري في كتاب «أفعال العباد» ومسلم، وأبو داود والنسائي، قال ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٣٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٢٨/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤)، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ١٣٧)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢١٤).

(٢) في (ن): «سألت الصادق عن آدم عليه السَّلام أكان».

(٣) «قابيل، فلما أدرك هابيل أهبط الله حوراء في صورة إنسية لها رحم، فأوحى الله إلى آدم أن زوِّجها من» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٧٣).

(٥) في (و): «وقال الشيخ تاج القراء رحمه الله» بدل: «قلت».

(٦) قال القرطبي في «تفسيره» (٦/ ١٣٥): «هذه القصة عن جعفر ما أظنها تصح، وإن القول ما ذكرناه من أنه كان يزوج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن، والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى: =

وقال ابنُ جُريجٍ: لم يزل بنو آدمَ في نكاحِ الأخواتِ حتَّى مضى أربعةُ آباءٍ، ثم نكَحَ ابنةَ العمِّ، وذهبَ نكاحُ الأخوات[1].

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان قابيلُ صاحبَ زرعٍ، وهابيلُ صاحبَ ضرعٍ، فقصد قابيلُ إلى أردأِ قمحٍ عنده، وقيل: قرَّبَ سنبلًا من سيِّئِ زرعِه، وقصد هابيلُ إلى حَملٍ سمينٍ، وقيل: بقرةٍ[2].

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ وذلك أنَّهما وَضَعا قربانَهما على الجبل، فدعا آدمُ، فنزلَت نارٌ من السَّماء بيضاء، فرفعَت قربانَ هابيلَ.

وقيل: هو الذِّبحُ الذي فدى الله سبحانه به ابنَ إبراهيمَ عليهما السَّلام، وكان يرتعُ في الجنّةِ أربعين خريفًا، وقيل: ثمانين خريفًا[3].

قال مجاهدٌ: كانَت النّارُ تأكلُ المردودَ لا المقبول[4].

وإنَّما تُقُبِّلَ من هابيلَ ولم يُتقبَّل من قابيلَ لأنَّه لم يخلصِ النِّيَّةَ في قربانه.

وقيل: لأنَّه تقرَّبَ بأخسِّ ما عنده.

= ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، وهذا كالنصِّ، ثم نسخ ذلك».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٢).

(٣) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٨/ ٣٢٢) عن إسماعيل بن رافع من غير تحديد مدة، وروى الطبري (١٩/ ٦٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ذبح إسماعيل رعى في الجنة أربعين خريفاً، وروى ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٤) عن علي رضي الله عنه.

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٢٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٠) عن مجاهد ما يوافق ما عليه الجمهور.

وقيل: لأنَّه كان مُصِرًّا على كبيرةٍ لا يتقبَّلُ اللهُ معها طاعةً.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: المخلِصين الذين يتَّقونَ الشِّركَ والمعاصي.

وتقديرُه: قال: لمَ تقتلُني؟ قال: لأنَّ اللهَ قَبِلَ قربانَكَ ولم يَقبَل قرباني، فأجابَ فقال[1]: إنَّما يتقبَّلُ الله من المتَّقين.

***

(٢٨) ـ ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: لئن بدأتَني بقتلٍ لم أبدأْكَ به، وليس فيه تعرُّضٌ للدَّفع[2].

وقيل: لئن أردْتَ قتلي، لم أدفعْكَ عن نفسي.

الحسنُ ومجاهدٌ: لأنَّ الانتصارَ كان يومئذٍ ممنوعًا[3].

***

(٢٩) ـ ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي:

---

(١) «فقال»: ليست في (ن).

(٢) في (و): «للمنع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٩) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٩) عن الحسن ومجاهد.

ترجعَ إلى الله ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[١]: بعقابِ قتلي، وإثمِكَ الذي خرجتَ به من المتَّقين.

وقيل: أختارُ لكَ ما[٢] اخترتَه لنفسِك.

والإثمُ في الحقيقةِ: استحقاقُ العقاب، وأثِمَ الرَّجلُ: فعلَ ما يستحقُّ به[٣] العقابَ، وأثَمَه اللهُ: عاقبَه، وآثَمَه؛ بالمدِّ أيضًا، والأثَامُ: العقابُ[٤].

***

(٣٠) ـ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾؛ أي: سهَّلَتْ.

وقيل: شجَّعَتْ.

وقيل: تابعَتْه نفسُه.

وهو (فعَّلَتْ) من قول العرب: طاعت للظَّبيةِ أصولُ الشَّجرةِ؛ أي: سهُلَ عليها تناولُها.

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾: ابنُ عبّاسٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهم: فشدخَ رأسَه غِيلةً[٥].

مجاهدٌ: علَّمَه إبليسُ[٦] كيفَ يقتلُه[٧].

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: خسرَ رضا والديه وأخاه ودينَه ودُنياه.

---

(١) «وإثمك» من (و).

(٢) في (و): «مما».

(٣) «به» من (ن).

(٤) انظر: «الصحاح» مادة (أ ث م) (٥/ ١٨٥٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٧) عنهما من طريق واحد، وفي هامش (ن): «أي: فجأة».

(٦) في (ن) زيادة: «عليه اللعنة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٨).

(٣١) - ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ ثم إنَّ ابنَ آدمَ سُقِطَ في يدِه، ولم يدرِ كيف يُواري أخاه؛ لأنَّه أوَّلُ قتيلٍ من بني آدمَ وأوَّلُ ميِّتٍ.

مجاهدٌ: كان يحملُه على عاتقِه مئة سنةٍ لا يدري ما يصنعُ به[١].

الضَّحّاكُ: كان يحملُ أخاه في جرابٍ على رقبتِه سنةً[٢].

فبعثَ الله الغرابَ ﴿يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ ابنُ بحرٍ: كان الغرابُ يُواري شيئًا من مطعومِه، قال: ومِن طبعِه دفنُ الطَّعامِ والادِّخارُ[٣].

الحسنُ: يُواري نفسَ المقتولِ؛ يعني: هابيلَ[٤]، وإليه ذهبَ الزَّجّاج[٥].

وقيل: يُواري غرابًا ميتًا[٦].

وقيل: بعثَ الله غرابين، فقتلَ أحدُهما الآخرَ، فحفرَ له، ثم حثا عليه[٧].

وقيل: كان مَلَكًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٠) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩) دون نسبة، وعدَّه من العجيب.

(٤) لم أقف عليه عن الحسن، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩) دون نسبة، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٦٧).

(٦) هذا قول مجاهد فيما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩).

(٧) وهذا مروي عن ابن عباس وابن مسعود ومقاتل ومجاهد وغيرهم. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٧٠)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٢٠٣)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٨).

والقولان الأوّلان هما الأوليان[١].

قوله: ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ الفعلُ للغراب، ويحتملُ أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى الله.

ومعنى ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾: نفسَه.

وقيل: فرجَه.

وقيل: مقابحَه ومعايبَه، وقد كانَ أَرْوَحَ، وظهرَت منه أشياءُ تظهرُ من الموتى إذا أَتَتْ عليها الأيّام.

فلما رأى قابيلُ ذلك ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾: هذه كلمةٌ تُستعمَلُ عند الهلاك، أراد: يا ويلتي تعالَي؛ فهذا أوانُك.

قال: ﴿أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾؛ أي: لِمَ لا أهتدي إلى دفنِ أخي كما اهتدى إليه الغرابُ.

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على حَملِه.

وقيل: حينَ لم يظفر بمرادِه من أُختِه، وتبرَّأ منه أبواه.

وقيل: مكثَ آدمُ عليه السَّلام مئةَ سنةٍ لا يضحكُ حتَّى أتاه الملكُ فقال: حيّاكَ الله وبيّاكَ[٢]؛ أي: أضحكَكَ، قاله الأصمعيُّ[٣].

***

---

(١) ظاهر صنيع المصنف هنا أنَّ القولين الأولين هما قول ابن بحر والحسن، ولكنه عدَّ في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩) قولَ ابن بحر من العجيب، وقولَ الحسن من الغريب، فيحتمل أنَّه أراد القولين الأولين من الأقوال التي ذكرها آخراً دون نسبة، وهما قول مجاهد وقول ابن عباس وابن مسعود، فهما أشهر الأقوال، وقد قدَّم المصنف قول مجاهد في «غرائب التفسير»، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٥) عن سالم بن أبي الجعد.

(٣) انظر: «الزاهر» (١/ ٦٤)، و«تهذيب اللغة» مادة (ب ي ا) (١٥/ ٤٢٥).

(٣٢) - ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ قيل: هو متَّصلٌ بالآية الأولى؛ أي: فأصبحَ من النَّادمين[1] لأجلِ حَملِه.

وقيل: من أجلِ قتلِه وعِظَمِ فعلِه، كتبنا على بني إسرائيلَ.

ومعنى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: من جنايةِ ذلك[2]، وقيل: بسببِ ذلك.

ابنُ عيسى: أصلُ (أجْلِ) الجرُّ، ومنه: أجَلُ العَقدِ؛ لأنَّه يجرُّ ما وقعَ العقدُ عليه[3].

﴿ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ﴾: فرضنا وأوجبنا.

وقيل: حَكمنا وقضينا.

وخصَّ بني إسرائيلَ بالذِّكر وإن كان النَّاسُ في ذلك سواءً؛ لكثرتهم في زمانِ النَّبيِّ عليه السَّلام.

وقيل: لأنَّ التَّوراةَ أوَّلُ كتابٍ فيه الأحكامُ، وما تقدَّمها من الكتب كانت مواعظَ

---

(١) في (و): «الخاسرين».

(٢) يُقال: أجَل شرًّا يأجِلُه أجَلًا: إذا جَناه. انظر: «العين» مادة (أ ج ل) (٦/ ١٧٩).

(٣) في (و): «عليه العقد». ولم أقف على قول ابن عيسى، لكن الزمخشري ذكر قريباً منه. انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٦٢٦).

وحِكَمًا، أو لِما ذهب إليه الحسنُ؛ يزعمُ أنَّ هذه القصّةَ[١] في بني إسرائيل[٢].

﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ﴾؛ أي: بغير قَوَدٍ.

﴿نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي﴾ قيل: الشِّركُ.

وقيل: كلُّ فسادٍ في الأرضِ يُوجِبُ القتلَ.

﴿ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ﴾ ابنُ عبّاسٍ: مَن قتلَ نبيًّا أو إمامًا عادلًا، فكأنَّما قتلَ النّاس جميعًا[٣].

ابنُ زيدٍ: في القَوَدِ؛ أي: يُقتَلُ به، كما لو قتلَ النّاسَ جميعًا[٤].

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: في حقِّ المقتول[٥].

الحسنُ: في الذَّنْب[٦]؛ أي: بلغَ النِّهايةَ فيه.

وقيل: لأنَّه يجبُ عليهم طلبُ ثأرِه، فهم كلُّهم خصومٌ له[٧].

---

(١) يعني: قصة ابني آدم، وقد تقدم أن الحسن ذهب أنهما من بني إسرائيل، وقد تقدم استغراب المصنف وابن كثير له، ونقل الطبري الإجماع على خلافه.

(٢) «يزعم أن هذه القصة في بني إسرائيل» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٥٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩) عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، بلفظ: «﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ عند المقتول، يقول في الإثم، ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ فاستنقذها من هلكة، ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ عند المستنقذ».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٥٧).

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩)، واستغربه.

وقيل: لأنَّه مخلَّدٌ في النّارِ، كما لو قتلَهم جميعًا.

وقيل: هو مِن قولِه عليه السَّلام: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً[(١)]»[(٢)].

﴿جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: خلَّصها من غرقٍ أو حرقٍ أو عفا عن قَوَدٍ.

وفيه الوجوهُ كلُّها[(٣)].

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ بالشِّركِ والقتلِ والظُّلم.

وقيل: هي[(٤)] عامٌّ في الكفّار.

وقيل: في بني إسرائيل.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ في سببِ النُّزول عن قتادةَ عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رهطًا من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ أتَوا رسول الله

---

(١) في (و): «حسنة».

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه. وقد جاء في البخاري (٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ليس من نفسٍ تُقتَلُ ظلمًا، إلّا كان على ابنِ آدمَ الأوّلِ كِفْلٌ منها؛ لأنّه أوّلُ مَن سَنَّ القتلَ»، وهذا يرجِّح القول الأخير.

(٣) أي: التي سبق بيانها في ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

(٤) أي: الآية السابقة.

عليه السَّلام، فقالوا[١]: قد استوخَمْنا المدينةَ، فأمَرَ لهم رسولُ الله عليه السَّلام بِذَوْدٍ أنْ يَخرجُوا فيها، فيشربوا من ألبانِها وأبوالِها[٢]، فقتلوا راعيَ رسولِ اللهِ عليه السَّلام، واستاقوا الذَّود، فبعَثَ رسولُ الله عليه السَّلام في آثارِهم، فأُتِيَ بهم، فقَطع أيديَهم وأرجلَهم، وسَمَلَ أعينَهم، وتركَهم في الحرّةِ حتَّى ماتوا على حالِهم، فنزلَت فيهم[٣].

وعن الكلبيِّ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام وادعَ هلالَ بن أميّة[٤] ـ وهو أبو بردةَ الأسلميُّ ـ على أن لا يُعينَه ولا يُعينَ عليه، ومَن أتاه من المسلمين فهو آمِنٌ، ومن أتى المسلمين[٥] منهم فهو آمِنٌ، فمرَّ أناسٌ من بني كنانةَ يريدون الإسلامَ بأناسٍ مِن أسلمَ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فبلغَ ذلك رسولَ الله عليه السَّلام، ونزلَت فيهم هذه[٦] الآية[٧].

---

(١) «فقالوا» من (ن).

(٢) في (ن) زيادة: «وهو حلال عند محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله، ويستدل بهذا، وذلك فيما يؤكل لحمه، وذلك غير جائز عند الشافعي رحمه الله إلا عند الضرورة».

(٣) رواه أبو داود (٤٣٦٦)، والنسائي (٤٠٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٥)، ورواه البخاري (٤١٩٢)، ومسلم (١٦٧١) دون ذكر أنه سبب النزول. ومعنى استوخموا المدينة: لم توافق مزاجهم، والذود من الإبل: من الثلاثة إلى العشرة، وسَملَ العين: فقؤها بحديدة محماة، والحرّة هاهنا: أرض بظاهر المدينة. انظر: «جامع الأصول» (٣/ ٤٨٦).

(٤) كذا في النسختين الخطيتين، وهو خطأ، والصواب: هلال بن عويمر، كما في مصادر التخريج، وكما ذكر المصنِّف سابقاً عن عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

(٥) «المسلمين» من (و).

(٦) «فيهم هذه» من (ن).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٤١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح، فهو عن الكلبي أيضاً.

ومعنى: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: أولياءه، وهم المؤمنون، وأصلُ الحربِ: السَّلبُ، والمحارِبُ يسلبُ الرُّوحَ والمالَ(١).

وقيل: معناه: يُعادون الله ورسولَه.

وقيل: يُخالفون.

مجاهدٌ: المحاربةُ هاهنا: الزِّنى والقتلُ والسَّرقة(٢).

والجمهورُ على أنَّه المجاهرُ بقطعِ الطَّريق، وكذلك المكابرُ باللُّصوصيّةِ في المِصْرِ وغيرِها(٣).

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ **فالقتلُ** لمن قتَلَ، وأفادَ التَّشديدُ الواحدَ بعدَ الواحد(٤).

والصَّلْبُ لمن قتَلَ وأخذَ المال، وهو: أن يُشَدَّ مُستويًا على خشبةٍ مرفوعةٍ.

والقطعُ لمن أخذَ المالَ ولم يقتل، وهو: أن تُقطَعَ يدُه اليُمنى ورجلُه اليُسرى.

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس مادة (ح ر ب) (٢/ ٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٧٢ و٣٩٢) بلفظ: «﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ بالزنى والسرقة وقتل النفس وإهلاك الحرث والنسل»، وقد ذكره الطبري عند بيان المحاربة، لكن الظاهر أنَّ مجاهداً يفسِّر به الإفساد في الأرض، لا المحاربة، لذلك أتبعه الطبري برواية توضِّح ذلك.

(٣) وهذا قول الشافعي، ومالك، والأوزاعي، وأصحاب الرأي، وذهب أبو حنيفة وعطاء الخراساني إلى أن المكابر في المصر باللصوصية لا يسمى محارباً، كما في «الإشراف» لابن المنذر (٧/ ٢٣٦)، و«النكت والعيون» (٢/ ٣٣).

(٤) أي: أفاد التكرار والتلاحق، وهو ما يُعرف بالتدرج، وذكر أبو حيان أنه أفاد التكثير بالنسبة للذين يُوقع بهم الفعل، وما ذكره المصنف أولى، والله أعلم. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٢٤١).

والنَّفيُ لمن أخافَ الطَّريقَ فحسب، وهو إخراجُه من بلادِ المسلمين إلى بلادِ الكفر.

وقيل: إلى بلدٍ غيرِ بلده.

وقيل: يُحبَسُ في السِّجن(١).

وقيل: يُهدَرُ دمُه، وهو أن يُقالَ: لا قَودَ على مَن قتلَه(٢).

وقيل: الإمامُ بالخيارِ أيَّها شاءَ فَعَل(٣).

﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: فضيحةٌ وهوانٌ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

***

(٣٤) ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فالتّائبُ إن كان من أهلِ الشِّركِ فتوبتُه الإسلامُ، وليس عليه حدٌّ في الدُّنيا ولا عذابٌ في الآخرة، وإن كان من أهلِ الإسلام يسقطُ من الحدِّ ما كان لله، وما كان حقَّ الآدميِّ كالقَودِ، فهو إلى الوليِّ؛ إن شاءَ اقتصَّ وإنْ شاء عفا، وإنْ تابَ بعد الظَّفَرِ لا تُقبَلُ توبتُه، ولا يسقطُ حدُّه، ولا يصحُّ عفوه.

***

(١) وهو اختيار ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» له (ص: ٢٢٩).

(٢) وهو قول الفراء. انظر: «معاني القرآن» له (١/ ٣٠٦).

(٣) روى ذلك القاسم بن سلام في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٤٢) عن مجاهد وعطاء وإبراهيم والحسن والضحاك، وانظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٢٥٩).

(٣٥) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾: القُرْبَةَ.

أبو عبيدةَ: ﴿ٱلْوَسِيلَةَ ﴾: الحاجةُ[١].

الدِّمياطيُّ: ﴿ٱلْوَسِيلَةَ ﴾: أفضلُ درجاتِ الجنّة[٢].

والمعنى: توسَّلوا بتقواه وطاعتِه إلى ثوابِه[٣].

﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ بمحاربةِ الكفّار.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾: لكي تُفلِحوا، وتبقَوا في الجنَّة.

* * *

(٣٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ يعني: صنوفَ الأموالِ.

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ ﴾؛ أي: مثلها معها.

﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: وأنفقُوها ليفتدوا به ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) ذكر أبو عبيدة هذا المعنى بعد ذكره القربة. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥٩) عن عطاء، ويشهد له ما رواه مسلم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلَ ما يقول ثم صلُّوا عليَّ؛ فإنه مَن صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنَّها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة، حلَّت له الشفاعة».

(٣) في (و): «سواه».

﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾: لا يُثابـونَ بـه بالتَّخليـصِ من النّـار، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وخبـرُ ﴿إِنَّ﴾: ﴿لَوْ﴾، وجوابُـه وجـوابُ ﴿لَوْ﴾: ﴿مَا﴾[1]، وجـازَ مـع (لـو) (أنَّ)[2] بخـلافِ (إنَّ)؛ لأنَّ (لو) لا تُخرجُها عن المصدر كما يُخرجُها[3] القَسَـمُ[4].

***

(٣٧) ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ قيل: معنى ﴿يُرِيدُونَ﴾: يرجون، وقيل: يتمنَّون، وقيل: يكادون، وقيل: يسألون.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ[5].

***

---

(١) إن دلَّت (لو أنَّ) على اليمين، لم يكن لـ(لو) جواب، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾، فإن لم تدلَّ على اليمين، كان لـ(لو) جواب، ولم تدلَّ هنا على يمين، فلها جواب، وهو: ما تقبل منهم، وجواب (أن): ما في الأرض، ومن هذا تعلَّم ما في عبارة المصنِّف من اختزال. انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٦٧)، و«الجنى الداني» (ص: ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٢) سقطت «لو» من (ن)، و«أن» من (و).

(٣) في (و): «لا يخرجها».

(٤) فلذلك يجب فتح همزة (إنَّ) بعد (لو)، وكسرها بعد القسم، والمصدر المؤول من (أنَّ) وما بعدها مرفوع على الابتداء عند سيبويه، وعلى الفاعلية عند المبرد والزجاج والكوفيين. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٠٠)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٣٤٠)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٥٢)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٤٥٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، و«الجنى الداني» (ص: ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٥) «دائم» من (ن).

(٣٨) ـ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ السّارقُ: الذي يأخذُ مالَ غيرِه بغيرِ إذنِه غيرَ مستحقٍّ له مِن حِرزٍ.

واختلفُوا في مقدارِه[1]؛ فعليٌّ رضي الله عنه بخلافٍ وابنُ عبّاسٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهم ذهبوا إلى أنْ لا قطعَ في أقلَّ من عشرةِ دراهمَ[2].

مالكٌ رحمه الله: ثلاثةُ دراهم؛ قيمةُ المجنِّ[3].

الأوزاعيُّ: ربعُ دينارٍ[4].

عليٌّ وعمرُ رضي الله عنهما: لا تُقطَعَ الخَمْسُ إلّا في خمسةٍ[5]؛ أي: خمسة دراهم[6].

---

(١) على نحو من عشرين مذهبًا فيما ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ١٠٦).

(٢) ذكره الشافعي في «الأم» (٧/ ١٥٩) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، وقال: «ولا أعلمه ثابتًا عن واحد منهما»، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٩٥٢) عن علي رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٩٥٠) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨١٠٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨١٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «الموطأ» (٥/ ٨٣١)، و«المدونة» (٤/ ٥٣٦)، و«الأم» (٦/ ١٤٠)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٤٠٨)، والمعروف عن مالك: إن كان المسروق ذهبًا فنصابه ربع دينار، وإلا فإن بلغت قيمته ثلاثة دراهم قطع به وإن لم تبلغ لم يقطع. انظر: «فتح الباري» (١٢/ ١٠٦)، و«التبصرة» للخمي (١٣/ ٦٠٥٩)، و«الثمر الداني» (ص: ٦٠٠).

(٤) انظر: «اختلاف العلماء» للمروزي (ص: ٤٩٣)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٤٠٨)، و«فتح الباري» (١٢/ ١٠٧). وبه قال الشافعي أيضًا. انظر: «الأم» (٧/ ١٥٩).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٩٩)، وذكره ابن المنذر في «الإشراف» (٧/ ١٨٨) عن عمر رضي الله عنه.

(٦) «أي خمسة دراهم» من (ن).

الحسنُ: يُقطَعُ في درهمٍ[(١)].

والقطعُ من الرُّسغِ، وهو مفصلُ الكفِّ والسّاعد.

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه قطعُ أطرافِ الأصابع[(٢)]، والخوارجُ تقطَع من المنكبِ أخذًا بلفظِ اليد[(٣)].

والمرادُ باليد هاهنا: اليمينُ، بدليل قراءة ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (والسّارقون والسّارقات تقطع إيمانهم)[(٤)].

وبدليل الجمعِ؛ لأنَّ أعضاءَ الوترِ[(٥)] إذا نُسِبَت إلى اثنين جُمِعَت في موضعِ التَّثنيةِ، كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤][(٦)]؛ لأنَّ الأصلَ في التَّثنيةِ

---

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٢٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٣٢)، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٤٣٣) والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٧٢) عن ابن الزبير، وذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ١٠٦) عن عثمان البتي وربيعة، وذكر ابن المنذر في «الإشراف» (٧/ ١٨٩) عن الحسن ثلاثة أقوال: درهمين، وكل ما له قيمة، وخمسة دراهم.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٧٦٠)، وروى عنه غيره، وقال الماوردي في «الحاوي الكبير» (١٣/ ٣١٩): «هي رواية شاذة»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ٣١٩)، و«المحلى» (١٢/ ٣٥٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٠)، وعدَّه من العجائب.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٦)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٤٠٧)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٣٠٩). وقال الماوردي في «الحاوي الكبير» (١٣/ ٣١٩): «وهذه القراءة وإن شذت فهي جارية مجرى خبر الواحد في وجوب العمل بها».

(٥) أي: الأعضاء التي في الإنسان منها عضو واحد؛ كالقلب والرأس والأنف، وهذه تُجمع عند التثنية.

(٦) فلما جُمعت (اليد) عند التثنية، دلَّ على أنه لم يرد بها اليد؛ لأنها لو أريدت لقيل: يديهما، وإنما المراد بها عضو لا يملك الإنسان منه إلا واحداً، وهو اليد اليمين.

الجمعُ حيث لا تَلتبِسُ، وأُفرِدَ لها صيغةٌ[١] حيث التبسَت[٢].

وارتفعَ (السّارقُ والسّارقةُ) بالابتداء، والخبرُ محذوفٌ[٣]؛ أي: في القرآنِ السّارقُ والسّارقةُ؛ أي: حُكمُهما، ثم عطفَ جملةً على جملةٍ فقال: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾، وكذلك ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ﴾ [النور: ٢]، وكذلك ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

وقدَّمَ السّارقَ وأخَّرَ الزّاني؛ لأنَّ السُّرَّقَ من الرِّجالِ أكثرُ، ولأنَّ ظهورَ أثرِ[٤] الزِّنى فيهنَّ من زوالِ البكارةِ والحَبَلِ[٥].

وقُطِعَت[٦] اليدُ؛ لأنَّها آلةُ السَّرقة، ولم تُقطَع آلةُ الزِّنى؛ لاستواء الرَّجلِ والمرأةِ في اليدِ دونَ آلةِ الزِّنى[٧].

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هما منصوبانِ على المصدرِ، ودلَّ على فعلِهما القَطعُ[٨]، أو على الغرض[٩].

---

(١) في (و): «صغت».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٦)، وللأخفش (١/ ٢٤٨)، و«الأصول» لابن السراج (٣/ ٣٤).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ١٤٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧).

(٤) في (و): «ظهر».

(٥) ذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١).

(٦) في (و): «وقطع».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧).

(٩) كذا في النسختين الخطيتين، ولعلَّ المراد به: المفعول لأجله. انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي =

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

* * *

(٣٩) - ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَمَن تَابَ﴾؛ أي: إلى الله[1] ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾؛ أي: سرقتِه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بردِّ المسروقِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾: يقبلُ توبتَه، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(٤٠) - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام، والمرادُ به غيرُه.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ قدَّمَ العذابَ على المغفرة بخلافِ سائر الآيات؛ لأنَّ العذابَ هاهنا: القَطْعُ، وهو في الدُّنيا[2].

﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ في القيامةِ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

= (ص: ١٩٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧)، و«اللباب في علل البناء والإعراب» للعكبري (١/ ٢٧٧).

(١) «أي: إلى الله» من (ن).

(٢) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٨٧)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (١/ ١٥٥).

(٤١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه قال: مُرَّ على النَّبيِّ عليه السَّلام بيهوديٍّ مُحمَّمٍ مجلودٍ[1]، فدعاهم فقال: «هكذا تجدونَ حدَّ الزِّنى في كتابكم؟» قالوا: نعم، فدعا رجلًا من عُلمائِهم ـ هو عبد الله بن صُوريا ـ فقال: «أنشدُكَ اللهَ الذي أنزلَ التَّوراةَ على موسى، هكذا تجدونَ حدَّ الزِّنى في كتابِكم؟» قال: لا، ولولا أنَّك نشدْتَني لم أخبرْكَ[2]، نجدُ حدَّ الزِّنى في كتابِنا الرَّجم، ولكنَّه كثُرَ في أشرافِنا، فكنَّا إذا أخذنا الشَّريفَ تركناه، وإذا أخذنا الوضيعَ أقمنا عليه الحدَّ، فقلنا: تعالَوا نجتمعُ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوضيعِ، فاجتمعنا على التَّحميمِ والجلدِ مكانَ الرَّجم، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «اللَّهمَّ إنِّي أوَّلُ مَنْ أحيا أمرَكَ إذْ أماتوه»، فأمرَ به فرُجِم، فأنزلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ﴾[3]؛ أي: يكثرون أعمالَ الكُفر؛ أي: لا يَحزنك صنيعُهم، والمعنى: لا تحزنْ عليهم.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: المنافقينَ.

---

(١) في (و): «بيهودي مجلوداً».

(٢) في (ن): «أخبرك به».

(٣) رواه مسلم (١٧٠٠)، والإمام أحمد (١٨٥٢٥)، وأبو داود (٤٤٤٨).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: انتسبوا إلى اليهوديَّة؛ يعني: اليهودَ[1].

و﴿مِنَ﴾ للتَّبيين، و﴿سَمَّٰعُونَ﴾ خبر مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هم سمّاعون.

وقيل: (مِنَ)[2] الأوَّلُ للتَّبيينِ، والثَّاني للتَّبعيضِ، وهو خبرُ المبتدأ، والمبتدأُ ﴿سَمَّٰعُونَ﴾[3].

ومعنى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: يُجالِسُونَك ليسمعُوا كلامَك ويردُّوه مكذوبًا فيه على الأَحْبار. ومعنى اللام: من أجلِ[4].

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾؛ أي: هم عيونٌ للغُيَّبِ.

وقيل: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾؛ أي: يسمعون الكذبَ من أحبارِهم في أمورِ دينِهم، وهم علماءُ خيبر، لم يأتوا رسولَ الله، وحرَّفوا معاني التَّوراة، وقالوا ليهودِ يثربَ: اقبلوا ما وافقَ هذا ممّا يدعوكم إليه محمَّدٌ، وما خالفه فاتركوه. واللّامُ زيادةٌ[5].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾: يغيِّرون ألفاظَه.

---

(١) «يعني اليهود» من (و).

(٢) «من» من (ن).

(٣) ذكر الوجهين النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢٦٨)، والعكبري في «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٤٣٦)، وذكر مكي في «إعراب مشكل القرآن» (١/ ٢٢٥) الأول، ولكنه اختار أن تكون (سماعون) صفة لمبتدأ محذوف تقديره: فريقٌ.

(٤) والمفعول محذوف على هذا، والتقدير: سماعون الأخبارَ للكذب. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٤٣٧).

(٥) أي: سماعون الكذبَ، وزيادة اللام هنا مطَّردة لكون العامل فرعاً فقوي باللام، ومثله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٤/ ٢٦٧).

وقيل: يفسِّرونَ على غيرِ المرادِ بها.

ومعنى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾: بعد أن وضعَها الله مواضعَها التي أوجبَتْها إرادتُه وحِكمتُه.

وهو ما حرَّفوه من نعتِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

وهذه[١] صفةٌ لـ(قومٍ)[٢].

﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾: هو قولُ اليهود؛ أي: ائتُوا محمَّداً[٣]، فإنْ أفتاكم بالتَّحميمِ والجلدِ فخذوا به، وإن أفتاكم بالرَّجمِ[٤] فاحذرُوا؛ أي: قَبولَ قولِه.

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾: ضلالَه، وقيل: عذابَه، وقيل: فضيحتَه.

﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾؛ أي: دفعَ عذابِه، وقيل: هدايةَ ضلالِه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾ من الكفرِ والشِّرك.

وقيل: لم يرد أن يوسِّعَها فيُزيلَ ضيقَها عقوبةً لهم.

﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾: هوانٌ بالجزيةِ وزيِّ اليهوديّة.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: دائمٌ، وهو النّار.

---

(١) أي: جملة (يحرفون) في محل جر صفة لـ(قوم)، والوجه الذي ذكره المصنِّف هو أعلى وجوه إعرابها في رأينا، وفي إعرابها وجوه أخرى، منها: أنها استئنافية لا محلَّ لها، أو خبرية في محل رفع، والتقدير: هم يحرفون، أو صفة لـ(سماعون) في محل رفع، أو حال من الضمير المستتر في (سماعون) في محل نصب. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٤٣٧).

(٢) في (ن) زيادة: «آخرين».

(٣) في (و): «آمنوا بمحمد».

(٤) «بالرَّجم» من (ن).

(٤٢) ـ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ كرَّرَ تأكيدًا.

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾ عن النَّبيِّ عليه السَّلام: أنَّه الرِّشوةُ في الحُكم[1]، وهو قولُ الجمهور[2].

---

(١) ورد هذا مرفوعًا فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٣٤) عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ لحمٍ أنبته السُّحت فالنارُ أولى به» قيل: يا رسول الله، وما السحت؟ قال: «الرِّشوةُ في الحُكم». وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨١) إلى عبد بن حميد وابن مردويه، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٤٥٤): «رجاله ثقات، ولكنه مرسل»، وانظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٠).

(٢) وقد ورد موقوفًا في روايات كثيرة منها:

ما رواه مالك في «الموطأ» (٣/ ٧٠٣) عن سليمان بن يسار أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حليًا من حليِّ نسائهم، فقالوا له: هذا لك، وخفِّف عنّا، وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: «يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت، وإنا لا نأكلها»، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

وما رواه النسائي (٥٦٦٥) عن مسروق قال: «القاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر».

وما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٩٥٦) عن عمر رضي الله عنه قال: «بابان من السحت يأكلهما الناس: الرشاء، ومهر الزانية».

ومنها ما رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٢٨ ـ ٤٣٤) عن ابن مسعود، وابن عباس، وأنس، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وإبراهيم، والضحاك، والسدي، وابن زيد.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: هو الرِّشوةُ في الحُكمِ وثمنُ الكلبِ وثمنُ الخمرِ(١) وثمنُ الميتةِ وحلوانُ الكاهنِ ومهرُ البغيِّ وعَسْبُ الفحلِ وكَسبُ الحجّام(٢).

وقيل: السُّحتُ: الرِّبا.

أبو عبيدةَ: كسبُ ما لا يحلُّ(٣).

وقيل: السُّحتُ: الحرامُ.

ومعنى (أكلِهم السُّحتَ) كمعنى(٤): ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠](٥)، وأصله من (سَحَتَه وأَسْحَتَه)؛ إذا أهلكَه واستأصَلَه، قال: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١].

﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه منسوخٌ بقوله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]، وليس لحاكمٍ(٦) من حكّامِ المسلمين أن(٧) يُعرِضَ عن الحُكمِ بينهم(٨).

---

(١) في (و): «وثمن الخنزير».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٣٣)، وروى نحوه (٨/ ٤٣١) عن أبي هريرة، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٣٤٤) نحوه عن عمر، وعلي، وابن عباس، وقد ورد بعض ذلك عن النبي ﷺ فيما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٦٦٧) عن السائب بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من السُّحتِ ثمنُ الكلبِ، ومهرُ البَغيِّ، وكسبُ الحجّام».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٦٦).

(٤) في (ن) زيادة: «قوله».

(٥) يريدُ: الأكلَ وغيرَه من أنواع الإنفاق، ولكنه سمَّاه بأعظم مقاصده، والنصُّ يُشعرُ بأنَّ الجائع لا ينبغي له أن يأكل السحت، فكيف ينبغي لغيره أن يتملَّكه أو ينفقه؟!

(٦) في (و): «الحاكم».

(٧) في (و): «أي».

(٨) وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة =

وقيل: الآيةُ مثبتةٌ، والتَّخييرُ باقٍ[1].

وقيل: التَّخييرُ[2] في حقوقِ اللهِ دونَ حقوقِ المؤمنين.

ومعنى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إن حكمت.

﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ لأنَّ اللهَ يعصمُك من النَّاس.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدلِ وما أمرَك الله به، وهو رجمُ المحصنين دونَ الجلدِ والتَّحميم[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هم يعلمونَ ما عليهم ولا يجهلونه؛ لأنَّه في التَّوراة، ولكنَّهم يحكِّمونك رجاءَ أن تحكمَ بينهم بما يَهْوَوْنَ من الجلدِ، فلمّا حكمتَ بالرَّجمِ[4] أعرضُوا عن قَبولِه إعراضَهم عن التَّوراة.

= وأصحابه، ونسب للشافعي. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص: ١٣٤ ـ ١٣٦)، وللنحاس (ص: ٣٩٧ـ٣٩٨).

(١) ذهب إلى هذا الإمام مالك والشافعي والحسن والشعبي وأبو ميسرة والنخعي وعطاء. انظر: «الأم» للشافعي (٤/ ٢٢٢) و(٦/ ١٥٠)، و«الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص: ١٣٧)، وللنحاس (ص: ٣٩٦).

(٢) «باق وقيل التخيير» من (ن).

(٣) في (و): «دون الرجم والجلد».

(٤) في (و): «بالجلد».

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ عن ابن كثيرٍ: أنَّ (ذلك) إشارةٌ إلى حُكمِ الله تعالى[١].

وقيل: إشارةٌ إلى التَّحكيمِ[٢].

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بكَ ولا بما في أيديهم من التَّوراة.

***

(٤٤) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ بيانٌ وبصيرةٌ.

الزَّجّاجُ: أي: بيانُ أنَّ أمرَ محمَّدٍ عليه السَّلام حقٌّ، وبيانٌ للحُكمِ الذي يَستفتونَ فيه النَّبيَّ عليه السَّلام[٣].

﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ عامٌّ، وقيل: المرادُ بهم محمَّدٌ عليه السَّلام[٤].

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ وصفٌ للأنبياءِ بالإسلام؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) لعلَّ المراد ما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٤٨) عن عبد الله بن كثير قال: «﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ قال: توليهم ما تركوا من كتاب الله».

(٢) ذكر القولين بلا نسبة الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٨٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٨).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤١).

وقيل: ﴿أَسْلَمُوا﴾: استسلموا.

وقيل: وصفٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام[1].

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ في اللّامِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه متعلِّقٌ بالحُكم.

والثّاني: بالإنزالِ.

والثّالث: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: هدًى ونورٌ للذين هادوا[2].

وقيل: بين الذين هادوا؛ أي: يحكمُ بين اليهودِ إذا احتكمُوا إليه.

وقيل: ﴿هَادُوا﴾: تابُوا من الكُفرِ[3].

﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿النَّبِيُّونَ﴾.

وسبقَ بيانُ (الرّبّانيِّين).

و﴿الْأَحْبَارِ﴾: جمعُ حَبْرٍ وحِبْرٍ وحابِرٍ، وهو من (حبَّرْتُه)؛ أي: زيَّنته.

وقيل: الرَّبانيُّ: العالمُ بما في الإنجيل، والأحبارُ: بما في التَّوراة.

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾؛ أي: بسببِ ما أمرَهم الله بحفظِ كتابِه ووفَّقَهم لعلمِه واستنباطِ معانيه.

الزَّجّاجُ: استُودِعُوا[4]؛ فالباءُ للسَّبب، والسِّينُ للطَّلب.

---

(١) وهذا مبنيٌّ على أنَّ المراد بالنَّبيِّين نبيُّنا محمَّد ﷺ.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٨)، وفيه: استُوعوا، وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٨٦) عن ابن عباس.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٨).

والباءُ تتعلَّقُ بالحُكم؛ أي: يَحكمُ بما استحفظوا.

وقيل: تتعلَّقُ بالمعنى؛ أي: علماء بما استحفظوا[١].

﴿وَكَانُوا۟ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾؛ أي: على التَّوراةِ أنَّها كتابُ الله.

ابنُ عبّاسٍ: يشهدونَ على حُكمِ النَّبيِّ بما في التَّوراة[٢].

﴿فَلَا تَخۡشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾: فتحكمُوا بغيرِ حُكمِ الله.

﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ في مخالفةِ أمري.

﴿وَلَا تَشۡتَرُوا۟ بِـَٔایَـٰتِی ثَمَنࣰا قَلِیلࣰاۚ﴾؛ أي: لا تأخذُوا المالَ وتحكمُوا بخلافِ الحقِّ.

والثَّمنُ القليلُ: جميعُ الدُّنيا.

***

(٤٥) ـ ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَیۡهِمۡ فِیهَاۤ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَیۡنَ بِٱلۡعَیۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصࣱۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةࣱ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ یَحۡكُم بِمَاۤ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰۤىِٕكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

﴿وَمَن لَّمۡ یَحۡكُم بِمَاۤ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰۤىِٕكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾.

﴿وَكَتَبۡنَا عَلَیۡهِمۡ﴾: قضينا على اليهودِ وفرضْنا.

﴿فيها﴾: في التَّوراة.

---

(١) وعدَّه الطبري من صلة الأحبار. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤١)، ولفظ الطبري: «﴿وَكَانُوا۟ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ يعني الربانيين والأحبار هم الشهداء لمحمد ﷺ بما قال أنه حق جاء من عند الله، فهو نبي الله محمد، أتته اليهود فقضى بينهم بالحق».

﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾؛ أي: أنَّ النَّفسَ تُقتَلُ إذا قتلَتْ نفسًا بغيرِ حقٍّ، و﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾ خبرُ ﴿أَنَّ﴾.

﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ كلُّها معطوفٌ على اسمِ ﴿أَنَّ﴾، والجارُّ والمجرورُ خبرُه.

ومَن رفعَ(١) فعلى الاستئنافِ، أو العطفِ(٢) على المضمَرِ في الخبر، أو الحملِ على الحكايةِ؛ لأنَّ ﴿كتبنا﴾ بمعنى: قلنا(٣).

﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ﴾ يريدُ: فيما(٤) أمكنَ ممّا لم يُذكَر كالشَّفةِ والقدمِ وغيرِهما.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بحقِّه؛ يريدُ: وليَّ المقتولِ أو المجروحِ، ولم يطالبْ بالقصاصِ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: تصدُّقُه ﴿كَفَّارَةٞ لَّهُۥ﴾: للمتصدِّقِ.

ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: يعودُ إلى الجاني(٥).

ابنُ الأنباريِّ: يعودُ إلى المقتولِ؛ أي: إذا عفا وليُّه زادَ الله في ثوابِ المقتولِ(٦).

---

(١) قرأ المعطوفات كلَّها بالنصب عاصم ونافع وحمزة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ ينصبون ذلك ويرفعون (والجروحُ)، وقرأ الكسائي: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ نصباً ورفع ما بعد ذلك كله. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٢) في (و): «والعطف».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ٢٢٣).

(٤) في (و): «فما».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٩٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٥).

(٦) لم أقف على كلام ابن الأنباري، وقد روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٢ و٤٧٥) عن =

مجاهدٌ: ﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى القتل، و﴿لَّهُۥ﴾ يعودُ إلى القاتل[1]، والمعنى عنده: مَن تصدَّق بتبيين القتلِ منه، فهو كفارةٌ له؛ لأنَّه انقادَ لحُكمِ الله.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: على آثارِ النَّبيِّين الذين أسلمُوا.

وقيل: على آثارِ الذين فُرِضَ عليهم الحُكمُ.

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: موافقًا، وقد سبق.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى﴾ كرَّر ﴿هُدًى﴾ لأنَّ الأوَّلَ عامٌّ والثَّاني خاصٌّ.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنَّهم ينتفعون به.

= عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وإبراهيم وجابر بن زيد والحسن وغيرهم، ورواه الطبري مرفوعًا عن الشعبي عن ابن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن جُرح في جسدِه جراحةً فتصدَّقَ بها كفَّرَ عنه ذنوبَه بمثل ما تصدَّقَ به».

(١) المراد بهذا ما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨١) عن عبد الله بن كثير عن مجاهد: «إذا أصاب رجل رجلًا ولا يعلم المصاب من أصابه فاعترف له المصيب»، قال: «وكان مجاهد يقول عند هذا: أصاب عروة بن الزبير عين إنسان عند الركن فيما يستلمون، فقال له: يا هذا أنا عروة بن الزبير فإن كان بعينك بأس فأنا بها»، ولكن قول مجاهد المعروف عنه هو كقول ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٩٨٧) بلفظ: «﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: للجارح»، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٦)نحوه، وانظر كلام الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٨)، و«النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤٤)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٤٠٠).

(٤٧) ـ ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾؛ أي: وقلنا لهم: احكمُوا بموجبِه.

وقيل: إنَّه استئنافُ أمرٍ لهم؛ لأنَّه لم يكن نُسِخَ بعدُ.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (مَن) في الآيات الثَّلاثة للشَّرطِ والعمومِ عند بعضهم، وعند بعضهم بمعنى: الذين، وهو خاصٌّ[١].

وأكثرَ المفسِّرون القولَ في تكرارِ هذه الآيةِ واختلافِ ألفاظِها:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الكافرَ والظَّالمَ والفاسقَ كلُّها بمعنى الكُفر[٢]، عُبِّرَ عنه بألفاظٍ مختلفةٍ لزيادةِ الفائدةِ واجتنابِ صورةِ التّكرار.

وقيل: الكافرون نزلَت في حُكّامِ المسلمين، والظّالمون في اليهود، والفاسقون في النَّصارى[٣].

وقيل: ومَن لم يَحكمْ إنكارًا له فهو كافرٌ، ومَن لم يَحكمْ بالحقِّ واعتقدَ الحقَّ وحَكمَ بضدِّه فهو ظالمٌ، ومَن لم يَحكمْ جهلًا[٤] وحَكمَ بضدِّه فأولئك هم الفاسقون[٥].

---

(١) انظر: «درة التنزيل» للإسكافي (ص: ٤٦٢).

(٢) والآيات على هذا في أهل الكتاب. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٥٧ ـ ٤٦٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(٤) في هامش (ن): «من لم يحكم جهلًا، فسواء أصاب أو أخطأ، فهو فيه فاسق غير مثاب عليه».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦٧ ـ ٤٦٤)، و«تفسير الماتريدي» (٣/ ٥٣٢)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١)، واستغربه.

وقيل: مَن لم يَحكمْ بما أنزلَ الله فهو كافرٌ بنعمةِ الله، ظالمٌ في حُكمِه، فاسقٌ في فِعلِه(١).

وقيل: المرادُ بالكفرِ هاهنا: ساعة حُكمِه بخلافِ ما أنزلَ الله، وليس المرادُ به الشِّركَ(٢).

***

(٤٨) - ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: محقًّا، وقيل: بسببِ الحقِّ وإثباتِه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أمينًا(٣).

الكسائيُّ: شاهدًا(٤).

ابنُ جريرٍ: حافظًا(٥).

---

(١) لم أقف على هذه العبارة عند أحد ممن تقدَّم المصنِّف، وقد ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١)، وعدَّها من العجائب، وذكرها في «البرهان في متشابه القرآن» (ص: ١٠٣)، وانظر: «تفسير النسفي» (١/ ٤٥١)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (١/ ١٨٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٠).

(٤) ذكره ابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٣٦٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وقتادة ومجاهد.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٨٦).

وهو مِن أسماءِ الله سبحانه.

وفي الآية حالٌ عن (الكتاب)، وقيل: عن النَّبيِّ عليه السَّلام.

وأصلُه (مُأيْمِنٌ)، قُلبَت همزتُه هاءً[١]؛ أي: عالٍ على سائرِ الكتب وحاكمٌ عليها.

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾؛ أي: في القرآنِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فتحكمْ بما حرَّفُوه وزعمُوا أنَّه من كتابِهم.

قيل: هي النَّاسخةُ للإعراضِ في قولِه[٢]: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[٣].

﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾؛ أي: مائلًا عنه.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾؛ أي: لكلِّ أمّةٍ.

و﴿مِنكُمْ﴾ خطابٌ لأمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام، وسائرُ الأممِ مندرجٌ معهم، كما يُغلَّبُ الخطاب.

وقيل: لكلِّكم[٤]، والمرادُ به: أمّةُ محمَّدٍ عليه السَّلام فحسب.

والشِّرعةُ: الشَّريعةُ، وهي الطَّريقةُ إلى الماء، وشُبِّهَ الدِّينُ بها لما[٥] فيه من الطَّريقِ إلى الحياةِ في الدِّين.

---

(١) فهو من (أمن) أو (يمن)، أما (همن) فليس بأصل مستعمل. انظر: «جمهرة اللغة» (٣/ ١٢٧٢)، و«الحجة» لأبي علي (١/ ٢٣٠)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٦/ ٦٣)، و«رسالة الملائكة» للمعري (ص: ٢٥٧).

(٢) في (و): «وقوله».

(٣) تقدَّم أنَّ هذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، وأنَّه قول أبي حنيفة وأصحابه. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٣٩٧-٣٩٨).

(٤) في (و): «كلكم».

(٥) في (و): «الدين بما فيه».

ابنُ عيسى: أصلُه: الظُّهور.

أبو عبيدةَ: هي من قولِهم: شرعْتُ له شريعةً؛ أي: فتحْتُ له بابًا، وجعلْتُ له مَسْلكًا[١].

﴿وَمِنْهَاجًا﴾ المنهاجُ: الطَّريقُ الواضح، تقولُ: نهجَ الأمرُ؛ أي: وضُحَ.

وقيل: الشَّريعةُ: المنهاجُ، وكرَّرَ لاختلافِ اللَّفظين.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: على دينٍ واحدٍ في جميعِ الأزمانِ في الأصولِ[٢] والفروعِ من غيرِ نسخٍ وتبديلٍ.

قيل: وجوابُ (لو) محذوفٌ؛ أي: لفعلَ.

وقيل: لو شاءَ لأجبرَكم على الإسلام.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: ليعاملكم معاملةَ الـمُختبرِ تعبَّدَ كلَّ أمّةٍ بما اقتضَتْه الحكمةُ في وقتِه.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بادرُوا إلى الطّاعاتِ وما أمرتُكم به قبلَ الموتِ والفواتِ[٣].

وقيل: كيلا يفوتَكم حظُّ السَّبْقِ والتَّقدُّم.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: مرجعُكم إليه بالموتِ والبعث، فيَظهَرُ المحقُّ من المبطل.

***

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ١٦٨): «شرعة؛ أي: سنة».

(٢) في (ن): «الأصل».

(٣) «والفوات» من (ن).

(٤٩) ـ ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ جماعةً من اليهودِ منهم كعبُ بنُ أُسيدٍ[1] وابنُ صُوريا وشاسُ بنُ قيسٍ، قال بعضُهم لبعض[2]: اذهبوا بنا إلى محمَّدٍ لعلَّنا نفتنُه عن دينِه، فأتَوه فقالوا: يا محمَّد، إنّا أحبارُ اليهودِ وأشرافُهم، فإنِ اتَّبعناك اتَّبعتنا اليهودُ ولم يخالفونا، وإنَّ بينَنا وبين قومِنا خصومةً نحاكمُهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمنُ بك ونصدِّقُك، فأبى ذلك رسولُ الله عليه السَّلام، فأنزلَ الله: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾[3]: يردُّوك فيصرفُوك.

﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ وهو ما دعَوه إليه واختلفوا فيه.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن حُكمِك ولم يرضَوا به، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾: إصابتَهم ﴿بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ في الدُّنيا بالسَّبي والقتلِ والجلاء.

وقيل: بجميعِ ذنوبِهم في القيامة[4].

---

(١) كذا في (ن)، وفي (و): «كعب بن الأشرف»، ولعل الصواب: كعب بن أسد، كما في مصادر التخريج.

(٢) «لبعض» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٤)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٨).

(٤) فـ(بعض) على هذا القول بمعنى: كل، وهو ما كان يذهب إليه أبو عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧٨).

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾: لخارجون عن أمرِ الله، يحتملُ الاتِّصالَ فيكونُ اليهود، ويحتملُ الاستئناف[1].

***

(٥٠) ـ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ عبدةِ الأصنامِ والمشركين.

وقيل: حُكمُ الجاهليّةِ: هو العفوُ[2] عن الأشرافِ وأخذُ الضُّعفاءِ به.

وقيل: حُكمُ الجاهليّةِ: تغييرُ حُكمِ الله.

﴿يَبْغُونَ﴾: يطلبُون.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾: شَرعًا ودِينًا حَكمَ بما هو خيرٌ لكم وإن لم تَعرفُوا وجهَه.

وقيل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾؛ أي: لا يُحابي ولا يَحيفُ.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: مَن أيقنَ بالله عَلِمَ ذلك.

وقيل: ﴿يُوقِنُونَ﴾: يؤمنون.

***

(٥١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ في سببِ النُّزول: قال عطيّةُ العوفيُّ: جاء عبادةُ بنُ الصّامتِ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ الله، إنَّ لي مواليَ من

---

(١) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٢٠٦).

(٢) في (و): «الحكم».

اليهود كثيرٌ عددُهم، حاضرٌ نصرُهم، وأنا أبرأُ إلى الله وإلى رسولِه من ولايةِ يهودَ، وأُوالي الله ورسولَه، فقال عبدُ الله بنُ أُبيٍّ: إنِّي رجلٌ أخافُ الدَّوائرَ ولا أبرأُ من ولايةِ اليهودِ، فقال رسولُ الله عليه السَّلام: «يا أبا الحُبابِ، ما بخلت به مِن ولايةِ اليهودِ على عبادةَ بنِ الصّامتِ فهو لكَ دونَه»، قال: قد قبلتُ، فأنزلَ الله فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[1].

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ عكرمةُ: نزلَت في أبي لُبابةَ[2].

ومعنى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: لا تعتمدُوا عليهم ولا تُطلِعُوهم على بواطنِ أمورِكم الدِّينيّةِ والدُّنيويّة.

وقيل: هو في بابِ الدِّينِ خاصّةً.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، وكلُّهم أعداءٌ لكم.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾؛ أي: والاهم في الدِّينِ، وكان معهم على المسلمين، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ في الدِّينِ، ومعهم في النّار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٠١)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٤)، وقد اقتصر ابن أبي شيبة على كلام عبادة بن الصامت رضي الله عنه دون كلام عبد الله بن أبي.

(٢) أبو لبابة هو: ابن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه، صحابي مختلف في اسمه، شهد العقبة، وسار مع النبي ﷺ إلى بدر، فردَّه إلى المدينة، واستخلفه عليها، شهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح، مات بعد مقتل عثمان في خلافة علي. ويقال: إنه عاش إلى ما بعد الخمسين. وذكر بعض المفسرين كما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٦): أن الآية نزلت في إعلامه بني قريظة أنَّ سعد بن معاذ سيحكم عليهم بالذبح، ولكن شعر بذنبه إذ فعل ذلك، فربط نفسه بسلسلة إلى سارية من المسجد، فكانت تحله ابنته لحاجة الإنسان وللصلاة، فبقي كذلك أياماً حتى تاب الله عليه. انظر: «أسد الغابة» (٦/ ٢٦٠)، و«الإصابة» (٧/ ٢٨٩).

(٥٢) - ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: عبدَ الله بنَ أُبيٍّ وأصحابَه(١).

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتِهم ومعاونتِهم على المسلمين.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: يخافُ أن تكونَ الدَّولةُ لليهود.

الزَّجّاجُ: يَخافُ أن لا يتمَّ أمرُ النَّبيِّ عليه السَّلام(٢).

والدَّوائرُ: جمعُ دائرةٍ، وهي حالةٌ تقعُ على خلافِ الأُولى.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنَّ ﴿عسى﴾ من اللهِ واجبٌ(٣)، المعنى: عسى الله أن يفتحَ مكّةَ ويُظهرَ الإسلامَ على سائر الأديان.

وقيل: بفتحِ بلادَ المشركينَ وبظفرِ المسلمين.

وقيل: ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾: بالفصلِ، من قوله: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: هو السَّبيُ والجلاء.

وقيل: يأمرُ النَّبيَّ عليه السَّلام بإظهارِ أمرِ المنافقين.

وقيل: إلزام الجزية.

---

(١) «وأصحابه» من (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨١).

(٣) هذا مروي عن ابن عباس، وقد تتابع على ذكره المفسرون كما تقدَّم، وذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦) فيه قولاً آخر، وهو: أنَّ (عسى) من الله واجب إلا في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥١)، و«تفسير الطبري» (١١/ ٦٥١)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٩٠٥).

﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مـن النِّفـاقِ والشِّـركِ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ في الدُّنيا والآخرة.

***

(٥٣) - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الرَّفعُ[1] على الاستئناف، ويقوِّيه حذفُ الواو، والنَّصبُ على العطفِ على المعنى، أو أن يُجعَلَ ﴿أَن يَأْتِىَ﴾ بدلًا من اسم الله[2].

والمعنى: يقول المؤمنون بعضُهم لبعضٍ عند ذلك: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أغلظَ الإيمان، و﴿جَهْدَ﴾ مصدرٌ[3] وقعَ موقعَ الحال[4].

﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: من المسلمين، وأعوانٌ على المخالفين.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي كانوا يعملونَها رياءً وسمعةً، لا إيمانًا وعقيدةً.

﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ إذا جاءَ الفتحُ والأمرُ، خسرُوا بفواتِ الدُّنيا والدِّين.

***

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بغير واو قبل الياء، والباقون بالواو، وقرأ أبو عمرو بنصب اللام، والباقون برفعها، ورُوي الرفع عن أبي عمرو أيضاً. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٢) ويكون التقدير عند ذلك: عسى أن يأتيَ الله بالفتح، ويقولَ الذين آمنوا. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٢)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٢٣١).

(٣) «مصدر» من (ن).

(٤) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٤٤٥).

(٥٤) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾؛ أي: مَن يرجعْ عن الإسلامِ إلى ما كان عليه منَ الكُفر.

و(ارتدَّ) لازمُ (ردَّه)، كـ(اغترَّ) لازم (غرَّه).

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ ﴾: فسيأتي قومٌ[1] ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾؛ أي: يحبُّهم اللهُ بإكرامِه إيّاهم وإدخالِهم الجنَّة، ويحبُّون الله بإيثارِهم طاعتَه واجتنابِهم معصيتَه.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ أي: هم للمؤمنينَ كالوالدِ لولدِه[2]، والعبدِ لسيِّدِه، من (الذِّلِّ) بالكسر، وهو سهولةُ الأخلاقِ ولِينُ الجانب[3].

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾: غِلاظٍ شِدادٍ كالسَّبُعِ على فريستِه، مِن (عَزَّه)؛ أي: غلَبه، والعَزازُ: الأرض الصُّلبةُ[4].

﴿يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: يقاتلون الكفّارَ في طلبِ رضاه.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ ملامةَ مَن يَلومُ من قريبٍ أو صديقٍ، فيتركُوا الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكر.

---

(١) في (ن): «بقوم».

(٢) في (و): «كالوالد على ولده».

(٣) فهو ضدُّ الصعوبة، أما الذُّل بالضَّمِّ فهو الاستكانة، وهو ضدُّ العزِّ، وقال الراغب: «الذُّلُّ: ما كان عن قهر... والذِّلُّ: ما كان بعد تَصعُّبٍ». انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٤٥)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٣٣٠).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة (ع ز ز) (١/ ٦٥)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٤٥).

واختلفُوا فيمَن نزلَت الآيةُ:

عليٌّ والحسنُ البصريُّ في جماعةٍ: نزلَت في أبي بكرٍ وأصحابِه رضي الله عنهم[١].

والسُّدِّيُّ: في الأنصار[٢].

ورُوِيَ مرفوعًا: أنَّهم قومُ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه[٣].

وذَكَرَ المفسِّرون أنَّ وفودَهم أَتَتْ في أيَّامِ عمرَ رضي الله عنه، وكان لهم في الإسلامِ أثرٌ حسنٌ[٤].

مجاهدٌ: في أهلِ اليمن[٥].

والأظهرُ القولُ الأوَّلُ[٦]؛..........................

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥١٨ ـ ٥٢١) عن علي رضي الله عنه والحسن والضحاك وقتادة وابن جريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٤)،

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) بعدة روايات، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٠) عن عياض الأشعري قال: لما نزلَت هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: أومأ رسول الله ﷺ إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال: «هم قومُ هذا». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٣)، وقوم أبي موسى من أهل اليمن في ذلك الزمان.

(٦) رجَّح الطبريُّ أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، وذكر كلامًا رائقًا يعدُّ تأصيلاً في مسألة الترجيح، فقال في «تفسيره» (٨/ ٥٢٤): «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما روي به الخبر عن رسول الله ﷺ أنهم أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري. ولولا الخبر الذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ... =

لأنَّ الارتدادَ وقعَ في زمانِه حين[1] ارتدَّت العربُ، والقصّةُ معروفةٌ.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الأوصاف، وقيل: إلى الجهادِ.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

***

(٥٥) ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في سببِ النُّزول: عن محمَّد بن مروان، عن محمَّد بن السّائب، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: أقبلَ عبد الله بن سلامٍ ومعه نفرٌ من قومه ممَّن قد آمنوا فقالوا: يا رسول الله، إنَّ منازلنا بعيدةٌ، وليس لنا مجلسٌ ولا مُتحدَّثٌ، وإنَّ[2] قومَنا لـمّا رأونا آمنّا بالله ورسولِه رفضونا وآلَوا على أنفسِهم ألّا يُجالِسونا ولا يُناكِحونا ولا يُؤاكِلونا، فشقَّ ذلك علينا، فقال لهم النَّبيُّ عليه السَّلام: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... الآية. ثمَّ إنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ خرج إلى المسجد والنّاسُ بين قائمٍ وراكعٍ، فنظرَ إلى سائلٍ فقال: «هل أعطاكَ أحدٌ شيئًا؟» قال: نعم، خاتمًا من ذهبٍ، وقيل: من فضّةٍ، قال: «مَن أعطاك؟» قال: ذلك

= ما كان القول عندي في ذلك إلا قول من قال: هم أبو بكر وأصحابه؛ وذلك أنه لم يقاتل قومًا كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله ﷺ ثم ارتدوا على أعقابهم كفارًا غيرُ أبي بكر ومن كان معه ممَّن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله ﷺ ولكنا تركنا القول في ذلك للخبر الذي رُوي فيه عن رسول الله ﷺ؛ أن كان ﷺ معدنَ البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآي كتابه...».

(١) في (و): «حتى».

(٢) في (و): «فإن».

الغلام، وأومَأ بيدِه إلى عليٍّ رضي الله عنه فقال: «على أيِّ[(١)] حالٍ أعطاك؟» قال: كان راكعًا، فكبَّر النَّبيُّ عليه السَّلام ثمَّ قرأ الآيتين[(٢)].

وقيل: نزلَت في عُبادةِ بنِ الصّامت.

والمعنى: ناصرُكم والذي يلي أمرَكم.

وقيل: مُحبُّكم الله ورسولُه والذين آمنوا ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾؛ أي: في الصَّلاة، وهو عليٌّ كرَّمَ الله وجهَه.

وقيل: هو لجميعِ المؤمنين، واللَّفظُ يُنبِئُ عن هذا لكونِه جمعًا.

وقيل: ﴿رَٰكِعُونَ﴾: خاضِعون.

وقيل: مُتنفِّلون، من قولِهم: هو يركَعُ؛ أي: يتنفَّلُ.

***

(٥٦) ـ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: اتَّخذَه وليًّا وتوكَّلَ عليه[(٣)].

وقيل: يتولَّى القيامَ بطاعتِه.

وقيل: يكونُ وليًّا لله ورسولِه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: جندَ الله وجُموعَه.

وقيل: الحزبُ: الوليُّ.

---

(١) في (و): «أي شيء».

(٢) رواه الشجري في «الأمالي الخميسية» (٦٨٠)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٦١).

(٣) في (ن): «وتوكل على الله».

وقيل: النّاصرُ.

واشتقاقُه من قولِهم: تحزَّبَ القومُ: اجتمعُوا. والحَزابِيَةُ: الحمارُ المجتمعُ الخَلقِ، والحَيزَبُونُ: العجوزُ[١]؛ لاجتماعِ الأخبارِ والأمورِ عندها.

﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: يقهرون أعداءَهم في الدُّنيا.

وتقديرُه: ومَن يتولَّ اللهَ فهو غالبٌ، ويحتمل أنَّه لـمّا كان الحزبُ والمتولِّي واحدًا جازَ حذفُ العائد.

***

(٥٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: كان رفاعةُ بنُ زيدٍ وسُويدُ[٢] بنُ الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجالٌ من المسلمين يُوادُّونهما، فأنزلَ الله هذه الآية[٣].

وقوله[٤]: ﴿وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ مَن نصبَ عطفَ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأوَّلِ[٥]، ومَن جرَّ فعلى الثّاني[٦].

---

(١) انظر: «الصحاح» مادة: (ح ز ب) (١/ ١٠٩).

(٢) في (و): «وزيد».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٣).

(٤) «وقوله»: ليست في (ن).

(٥) أي: الذين اتخذوا، وهو في موضع نصب مفعول به.

(٦) أي: الذين أوتوا، وهو في موضع جرٍّ بحرف الجرِّ، وقد قرأ أبو عمرو والكسائي (الكفار) بخفض الراء، والباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

والمعنى: لا تتَّخذُوا هؤلاء الذين يَستهزِئونَ بكم ويَسخَرونَ منكم أولياء.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركِ مُوالاتِهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بوعدِه ووعيدِه.

* * *

(٥٨) - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ قال الكلبيُّ: كان منادي رسولِ الله عليه السَّلام إذا نادى إلى الصَّلاة وقامَ المسلمون إليها، قالَت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قد صلُّوا لا صلُّوا، قد ركعوا لا ركعوا؛ استهزاءً وضَحكةً[١]، فأنزلَ الله هذه الآية[٢].

السُّدِّيُّ: نزلت في رجلٍ من النَّصارى[٣] بالمدينة كان إذا سمع المؤذِّنَ يقولُ: أشهدُ أنَّ[٤] محمَّدًا رسول الله، قال: أُحرِقَ الكاذبُ، فدخلَ خادمُه بنارٍ ذاتَ ليلةٍ وهو نائمٌ وأهلُه نيامٌ[٥]، فتطايرَ منها شررٌ[٦] في البيت، فأحرقَتِ البيتَ[٧]، واحترقَ[٨] هو وأهلُه[٩].

---

(١) في «تفسير الثعلبي» (١١/ ٣٩٩): «على طريق الاستهزاء، وضحكوا»، وفي «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٠): «على طريق الاستهزاء والضحك».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٣٩٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٠).

(٣) في (ن): «الأنصاري».

(٤) في (و) زيادة: «لا إله».

(٥) «وأهله نيام»: ليست في (ن).

(٦) في (و): «شرره».

(٧) «البيت»: ليست في (و).

(٨) في (و): «وأحرق».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٣).

وقيل: حسدُوا رسولَ الله ﷺ على الأذان.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الهزءَ واللعبَ لا يكونان من العقلاء، إنَّما ذلك من الجُهّال.

وقيل: ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فضلَ الأذانِ والصَّلاةِ عند الله.

***

(٥٩) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾؛ أي: تُنكِرون. وقيل: تكرهون. وقيل: تَسخطون.

تقولُ: نَقِمَ: أنكرَ ولم يرضَه، وانْتَقَمَ: كافأه.

﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾؛ أي: ولأنَّ أكثرَكم فاسقون نَقِمتُم إيمانَنا.

وقيل: نَقِمتُم إيمانَنا وفسقَكم؛ لأنَّكم عرفتُم أنَّكم مُبطِلون.

وقيل: تقديرُه: وبأنَّ أكثرَكم فاسقون، فهو عطفٌ على ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، والمعنى: تنكرون اعتقادَنا فسقكم.

ومعنى: ﴿أنّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجونَ عن أمرِ الله بإنكارِكم نبوّةَ محمَّدٍ عليه السَّلام.

***

(٦٠) ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ: إنَّ نفرًا من اليهود سألوا رسولَ الله ﷺ عمَّن يُؤمِنُ به من الأنبياء، فعدَّ فيهم المسيحَ، فقالوا: لا نُؤمِنُ به، وجحدُوا نبوَّتَه وقالوا: والله لا نعلمُ دينًا شرًّا من دينِكم، فأنزلَ الله تعالى هذه الآية[١].

ومعنى: ﴿أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: أخبرُكم بإنسانٍ شرٍّ من ذلك، ثم فُسِّر بـ(مَن).

وقيل: بفعلٍ شرٍّ من ذلك، ثمَّ أُضمِرَ في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فِعْلَ مَن لعنَه الله.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإيمانِ عند الزَّجّاجِ؛ أي: بِشَرٍّ من إيماننا ثوابًا[٢].

ابنُ بحرٍ: إن كانَ ما نحن فيه شرًّا عندكم، فشرٌّ منه ثوابًا ـ أي: عاقبةً ـ مَن لعنَه الله[٣].

وقيل: بشرٍّ من المؤمنين.

وقيل: بشرٍّ من النّاقمِ مع أنَّه فاسقٌ، هو ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾.

والـمَثوبةُ[٤]: الثَّوابُ، وزنُها مَفعُلة بالضَّمِّ، وقيل: أصلُها[٥] مَفْعُولةٌ.

ومعنى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَه الله[٦] مِن رَحمتِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٧)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٧).

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٣٩٠) بلا نسبة.

(٤) «والمثوبة» ليس في (و).

(٥) «أصلها» ليس في (و).

(٦) اسم الجلالة «الله» ليس في (و).

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾: عاقبه.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ﴾: خلَق منهم، وقيل: صَيَّر منهم ﴿ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾؛ أي: مسخ بعضَهم قردةً وبعضَهم خنازيرَ.

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الطّاغوتُ الذي عبدَه اليهودُ: العِجلُ.

ومَن قرأ ﴿عَبَدَ﴾ عطفَه على ﴿لَّعَنَهُ﴾، وفيه ضميرُ (مَن)، ومَن قرأ: ﴿عَبُدَ الطّاغوتِ﴾[1] فهو اسمٌ وُضِعَ للمبالغةِ يُرادُ به الكثرة ـ كيَقُظٍ[2] ونَدُسٍ[3] ـ أُضيفَ إلى ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ على وجوهٍ كثيرةٍ، وليس هذا موضعُ ذكرِها[4].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ منهم؛ أي: أسوأُ حالًا.

وقيل: مكانُهم من النّار.

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن قصدِ الطَّريق، واستُعمِلَ لفظُ التَّفضيل وليس في المؤمنين شرٌّ؛ لازدواجِ الكلامِ والمظاهرةِ في الحِجاجِ[5].

وقيل: أولئك هم وآباؤُهم شرٌّ مكانًا من هؤلاء الذين نقموا.

* * *

(١) قرأ حمزة وحده بضم الباء من (عبد)، وكسر التاء من (الطاغوت). انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٠)، و«النشر» (٢/ ٢٥٥).

(٢) يقال: رجلٌ يقُظٌ ويقِظٌ؛ أي: كثير التيقُّظ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٩)، و«تهذيب اللغة» مادة (ي ق ظ) (٩/ ٢٠٢).

(٣) يقال: رجلٌ نَدُسٌ ونَدِسٌ، إذا كان عالماً بالأخبار. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٩).

(٤) ذكر ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٩) فيه تسع عشرة قراءة.

(٥) انظر: «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ١٠٥)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٤٤٩).

(٦١) ـ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ نزلَت في المنافقين.

وقيل: في اليهود.

وقيل: في منافقي اليهود. وهذا أظهرُ.

والباءُ للحال؛ أي: دخلُوا كافرين وخرجُوا كافرين[1].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾؛ أي: بما[2] يُضمرونَه، فيجازيهم عليه.

وقيل: بما كانوا يكتمونَ من صفةِ محمَّدٍ عليه السَّلام ونَعتِه.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهودِ والمنافقين[3] ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: يُبادِرون كأنَّهم مُحقُّون.

﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾: الجرمِ والذَّنبِ.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظُّلمِ ومُجاوزةِ الحدِّ.

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الرُّشوة في الحُكم، وقيل: الرِّبا، وهو[4] مصدرٌ سُمِّيَ به.

---

(١) وقد دخلت (قد) على (خرجوا) لتقريب الماضي من الحال. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٣١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٦٥٣).

(٢) في (و): «ما».

(٣) في (و): «أو المنافقين».

(٤) أي: السُّحت، وفي كلام المصنف إشكال؛ فقد ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢٦٨) عن =

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بئسَ شيئًا عملوه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿لَوْلَا﴾: هلّا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾؛ أي: علماؤُهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾؛ أي: عن قولِهم ما يأثمونَ فيه.

﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾؛ أي: بئسَ شيئًا صُنعُهم.

وقيل: إنَّ (ما) فيهما للكفِّ[1] كما في (إنَّما)[2].

والصُّنعُ والعملُ واحدٌ، إلّا أنَّ الصُّنعَ يتضمَّنُ الجودةَ[3].

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانَت اليهودُ في سَعةٍ ونعمةٍ، فلمّا كذَّبوا محمَّدًا عليه السَّلام كفَّ اللهُ عنهم ما بسطَ عليهم، فقال فنحاصُ:

= نافع أنه قرأ (السَّحت)، وهذا هو المصدر، لكن السُّحت ليس مصدراً في الظاهر، وهو ما نصَّ عليه أبو علي في «الحجة» (٣/ ٢٢٢)، والله أعلم.

(١) في (و): «ما فيهما ما الكف».

(٢) ذكره الواحدي، وأكثر المعربين على ما ذهب إليه المصنف. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٩)، ولمكي (١/ ٢٣٥)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٤٩١).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٢٢)، و«تاج العروس» مادة (ص ن ع) (٢١/ ٣٦٣).

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[(١)]؛ أي: مقبوضةٌ ممسكةٌ عن الرِّزق؛ أي: عطاؤُه، نسبوه إلى البخل؛ كقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقيل: نسبوه إلى الفقر، كما سبقَ في (آل عمران).

وقيل: القائلُ فنحاصُ فحسبُ، لكنَّهم لـمّا لم ينهَوه ورضُوا[(٢)] بقولِه صاروا كالقائلين لهذا القول.

الحسنُ: معناه[(٣)] ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ عن عذابِنا، فليس يعذِّبُنا إلّا بما يبرُّ به قسمَه قَدْرَ ما عبدَ آباؤُنا العجلَ[(٤)].

وقيل: معناه: أيدُ الله مغلولةٌ[(٥)]؟ على الاستفهامِ؛ أي: حينَ قتَّرَ علينا.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاءٌ عليهم.

وقيل: خبرٌ، والمعنى: ضُربت عليهم المسكنةُ.

وقيل: أُجيبوا به ازدواجاً للكلام.

وقيل: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في النّار.

وقيل: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بالبخلِ؛ فلا يُرى يهوديٌّ إلا وهو بخيلٌ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ٤٢٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٧) بلفظ: «ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا». وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٥) عن عكرمة قال: «نزلَت في فنحاص اليهودي».

(٢) في (و): «القائل فنحاص ونسب إليهم رضوا».

(٣) «معناه»: ليس في (و).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٥١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢١٥).

(٥) من قوله: «عن عذابنا» إلى قوله: «أيد الله مغلولة» من (ن).

﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾؛ أي: طردَهم من رحمتِه بسببِ مَقالتِهم.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ قالوه على سبيلِ الهُزءِ؛ أي: إنَّ[١] إلهَ محمَّدٍ الذي أرسلَه مغلولةٌ يداه؛ أي: ليس يوسِّعُ عليه وعلى أصحابِه.

وزعمَ اليهودُ أنَّ ربَّهم أبيضَ الرَّأسِ واللِّحيةِ جالسٌ على كرسيٍّ[٢].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ابنُ جريرٍ: نعمتاه[٣].

وقيل: نعمةُ الدِّين والدُّنيا.

وقيل: نعمةُ الدُّنيا والعقبى.

وقيل: الملكُ والسُّلطان.

وقيل[٤]: أرادَ المبالغةَ فثنَّى، كما تقول: لبَّيك وسعديك وحنانيك.

---

(١) «إن» من (ن).

(٢) اليهود مجسمة في جملتهم، ولهم عقائد شنيعة في الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن قبح ظنِّهم وسوء معتقدهم، ولولا ما حكاه القرآن الكريم عنهم ما كنا نظنُّ أن فيمن يزعم أنَّه يؤمن بالله مَن يسيء به الظنَّ مثلهم، وانظر شيئاً من ذلك في «الفصل» لابن حزم (١/ ١١٠ و١٦٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٣١٣)، و«جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر» لرمضان مصطفى الدسوقي حسنين (ص: ١٢٦ ـ ١٢٩).

(٣) نقله الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٥ ـ ٥٥٧) عن بعض أهل الجدل، ونقل عن غيرهم أنَّ المراد باليد صفة خاصة لله سبحانه، ونقل عنهم إنكار كون اليد هنا تدلُّ على النعمة بدليل أنَّ اليد ثُنِّيت، والمثنَّى محصى، ونعم الله لا تُحصى، والطبري يرى صحة قول من قال: إن يد الله هي له صفة، فقد تظاهرت على ذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وقال به العلماء وأهل التأويل.

(٤) «وقيل» من (ن).

واليدُ: الجارحةُ والنِّعمةُ والقوّةُ والملكُ والسُّلطانُ[1]، وتحقيقُ الإضافةِ ومجيئُها في القرآنِ موحَّـدًا نحـو: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، و﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ومثنًّى نحو: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، و﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ومجموعًا نحو: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١] = دليلٌ قاطعٌ على أنَّها ليسَت بالجارحة، تعالى الله عن ذلك[2].

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: يوسِّعُ على مَن يشاءُ ويُضيِّقُ على مَن يشاء.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ يعني: علماءَهم ورؤساءَهم.

﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآنَ[3].

﴿طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ يحملُهم الحسدُ على الكفر بالقرآن، فيزدادوا كفرًا وغلوًّا.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يريدُ: بينَ اليهودِ؛ كقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

---

(١) «والسلطان» من (ن).

(٢) انظر: «الفقه الأكبر» المنسوب لأبي حنيفة (ص: ١٥٩)، و«الإبانة» للأشعري (ص: ٢٢)، و«مقالات الإسلاميين» له (١/ ٢٢٦)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٥١) و(٩/ ٢٩٨)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (٣/ ١٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٤٢٥) و(٢٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٤)، و«تفسير السمعاني» (٢/ ٥١)، و«الفصل» لابن حزم (٢/ ١٢٧)، و«شرح عقائد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٣/ ٤٨٠)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ١٥٨)، و«غرائب التفسير» للمصنف (٢/ ١١١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٣٨ ـ ١٤٠)، و«عمدة القاري» للعيني (٢٥/ ١١٩).

(٣) وهو فاعل الفعل (يزيدن)، و(كثيراً) مفعول أول، و(طغياناً) ثانٍ؛ فالقرآن يزيد علماءهم كفراً بسبب حسدهم النبيَّ ﷺ. انظر: «إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/ ٢٣٥)، و«الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمذاني (٢/ ٤٦٧).

الحسنُ: بين اليهودِ والنَّصارى[١].

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: كلَّما أرادوا حربَ محمَّدٍ عليه السّلام ردَّهم الله[٢].

الزَّجّاجُ: هذا مَثَلٌ؛ أي: كلَّما جمعُوا للنَّبيِّ عليه السَّلام للحربِ فرَّقَ الله جمعَهم وأفسدَ ذاتَ بينِهم[٣].

قتادةُ[٤] وابنُ جريرٍ: حكمَ الله بإذلالِهم عقوبةً لهم، فلا يُنصَرون على كلِّ مَن يحاربونه إلى يومِ القيامة[٥].

﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا﴾ في دفعِ الإسلامِ وإنكارِ نبوّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

وقيل: بالظُّلمِ وركوبِ المعاصي.

وقيل: بسفكِ الدِّماءِ واستحلالِ المحارم[٦].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: لا يُجازيهم خيرًا.

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٥٢)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٦٣).

(٢) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٩٠).

(٤) «قتادة و» من (ن).

(٥) قال الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٩): «كلما جمع أمرهم على شيء فاستقام واستوى فأرادوا مناهضة من ناوأهم شتته الله عليهم وأفسده؛ لسوء فعالهم وخبث نياتهم»، وروى نحوه (٨/ ٥٦٠) عن قتادة.

(٦) في (ن): «الحرام».

(٦٥) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: بمحمَّدٍ عليه السَّلام، ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ المعاصيَ، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: لم نُعاقبْهم عليها.

﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: حَكمْنا لهم بالدُّخولِ فيها.

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾؛ أي: عملوا بما فيهما من الأحكامِ من غيرِ تبديلٍ وتحريفٍ، ولم يُنكِروا صفةَ محمَّدٍ عليه السَّلام ونعتَه.

وقيل: أقاموهما نصبَ أعينِهم بالعمل بما فيهما.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: آمنوا بالقرآنِ المنزَّلِ إليهم وإلى غيرِهم.

﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾ يريدُ: المطرَ، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ يريدُ: النَّباتَ؛ أي: لوسَّعنا عليهم الرِّزق، وكانوا قد أصابهم جدبٌ.

وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: ثمرةُ الأشجار، ومن تحتهم: الزَّرعُ.

وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: ما يأتيهم من كُبرائِهم، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: ما يأتيهم من العامّة.

وقيل: هو كقولِهم: فلانٌ في خيرٍ[1] من قَرنِه إلى قدمِه.

---

(١) في (و): «الخير». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٥).

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ وهم الذين آمنُوا بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

والاقتصادُ: الاستواءُ في العملِ من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ.

وقيل: هم الذين آمنُوا بعيسى[١] عليه السَّلام من اليهود، وقالوا: إنَّه عبدُ اللهِ ورسولُه، ولم يتَّخذوه ربًّا، ولم يَنسبُوه إلى غيرِ رَشدةٍ[٢]؛ لأنَّهم تفرَّقوا ثلاثَ فِرَقٍ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هم كفَّارٌ.

***

(٦٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن الحسنِ قال: إنَّ رسولَ الله عليه السَّلام قال: «لـمّا بعثَني اللهُ برسالتِه، ضِقْتُ به[٣] ذَرعًا، وعرفْتُ أنَّ مِن النَّاسَ مَنْ يُكذِّبُني»، وكان النَّبيُّ عليه السَّلام يَهابُ قريشًا واليهودَ والنَّصارى، فأنزلَ الله هذه الآية[٤].

---

(١) في (و): «بمحمد».

(٢) أي: لم يتَّهموا أمه مريم العذراء بالزِّنى، ويُقال: رَشدة، ورِشدة. انظر: «تاج العروس» مادة (ر ش د) (٨/ ٩٦).

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وهو على معنى: ضقت بالبعث والتكليف ذرعاً، وفي مصادر التخريج: «بها».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٣٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٠٢).
وروى نحوه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤٤٣)، ومن طريقه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «إن الله أرسلني برسالة، فضقت بها ذرعًا، وعلمت أن الناس مكذبي، فأوعدني أن أبلغها أو يعذبني».
وروى نحوه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٧٦)، والحميدي في «مسنده» (٩٠٧) عن أبي =

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام سهرَ ذاتَ ليلةٍ، فقلْتُ: ما شأنُكَ؟ قال: «ألا رجلٌ صالحٌ يحرسُني اللَّيلةَ» قالت: فبينما نحن في ذلك سمعتُ صوتَ السِّلاحِ، فقال: «مَن هذا؟» قال: سعدٌ وحذيفةُ، جئنا نحرسُكَ، فنامَ رسولُ الله عليه السَّلام حتى سمعْتُ غطيطَه، فنزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله عليه السَّلام رأسَه من قبّةِ أَدَمٍ وقال: «انصرفُوا أيُّها النّاسُ؛ فقد عصمَني الله»(١).

عكرمةُ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان أبو طالبٍ يرسلُ مع النَّبيِّ عليه السَّلام رجلًا من بني هاشمٍ يحرسُه حتى نزلَت هذه الآية، فقال: «يا عمّاه، إنَّ الله قد عصمَني من الجنِّ والإنس»(٢).

محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ: إنَّ أعرابيًّا همَّ بقتلِ النَّبيِّ عليه السَّلام، فسقط السَّيفُ من يده، فجعل يضربُ برأسِه شجرةً حتَّى انتثرَت(٣) دماغُه، فنزلَت هذه الآية(٤).

= الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه قال في حديث: «أتتني رسالة من ربي، فضقت بها ذرعًا، ورأيت أن الناس سيكذبونني، فقيل لي: لتفعلن أو ليفعلن بك».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٣٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٢).
وروى البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٧٢٣١) أوَّلَ الحديث، وليس فيه سبب النزول، وروى الترمذي (٣٠٤٦) عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرَس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله». وقال الترمذي: «حديث غريب».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧): «رواه الطبراني، وفيه النضر بن عبد الرحمن، وهو ضعيف»، وهذا الحديث يقتضي أن الآية مكية، ولذلك قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٣٩): «غريب، والصحيح أن الآية مدنية».

(٣) في (ن): «انتثرت».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٧٠).

ومعنى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: دُمْ عليه وواظبْ، وبلِّغْ عشيرتَك الأقربين، وبلِّغ المشركين وأهلَ الكتابِ وكافةَ النّاسِ ولا تَهَبْهُم، وبلِّغ ما أُنزلَ إليك كلَّه.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾؛ أي: هذا التَّبليغ، وقصَّرتَ في تبليغِ بعضِه أو بعضِهم[1]؛ شفقًا وحذرًا من الرَّدِّ.

﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ لأنَّ تركَ إبلاغِ بعضِه محبِطٌ لإبلاغِ ما بلَّغت.

وقيل: الدَّعوةُ بمنزلةِ الصَّلاة إذا نقصَ ركنٌ من أركانها، بطلَ الجميعُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يحرسُكَ ويحفظُكَ من أن ينالوك بقتلٍ أو قهرٍ.

وقيل: يعصمُك من بين النّاس عن الذُّنوب، وكلُّ نبيٍّ معصومٌ عن الكبائر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: لا يُمكِّنهم ممّا يُريدون.

***

(٦٨) ـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: على حجّةٍ وحقٍّ.

وقيل: على شيءٍ من الدِّين.

وقيل: على شيءٍ ينفعُكم ويُنجيكم.

﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾؛ أي: تؤمنوا بمحمَّدٍ عليه السَّلام؛ فإنَّكم قد أُمرتم به فيهما.

---

(١) أي: بعض ما أُنزل إليك، أو بعض مَن أُمرتَ بتبليغهم.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: القرآن.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ سبقَ.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: إذا فعلْتَ ما أُمِرْتَ به من التَّبليغِ، فلا تحزن عليهم.

تقولُ: أَسِيَ يَأْسَى أسًى، فهو آسٍ وأَسٍ وأَسْيانٌ وأَسْوانٌ.

* * *

(٦٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سبقَ تفسيرُ الآية.

وقولُه: ﴿الصّابئون﴾ رفعٌ عند الكسائيِّ بالعطفِ على ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]، وقال: إنَّ عملَ (إنَّ) ضعيفٌ، فجازَ العطفُ عليه بالرَّفع[2].

الفرّاءُ قال: إذا لم يَستبنْ في اسم (إنَّ) الإعرابُ، جازَ العطفُ عليه بالرَّفع[3].

وعن الكسائيِّ أيضًا: أنَّه عطفٌ على المضمر في ﴿هَادُوا﴾؛ أي: هادوا هم والصّابئون[4].

---

(١) (آمنوا) ليس في (و).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١١).

(٣) من قوله: «الفراء قال» إلى قوله: «عليه بالرفع» من (ن). وانظر قول الفراء في: «معاني القرآن» له (١/ ٣١١).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١٢)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٩٤)، وضعَّفه من وجهين.

وهذه الوجوه غيرُ مرضيّةٍ عند البصريِّين، ووجهُه عند سيبويهِ أنَّه رفعٌ بالابتداء، وخبرُه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾(١)، وخبر (إنَّ) مقدَّرٌ دلَّ(٢) عليه ما بعده(٣)، كقول الشّاعر:

نَحْنُ بِما عِنْدَنا، وأَنْتَ بِما عِنْدَكَ راضٍ، والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ(٤)

أي: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ(٥).

وقيل: خبرُ (إنَّ): ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، وخبرُ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مقدَّرٌ، كقول الشّاعر:

فمَن يكُ أمسى بالمدينةِ رحلُهُ فإني وَقَيّارٌ بها لغريبُ(٦)

أي: فإنِّي لغريبٌ، وقيّارٌ كذلك، ودلَّ اللّامُ على أنَّه خبرُ (إنَّ).

ويحتمل أنَّ معناه(٧): نعم، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء.

---

(١) «بالله» من (ن).

(٢) «دل» من (ن).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٥٦)، وفيه: «وأما قوله عز وجل: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتدأ على قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بعدما مضى الخبر»، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢١٩): «مذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة: أنه من المقدَّم الذي معناه التأخير، وهو المراد به، كأنه قال: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى».

(٤) البيت مختلف في نسبته؛ فهو لعمرو بن امرئ القيس في «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٥٣٠)، و«البيان والتبيين» (٣/ ٦٩)، ولقيس بن الخطيم في «الكتاب» (١/ ٧٥)، ولمرار الأسدي في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣)، و«زاد المسير» (٣/ ٥٠١).

(٥) «وأنت بما عندك راض» ليس في (ن).

(٦) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي في «الكتاب» (١/ ٧٥)، و«الأصمعيات» (ص: ١٨٤)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢/ ٣٩٤)، و«الكامل» (١/ ٢٥٣)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٠٠).

(٧) أي: معنى (إنَّ)، وقد قال بذلك سيبويه والأخفش والمبرد، وأنكره أبو عبيدة. انظر: «الكتاب» =

ويحتمل أيضًا أنَّه[1] ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ أي: أنَّ الأمرَ والشَّأن[2]، وسيأتي هذا في قوله: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣].

***

(٧٠) - ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾.

﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ﴾؛ أي: كلَّ حينٍ جاءَهم فيه ﴿رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ﴾: تحبُّ وترضى ﴿أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ﴾ محمَّدًا وعيسى عليهما السَّلام ﴿وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ يحيى وزكريّا عليهما السَّلام.

وقيل: ﴿فَرِيقٗا[3] كَذَّبُواْ﴾: اليهودُ والنَّصارى ﴿وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾: اليهودُ وحدَها؛ لأنَّ النَّصارى لم تقتل نبيًّا.

وقوله: ﴿يَقۡتُلُونَ﴾؛ أي: قتلوا، وجاء بلفظ المستقبل لِرَوِيِّ الآية.

***

(٧١) - ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾؛ أي: لا يكون شركٌ في قَتْلِهم الأنبياءَ وتكذيبِهم إيّاهم.

= لسيبويه (٣/ ١٥١)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٢)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٣٩٨).

(١) أي: خبر (إن).

(٢) «أي: أن الأمر والشأن» من (ن).

(٣) «فريقًا» من (ن).

وقيل: معناه: أنَّ تكذيبَهم إيّاهم وقتلَهم لا يجلبُ إليهم العذاب.

﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾؛ أي: عَمُوا عن الدَّلائل والهُدى، وصمُّوا عن استماعِ الحقِّ.

الزَّجّاجُ: أي: لم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا، فصاروا كالعُمي والصُّمِّ[1].

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: تابوا وأفلحُوا.

وقيل: ثمَّ[2] تابَ الله عليهم بإرسالِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: آمنَ بعضُهم وكفرَ كثيرٌ منهم.

و﴿كَثِيرٞ﴾ بدلٌ عن الواو، بدلُ البعضِ من الكلِّ.

وقيل: هم كثيرٌ منهم[3].

وقيل: هو على لغة: (أكلوني البراغيث)[4].

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيَهم على وَفْقَ أعمالهم.

ويُستعمَل بعد باب ظننْتُ (أن) المخفَّفة والمحقَّقة؛ فمَن نصب فهي المخفَّفة، ومَن رفع فهي المحقَّقة خُفِّفت، وتقديره: أنَّه لا يكون[5].

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٩٥).

(٢) «ثم» من (ن).

(٣) أي: يكون خبر مبتدأ محذوف. انظر: «إعراب القرآن» للأصبهاني (ص: ١٠٣).

(٤) في هامش (ن): «تقديره: عموا كثير، وهو فاعل (عموا)، ولا يجوز ذلك؛ لأنك لا تقول: جاؤوا القومُ، وهو مثل: أكلوني البراغيث». وانظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٧٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ١٧٢).

(٥) المخفَّفة هنا هي التي تنصب المضارع، والمحقَّقة هي الداخلة على الجملة الإسمية. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٠٦).

(٧٢) ـ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: غيرَ الله.

﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: منعَها منه.

﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾: مرجعُه.

﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾.

***

(٧٣) ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾؛ أي: ثالثَ ثلاثةِ آلهةٍ.

﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وهو الله سبحانه.

وإنَّما كرَّرَ الآيةَ لاختلاف أقوالهم، ولأنَّ اليعقوبيّةَ من النَّصارى ـ لعنهم الله تعالى ـ زعموا أنَّ الله تعالى ربَّما تجلَّى في بعض الأزمان[1] في شخصٍ، فتجلَّى يومئذٍ في شخصِ عيسى، فظهرَت منه الآياتُ والمعجزات، والملكانيَّةَ قالوا: إنَّ الله

(١) في (ن): «المواطن».

اسمٌ يجمعُ أبًا وابنًا وروحَ القدس؛ اختلفَ بالأقانيم، والذّاتُ واحدةٌ، فأخبرَ الله أنَّ كِلا[١] الفريقين كافران[٢].

* * *

(٧٤) ـ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ بالإيمانِ بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ عن كفرِهم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن آمَنَ واستغفرَ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾: بشرٌ أكرمَه اللهُ برسالتِه وأيَّده بمعجزاتِه.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾؛ أي: مَن مضى مِن الرَّسلِ كان بهذه الصِّفة[٣].

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدَّقَت بكلماتِ ربِّها.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾؛ أي: كانا محتاجين إلى الطَّعام كسائر الحيوان.

---

(١) في (ن): «المواطن».

(٢) تقدَّم الكلام على الفرقتين وقولهما، وانظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧ و٣٠)، و«الخطط والاعتبار» للمقريزي (٢/ ٢٧).

(٣) زاد هنا في (و): «فلم اتخذتموه إلهًا»، وستأتي بعد قليل في مكانها الصحيح في (ن).

وقيل: هو كنايةٌ عن الحدث(١).

أي: مَن كان بهذه الصِّفة لا يصلحُ للرُّبوبيّة، فَلِمَ اتخذتموه إلهًا؟!

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ على كونِ عيسى عليه السَّلام عبدًا مخلوقًا.

﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن التَّأمُّل فيها والتَّدبُّر.

وأصلُ الكلمة: الصَّرف، أَفكَهُ: صَرَفَه وقلبَه، والإفكُ: الكذبُ، والمؤتفكات من هذا(٢).

* * *

(٧٦) - ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ قيل: هو متَّصلٌ بما قبله، والمرادُ به: عيسى عليه السَّلام، و(ما) بمعنى: (مَن).

وقيل: استئنافٌ واعتراضٌ، والمرادُ به: الأصنامُ.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائِكم الأصنامَ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمجازاتِكم.

* * *

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٨)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٤).

(٧٧) ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ الغُلوُّ: مجاوزةُ الحدِّ، وغلوُّ اليهودِ قولُهم فيه: إنَّه ساحرٌ كذَّابٌ، وإنَّه لغيرِ رَشدةٍ، وغلوُّ النَّصارى اتِّخاذُهم إيّاه إلهًا.

وقولُه: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ يجوزُ أن يكون معناه: غيرَ مُحقِّين[1].

وقيل: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾: إلّا الحقَّ، فيجوز الغلوُّ فيه[2].

وقيل: تقديرُه: ولا تقولوا غيرَ الحقِّ[3].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: أسلافَهم.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: أتباعَهم.

﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ قيل: هو تبيانٌ للأوَّل؛ أي: ضلالُهم عن قصدِ السَّبيل، وهو الإسلامُ وطريقُ الجنَّة، لا عن شيءٍ آخر.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿وَضَلُّوا﴾ يعودُ إلى قوله: ﴿كَثِيرًا﴾.

وقيل: يريدُ: ضلُّوا مِن قبلُ وضلُّوا مِن بعدُ.

---

(١) ذكر هذا الوجه الواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٨٧)، والعكبري في «التبيان» (١/ ٤٥٤).

(٢) ذكر هذا الوجه الواحدي أيضاً في «البسيط» (٧/ ٤٨٧)، واستبعده أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣٣٥).

(٣) ففي الآية على هذا التقدير حذف، والمعنى: لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله غير الحق. انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٧٠٠)، و«إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٣٠٢). وقد اختار الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٦٦): أنَّه صفة للمصدر، والتقدير: غلواً غير الحق، ووافقه العكبري وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣٣٥).

(٧٨) ـ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾؛ أي: لعنَهم الله في الزَّبور والإنجيل، وأبعدَهم عن خيرِه ورحمتِه.

والأصحُّ أنَّ المرادَ باللَّعنِ[1] هاهنا: المسخُ؛ فإنَّ اليهودَ مُسِخَتْ قردةً في زمان داود لاعتدائهم في[2] السَّبت، ومُسِخَتْ خنازير في زمان عيسى لـمّا كفروا بعدَ إنزال المائدة.

الكلبيُّ: لـمّا اعتدوا في السَّبت قال داودُ عليه السَّلام: اللَّهمَّ ليلبسوا اللَّعنة مثل الرِّداءِ ومثل منطقة الحقوين، اللَّهمَّ اجعلهم آيةً ومثلًا لخلقِك؛ فأصبحوا قردةً[3].

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اللَّعن ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾؛ أي: بعصيانِهم اللهَ ورسولَه، واعتدائِهم ما حُرِّمَ عليهم من الصَّيدِ في السَّبت.

***

(٧٩) ـ ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾: لا ينهى هذا ذاك ولا ذاك هذا.

والمنكرُ: صيدُ الحيتانِ في السَّبت.

---

(١) في (و): «بالكفر».

(٢) «في» من (ن).

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي، وذكر نحوه مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٤٩٦)، وذكر نحوه بلا نسبة: الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٥١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٩٠).

وقيل: أخذُ الرِّشا وأكلُ الرِّبا.

وقيل: هو قولُهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: هذا ذمٌّ لصنيعِهم.

***

(٨٠) - ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: من اليهود والنَّصارى.

الحسنُ: من اليهود خاصّةً[1].

﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يُوالون المشركين بُغضًا لرسول الله عليه السَّلام والمؤمنين وتوهينًا لأمورِهم.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: بئسَ شيئًا قدَّموا ليَرِدُوا عليه يومَ القيامة سخطُ الله والخلودُ في النّار.

وقيل: بئسَ شيئًا ذلك؛ لأنَّ كسبَهم السّخطُ[2] والخلودُ في النّار.

***

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٥٣)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٩١)، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٧٤) إلى مقاتل في آخرين، ونسب للحسن القول بأن الآية في المنافقين.

(٢) في (و): «السخطة».

(٨١) - ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ ﴾؛ أي: نبيِّهم.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني: كتابَهم[1].

﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن دينِهم؛ فليس لهم دينٌ البتَّةَ.

وقيل: نزلَت في منافقي اليهود، ﴿وَٱلنَّبِىِّ﴾: محمَّد عليه السَّلام، و﴿ما أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾: القرآن.

***

(٨٢) - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعيد بن المسيَّب وعروةَ بنِ الزُّبير وغيرهما قالوا: بعث رسولُ الله عليه السَّلام عَمرَو بنَ أميَّةَ الضَّمريَّ وكتبَ معه إلى النَّجاشيِّ، فقَدِمَ على النَّجاشيِّ، وقرأ كتاب رسول الله عليه السَّلام، ثم دعا جعفرَ بنَ أبي طالبٍ والمهاجرين معه، وأرسل إلى الرُّهبان والقسِّيسين فجمعَهم، ثم أمر جعفرًا أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم جعفرٌ (سورةَ مريم)، فآمنوا بالقرآن، وفاضت أعينُهم من الدَّمع، وهم الذين أنزلَ فيهم:

---

(١) في (و): «نبيهم».

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾... إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[١].

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: بعث النَّجاشيُّ إلى رسول الله عليه السَّلام من خِيارِ أصحابه ثلاثين رجلًا، فقرأ عليهم (سورةَ يس)، فبكوا فنزلَت فيهم هذه[٢] الآية[٣].

والمعنى: لَتَعلَمَنَّ اليهودَ والمشركين أشدَّ النّاسِ عداوةً للمؤمنين، ولَتعلمنَّ النَّصارى أقربَ النّاسِ مودّةً للمؤمنين؛ لأنَّ اليهودَ قاسيةُ القلوب.

وقيل: يريدُ به: اليهودَ الذين كانوا بالمدينة حين قدمِها النَّبيُّ عليه السَّلام، وأمّا النَّصارى فالمرادُ: المسلمون منهم؛ لأنَّهم الذين آمنوا حين سمعوا القرآن.

الزَّجّاجُ: أوَّلُ الآية في جميع النَّصارى؛ لأنَّهم أقلُّ مظاهرةً للمشركين من اليهود، وآخرُها في المؤمنين منهم[٤].

ثم ذكرَ سببَ ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ القَسُّ والقِسِّيسُ: اسمُ الكبيرِ الزّاهدِ العالمِ منهم، وجمعُ تكسيرِه القساسيس[٥] من حيث القياسُ، ومن حيثُ السَّماعُ: القساوسة بالواو، حكاه الأزهريُّ في «تهذيب اللّغة»[٦]،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٣).

(٢) «هذه» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٤)، واللفظ له.

(٤) هذا معنى قوله. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٠٠).

(٥) في (و): «القساوسة».

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٢١٣ ـ ٢١٤) مادة (ق س س)، وفيه: وقال الفراء في كتاب «الجمع والتثنية»: يجمع القسيس قسيسين، كما قال الله جل وعز، ولو جمعته قسوسًا كان صوابًا؛ لأنهما في معنى واحد؛ يعني: القس والقسيس. قال: ويجمع القسيس قساوسة؛ جمعوه على مثال مهالبة، =

وأنشد فيه بيتًا[1].

والقَسُّ في اللُّغة: نشرُ الحديثِ والنَّميمة.

والرُّهبانُ: جمعُ راهبٍ، وهو الذي يرهَبُ الله؛ أي: يخافُه.

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يتعظَّمون ولا يأنفون من اتِّباعِ محمَّدٍ عليه السَّلام والإيمانِ به وبما جاءَ به.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾: تمتلئُ عيونُهم دموعًا، فتسيلُ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾: من القرآنِ وصفةِ محمَّدٍ عليه السَّلام والبشارةِ به في كتابِهم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلام، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ أي: اجعلنا مع الذين شهدوا أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

وقيل: اكتبنا في اللَّوحِ المحفوظِ معهم.

وقيل: أثبتنا معهم.

= فكثرت السينات، فأبدلوا إحداهن واواً، وربما شُدِّد الجمع، ولم يُشدَّد واحده، وقد جمعت العرب الأتون أتاتين، وأنشد لأمية:

لو كان مُنفِلتٌ كانَت قساوسةٌ ... يُحيِيهمُ الله في أيديهم الزُّبُرُ

وظاهر ما حكاه الأزهري أن قياس جمعه هو قساسسة؛ بثلاث سينات، والله أعلم.

(١) من قوله: «من حيث القياس» إلى قوله «وأنشد فيه بيتًا» من (ن).

ثم إنَّ قومَهم عنَّفوهم على إيمانِهم[1]، فأجابوا بقولهم:

(٨٤) ـ ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾.

وقيل: كأنَّ سائلًا سألَهم.

والمعنى: لأيِّ شيءٍ نمتنعُ عن الإيمان بالله[2] ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: محمَّدًا والقرآنَ ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ الجنَّةَ ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياءِ والمؤمنين؟

* * *

(٨٥) ـ ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: المؤمنين؛ أي: بقولِهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ واعتقادِهم ذلك.

* * *

(٨٦) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ يعني[3]: اليهودَ والمشركين ومَن لم يؤمن من النَّصارى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

---

(١) في (و): «إيجابهم».

(٢) «بالله» من (ن).

(٣) في (و): «ذلك يعني».

(٨٧) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام جلسَ يومًا فذكَّرَ النّاسَ ووصفَ القيامة، ولم يزدهم على التَّخويف، فرقَّ النّاسُ وبكَوا، فاجتمعَ عشرةٌ من الصَّحابةِ في بيت عثمانَ بنِ مظعون الجمحيِّ، واتَّفقوا على أن يصوموا النَّهار ويقوموا اللَّيل، ولا يناموا على الفُرُش، ولا يأكلوا اللَّحمَ ولا الوَدَكَ[1]، ولا يقربوا النِّساءَ والطِّيبَ، ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدُّنيا، ويَسيحوا في الأرض، ويترهَّبوا، ويجبُّوا المذاكير، فبلغ ذلك رسولَ الله عليه السَّلام فقال[2]: «ألم أُنبأْ أنَّكم اتَّفقتم على كذا وكذا؟!» قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردْنا إلّا الخير، فقال: «إنِّي لم أُؤْمرْ بذلك، إنَّ لأنفسِكم عليكم حقًّا، فصومُوا وأفطرُوا، وقومُوا ونامُوا؛ فإنِّي أقومُ وأنامُ، وأصومُ وأفطرُ، وآكلُ اللَّحمَ والدَّسَمَ، ومَن رغبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي»، ثمَّ جمعَ النّاس وخطبَهم فقال: «ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النِّساءَ والطَّعامَ والطِّيبَ والنَّومَ وشهواتِ الدُّنيا، أما إنِّي لست آمرُكم أن تكونوا قسِّيسينَ ورهبانًا؛ فإنَّه ليس[3] في ديني تركُ اللَّحمِ والنِّساءِ ولا اتِّخاذُ الصَّوامع، وإنَّ سياحةَ أمَّتي الصَّوم، ورهبانيَّتَهم الجهاد، اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وحجُّوا، واعتمُروا، وأقيموا الصَّلاة، وآتوا الزَّكاة، وصُوموا شهرَ رمضان، فإنَّما أُهلِكَ مَنْ كانَ قبلَكم بالتَّشدُّد، شَدَّدوا[4] على أنفسِهم، فشدَّد الله عليهم، فأولئكَ بقاياهم في

---

(١) الودك: دسم اللحم والشحم، وهو ما يتحلب من ذلك. انظر: «المصباح المنير» مادة (و د ك) (٢/ ٦٥٣).

(٢) «فقال» من (ن).

(٣) في (و): «فليس».

(٤) في (و): «فشددوا».

الدَّيراتِ والصَّوامع»، فأنزلَ الله هذه الآية، فقالوا: يا رسولَ الله، فكيف نصنعُ بأيمانِنا التي حلفنا عليها، وكانوا حلفُوا على ما عليه اتَّفقوا، فأنزلَ الله هذه الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥][1].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا أتى رسولَ الله عليه السَّلام فقال: إنِّي[2] إذا أكلتُ اللَّحمَ انتشرْتُ[3] إلى النِّساء، وإنِّي حرَّمتُ عليَّ اللَّحم، فنزلَت: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟﴾[4]؛ أي: لا تمتنعُوا من أكلِ اللَّذيذاتِ من الأطعمة والأشربة، ولا مِن التَّمتُّعِ بالملابس والنِّساء والجواري باليمين والنَّذر.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾: ولا تجاوزوا الحدَّ الذي حُدَّ[5] عليكم في تحريمٍ ولا تحليلٍ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

***

(٨٨) ـ ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: مُستلَذًّا، وتمتَّعوا به.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: ولا تُجرُوا ما أحلَّ اللهُ مجرى ما حرَّمَه الله.

***

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ٤٦٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٠٩) عن السدي، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٥٤): «وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة، ولها شاهد في الصحيحين».

(٢) «إني» من (ن).

(٣) في (و): «أكلت استثرت».

(٤) رواه الترمذي (٣٠٥٤)، وقال: «حسن غريب».

(٥) في (و): «ولا تجاوزا ما حرم».

(٨٩) ـ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: هو ما يَبدو من المرءِ من غيرِ قصدٍ بالقلبِ، وقد سبقَ في (البقرة).

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ بالقلبِ واللِّسان.

و(ما) يجوزُ أن تكونَ للمصدر؛ أي: بعقدكم، ويجوزُ أن تكونَ الموصولة؛ أي: عاقدتم عليه ثم حذف[1].

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾؛ أي: فالذي يسترُ إثمَه ويَذهبُ به ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الزَّجّاجُ: الأوسطُ: الأعدلُ[2].

وقيل: الخيارُ.

ومعنى الأوسطِ: في القيمة، وقيل: في الشِّبَع.

وهو الخبزُ والإدامُ، وقيل: الخبزُ واللَّحم.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الأوسطُ في المقدار على قدرِ العُسرِ واليُسر[3].

---

(١) أي: حذف الضمير العائد إلى اسم الموصول، كما بيَّن أبو علي الفارسي في «الحجة» (٣/ ٢٥٣)، وفي (ن) زيادة: «وحذف».

(٢) «الأعدل» ليس في (ن). انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٣)، وروى ابن ماجه (٢١٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾».

وقيل: يُطعمُ كلَّ واحدٍ نصفَ صاعٍ من بُرٍّ، أو صاعًا من تمرٍ أو شعيرٍ وغيرِهما من الحبوبِ التي يَقتاتُ أهلُ البلد.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ يريدُ: ثوبًا.

وقيل: ثوبين؛ إزارًا ورداءً.

وقيل: عباءةً يلتحفُ بها، أو عمامةً يشدُّ بها رأسَه.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ يريد: إعتاقَ إنسانٍ، وخصَّ الرَّقبةَ بالذِّكرِ لأنَّ المملوكَ مشبَّهٌ بالأسيرِ المشدودِ رقبته، وإعتاقُه كإطلاقِه.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أيَّ واحدٍ من الثَّلاثةِ المذكورة.

وقيل: مَن لم يجد قوتَه وقوتَ مَن يَقوتُه.

وقيل: مئتي درهمٍ.

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: فكفَّارتُه صيامُ ثلاثةِ أيّام.

وفي مصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (متتابعات)[1].

﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ يريدُ: إذا حلفتُم وحَنثتُم.

﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾؛ أي: لا تحلفُوا أصلًا.

وقيل: احفظوها عن الحنثِ وتركِ الكفّارة.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٨)، و«تفسير عبد الرزاق» (٧٢٨)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٦٥٢). وذكر ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ١٦٥): أنها كذلك في مصحف أبي بن كعب، وقد تقدم أن أمثال هذا من باب التفسير والبيان، وأنَّ القراءة بذلك شاذة، فمن قرأ بذلك في القرآن وجبت عليه الإعادة، كما قال ابن أبي داود، وانظر ما قاله الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٤٢٥).

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كمثلِ ذلك[١] كفّارةُ اليمين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٢].

وقيل: كبيانِ الأحكامِ التي مضت في أوّلِ السّورة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

* * *

(٩٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ عمرَ رضي الله عنه قال: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزلَ الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فقُرِئَت على عمرَ رضي الله عنه فقال رضي الله عنه: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلَت: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فقُرِئَت على عمرَ فقال: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلَت هذه الآية، فقُرِئَت على عمرَ[٣] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمرُ رضي الله عنه: انتهينا انتهينا[٤].

وقيل: نزلَت في حمزةَ بنِ عبدِ المطَّلب لـمّا قعدَ شاربًا مع جماعةٍ وعندهم قَيْنةٌ كانت تغنِّيهم فجاعت، وكانت عند حمزة شارفان[٥] لعليٍّ أعدَّهما لزفافِ فاطمة، فبعثَتْه القَيْنةُ على نحرهما بأبياتٍ غنَّته بها، فنحرَهما وكان سكران،

---

(١) في (و): «كذا» بدل «كمثل ذلك».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨١).

(٣) «فقرئت على عمر» من (ن).

(٤) رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠).

(٥) الشارف: الناقة المسنة الكبيرة. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ش ر ف) (٢/ ٧٢٩)، و«جامع الأصول» (٥/ ١١٤).

فأُخْبِرَ النَّبِيُّ عليه السَّلام بذلك، فشقَّ عليه ذلك، فأُنزِلَت هذه الآية[١].

وقيل: في سعدِ بن أبي وقّاصٍ[٢].

وأكثرُ المفسِّرين على أنَّ المحرِّمةَ هذه الآية.

والخمرُ: عصيرُ العنبِ بعدما اشتدَّ فصارَ مسكرًا.

والميسرُ: القمارُ كلُّه، وقد سبقَ في (البقرة) بيانُه.

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: أصنامٌ كانَت تُنصَب للعبادة.

وقيل: كانت تُنصَبُ فيَنصَبُّ عليها دمُ القرابين.

﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿رِجْسٌ﴾: قذرٌ ونجسٌ.

وقيل: حرامٌ.

وقيل[٣]: ﴿رِجْسٌ﴾: رجزٌ، وفيه بُعدٌ[٤].

---

(١) هذه الفقرة مختصرة في (ن)، فقد جاء بدلها: «نزلَت في حمزةَ وشارفي علي رضي الله عنهما». وأصل الحديث رواه البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٧٤٨) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، وفيه: «أنه نزلت فيه آيات من القرآن... قال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمرًا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش ـ والحش البستان ـ فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم. فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأنزلَ الله عز وجل فيَّ ـ يعني: نفسه ـ شأن الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾».

(٣) «وقيل» ليس في (ن).

(٤) أي: في هذا الموضع، وقد استغرب المصنِّف تفسير الرجز بالنتن في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥)، =

﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: هو الذي دعا إلى عملِه بتزيينِه.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: اجتنبوا الشَّيطان.

ابنُ الأنباريِّ: اجتنبوا ما ذكرنا[1].

ويحتملُ ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾؛ أي: الرِّجس.

* * *

(٩١) - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ بما يجري فيهما من المشاتمةِ والمغابنةِ.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حالةَ السُّكر والقَمْر.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: انتهوا.

* * *

= وقد رُويَ تفسير الرجس بالرجز عن ابن عباس وابن زيد، وذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٦)، وذكر ابن قتيبة «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٥٩): أنَّ الرجز العذاب، والرجس النتن، وذكر السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ٢٤٦) أنهما يأتيان بمعنى العذاب، وينفرد الرجس بمعنى القذر، وقد قُرئ بهما في الأنفال، كما سيأتي.

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٨٢) عن ابن الأنباري، ولفظه: «فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرجس، والرجس واقع على الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه».

(٩٢) ـ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ مخالفته.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ذلك، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: ليس عليه إلّا التّبليغ، وإلى الله التّوفيق والخذلان.

***

(٩٣) ـ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ عن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه قال: ماتَ ناسٌ من أصحاب رسول الله عليه السَّلام وهم كانوا يشربون الخمر[١]، فلمّا حُرِّمت قال أناسٌ: كيف بأصحابِنا ماتوا وهم يشربونَها؟ فنزلَت هذه الآية[٢].

والمعنى: ليس على المؤمنين الصّالحين ﴿جُنَاحٌ﴾: إثمٌ ﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾؛ أي: شربُوا من الخمرِ وأكلُوا من الميسرِ قبلَ تحريمِها ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ الشِّركَ ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ باللهِ ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ الخمرَ والميسرَ بعد التَّحريم[٣] ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ بتحريمِه ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ سائرَ المحرَّمات ﴿وَّأَحْسَنُوا۟﴾ إلى النّاسِ وإلى أنفسِهم[٤].

---

(١) «الخمر» من (ن).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥٠)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) من قوله: «وآمنوا بالله» إلى قوله: «بعد التحريم» من (ن).

(٤) قال الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٤٢٧): «إن قيل: لم شرط رفع الجناح عن تناول المطعومات بشرط الإيمان والتقوى مع أن المعلوم أن من لم يؤمن ومن لم يتق ثم تناول شيئًا من المباحات فإنه لا جناح عليه في ذلك التناول، بل عليه جناح في ترك الإيمان وفي ترك التقوى، إلا أن ذلك لا تعلق =

وقيل: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ المحرَّماتِ قبلَ تحريمِ الخمر، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ الخمرَ بعد التَّحريم، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ ما عسى يُحرَّم.

ابنُ عيسى: الأوَّلُ عملُ الاتِّقاء، والثّاني دوامُ الاتِّقاء، والثّالث ضمُّ الإحسانِ إلى الاتِّقاء[1].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

***

(٩٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾: يعاملكم الله مُعاملةَ المُبتلي المُختبرِ ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ يريدُ: حَمامَ مكّةَ والحرمِ وفراخَها ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾ من السُّقوفِ والكُوى وفروعِ الأشجار.

﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ إذا بَعُدَ، وفاتَ اليدَ.

= له بتناول ذلك المباح، فذكر هذا الشرط في هذا المعرض غير جائز.

قلنا: ليس هذا للاشتراط، بل لبيان أن أولئك الأقوام الذين نزلت فيهم هذه الآية على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدًا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان، ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل جناح، وقد علمت أن ذلك الأمر مباح؟ فتقول: ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمناً محسناً، تريد: أن زيداً إن بقي مؤمناً محسناً فإنه غير مؤاخذ بما فعل».

(١) لم أقف على قول ابن عيسى، وقد ذكر المصنِّف وجوهاً أخرى لتكرار (اتقوا) في الآية في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٧) فقال: «في تكرارها أقوال:

أحدها: (اتقوا) فيما مضى... (ثم اتقوا) للحال، (ثم اتقوا) في المستقبل.

وقيل: (اتقوا) الكفر، (ثم اتقوا) المعاصي، (ثم اتقوا) داموا على التقوى.

العجيب: (اتقوا) الشرك، (ثم اتقوا) الكبائر، (ثم اتقوا) الصغائر».

مجاهدٌ: كانُوا بالحديبية، فجعلت الوحوشُ تغشى رحالَهم[١] كثرةً[٢].

وقيل: هو صيدُ الحرمِ كائنًا ما كان من بيضِ النَّعامِ وفراخِه وسائرِ الوحشِ حتَّى الجراد.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ﴾ علمَ مشاهدةٍ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ غائبًا عنه.

وقيل: غائبًا عن المؤمنين، فلا يصيدُه سرًّا كما لا يصيدُه جهرًا.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الظَّاهرُ أنَّه يعودُ إلى الابتلاء؛ لأنَّ التَّقديرَ: ليبلونَّكم الله بتحريمِ شيءٍ من الصَّيد.

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: فصادَ، فله عذابٌ أليمٌ[٣].

قيل: في الآخرة.

وقيل: في الدُّنيا بالضَّربِ والتَّأديب.

* * *

(٩٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ يريد: صيدَ الحَرَمِ وغيرَه.

و(حُرُمٌ): جمعُ حرامٍ[٤].

---

(١) في (و): «وجوههم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) عن مقاتل بن حيان، وذكر الماوردي نحوه عن الكلبي في «النكت والعيون» (٢/ ٦٦).

(٣) «أليم» من (ن).

(٤) في (ن): «إحرام».

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: ذاكِرًا إحرامَه[١].

وقيل: يتعمَّدُ القتلَ وينسى الإحرام.

﴿فَجَزَآءٌ﴾؛ أي: فعليه جزاءٌ.

﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾: يُماثِلُ ما قتلَ[٢] ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾.

صفةُ الجزاء[٣]، ومَن أضافَ فـ﴿مِثْلِ﴾ زيادةٌ.

والنَّعَمُ: الإبلُ والبقرُ والشّاة.

الزَّجّاجُ: والظِّباء أيضًا نَعَمٌ.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: عدلان مُسلِمان.

﴿هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾: يُساقُ إلى مكّةَ[٤]، فيُذبَحُ ويُفرَّقُ على الفقراء والمساكين.

والمثلُ في الصُّورةِ والخِلْقة.

وقيل: في القيمة.

وقيل: ما وُجِدَ له مثلٌ في الصُّورة فمِثْلُه صورةً، وما لم يُوجَد له مثلٌ في الصُّورة فمثلُه في القيمة[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٥) بلفظ: «إن قتله متعمداً أو ناسيًا أو خطأ حكم عليه فإن كان متعمدًا عُجِّلت له العقوبة إلا أن يعفو الله عنه».

(٢) «يماثل ما قتل» من (ن).

(٣) أي: كلمة (مثلُ) على قراءة مَن رفعها صفة (جزاءٌ)، وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: (فجزاءُ) مضمومة مضافة وبخفض (مثلِ)، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ منونة مرفوعة ورفع ﴿مِّثْلُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٤) في (و): «كعبة».

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في المراد بالمِثل وتفصيلها في «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (٢/ ٢٠٧-٢١٠).

والكعبةُ: اسمٌ لبيت الله الحرام، وسُمِّي كعبةً لكونها مربَّعًا، وقيل[1]: لنتوئِه وتكعُّبِه.

وقيل: كلُّ بيتٍ منفردٍ فهو كعبةٌ.

﴿أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ﴾ يقوِّمُ العدلان الهديَ بالمكان الذي أصابَه فيه، فيشتري بالثَّمن الطَّعام، ويقسمُ على مساكين مكّة.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾؛ أي: ما ساواه من الصَّوم، فيصومُ عن كلِّ صاعٍ يومًا.

وقيل: عن نصفِ صاعٍ.

وقيل: عن مدٍّ يومًا.

والعَدلُ بالفتح: ما ساوى شيئًا من غيرِ جنسِه، وبالكسر: من جِنسِه[2].

﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾: لينالَ الثِّقلَ الشَّديدَ على مخالفتِه أمرَ الله تعالى، والوبيلُ[3]: الثَّقيل، وسُمِّيت خشبةُ القصّار: وبيلًا مِن هذا.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾؛ أي: عمّا مضى من قتلِ الصَّيدِ في الحرم والإحرام قبل التَّحريم.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾؛ أي: إلى القتل بعد التَّحريم.

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾؛ أي: فعليه الكفّارةُ والإثمُ.

وقيل: عليه الكفّارةُ فحسب، وهي الانتقامُ.

وقيل: عليه الإثمُ فحسب.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لمن جاوزَ أمرَه.

---

(١) «كعبةً لكونها مربعًا، وقيل» من (ن).

(٢) انظر: «الصحاح» مادة (ع د ل) (٥/ ١٧٦١).

(٣) في (و): «والوبل».

(٩٦) - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: صيدُ الماء، والصَّيدُ المصدرُ، والصَّيدُ: المصيد.

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما نضبَ عنه الماء.

وقيل: ﴿طَعَامِهِۦ﴾: كلُّ ما فيه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾: الطَّريُّ[1]، و﴿طَعَامِهِۦ﴾: المملوحُ[2].

وقيل: ﴿طَعَامِهِۦ﴾: أكلُه[3].

وقيل: ﴿طَعَامِهِۦ﴾: ما سُقِيَ من ماء البحر.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾: منفعةً لكم.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين.

وقيل: المسافرين في البحر.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾؛ أي: في إحرامِكم.

والصَّيدُ: الفعلُ هاهنا، وجازَ تناولُ ما صادَه غيرُه حلالًا[4].

وقيل: هو المصيدُ أيضًا.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٨)، واستغربه.

(٤) «حلالًا» من (ن).

(٩٧) ـ ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾؛ أي: خلق ونصب.

﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بدلٌ منها.

﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: مصلحةً وبقاءً لأبدانِهم، فيكون (النّاسُ) أهلَ مكّةَ والبادية.

وقيل: مصلحةً لأديان النّاس، فيكون (النّاسُ) عامًّا[1].

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ سبقَ تفسيرُها.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يعلمُ مصالحَ ما في السَّماوات وما في الأرض.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: علمَ مصالحَهم فيما فعل.

والقِيامُ: الثّباتُ والاستقرار.

ومَن قرأ: ﴿قِيَمًا﴾[2] فهو مصدرٌ كالشِّبَع، ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾، والمفعولُ الثّاني محذوفٌ[3]، وهو ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾.

***

---

(١) «فيكون الناس عامًّا» ليس في (ن).

(٢) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وفي العبارة إشكال، ولعل فيها سقطاً؛ فالمفعول الثاني مذكور، لكنه محذوف الألف على قراءة ابن عامر، والله أعلم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٣)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٤٦٣).

(٩٨) ـ ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إنَّما قدَّمَ ذِكرَ العقوبة تخويفًا وتحريضًا على التَّوبةِ والإقلاع عن الذُّنوب[١].

* * *

(٩٩) ـ ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾.

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾؛ أي: لم نأمره إلّا بتبليغِ ما حُمِّلَ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ فلا يخفى عليه نِفاقٌ ولا وِفاقٌ.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ الحسنُ: الحلالُ والحرام[٢].

ابنُ جريرٍ: الكافرُ والمؤمن[٣].

---

(١) في (و): «عنها».

(٢) في (و): «الحلال وما تكتمون». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٧٠)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٥٤١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٢)، وفيه: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي ولو أعجبك كثرة الخبيث يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم؛ لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا». ثم روى عن السدي قال: «الخبيث: هم المشركون، والطيب: هم المؤمنون».

وقيل: أهلُ الطّاعةِ وأهلُ المعصية؛ أي: لا يستويان[1] في المنزلة والمكان.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾؛ أي: أعجبتك كثرتُهم؛ فإنَّها إلى نقصٍ وزوالٍ.

﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

***

(١٠١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ في سببِ نزولِها قولان:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا يسألون النَّبيَّ عليه السَّلام عن أشياءَ لا يَعنِيهم علمُها إعناتًا واستهزاءً وامتحانًا، وأنَّ رسول الله عليه السَّلام كان يخطبُ ذاتَ يومٍ غضبان من كثرة ما كانوا يسألونه، فقال في أثناء كلامِه: «لا تسألوني[2] عن شيءٍ إلّا أجبتكم عليه ما دمْتُ في مقامي هذا»، فقام رجلٌ يُقالُ له: عبدُ الله من بني سَهْمٍ[3]، فسألَه عن أبيه، وكان يُتنازَع فيه، فقال: «حذافةُ بنُ قيسٍ» وكان يُدعَى بغيره، وقامَ آخرُ يُطعَنُ في نسبِه فقال: مَن أبي؟ فقال: «جثامة» وكان يُعرَف بغيره[4].

---

(١) في (و): «لا يستوي».

(٢) في (ن): «لا تسألونني».

(٣) في (و): «عبد الله بن سلام».

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٢) مختصرًا بإبهام السائل، وجاء مصرحًا به في حديث أنس رضي الله عنه في البخاري (٦٣٦٢)، ومسلم (٢٣٥٩). ولم أقف على تسمية أبي السائل الثاني جثامة، وقد ذكر مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٠٨) أنَّه سماه سعداً، وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٤٥) وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣٨٠) أنه سماه سالم مولى أبي شيبة.

ويُروى: فقال: أين أنا؟ فقال: «في النّار»[(١)].

ويُروى: فقال: أين أبي؟ فقال: «في النّار»[(٢)].

فرجعَ إلى أمِّه وحدَّثَها بما جرى فقالَت: صدقَ[(٣)].

وكانَت في الجاهليّةِ مُناكَحاتٌ نسخَها الإسلام.

وذهب جماعةٌ إلى أنّه لـمّا نزلَت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] سألَ سُراقةُ بنُ مالكٍ فقال: أفي كلِّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكتَ رسولُ الله ﷺ[(٤)]، فسألَه فسكتَ[(٥)] مرّاتٍ، حتّى قال في الرّابعة: «لا، ولو قلتُ: نعم، لوجَبَ»، فأنزلَ الله تعالى هذه الآية[(٦)].

---

(١) «فقال: في النار» من (ن). ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٠٨)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٦٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٥١٤)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٥٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٤٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وفي رواية مسلم (٢٣٥٩) في حديث أنس رضي الله عنه السابق: «قال ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قالت أم عبد الله بن حذافة، لعبد الله بن حذافة: ما سمعت بابن قط أعق منك؟ أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية، فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبد الله بن حذافة: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته».

(٤) «فسكت رسول الله ﷺ» من (ن).

(٥) «فسكت» ليس في (ن).

(٦) رواه مسلم (١٣٣٧) دون ذكر سبب نزول الآية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، =

وفي بعض الرّوايات: فاشتدَّ غضبُ رسول الله عليه السَّلام، فجثا عمرُ رضي الله عنه على رُكبَتيه فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، إنّا يا رسول الله حديثو عهدٍ بجاهليّةٍ وشِركٍ، فاعفُ عنّا عفا الله عنك. فسكنَ غضبُه، وقال عليه السلام: «لقد صُوِّرَتْ لي الجنّةُ والنّارُ آنفًا في عرضِ هذا الحائط، فلم أرَ كاليومِ في الخيرِ والشَّرِّ»(١).

والمعنى: لا تسألوا عن أشياءَ كالسّائلِ عن أبيه.

﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾: إنْ يخبرْكم النَّبيُّ عليه السَّلام ﴿تَسُؤْكُمْ﴾: تغمُّكم.

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾: يخبركم.

وقيل: معناه: إن لم تبتدؤوا بالسُّؤال عن التَّحريم والتَّحليل وتوقَّعتم بيانه حتّى ينزلَ القرآنُ، كان أصلَحَ لكم.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ قيل: فيه تقديمٌ، والمعنى: لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها؛ أي: تجاوزَ عن الذَّنبِ الواقعِ بسببِها.

= فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». ورواه الترمذي (٣٠٥٥)، وابن ماجه (٢٨٨٤) عن علي رضي الله عنه بذكر سبب نزول الآية، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(١) روى نحوه البخاري (٦٣٦٢)، ومسلم (٢٣٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة، فغضب فصعد المنبر، فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم» فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، فإذا كل رجل لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «حذافة»، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إنه صورت لي الجنّة والنار، حتى رأيتهما وراء الحائط» وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾».

وقيل: خفَّفَ[1] بها عنكم، فلَمْ يتعبَّدْكم فيها.

وقيل: هو واقعٌ موقعَه، وتقديرُه: عفا الله عمّا سألتُم فلا تسألُوا بعدَها.

ابنُ عيسى: يجوزُ أن تعودَ الهاء[2] في ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ إلى ﴿أَشْيَآءَ﴾، فيكون حقُّه التَّقديم[3]، ويجوزُ أن تعودَ إلى المسألة فهو في موقعِه.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

و(أشياء): جمعُ شيءٍ.

قال الخليل: اسم موضوعٍ لجمع شيءٍ، وليس جاريًا عليه، قال: ولم يُصرَّف؛ لأنَّه على وزنِ فَعْلاء، وأصلُه: شَيْئَاء، فقُدِّمَ الهمزة الأولى استثقالًا للجمع بين الهمزتين، فصار (أشْيَاء)، ووزنُها (لَفْعاء)[4].

قال الأخفش: وزنُها أفْعِلاء كـ: هَيْنٍ وأهْوِناء، فحُذِفَ إحدى الياءين.

وقال الكسائيُّ: وزنها أفعالٌ، لكنَّها لا تَنصَرفُ تشبيهًا بـ(حمراءَ).

وهذا ضعيفٌ يُبطلُه أسماءٌ وأبناءٌ.

وقولُ الأخفش يُضعِّفُه التَّصغيرُ حيثُ تقول: أُشَيَّاء، وعلى قياس قوله يجب أن يُصغَّرَ شُيَيِّئَاتٍ كصُدَيِّقاتٍ في تصغير أصْدِقاء[5].

---

(١) في (و): «يخفف».

(٢) في (ن): «يجوز أن يكون الهاء عائدًا».

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٤٤٥) دون نسبة، ثم قال: «وهذا ضعيف؛ لأن الكلام إذا استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير إلى التقديم والتأخير».

(٤) انظر: «العين» (٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(٥) أي: إذا كان المراد بها المؤنث، كما في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٢).

وقولُ الخليلِ قولُ سيبويهِ وجميعِ البصريِّين(١).

***

(١٠٢) - ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قيل: سأل مثلَها، فحذفَ المضافَ.

وقيل: سأل عنها، وحذفَ الجارَّ.

وقيل: (سألها) و(سأل عنها) بمعنًى.

قيل: هو سؤالُهم المائدة.

وقيل: يعني: ثمودًا حين سألوا صالحًا النّاقةَ.

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾؛ أي: بسببِها حيثُ لم يأتمروا بما سألوا.

***

(١٠٣) - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ هذه أسماءٌ وضعها عَمرو بن لُحيٍّ على أنواع من النَّعَمِ يأتي ذكرُها إن شاء الله.

---

(١) وإلى قول الأخفش مال الزيادي والفراء والكوفيون. انظر أقوال الخليل وسيبويه والأخفش والكسائي والفراء والزيادي والبصريين والكوفيين في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٣)، و«تهذيب اللغة» (١١/ ٣٠١)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٥٤٦)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين» للأنباري (٢/ ٦٧٠)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٩): «ولا يصح من هذه الوجوه إلا قول سيبويه والخليل».

وذكر المفسِّرون أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله عليه السَّلام يقولُ لأكثمَ بنِ جونٍ الخزاعيِّ: «يا أكثمُ، رأيتُ[١] عمرَو بنَ لحيٍّ بن قمعةَ بنِ خندفٍ يجرُّ قصبَه في النّار، يُؤذِي برائحتِها[٢] أهلَ النّار، فما رأيتُ من رجلٍ أشبهَ بك منه، ولا أشبهَ به منك» فقال أكثمُ: أيضرُّني شبهُه؟ قال: «لا؛ لأنَّكَ مؤمنٌ وهو كافرٌ، وإنَّه أوَّلُ مَن غيَّرَ دِينَ إسماعيلَ ونصبَ الأوثانَ وسيَّبَ السّائبة»[٣].

واختلفَ المفسِّرون في البَحيرة:

فقال أبو عبيدةَ: هي النّاقةُ إذا نتجَت خمسةَ أبطنٍ، فإن كان آخرُها ذكرًا شقُّوا أذنَ النّاقة وخلُّوا سبيلَها، فلا تُركَبُ ولا تُحلَبُ[٤].

قتادةُ: هي النّاقةُ إذا نتجَت خمسة أبطنٍ نُظِرَ في الخامس، فإذا كان[٥] ذكرًا ذبحوه وأكلوه، وإن كانت أنثى شقّوا أذن الأنثى وقالوا: هذه بحيرةٌ فلم تُركَب ولم تُحلَب[٦].

وقيل: هي النّاقةُ إذا ولدَت خمسةَ أبطنٍ إناثًا بُحِرَتْ أُذنها[٧].

---

(١) في (ن): «ورأيت».

(٢) في (ن): «بريحها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٧ و٣١)، وروى بعضه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٨٠٠) من حديث جابر رضي الله عنه، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٨٨) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٨٠)، وقد ذكره عن بعضهم، وذكر غيره.

(٥) من قوله: «آخرها ذكرًا شقوًا» إلى قوله: «الخامس فإذا كان» من (ن).

(٦) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٥، ٣٧)، وفيه أنه إن كان الخامس ذكراً تذبح ويأكل منها الرجال دون النساء.

(٧) «أذنها» ليس في (ن).

وقال محمَّد بن إسحاق قولًا يجمع بيان البحيرة والسّائبة قال: السّائبةُ: النّاقةُ إذا تابعَت بين عشر إناثٍ ليس فيهنَّ ذكرٌ، سُيِّبَتْ فلم يُركَب ظهرُها ولم يُجزَّ وبرُها، ولم يَشرَبْ لبنَها إلّا ضيفٌ، وما نتجَت بعد ذلك من أنثى شُقَّ أذنُها، وخُلِّي سبيلُها مع أمِّها في الإبل؛ فلم تُركَب ولم تُحلَب كما فُعِلَ بأمِّها، فهي البحيرةُ بنتُ السّائبة[1].

واشتقاقُها من (بحرتَ)؛ أي: شققتَ، ومنه البحر.

أبو عبيدةَ: السّائبةُ: النّاقةُ يُسيِّبُها الرَّجلُ في مرضِه أو عند قدومه من سفرِه[2].

وقيل: هو البعيرُ تَنجَحُ عليه الحاجةُ فيُسيَّبُ.

وقيل: هو ما كانوا يُسيِّبونه من المال والعبيد والإماء وغيرِها للأصنامِ وخُدّامِها.

واشتقاقُه من (سيَّبْتُ الشَّيء): أهملتُه وخلَّيتُه، والسّائبة: المسيَّبة.

والوصيلةُ: من الشّاءِ خاصّةً، فإنَّها إذا نتجَت[3] أربعةَ أبطنٍ ثمّ ولدت الخامس؛ ذكرًا أو أنثى، قيل: قد وصلَتْ أخاها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا يحكمون بذلك في البطن السّابع[4].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٨٩)، ووافق ابنُ هشام ابنَ إسحاق في البحيرة وخالفه في غيرها، فقال: «وهذا كله عند العرب على غير هذا إلا الحامي...»، ثم ذكر في السائبة نحو قول أبي عبيدة الآتي.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٨٠).

(٣) في (ن): «ولدت».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٢).

ابنُ إسحاق: إذا أتأمَتِ[١] الشّاةُ عشرًا[٢] إناثًا متتابعاتٍ في خمسةِ أبطنٍ ليس بينهنَّ ذكرٌ[٣].

والحام: قال أبو عبيدةَ: إذا ضربَ في إبلِ الرَّجلِ عشرَ سنين، قيل: حمى ظهرَه، فلا يُنتفَعُ بظهره[٤].

وقيل: إذا نتجَ من صُلبِه عشرةُ أبطنٍ.

وقيل: إذا ركبَ ولدُ ولدِه.

والمعنى: ما أمرَ الله بشيءٍ من ذلك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في نسبتِهم هذا التَّحريمَ إليه.

﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ الحلالَ منَ الحرام.

وقيل: أكثرُهم لا يعقلونَ؛ لأنَّهم التّابعون، والـمُفترون هم المتبوعون.

* * *

---

(١) أتأمت: وضعت اثنين في بطن واحد. انظر: «الصحاح» مادة (ت أ م) (٥/ ١٨٧٦).

(٢) في (ن): «عشرة».

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٧٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٨٩)، وخالف ابن هشام ابن إسحاق في الوصيلة فقال: «والوصيلة: التي تلد أمها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور منها، فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن، فيقولون: وصلت أخاها. فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به».

(٤) ذكر أبو عبيدة في (الحام) قولين؛ الأول: أنه جملٌ ضرب من ولد البحيرة، والثاني: أنه ما نتجوا منه عشرة أبطن، وما ذكره المصنف في تفسير (الحام) منقول عن الإمام الشافعي. انظر: «الأم» للشافعي (٤/ ٨٣)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٧٧ ـ ١٧٩).

(١٠٤) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾؛ أي: قالوا: إنَّ آباءنا كانوا عقلاءَ ذوي بصائر، فنحن نَدينُ بما دانوا به، فقال الله:

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: في النّاس علماء وسفهاء، فما يُؤمِنُكم أنْ يكونَ آباؤكم الذين غيَّروا دينَ الله سفهاءَ، فتتَّبعونهم على جهالةٍ؟!

فدلَّت الآيةُ على وجوبِ النَّظر والتَّدبُّر وبطلانِ التَّقليد.

***

(١٠٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: احفظوها.

وهي[١] نصبٌ على الإغراء[٢].

الدِّمياطيُّ: أي: ليعظ بعضُكم بعضًا وليعلِّمْه ما يقرِّبُه من الله ويبعدُه من الشَّيطان[٣].

---

(١) أي: كلمة (أنفسكم).

(٢) أي: نصب بفعل مضمر يدلُّ على الإغراء، ومنه النصب بأسماء الأفعال المنقولة. انظر: «العين» (٨/ ٧٠)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٧)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ٢٦٨)، و«علل النحو» لابن الوراق (ص: ٣٥٦)، و«توضيح المقاصد» للمرادي (٣/ ١١٥٧).

(٣) ذكر هذا القول الواحدي في «البسيط» (٧/ ٥٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء عنه.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من الكفَّارِ وأهلِ الكتابِ ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: آمنتُم وأمرتُم بالمعروفِ ونهيتُم عن المنكر؛ فإنَّه من شرطِ الاهتداء.

ورُويَ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّكم تقرؤون هذه الآيةَ وتَضعونها غيرَ موضعِها، وإنِّي سمعْتُ رسول الله عليه السَّلام يقول: «إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالمَ فلم يَأخذُوا على يدَيْهِ يوشِكُ أنْ يَعمَّهُمْ [الله] بالعقابِ[1]»[2].

وقيل: هو إذا أمرَ بالمعروف[3] فلم يُطَع.

ابنُ جريرٍ: هو في آخرِ الزَّمانِ إذا لم ينفع الأمرُ بالمعروف[4].

وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ يجوزُ أن يكونَ رفعًا على الاستئناف، ويجوزُ أن يكونَ جزمًا بالجواب، ويجوز أن يكون نهيًا[5].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: رجوعُكم ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: لا يأخذُ أحدًا بذنبِ غيرِه.

***

---

(١) في (و): «بالعذاب».

(٢) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) «بالمعروف» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٣)، وقد رواه بمعناه عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم.

(٥) في هامش (ن): «إذا جعلت ﴿يَضُرُّكُم﴾ مجزومًا فحركته ضمة؛ لأنه لالتقاء الساكنين، وهو من البناء، وإذا جعلت نهيًا فهو أيضًا حركة ضم؛ لموافقة الضاد»، وهذا كلُّه على قراءة ﴿يَضُرُّكُم﴾، وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (يضِرْكم) بكسر الضاد وجزم الراء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٨ و٢٨٤)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(١٠٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّ هذه الآيات نزلَت في ثلاثةِ نفرٍ من التُّجّارِ خرجوا من المدينة إلى الشّام، وهم: تميم بن أوسٍ الدّاريُّ من لخمٍ، وعديُّ بن بدي ـ منهم مَن روى: بُدِيٍّ على التَّصغير، ومنهم من رؤى: بُدًى مثل عُرًى، ومنهم من روى: بَدّاء على وزن فَعلاء ـ وكانا نصرانيِّين يختلفان إلى بلاد[1] الشّام قبل الإسلام، ومعهما بُدَيلُ بن أبي مارية[2] الرُّوميُّ، وهو مولى عَمرو بن العاص، وكان مُسلمًا مولى لبني سهمٍ، فلمّا قَدِموا الشّام مرِضَ بُدَيلٌ[3]، فكتبَ صحيفةً فيها جميعُ ما معه، وطرحَ في جُوالقه[4]، فلمّا اشتدَّ وجعُه أوصى إلى تميمٍ وعديٍّ الذِّمِّيَّين، وأمرَهما أن يدفعا متاعَه إلى أهلِه إذا رجعا إليهم، ومات بُدَيلٌ.

وقيل: كان خروجُهم إلى النَّجاشيِّ في السَّفينة، فمات بُدَيلٌ في السَّفينةِ، وطُرِحَ في البحر، فقبضا تركته ففتَّشاه، وأخذا منه إناءً كان من فضّةٍ[5] منقوشًا

---

(١) «بلاد» ليس في (ن).

(٢) في بعض المصادر: «مريم» بدل «مارية»، واختلف أيضًا في اسمه فقيل: (بديل)، و(برير)، و(بريل)، و(بُزَيل) ـ بالزاي ـ و(نُزيل). انظر: «فتح الباري» (١/ ٢٨٩).

(٣) من قوله: «أبي مارية» إلى قوله: «مرض بديل» من (ن).

(٤) جوالقه بضم الجيم وفتح اللام: الوعاء من جلود وثياب وغيرها، فارسي معرب، وأصله: كواله، وجمعه: جواليق، وحكي: جوالق. انظر: «فتح الباري» (٧/ ١٥٧).

(٥) «من فضة» من (ن).

بالذَّهبِ فيه ثلاثُ مئة مثقالٍ مموَّهًا بالذَّهب، ثم قضيا حاجَتهما من البلد وانصرفا.

فقَدِما إلى المدينة فدَفَعا المتاعَ إلى أهل الميِّت[1] فسألوا عنهما، وقالوا لهما: هل باع شيئًا من متاعه الذي كان معه؟ قالا: لا، قالوا: فهل طالَ مرضُه فباع شيئًا من متاعه؟ قالوا: لا، إنَّما مرضَ من حين قدمَ البلد فلم يلبث أنْ مات ولم يطُلْ مرضُه، ففتَّشوا متاعَه وأصابوا الصَّحيفةَ فيها تسمية ما كان فيها من متاعه وفيه الإناء، فأتاهم بنو سهمٍ موالي الميِّت فقالوا لهما: ألستُم زعمتُم أنَّ صاحبَنا لم يبعْ شيئًا مِن متاعِه، ولا طالَ مرضُه فأنفقَ على نفسِه بعض ماله؟ قالا: بلى، قالوا: إنّا وجدنا في متاعِه صحيفةً فيها ذكرُ إناءٍ قيمتُه ثلاثُ مئة مثقالٍ، ولم تدفعوا إلينا، قالا: لا ندري إنَّما أوصى إلينا بشيءٍ وأمرَنا أن ندفعَه إليكم، فدفعناه وما لنا بالإناء من علمٍ، فرفعوهما إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، فذكروا ذلك فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾... الآية، فصلَّى رسولُ الله عليه السَّلام العصرَ[2] ودعا بهما، فاستحلَفهما بالله الذي لا إلهَ إلّا هو أنَّهما لم يختانا شيئًا ممّا دفع إليهما، فحلفا على ذلك، فخلَّى رسولُ الله عليه السَّلام سبيلَهما، ثم إنَّهما أظهرا الإناء، فبلغَ بني سهمٍ فأتوهما وقالوا لهما: ألم تزعما أنَّ صاحبَنا لم يبعْ شيئًا من متاعه؟ قالا: بلى، قالوا لهما: ما بالُ هذا الإناء معكما وهو ممّا خرجَ صاحبُنا به وقد حلفتما على ذلك؟ قالا: إنّا كنّا ابتعناه منه[3] ولم يكن لنا عليه بيِّنةٌ، فكرهنا أنْ نقرَّ به لكم فتأخذوه منّا[4]، وتسألونا عليه البيِّنة فلا نقدر عليه، فرفعوهما إلى رسول الله عليه السَّلام، فنزلت هذه الآية: ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾.

---

(١) في (و): «البيت».

(٢) «العصر» من (ن).

(٣) «منه» من (ن).

(٤) «منا» من (ن).

فقام عَمرُو بن العاص والمطَّلبُ بن أبي وداعة السَّهميّان، وقيل: عبد الله بن عَمرو بن العاصِ دون عَمرٍو ـ وقيل[١]: وسنُّ عبد الله احتملَ ذلك؛ لأنّه وُلِدَ لعَمرٍو ولعَمرٍو اثنتا عشرة سنةً ـ فحلَفا أنَّ المالَ كان أكثرَ ممّا أتيتمونا به، وأنَّ شهادتنا أصدقُ[٢] من شهادتكما[٣]، فدفعَ الإناءَ إلى أولياء الميِّت.

ثم إنَّ تميمًا أسلم وكان يقول: صدقَ الله وبلَّغَ رسولُه، وأنا والله اختنْتُ بالإناء، وأنا أستغفرُ الله[٤].

ورُويَ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا أنَّه يُروى عن تميمٍ أنَّه قال: فلمّا أسلمتُ تأثَّمتُ من ذلك، فأتيت أهلَه فأخبرتهم الخبر، وأدَّيت خمس مئة درهمٍ، وأخبرتهم أنَّ عند صاحبي مثلها، فوثبوا إليه، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فنزلت هذه الآية، فقام عمرو بن العاص ورجلٌ آخر فحلفا، فنُزِعَت خمس مئة الدرهم من عديٍّ بن بُديٍّ[٥].

---

(١) «وقيل» من (ن).

(٢) في (و): «أحق»، والمثبت موافق لـ«غرائب التفسير» (١/ ٣٤١).

(٣) في (و): «شهادتهما».

(٤) رواه البخاري (٢٧٨٠) مختصرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري، وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جامًا من فضة مخوصًا من ذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أوليائه، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية»، وانظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٧٤ ـ ٨٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ١٥٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١٣).

(٥) رواه الترمذي (٣٠٥٩)، وقال: «هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح، وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي محمد بن السائب الكلبي، يكنى أبا النضر، وقد تركه =

ومعنى الآية: أنَّ من أحسَّ بالموت فعليه أن يستشهدَ عدلَيْن من المسلمين، فإن كان في سفرٍ لا يجد مسلمين فله أن يُشهِد كتابيَّين، فإنْ لم يثقِ الورثةُ بقولهما حلَفا يمينَ دينِهما بعد العصر أنَّهما صادقان فيما يشهدان به، فإن ادَّعى الورثة بعد ذلك أنَّهما كذبا بما قد ظهر من أمارات الكذب اختير منهم رجلان معروفان بالصِّدق والسَّداد، وحلفا بأوكد الأيمان أنَّ الشّاهدَيْن كاذبان، وأنَّ الورثةَ في دعواهم عليهما صادقون، ثم يمضي الحُكمُ على ذلك.

واعتمدتُ في إعرابِ الآية على ما ذكره أبو عليٍّ في «الحجّة» والزَّجّاجُ في «المعاني»[1]:

قولُه: ﴿شَهَٰدَةُ﴾ رفعٌ بالابتداء.

الزَّجّاجُ: فيما فُرِضَ عليكم شهادةُ بينكم، والمراد بالشَّهادة: الإشهادُ والاستشهادُ[2]؛ إذ الغرض منها الوصيّة.

﴿بَيۡنِكُمۡ﴾: ظرفٌ أُضيفَ إليه، كما وقعَ في قوله: ﴿تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال:

فصادَفَ بينَ عينَيْهِ الجَبوبا[3]

= أهل الحديث، وهو صاحب التفسير».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٧)، و«الحجة» (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٧٠)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٩): «ذكر المفسرون أن هذه الآية من أشكل آية في القرآن حُكماً ومعنى وإعراباً»، ونقله عنه السيوطي في «الإتقان» (٤/ ١٥٥)، و«معترك الأقران» (١/ ٣٦٥).

(٢) «الزجاج: فيما فرض عليكم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد والاستشهاد» من (ن).

(٣) عجز بيت لأبي خراش الهذلي، وصدرُه:

فلاقَتْه ببَلْقَعةٍ بَرازٍ =

وقوله: ﴿إِذَا﴾[1] ظرفٌ للشَّهادة، وتقديرُه: شهادةُ بينِكم حينَ ﴿حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابه، كما سبق.

الزَّجّاجُ: الشَّهادة في وقت الوصيّة هي الموت، ليس أنَّ الموت حاضرُه حين الوصيّة.

﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ بدلٌ من ﴿إِذَا﴾.

وقيل: نصبٌ بالموت.

وقيل: بـ﴿حَضَرَ﴾.

﴿ٱثْنَانِ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: شهادة بينكم شهادةُ اثنين، فحذفَ المضاف.

وقيل: ذو شهادة بينكم اثنان[2].

وعلى قول الزَّجّاجِ ارتفعا بالمصدر، وهما[3] فاعلان[4].

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفةٌ لـ(الاثنين)، وكذلك ﴿مِّنكُمْ﴾، والمراد: من دينكم.

وقيل: من قبيلتكم.

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿ٱثْنَانِ﴾.

﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ صفةٌ لهما، ومعناه: من غير دينكم.

= انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ١٣٤)، وفيه: «صادم» بدل «صادف».

(١) «وقوله إذا» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٢)، واستغربه.

(٣) في (ن) زيادة: «غير».

(٤) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢١٥): «وفِيما فرض الله عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع (اثنان) بـ(شهادة)، والمعنى: أن يشهد اثنان».

وقيل: من غير قبلتكم.

و(أو) للتَّفصيل.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: سافرتُم فيها[1]، ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾؛ أي: قاربتُم الأجلَ.

وهذا اعتراضٌ بين الصِّفةِ والموصوف؛ لأنَّ قولَه: ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ صفةٌ لقولِه: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾، وأفاد الاعتراضُ أنَّ شهادة مَن هو مِن غيرِكم إنَّما تُسمَع في حال السَّفرِ والضَّرورة.

وحُذِفَ جوابُ ﴿إِنۡ﴾؛ لأنَّ قولَه: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ دلَّ عليه.

والمرادُ بـ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾: العصر.

وقيل: الظُّهر.

وقيل: عامٌّ في الصَّلوات.

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾؛ أي: إن ارتابَ الورثةُ حُبِسا على القسم.

﴿لَا نَشۡتَرِي﴾: لا نُؤثِرُ ﴿بِهِۦ﴾: بتحريفِ شهادتِنا.

وقيل: كنايةٌ عن الله سبحانه[2].

وقيل: كنايةٌ عن الإقسام.

و(أقسمَ) يُتلقَّى به القسمُ[3].

---

(١) «فيها» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٣)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وفي المطبوع من «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٣٤٣): «(أقسم) يتعلق بما يتعلق به القسم»، ولعلَّ تصويب العبارة: (أقسم) يُتلقَّى بما يُتلقَّى به القسم، والله أعلم. انظر: «البصريات» لأبي علي الفارسي (٢/ ٩١٥).

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: الأوليان ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾؛ أي: أصدقُ وأولى بأن تُقبَل.

﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾: ما تجاوزنا الحقَّ فيها.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الواضعين الباطلَ موضعَ الحقِّ.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: تحليفُ الشّاهدِ في جمعٍ[1] من النّاس.

وقيل: ذلك الحُكمُ، وذلك الفعل.

﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقربُ ﴿أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ كما حملوها من غيرِ تحريفٍ ولا خيانةٍ فيها.

﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾؛ أي: إذا علموا بردِّ اليمين على المدَّعِين بعد أيمانِهم احترزوا من الكذبِ والخيانة؛ إمَّا لله وإمّا مخافةَ الافتضاح.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لا الفضيحةَ.

﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: اقبلوا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الذين يَشهدونَ الزُّور.

للصَّحابةِ والتّابعين والفقهاء[2] في هذه الآية خمسةُ أقوالٍ[3]:

---

(١) في (و): «موضع».

(٢) في (و): «للصحابة وللفقهاء».

(٣) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٤/ ٢٩١)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٣٤١).

منها: أنَّ شهادةَ أهلِ الكتاب على المسلمين جائزةٌ في السَّفرِ[1] إذا كانت وصيّة.

وقال قومٌ: كان هذا[2] هكذا ثم نُسِخَ، ولا تجوزُ شهادةُ كافرٍ بحالٍ.

وقال قومٌ: الآيةُ كلُّها في المسلمين إذا شهدوا[3].

وقيل: ليس هذه الشَّهادة[4] التي تُؤدَّى، وإنَّما الشَّهادةُ هاهنا بمعنى الحضور.

والقول الخامس: الشَّهادةُ هاهنا[5] بمعنى اليمين.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: اذكروا، وقيل: احذروا، وقيل: اتَّقوا.

وقولُه: ﴿ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: الرُّسلَ والأممَ[6].

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: ما الذي أجابَتْكم أممُكم حين دعوتموهم إلى الإيمان؟

وهذا السُّؤالُ توبيخٌ لمن أنكرَهم.

---

(١) في (و) زيادة: «إذا شهدوا».

(٢) «هذا» من (ن).

(٣) «إذا شهدوا» من (و).

(٤) في (و): «الوصية».

(٥) «هاهنا» من (ن).

(٦) من قوله: «أي: اذكروا» إلى قوله: «الرسل والأمم» من (ن).

وقيل: سؤالُ استشهادٍ(١).

﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ لا يجوزُ إجراؤُه على الظّاهر؛ لأنَّ القيامةَ(٢) لا يُكذَبُ فيها، ولأنَّ الأنبياءَ لا يكذبون، وتقديره عند ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا علمَ لنا إلّا علمٌ أنت أعلمُ به منّا(٣).

الحسنُ: ذُهلوا عن الجواب، ثمَّ لمّا ثابَ عقلُهم قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾(٤).

وقيل: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ إلّا ما علَّمتَنا.

وقيل: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ بما غيَّبُوا عنّا من أفعالِهم، وأضمرُوا من اعتقاداتِهم.

وقيل: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ بما فعلُوا بعدنا.

وقيل: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ أنت لا تعلمُه؛ فأنت تعلمُ ما أجابونا به(٥).

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ ذُكِرَ(٦) بلفظ المبالغةِ؛ لكثرة المعلومات.

***

---

(١) من قوله: «ما الذي أجابتكم» إلى قوله: «سؤال استشهاد» من (ن).

(٢) «لأن القيامة» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١١٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، واستغربه.

(٥) من قوله: «وتقديره عند ابن عباس» إلى قوله: «ما أجابونا به» من (ن). وهذا القول الأخير ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، واستغربه.

(٦) أي: علاّم.

(١١٠) ـ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هذه الآيةُ سبقَ تفسيرُها.

وقولُه: ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: تُحييهم، أو تُخرجُهم أحياءً من القبور.

ومعنى: ﴿كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾؛ أي: اليهود حين همُّوا بقتلِك.

* * *

(١١١) ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾؛ أي: اذكر ذلك أيضًا؛ فإنِّي أنعمتُ عليك بهم إذ نصرُوك.

وقيل: أنعمتُ عليهم بالإيمان.

والحواريّون سبقَ ذكرُهم.

ومعنى ﴿أَوْحَيْتُ﴾ هاهنا: ألهمْتُ[1].

---

(١) في (و): «أنعمت».

وقيل: أمرْتُ.

وقيل: أوحيتُ إليهم بالوحي إليك: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

***

(١١٢) - ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قيل: يُطيعُ[(١)]، و(استطاعَ)[(٢)] بمعنى: أطاعَ.

وقيل: هل يستجيبُ؟

وقيل: هل يفعلُ ذلك، فلا يَرى دونه مانعًا؟

وقيل: ينزل، و﴿يَسْتَطِيعُ﴾ صلةٌ[(٣)].

وقيل: هل يقدرُ ربُّك؟ وكان ذلك في ابتداء أمرِهم قبلَ معرفتِهم صفاتِ الله، فأنكرَ عليهم فقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢][(٤)].

ومَن قرأ بالتّاءِ والنَّصبِ[(٥)]، فالتَّقديرُ: هل تستطيعُ سؤالَ ربِّك؟

---

(١) في (ن): «يطيعك».

(٢) في (و): «يستطيع».

(٣) أي: هل ينزل ربك، و(يستطيع) زائدة، وقد استغرب هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، واستبعده أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٠٩).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، وعدَّه من العجائب.

(٥) هي قراءة الكسائي وحده، قرأ (تستطيع) بالتاء، و(ربك) بنصب الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

ويُروى عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: كانوا أعلمَ من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[١].

و﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ متَّصلٌ بالسُّؤال؛ لأنَّه في تقديرِ الملفوظِ به.

وقوله: ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المائدةُ: الخوانُ الذي عليه[٢] الطَّعام، واشتقاقُها من قولِ العرب: (مادَه يَميدُه)؛ إذا أعطاه، وامتادَ فلانٌ فلانًا؛ إذا طلبَ عطاءَه؛ فتكونُ فاعلةً بمعنى: مفعولةٍ؛ أي: مميدة، كـ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، و﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

وقيل: فاعلةٌ؛ لأنَّها[٣] إذا أُطْعِمَ النَّاسُ عليها، فكأنَّما أعطتْهم الطَّعامَ[٤].

وقيل: مِن (مادَ يَميدُ)؛ إذا تحرَّكَ[٥]، كأنَّها تميدُ بما عليها.

﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: قال عيسى.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يجوزُ اقتراحُ المعجزاتِ بعدَ ظهور الآيات.

وقيل: معناه: لا تسألوا ذلك على طريقِ الشَّكِّ والتَّعنُّت.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٣)، ولفظ الطبري: «كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى، هل تستطيع ربك؟»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «الخوان عليها».

(٣) في (و): «لأنه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦)، واستغربه.

(٥) في (و): «تحرك تميد».

(١١٣) ـ ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ قيل: للحاجةِ الدّاعية إلى الأكل.

وقيل: تبرُّكًا به، وهذا أظهرُ.

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: نزدادُ يقينًا؛ كقولِ إبراهيمَ عليه السَّلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقيل: لتطمئنَّ قلوبُنا بأنَّ اللهَ قد بعثَك إلينا نبيًّا، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنَّك نبيٌّ.

وقيل: لتطمئنَّ قلوبُنا أنَّ الله اختارَنا لك[1] أعوانًا، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنَّنا أعوانٌ لك.

وقيل: لتطمئنَّ قلوبُنا أنَّ الله قد أجابَ مسألتَنا، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنَّ الله يجيبُ دعوتَنا.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أنَّها نزلَت من عند الله.

وقيل: نشهدُ لله بالتَّوحيدِ ولك بالنُّبوّة.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ إذا استشهدتَنا.

* * *

(١١٤) ـ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾؛ أي: نتَّخذُ اليومَ الذي تنزلُ فيه عيدًا نعظِّمُه نحن ومَن يأتي بعدنا.

---

(١) في (و): «اختارك لنا».

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: يأكلُ منه آخرُ النّاس كما أكلَ أوَّلُهم(١).

وقيل: عيدًا لنا جميعًا.

وقيل: ﴿عِيدًا﴾؛ أي: عائدةً مِن الله علينا وحجّةً وبرهانًا.

وقيل: عظةً لأوَّلِنا وآخرِنا.

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قدرتِك وتوحيدِك.

ويحتمل ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ لصحّةِ نبوَّتي.

﴿وَارْزُقْنَا﴾ المائدةَ.

وقيل: الشُّكر على ذلك.

ويحتمل: أَدِمْ رزقَك لنا.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: خيرُ مَن يرزقُ.

***

(١١٥) - ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أجابَه إلى ما سألَه الحواريُّون، فأنزلَها عليهم يومَ الأحد.

أُبيُّ بن كعبٍ: نزلَت مائدةٌ منكوسةٌ تطيرُ بها الملائكةُ بين السَّماء والأرض(٢).

سلمانُ: نزلَت سفرةٌ حمراءُ بين غمامتين؛ غمامةٍ من فوقها وغمامةٍ من تحتها، وهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٥٦٢) عن كعب الأحبار، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦) عن ابن جرير.

ينظرون إليها وهي تهوي مُنقضّةً[1]، فسقطَت[2] بين أيديهم، فبكى عيسى عليه السَّلام وقال: اللَّهمَّ اجعلني من الشّاكرين، اللَّهمَّ اجعلها رحمةً، ولا تجعلها مُثْلةً وعقوبةً[3].

وكان[4] عليها خبزٌ ولحمٌ.

وقيل: عليها سبعةُ أرغفةٍ وسبعُ أحواتٍ.

وقيل: عليها سمكةٌ فيها طَعْمُ كلِّ طعامٍ[5].

وقيل: رغيفان وحوتان.

وقيل: عليها كلُّ طعامٍ إلّا اللَّحم.

وقيل: عليها خبزٌ[6] وأرزٌ وسمكٌ مشويٌّ، ليس عليها قشورٌ ولا لها شوكةٌ، تسيل من الدَّسمِ قد نُضِدَ حولَها[7] البقولُ ما خلا الكرّاث، وعند رأسِها خلٌّ، وعند ذنبها ملحٌ وسبعةُ أرغفةٍ، على كلِّ واحدٍ زيتونٌ وحبُّ رمّانٍ، وكانَت تأتيهم أربعين يومًا غبًّا، وكلُّ فقيرٍ أكلَ منها صار غنيًّا مدّةَ عيشِه، وكلُّ مريضٍ أكلَ برأ فلم يمرض أبدًا[8] حتَّى مات[9].

---

(١) في (ن): «مصببة» وفي الهامش: «منقضة» وعليها (ح).

(٢) في (ن): «حتى سقطت».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٦)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٠٧): «هذا أثر غريب جدًّا».

(٤) «وكان» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦)، واستغربه.

(٦) من قوله: «ولحم، وقيل: عليها سبعة» إلى قوله: «وقيل: عليها خبز» من (ن).

(٧) في (و): «عليها».

(٨) «أبدًا» من (ن).

(٩) هذا من تتمة خبر سلمان رضي الله عنه السابق.

ثم أوحى الله[١] إلى عيسى عليه السَّلام: أنِ اجعل مائدتي في الفقراءِ واليتامى والزَّمنى دونَ الأغنياءِ والأصحّاء، فاضطربَ النّاسُ لذلك، فمُسِخَ منهم ثلاثةٌ وثمانون رجلًا خنازير، فأصبحوا يأكلونَ العذرات.

ورُوِيَ عن عمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه: أنَّ الله أمرَهم أن لا يخونوا ولا يدَّخرُوا، ففعلوا ذلك، فمُسِخُوا قردةً وخنازير[٢].

وعن الحسنِ: أنَّ الله تعالى لمّا قال: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ فشرطَ بقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ الآية، فلمّا سمعَ القومُ[٣] الشَّرطَ خافُوا واستعفَوا، فلم تنزل[٤].

وعن مجاهدٍ أنَّه قال: لم تنزل مائدةٌ، وإنَّما هذا مثلٌ ضربَه لمُقترحي المعجزات[٥].

والقولُ الأوَّلُ الصَّوابُ؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وهذا إخبارٌ لا يحتملُ الخلف، وليس في الآية ما يدلُّ على الاستعفاء.

وقولُه[٦]: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: عالمي زمانِهم وأمَّتِهم.

---

(١) في (و): «ثم أوحي».

(٢) رواه الترمذي (٣٠٦١) مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح الموقوف، ثم قال: «ولا نعلم للحديث المرفوع أصلًا».

(٣) «سمع القوم» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧)، وعدَّه من العجائب.

(٦) «وقوله» من (ن).

وقيل: عامٌّ، وهو أن يُجعَلوا قردةً وخنازير، ولم تُجعَل بغيرِهم تلك[١].

وعن عبدِ الله بنِ عَمرٍو رضي الله عنه: أنَّ أشدَّ النّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ: المنافقون، ومَن كفرَ من أصحابِ المائدةِ، وآل فرعون[٢].

***

(١١٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أكثرُ المفسِّرين وجمهورُهم على أنَّ هذا السُّؤالَ يكونُ في القيامة، ولم يقع[٣] بعدُ، والآيةُ وسياقُها يدلّان عليه، ووُضِعَ لفظُ الماضي موضعَ المستقبل، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ لأنَّ لفظَ الماضي أدلُّ على الوقوعِ من لفظِ[٤] المستقبل.

و(إذ) بمعنى: إذا، كما قال:

ثُمَّ جَزاهُ اللهُ عَنّا إذْ جَزَى
جَنّاتِ عَدْنٍ فِي العَلالِيِّ العُلا[٥]

---

(١) أي: تلك العقوبة والـمُثلة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٢)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٩٦).

(٣) في (و): «ولم يكن».

(٤) في (و): «الوقوع بمعنى».

(٥) الرجز لأبي نجم العجلي في «تفسير الطبري» (٩/ ١٣٤)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١١٩)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٥٦٧).

ابنُ عيسى[١]: لأنَّه لتحقُّقِ[٢] أمرِه وظهورِ برهانِه بمنزلةِ ما قد وقَعَ وشُوهِدَ.

ومعنى سؤالِ عيسى عليه السَّلام توبيخٌ لمن قالَ عليه[٣] ذلك.

وقيل: إخبارٌ له بأنَّ قومَه غيَّروا بعده القولَ فيه.

وذهبَ السُّدِّيُّ وقطرب وابن جريرٍ إلى أنَّه خاطبه به حين رفعَه إلى السَّماء[٤]. قالُوا[٥]: والدَّليلُ على ذلك لفظ ﴿إذ﴾[٦]، وأنَّ قولَه: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ إنَّما قال ذلك والكفّارُ بهذا القول أحياء؛ أي: إن وفَّقتَهم للإيمانِ لم يمتنع عليك[٧].

﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك عن أن يكونَ لك في الإلهيّةِ شريكٌ.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ أي: لا يليقُ بي[٨] قولٌ لا أستحقُّه.

ومعنى: ﴿بِحَقٍّ﴾؛ أي: بـمُستحقٍّ.

وقيل: تقديرُه: بحقٍّ إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه[٩].

ومعنى: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾؛ أي: لا أحتاجُ إلى الاعتذار عن هذا المقال؛ لأنَّك تعلمُ أنِّي لم أقلْه، ولو قلْتُه علمْتَه.

---

(١) في (و): «ابن عباس».

(٢) في (و): «يتحقق».

(٣) «عليه» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٣) عن السدي، ورجَّحه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧) عن السدي وابن جرير وقطرب، واستغربه.

(٥) في (و): «قيل».

(٦) فهي تدلُّ في أصل معناها على المضي.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٣٤).

(٨) في (ن): «في».

(٩) فالكلام تمَّ على هذا التقدير عند (لي)، وهو بعيد. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠).

وتقديرُه: إنْ أكنْ قلته؛ لأنَّ الشَّرطَ لا يصحُّ مع لفظ الماضي، ومَن ذهبَ إلى أنَّ (كان) مستثنًى من هذا الباب فقولُه غيرُ مرضيٍّ عند النُّحاة[1].

وقيل: (إنْ) بمعنى: (ما)، وفيه بُعدٌ[2].

﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾: ما أُخفيه وأُغيِّبُه وأضمرُه؛ إذ لا تخفى عليك خافيةٌ.

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ ما تُخفيه وتُغيِّبُه عن النّاس.

و﴿نَفۡسِي﴾: غيبي، و﴿نَفۡسِكَ﴾: غيبك.

وقيل: ذكرَ النَّفسَ ازدواجًا للكلامِ، كقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]، و﴿مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقد سبق.

وقيل: النَّفسُ هاهنا: ما يُذكَرُ للتَّأكيد كالعينِ.

وقيل: تقديرُه: تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسي[3]، فأضافَها إلى الله مُلكًا وخَلقًا، وهذا مزيَّفٌ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ ذُكرَ بلفظ المبالغة؛ لجَمعِ[4] الغُيوب[5].

---

(١) ذهب الزجاج إلى استثناء (كان) من عموم الماضي في هذا، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٦): «قال النحويون: (لم) إذا دخل المستقبل نقله إلى معنى الماضي، و(إن) الشرطية إذا دخل الماضي أو ما بمعنى الماضي نقله إلى معنى المستقبل. واستثنى الزجاج (كان) من الباب، واستدل بقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ﴾، فردَّ عليه أبو علي، وقال: تقديره: إن أكن قلته، وكذلك إذا قال: إن كنت دخلت الدار فأنت طالق؛ أي: إن تكوني دخلت؛ فالطلاق يقع بقوله: دخلت، وهو ماض كما كان، لأن (إن) مسلَّط على تغيير ما يليه فحسب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (و): «نفسك».

(٤) في (و): «بجميع».

(٥) جاء لفظ (علام) في الآية على بناء المبالغة؛ لأن لفظ (الغيوب) جمع يدلُّ على الكثرة.

(١١٧) ـ ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾؛ أي: بأن أقوله.

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: (أن) هي المفسِّرةُ بمعنى: أي، وجاز أن تكون بدلًا من الهاء، وجاز أن تكون بدلًا من (ما)[١].

﴿رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾: خالقي وخالقُكم.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾؛ أي: مُشاهِدًا أحوالَهم مِن كفرٍ وإيمانٍ.

وقيل: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ ﴾؛ أي: شاهِدًا عليهم[٢].

﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾: مدّةَ حياتي.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ قيل: من الوفاء[٣].

وقيل: من الوفاةِ التي هي النَّوم.

وقيل: الموت.

وقد سبقَ ما فيه في قوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾؛ أي: حافظًا لهم وعالمًا بأحوالِهم، وأصلُه: المراقبةُ، وهي المراعاةُ، و(الرَّقبةُ) منه؛ لأنَّها في مثل موضعِ الرَّقيبِ من علوِّ المكان.

---

(١) والمفسِّرة لا محل لها، أما البدل فعلى اعتبارها مصدرية، وقد أنكر العكبري أن تكون مفسرة؛ لأن شرط المفسِّرة ألا يُصرح معها بالقول. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٤٤)، و«إعراب القرآن» للأصبهاني (ص: ١١٠)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٤٧٦).

(٢) من قوله: «أي: مشاهدًا» إلى قوله: «شاهدًا عليهم» ليس في (ن).

(٣) في (و): «من الموتى».

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قيل: مُشاهِدٌ لِما حضرَ وغاب.

وقيل: شهيدٌ على مَن عصى وأطاع.

***

(١١٨) ـ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ قال المفسِّرون: معناه[١]: إنْ كنْتَ[٢] تعذِّبُهم فأنت مالكُهم، وليس لأحدٍ عليك اعتراضٌ.

وقيل: ذكرَ ذلك على وجهِ الاستعطاف.

﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ على قولِ السُّدِّيِّ وصاحبيه ظاهرٌ؛ أي: إن[٣] توفِّقهم للإيمان، وعلى قولِ الجمهورِ مشكلٌ.

قال المبرِّدُ: أراد: وإن تغفرْ لهم ما قالوا عليَّ خاصّةً[٤].

الزَّجّاجُ: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ أي: لمن أقلعَ منهم وآمنَ[٥].

وقيل: جائزٌ أن يكون الله لم يُعْلِمْ عيسى أنَّه لا يغفرُ الشِّرك، وهذا مزيّفٌ[٦].

وتقديرُ الآية: إنْ تعذِّبهم فإنَّما تعذِّبُ عبادَك، وإنْ تغفرْ لهم فإنَّما تغفرُ لعبادك، لا بدَّ من هذا التَّقديرِ ليصحَّ المعنى الذي ذهبوا إليه.

---

(١) «معناه» من (ن).

(٢) «كنت» من (ن).

(٣) «إن» من (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٣)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٦٠٥)، و«تفسير الراغب» (٥/ ٥٠٥).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩)، واستبعده، وعدَّه من العجائب.

ويحتمل معنًى دقيقًا، وهو: أنَّ قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ شرطٌ جزاؤه ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، فصار قولُه: ﴿عِبَادُكَ﴾ معلَّقًا بالتَّعذيب، ثم ذكر المغفرة، والمرادُ بها ضدُّ التَّعذيب، فصار كأنَّه قال[1]: إنْ تعذِّبهم فإنَّهم عبادك وإن لم تعذِّبهم[2]؛ أي: هم عبادُك في جميعِ الأحوال، فنابَ قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ عن قوله: (وإن لم تعذِّبهم)، وليس المرادُ بها طلبُ المغفرة للكفّار، ولهذا لم يختمِ الآية بما يَليقُ بالغفران من الغفور الرَّحيم، بل ختمَها بما يليق بالتَّعذيبِ: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ومثله قوله: «إنْ دخلْتَ الدّار فأنت حرٌّ، وإن لم تدخل» عتقَ في الحال؛ لأنَّ هذا كلامُ مَن شرطَ ثمَّ أنجزَ[3].

***

(١١٩) ـ ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ السُّدِّيُّ: هذا فصلٌ من كلامِ عيسى عليه السَّلام[4]؛ أي: يقولُ عيسى يومَ القيامة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ﴾.

وقال[5] غيرُه، وهو الظاهر[6]: إنَّه من قولِ الله تعالى.

---

(١) «قال» من (ن).

(٢) «وإن لم تعذبهم» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٦). قال الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٠): «يعني السدي بقوله: هذا فصل من كلام عيسى، أن قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه إليه، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة».

(٥) «وقال» من (ن).

(٦) في (و): «والظاهر».

ومَن نصبَ ﴿يومَ ينفعُ﴾(١) جعلَ (هذا) مفعولًا، و(يومَ) ظرفًا له(٢)؛ أي: يقول الله هذا يومَ ينفع.

وذهبَ الكوفيّون إلى أنَّ (يومَ) مبنيٌّ على الفتح(٣)، وعند البصريِّين إنَّما يُبنى على الفتح(٤) مع الماضي، ولكلٍّ احتجاجٌ(٥).

ابنُ عيسى: ﴿صِدْقُهُمْ﴾: إيمانُهم.

وقيل: ما عاهدوا الله عليه.

والمعنى: أنَّ صدقَهم في الدُّنيا ينفعُهم يومَ القيامة.

وقيل: صدقُهم في القيامة؛ يريدُ به: شهادتُهم على أنفسِهم بما صنعُوا وللأنبياء بما شاهدوا.

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبولِ حسناتِهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بما آتاهم من الكرامةِ والنَّعيم.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: نيلُ الجنّةِ والخلاصُ من النّار ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

* * *

(١٢٠) - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾: أحدثَها بعد أن لم تكن، ويُفنيها إذا أراد.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الإحداثِ والإفناءِ والمنعِ والإعطاء ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ على الكمالِ، والله محمودٌ في كلِّ حالٍ.

---

(١) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٠١).
(٢) في (ن): «ظرف لقال».
(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩)، واستغربه.
(٤) «وعند البصريين إنما يبنى على الفتح» من (ن).
(٥) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٢٥٥)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٦٧٢).

سُورَةُ الأَنۡعَامِ

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مئةٌ وخمسٌ وستُّون آيةً، مكيّةٌ[1]

قال عطاءٌ: مكيَّةٌ إلَّا ثلاثَ آياتٍ، من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ [١٥١][2].

وقيل: مكيَّةٌ إلّا آيتين: إحداهما: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [٩١]، والثَّانيةُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وروى زِرُّ بنُ حُبَيشٍ عن أُبيٍّ بنِ كعبٍ، عن رسولِ الله عليه السَّلامُ أنَّه قال: «نزلت عليَّ سورةُ الأنعامِ جُملةً واحدةً ليلًا، شيَّعَها سبعون ألفَ مَلَكٍ، لهم زَجَلٌ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ[3]، ومَن قرأ سورةَ الأنعامِ صلَّى الله عليه، واستغفرَ له أولئك السَّبعون ألفَ مَلَكٍ بعددِ كلِّ آيةٍ من سورةِ[4] الأنعامِ يومًا وليلةً»، وزاد بعضُهم: وخرَّ ساجدًا ثمَّ دعا الكُتَّابَ فكتبوها من ليلتِهم[5]، ....

---

(١) «مئة وخمس وستون آية مكية»: ليست في (و).

(٢) ذكره الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٣٥) عن ابن عباس ومجاهد وعطاء بن يسار والكلبي، ورواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (و): «والتمجيد».

(٤) «سورة»: ليست في (ن).

(٥) لم أقف عليه من طريق زر بن حبيش. وروى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٥) من طريق ابن =

والله أعلمُ بالصَّواب(١).

***

= عباس عن أبي بن كعب. وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٦٣): فيه أبو عصمة وهو متهم بالكذب.

وهذا الحديث هو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور سورةً سورةً عن أبي بن كعب، وقد فرقه الثعلبي حسب السور وتابعه فيه الواحديُّ وأبو حفصٍ النسفي والزمخشري والبيضاويّ.

قال السيوطي في «نواهد الأبكار» (٣/ ١١٢): هذا من الحديثِ الموضوعِ الذي رُوي عن أبيٍّ بن كعبٍ في فضائلِ القرآنِ سورةً سورةً، وقد نبَّه أئمةُ الحديث وحُفَّاظه ونقَّادُه قديماً وحديثاً على أنه موضوعٌ مختلقٌ على رسول الله ﷺ، وعابُوا على مَن أَورده من المفسِّرين في تفاسيرهم.

قال ابن حجر: وأوله عند الطبراني في «الصغير» [برقم (٢٢٠)] في ترجمة إبراهيم بن نائلة من حديث ابن عمر إلى قوله: «والتحميد»، وفيه يوسف بن عطية، وهو ضعيف.

ولأجل ما روي من أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة فقد ابتدع جماعة من النساك عبادة خاصة يقرؤون بها سورة الأنعام في ركعة واحدة، وسئل ابن الصلاح عن ذلك فقال في «فتاويه» (١/ ٢٤٩): الخبر المذكور في ذلك قد رويناه من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسنادًا صحيحًا، وقد روي ما يخالفه، فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة اختلفوا في عددها، ولو ثبت الحديث فلا يثبت بمجرده استحبابُ قراءتها جملة واحدة كما يفعلونه.

(١) «والله أعلم بالصواب»: ليست في (و).

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناءٌ وشكرٌ، وهو خبرٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: قولوا: الحمدُ لله؛ ليقعَ تعليمُ المعنى واللَّفظِ معًا.

وروى وَهْبٌ أنَّ أوَّلَ التَّوراةِ فاتحةُ الأنعامِ، وآخرَها آخرُ سورةِ هودٍ[١].

وقيلَ: آخرُها آخرُ سورةِ بني إسرائيلَ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: كوَّنهما، وجمَعَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لأنَّها سبعٌ، وقُدِّمَت لأنَّها أشرفُهما وأعلاهُما. وقيل: لأنَّها خُلِقَتْ قبلَ الأرض.

ووحَّدَ ﴿الأرض﴾ لاتِّصالِ بعضِها ببعضٍ. وقيل: هي واحدةٌ.

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؛ أي: خلقَهما، والفرقُ بينهما: أنَّ (خلق) معناه: أحدَثَ فحسبُ، و(جعل) يتضمَّنُ التَّكريرَ.

وقيل: ﴿جعل﴾ هاهنا: صلةٌ، والتَّقديرُ: خلقَ السَّماواتِ والأرضَ والظُّلماتِ والنُّورَ.

وقيل: حالٌ، والتَّقديرُ: خلقَ السَّماواتِ والأرضَ وقد جعلَ الظُّلماتِ والنُّورَ؛ لأنَّهما قبل السَّماواتِ والأرضِ[٢].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٧٤)، والدارمي في «سننه» (٣٤٤٥)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ١٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٧) عن كعب، ولفظ الطبري: «فاتحة التوراة فاتحة الأنعام وخاتمة التوراة خاتمة هود».

(٢) في (و): «لأنهما قبل الظلمات والنور». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٠)، واستغربه.

وجمعَها لأنَّ الظُّلمةَ تَحدثُ على أشياءَ كظُلمةِ اللَّيلِ وظُلمةِ السَّحابِ وظُلمةِ البحرِ وإن اتَّحدَ جنسُها، والنُّورُ جنسٌ واحدٌ[1]، وهو ما يُرى ويُرى به.

وقدَّمَها لأنَّها خُلِقت قبل النُّورِ، وليست الظُّلمةُ إلَّا عدمَ النُّورِ.

وهما اللَّيلُ والنَّهارُ. وقيل: الكفرُ والإيمانُ. وقيل: النَّارُ والجنَّةُ. وقيل: الأجسادُ والأرواحُ[2].

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾؛ أي: ثمَّ الذين كفروا بعد هذا البيانِ يعدِلون بربِّهم الأوثانَ، تقولُ: عَدَلْتُ هذا بهذا؛ أي: ساوَيْتُه به.

والباءُ في ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾ صلةٌ للعدولِ لا للكفرِ.

ويحتمِلُ: كفروا بربِّهم يعدِلون عنه، فتكونُ الباءُ صلةً للكفرِ، و(عنه) صلةً للعدولِ، وهي محذوفةٌ[3].

***

(٢) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ﴾؛ أي: ابتدأ خلقَكُم منه؛ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ، وهو الأصلُ.

وقيل: خلقَ أباكم، فحُذِفَ المضافُ.

---

(١) في (ن): «والنور متحد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١)، واستغربه.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أصلُ القضاء: إحكامُ الصَّنعةِ والفراغُ منها، وتأتي بمعنى: حكَمَ وأمَرَ وفعَلَ وصنَعَ وأعلَمَ وأَوْحَى، والكلُّ قريبٌ.

والأجلُ: الوقتُ المُعيَّنُ، واختلفَ المُفسِّرون في الأجلَين:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: هو النَّومُ، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: الموتُ[1].

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: مدةُ الدُّنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: القيامةُ.

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ للحياةِ، وهو وقتُها، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ للمماتِ[2]، وهو وقتُه.

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ من مولدِه إلى مماتِه، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ من المماتِ إلى البَعثِ.

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لِمَن مضى، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ لِمَن بقيَ أو يأتي.

وقيل: الأجلُ المُسمَّى: عمرُ الإنسانِ، و﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ يقطعُ الأجلَ المُسمَّى، وهو الآفاتُ، فتحولُ بينَه وبين الوقتِ المُسمَّى، واستُدِلَّ بقولِه: ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠].

ومعنى ﴿مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: مُثبَتٌ معلومٌ لا يعلمُه غيرُه.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: تشكُّون. وقيل: تختلفون.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥٣).

(٢) في (و): «من الممات».

(٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الله سبحانَه وتعالى، و﴿ٱللَّهُ﴾ خبرُه.

وذكرَ أبو عليٍّ أنَّ ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ[(١)].

والمُشكِلُ في الآيةِ الظَّرفُ؛ فقيل: إنَّه متَّصلٌ بالله على تقديرِ: وهو الإلهُ في السَّماواتِ والأرضِ؛ أي: المعبودُ، كقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤][(٢)].

وقيل: إنَّ هذا في اسمِ (الله) لا يصحُّ؛ لأنَّه حُذِفَ منه الهمزةُ، وعُوِّضَ عنها الألفُ واللَّامُ عِوضًا لازمًا كما سبق، وأُجرِيَ مُجرى الأعلامِ، والأعلامُ لا تعملُ فيما بعدها، لكنَّه يدلُّ على أوصافٍ كالقدرةِ والإرادةِ والتَّدبيرِ، فكأنَّه قال: هو المُدبِّرُ القادرُ في السَّماواتِ والأرضِ[(٣)].

ورُوِيَ عن محمَّدِ بنِ جريرٍ أنَّه قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فجعلَه متَّصلًا بالأوَّلِ، ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلمُ في الأرضِ[(٤)].

وكأنَّه[(٥)] اعتبَرَ ما في (الملكِ) من قولِه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]،

---

(١) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٢١٠)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) دون نسبة، وقال: «وهذا أظهر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) وقال: «أنكره المحققون».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣١٩).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٥٥)، ولفظه: «إن الذي له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، المستحِق عليكم إخلاصَ الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس، الذي يَعدل به كفارُكم مَن سواه، هو الله الذي هو في السماوات ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فلا يخفى عليه شيء».

ونسب المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) للكسائي، واستغربه.

(٥) في (ن): «ولعله».

والمرادُ: عرشُه وصنعُه؛ فإنَّ الله تعالى مُنزَّهٌ عن الظَّرفِ والمكانِ(١).

وقال أبو عليٍّ: ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ، و﴿يَعۡلَمُ﴾ خبرُه، والظَّرفُ متَّصلٌ بالخبرِ؛ أي: الله يعلمُ في السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ظرفٌ للمصدرِ(٢)، وهو خطأٌ؛ لأنَّ صلةَ المصدرِ لا تتقدَّمُ على المصدرِ.

وقيل: ظرفٌ لقولِه: ﴿تَكۡسِبُونَ﴾.

وأهلُ السَّماواتِ: الملائكةُ، وأهلُ الأرضِ: الإنسُ والجِنُّ.

ويحتمِلُ أن يكون الظَّرفُ حالًا من المصدرِ، تقدَّم على ذي الحالِ وعلى العاملِ، وهذا على أربابِ الصَّنْعةِ غيرُ خافٍ(٣).

والسِّرُّ: إخفاءُ الشَّيءِ في النَّفسِ.

والجهرُ: إظهارُ المعنى الذي في النَّفسِ.

* * *

---

(١) كذا ذهب المصنف إلى مذهب طائفة من الخلف في التأويل للنصوص المتشابهة، أما مذهب السلف رضي الله عنهم والطائفة الأخرى من الخلف في تلك النصوص فهو التسليم مع التنزيه، وإمرارُها كما جاءت من دون تأويل، ولا تعطيلٍ ولا تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ.

(٢) أي: الظرف متعلق بـ﴿سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾، وعدَّ المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) من العجائب.

(٣) لخص ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٩) ما قيل في هذه الآية فقال: «فيه أربعة أقوال:

أحدها: هو المعبود في السماوات وفي الأرض، قاله ابن الأنباري.

والثاني: وهو المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض، قاله الزجاج.

والثالث: وهو الله في السماوات، ويعلم سركم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير.

والرابع: أنه مقدم ومؤخر. والمعنى: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض، ذكره بعض المفسرين».

(٤) ـ ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ المرادُ بالآيـةِ هاهنا: المعجزةُ. وقيل: القرآنُ. وقيل: انشقاقُ القمرِ.

و(مِن) الأولى زيادةٌ، والثَّانيةُ للتَّبعيضِ، و(كان) زيادةٌ.

وقيل: أعرَضُوا كما عُلِمَ منهم، والمعنى: تركوا النَّظرَ فيها، وحقيقةُ الإعراضِ: الانصرافُ بالوجهِ[1] عن الشَّيءِ، وقد سَبق.

***

(٥) ـ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ قيل: هو القرآنُ. وقيل: الإسلامُ.

وقيل: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، والمعنى: نسَبُوا محمَّدًا عليه السَّلامُ إلى الكذبِ بسببِ ردِّهم الحقَّ.

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ يريدُ: العذابَ في الآخرةِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الدُّنيا، فقتَلَهم بالسَّيفِ يوم بدرٍ[2].

ابنُ بحرٍ: سيعلمون ما يؤُولُ إليه عاقبةُ استهزائِهم[3] في الدَّارَين، والعذابَ فيهما.

***

(١) «بالوجه»: ليست في (و).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٢) دون نسبة.

(٣) في (ن): «عاقبة أمرهم واستهزائهم».

(٦) ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: ألم يُبصِروا كم أهلَكْنا ﴿مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ القَرْنُ: الزَّمانُ. والقَرْنُ: أهلُ الزَّمانِ. والقَرْنُ من الزَّمان: ثمانون سنةً، وقيل: سبعون.

والمرادُ به: أهلُ ذلك الزَّمان.

الزَّجَّاجُ: القَرْنُ: أهلُ كلِّ مدَّةٍ [كان] فيها نبيٌّ، أو كان [فيها] طبقةٌ من أهلِ العلمِ؛ قلَّتِ السُّنونَ أم كثُرَتْ[١]. واشتقاقُه من (قَرَنْتُ).

﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ يُريدُ: أعطيناهم من نعيمِ الدُّنيا والأمرِ والنَّهيِ بين أهلِها ما لم نُعطِكم.

ابنُ عيسى: التَّمكينُ: إعطاءُ ما يَصحُّ به الفعلُ كائنًا ما كان، ومعنى مكَّنتُه الشَّيءَ: أزَلْتُ الحائلَ منه[٢]. ومكَّنْتُ له الشَّيءَ؛ بمعناه، وجاءتِ الآيةُ بهما.

ووزنُ (مكان) عند الخليلِ: مَفْعَلٌ، قال: ولكثرتِه في الكلامِ أُجْرِيَ الميمُ مُجرى الفاء، كقولهم: تمَسْكَنَ وتمَدْرَعَ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٩)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (ن): «بينهما».

(٣) ذهب الخليل إلى أنَّ (المكان): مشتقٌّ مِن (كان يكون)، فلما كثر في كلام العرب صارت الميم كأنها أصلية، فعاملوه معاملة فَعَال، فجمعوه على: أمكنة، وصاغوا منه الفعل: تمكَّن، وقد فعلوا ذلك في نحو: تمدرع وتمسكن. وقد ذهب ثعلب إلى قول الخليل، واختاره السهيلي والراغب، بينما مال كثير من مؤلفي المعاجم إلى اشتقاقه من (مكن)، كما اختار المصنف. انظر: «العين» (٥/ ٣٨٧ و٤١٠)، و«نتائج الفكر في النحو» للسهيلي (ص: ٣٠٢)، و«المحكم» (٧/ ٧١ و٤٦) و«المفردات» (صر: ٧٧٣). =

وفيه ضعفٌ لشذوذِه، والأصحُّ أن يكونَ من (المَكْنِ)[١].

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ الإرسالُ: الإنزالُ، والسَّماءُ: المطرُ، وحكَوا عن العربِ: (ما زِلْنا نطأُ السَّماءَ حتَّى أتيناكم)[٢].

والمِدرارُ: الدَّائمُ، وهو من (درَّ يَدِرُّ دُرُورًا)، مأخوذٌ من الحَلَبِ.

والمعنى: عاشوا في الخِصْبِ والرِّيفِ بين الأنهارِ والثِّمار، وسُقيا الغيثِ المتَّصلِ المِدرار.

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: لم يُغْنِ ذلك عنهم شيئًا، ﴿وَأَنشَأْنَا﴾: خلَقْنا وأحدَثْنا. والإنشاءُ: إحداثٌ من غير سببٍ.

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: خلقًا[٣] آخرين بدلًا منهم.

***

(٧) ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: إنَّ مُشركي قريشٍ قالوا: يا محمَّدُ، والله لن نُؤمِنَ لك حتَّى تأتيَنا بكتابٍ من عندِ الله ومعه

= وقال ابن يعيش في «شرح المفصل» (١/ ١٦٥): «ولا أراه صحيحًا، لقولهم: تَمَكَّنَ، ولو كان من (الكَوْن)، لقيل: تَكَوَّنَ، فأمَّا (تَمَسْكَنَ) و(تَمَدْرَعَ) فقليل من قبيل الغلط لا يُقاس عليه، وقد قالوا في الجمع: أمْكِنَةٌ». وليس في كلام ابن يعيش ما يدفع صحة قول الخليل أو يحسم الخلاف، والله أعلم.

(١) في هامش (ن): «المَكْن: بيض الضب». انظر: «تهذيب اللغة» مادة (م ك ن) (١٠/ ١٦٢) و«المعجم الاشتقاقي المؤصل» لمحمد حسن جبل (٤/ ٢١٠٥).

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٢٥٦)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٣٩).

(٣) في (ن): «وخلقنا».

أربعـةٌ مـن الملائكةِ يشـهدون أنَّـه من عنـدِ الله وأنَّك رسـولُه، فأُنزِلت هـذه الآيةُ[١].

والمعنى: لو أجَبْناهم إلى ما سألوا، وأنزلنا كتابًا مكتوبًا في كاغدٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: طلبوا كتابًا مُعلَّقًا من السَّماءِ إلى الأرضِ[٢].

ابنُ عيسى: التَّشديدُ لطولِ المُكثِ بين السَّماء والأرض[٣].

قولُه: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: عاينوه ولَمَسوه، وخُصَّ اللَّمسُ لأنَّـه مقدِّمةُ الإبصارِ، ولا يقعُ معه التَّزويرُ، وأُسنِدَ إلى اليدِ توكيدًا له، فإنَّه قد يُستَعملُ للفحصِ، كقوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ [الجن: ٨].

قوله: ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾: ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: ظاهرٌ، سُحِرَتْ أعيُنُنا؛ أي: لو أجَبْناهم إلى ما سألوا لم يُؤمِنوا.

***

(٨) ـ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾؛ أي: هلَّا، ومعناه: التَّحضيضُ على الفعلِ؛ أي: أُنزِلَ معه ملكٌ يُكلِّمُنا أنَّه نبيٌّ، فقالَ الله:

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: لعُوجِلَتْ عقوبتُهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤). وزاد الثعلبي نسبته إلى مقاتل.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٣) بلفظ: «﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ معلقًا من السماء إلى الأرض».

(٣) أي: جاء لفظ ﴿نَزَّلْنَا﴾ مشدّداً دالاً على المبالغة لبُعدِ المسافة بين السماء والأرض.

وقيل: لقامتِ القيامةُ؛ لأنَّ الملَكَ يُرى في القيامةِ وحالةَ الموتِ، ولأنَّ الآيةَ المُقترحةَ إذا جاءتهم فلم يُؤمِنوا بها عاقَبْتُهم في الحالِ من غيرِ إهمالٍ.

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: لا يُؤخَّرون طَرْفةَ عينٍ.

***

(٩) - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: المطلوبَ أو الرَّسولَ ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾؛ أي: صيَّرناه آدميًّا ذكرًا؛ فإنَّ الملائكةَ ليسوا بإناثٍ.

الزَّجّاجُ: لو أرسلناه ملكًا لم نُرسِلْه إلَّا في صورةِ إنسانٍ؛ لأنَّ الملائكةَ روحانيُّون لا يُمكِنُ النَّظرُ إليهم ولا المكالمةُ معهم[1]، ولأنَّهم عِظامُ الأجسامِ، لا يُدرِكُ بصرُ الإنسان منهم إلَّا اليسيرَ من جملتِهم، ولهذا كانوا يأتون الأنبياءَ عليهم السَّلامُ على صورِ الآدميِّين كدِحْيةَ[2] وأضيافِ إبراهيمَ ولوطٍ وخصمَي داودَ عليهم السَّلامُ[3]، ورُؤيتُهم على هيئتِهم مُعجزةٌ فلا تكونُ إلَّا لنبيٍّ.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾؛ أي: لشبَّهنا وأشكَلْنا عليهم من أمرِه؛ إذ كان سبيلُه كسبيلِكَ يا محمَّدُ.

---

(١) في (و): «لهم».

(٢) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وبقي إلى خلافة معاوية، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته أحيانًا، وكان رسول رسول الله ﷺ إلى قيصر سنة ست من الهجرة. انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٤٦١)، و«الإصابة» (٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣١).

﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾؛ أي: على أنفسِهم.

وقيل: على ضُعفائهم، يقولون: إنَّما هذا بشرٌ مثلُكم؛ أي: لَبَسْنا لَبْسًا كلَبْسِهم.

و(ما) للمصدرِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هم أهلُ الكتابِ، لبَسَ اللهُ عليهم ما لبَسوا على أنفسهم بتحريفِ الكلام عن مواضعِه[1].

وحكى أقضى القضاةِ لجُوَيبرٍ: للَبَسْنا على الملائكةِ من الثِّيابِ ما يلبِسُه النّاسُ[2].

وهذا لا تحتملُه العربيَّة؛ لأنَّك تقول: (لَبَسْتُ الأمرَ) بالفتح (ألبِسُه) بالكسر، و(لَبِسْتُ الثَّوبَ) بالكسرِ (أَلْبَسُهُ) بالفتحِ.

وقُرِئ في الشَّواذِّ بالتَّشديدِ للمُبالغةِ[3].

وقيل: لخلَطْنا عليهم ما يخلِطون.

***

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ثمَّ عزَّى نبيَّه على ما أصابَه من استهزاءِ قومِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٧).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٩٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى الزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٢)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٦٤).

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: نزل بهم وَبالُ فعلِهم.

الزَّجَّاجُ: الحَيْقُ: ما يشتمِلُ على الإنسانِ من مكروهِ فعلِه[1].

وقيل: معناه: وجَبَ.

وقيل: (حاقَ) و(حقَّ) بمعنًى.

﴿مَّا كَانُواْ﴾؛ أي: الذي، ويجوزُ أن تكونَ للمصدرِ؛ أي: استهزاؤُهم.

***

(١١) ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أبعِدوا فيها نحوَ اليمنِ مرَّةً ونحوَ الشَّامِ أُخرى، ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ لِتَروا كيف أهلكَهم اللهُ بعذابِ الاستئصالِ، ومِثْلُ ذلك بالمرصادِ لمن سلَكَ سبيلَهم بالكفرِ والفسادِ.

الحسنُ: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: اقرؤوا القرآنَ وتأمَّلوا ما وقعَ بهم، فانظروا كيف كان حالُ[2] المكذِّبين[3].

وذُكرَ بلفظِ (ثمَّ) لأنَّهم أُمروا بسيرٍ بعد سيرٍ، وذاك يقعُ في زمانٍ بعيدٍ، والفاء يوجبُ سيرًا واحدًا يتعقَّبُه النَّظرُ.

والسَّيرُ: استمرارُ الانتقالِ لطلبِ الإبعادِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣١).

(٢) في (ن): «عاقبة».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٤٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٣)، واستغربه.

والنَّظرُ: طلبُ إدراكِ الشَّيءِ من جهة البصرِ أو الفكرِ.

***

(١٢) - ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مِلْكُها. وقيل: تسخيرُها.

﴿قُل لِّلَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنْ أجابوكَ وإلَّا فقل: لله[١].

وقيلَ: فقل: لله، فإنَّهم لا يُنكِرون.

قال صاحبُ «النَّظم»: فقالَ لهم ما أُمِرَ، فقالوا: فلِمَن هي؟ فأجابَهم الله بقولِه: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾[٢].

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: قضى وأوجَبَ عليه سبحانه تفضُّلًا وكرمًا، وذكَر النَّفسَ لارتفاعِ الوسائط، والمعنى: من رحمتِه إمهالُه إيَّاهم بعد كُفرِهم.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ استئنافٌ وقَسَمٌ؛ أي: ليجمعنَّكم في القبورِ إلى يوم القيامةِ الذي أنكرتُموه.

وقيل: ليجمعنَّكم في يومِ القيامةِ. و(إلى) بمعنى: في.

وقيل: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ متَّصلٌ بـ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: من رحمتِه بَعثُه إيَّاكُم وإنعامُه عليكم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: في اليوم، وقيل: في الجمع.

---

(١) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ١٠٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٤)، واستغربه.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: غبنوها ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

قيل: إنَّه استئنافٌ، ومحلُّه رفعٌ بالابتداء، ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ خبرُه. وقيل: ذمٌّ[١]. وقيل: بدلٌ من ضميرِ المُخاطب، ومحلُّه نصبٌ[٢].

***

(١٣) ـ ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في سبب النُّزول: قال الكلبيُّ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ كفّارَ مكّةَ أتوا رسولَ الله عليه السَّلامُ فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا قد علِمْنا أنَّه إنَّما يحملُك على ما تدعُوْنا إليه الحاجةُ، فنحن نجعلُ لك نصيبًا في أموالنا حتَّى تكونَ مِن أغنانا رجلًا، وترجعَ عمَّا أنت عليه، فنزلت هذه الآية[٣].

والمعنى: له ما سكنَ في اللَّيلِ والنَّهارِ وتحرَّك فيهما، فاكتفى بأحدِ الضِّدَّين عن الآخرِ.

وقيل: ذكرَ السُّكونَ لأنَّه أعمُّ من الحركةِ، وأنَّ مآلَ كلِّ مُتحرِّكٍ إلى السُّكون[٤].

وقيل: ﴿مَا سَكَنَ﴾؛ أي: دخلَ، من قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

---

(١) فهو في محلّ نصب بفعل محذوف تقديره: أذمُّ.

(٢) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٢٩٣)، وقد اختار القول الأول الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣٢)، واختاره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٥).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤)، وهو في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٢) عن الكلبي.

(٤) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٤)، واستغربه.

وقيل: السُّكونُ: الحلولُ؛ أي: له ما يَشتمِلُ عليه اللَّيلُ والنَّهارُ من الأجسامِ والأعراضِ.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: ناصرًا ومعبودًا، وذلك أنَّه دُعِيَ إلى الشِّركِ وعبادةِ الأصنامِ.

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خالقِهما ومُوجِدِهما. وأصلُ الفَطْرِ: الشَّقُّ.

وذكر المفسِّرون عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: ما كنتُ أعرفُ معنى (فَطَرَ) حتَّى أتاني أعرابيَّان يتخاصَمان في بئرٍ، فقال أحدُهما: أنا فطَرْتُها؛ أي: أنا ابتدأْتُها[1].

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾؛ أي: يَرزُقُ ولا يُرزَقُ.

وقيل: خصَّ الطَّعامَ بالذِّكرِ لأنَّ الحاجةَ إليه أشدُّ، كقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أوَّلَ مَن يدخلُ في دينِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٥)، ومن طريقه ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧٥).

الحسن: أوَّلَ مَن آمَنَ من أُمَّتِه[١].

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تقديرُه: كنْ أوَّلَ مَن أسلَمَ ولا تكوننَّ من المشركين.

***

(١٥) ـ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: إنِّي أخافُ عذابَ يومٍ عظيمٍ، وهو القيامةُ، إنْ عصيْتُ ربِّي ـ وقد أمرَني أن أكونَ أوَّلَ مسلمٍ ـ عاقبَني عليه، فالجزاءُ محذوفٌ، والشَّرطُ معترضٌ بين الفاعلِ والمفعولِ به[٢].

***

(١٦) ـ ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: مَن يُصرَفِ العذابُ عنه، أو يَصْرِفْه الله[٣]، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾: أنعمَ عليه ونجَّاه ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٣).

(٢) في هامش (ن): «الفاعل: ﴿أَخَافُ﴾، والمفعول: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ﴾ والشرط بينهما، وهو اعتراض حسن معنوي».
قلت: ويعني بكون الفاعل ﴿أَخَافُ﴾ ما فيه من الضمير المستتر الذي هو الفاعل، لا هو نفسه؛ فإنه فعل، ويستحيل أن يكون فاعلاً.

(٣) قوله: «مَن يُصرَفِ العذابُ عنه، أو يَصْرِفْه الله» لعله بذكر الوجهين يشير إلى القراءتين بضم الياء وبفتحها، وقد صرح بذلك في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٥) فقال: «مَن قرأ بفتح (الياء) فالفاعل مضمر يعود إلى ﴿رَبِّي﴾ والمفعول محذوف تقديره: مَن يَصْرِفْه عنه، والعائد ضمير العذاب... ومَن ضم الياء فالمضمر فيه يعود إلى العذاب».
وقد قرأ بفتح الياء على البناء للفاعل حمزة وأبو بكر والكسائي، والباقون بضمها على البناء للمفعول. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(١٧) ـ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بَلِيَّةٍ وفقرٍ ومرضٍ، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: لا دافعَ له ﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلّا الله، ومعنى: مسَّه بكذا: أصابه ذلك.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: عافيةٍ وغِنًى وصحَّةٍ، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالبُ المُقتدرُ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: عالٍ عليهم بالقدرةِ. خبرٌ بعد خبرٍ.

والعبادُ: المملوكون، وهي[1] مخصوصةٌ بالإضافةِ إلى الله، وسائرُ جموعِه عامٌّ.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمرِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بعبادِه.

* * *

(١٩) ـ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ في سبب النُّزول: قال الكلبيُّ: إنَّ رؤساءَ مكَّة قالوا: يا محمَّدُ، ما نرى أحدًا يُصدِّقُك بما تقولُ من أمرِ الرِّسالة، ولقد سألنا عنك اليهودَ والنَّصارى فزعَموا أنْ ليس لك عندهم ذِكْرٌ ولا صفةٌ، فأرِنا مَن يشهدُ لك أنَّك رسولُ الله كما تزعمُ، فأنزَلَ الله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾[2]: أعظمُ شهادةً لا يجري فيها السَّهوُ والخطأُ والكذبُ. وقيل: أفضلُ.

---

(١) أي: لفظة العباد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤).

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ﴾ رُوِيَ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه قال: فإنْ أجابوك وإلَّا فقل: الله[١].

وقيل: كان القومُ مُقرِّين بأنَّ اللهَ أكبرُ شهادةً، فلهذا لم ينتظرِ الجوابَ.

ووقفَ بعضُ القرَّاء على: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾[٢]، و﴿شَهِيدُۢ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هو شهيدٌ.

وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ الله أمرَه أنْ يشهدَ عليهم بتبليغِ الرِّسالة إليهم بقولِه: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗ﴾.

﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآنِ.

أرادَ: لأُنذرَكم ولأُبشِّرَكم، فاكتفَى بأحدِ الضِّدَّين.

قال الشَّيخ الإمام[٣]: ويحتملُ أنَّهم يُنذَرون إلى أن يُؤمنوا.

﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾؛ أي: ومَن بلغَه القرآنُ، فهو نصبٌ عطفًا على ضميرِ المُخاطَبين.

ومَن بلغَه القرآن فقد أنذرَه محمَّدٌ عليه السَّلامُ، وفي الخبرِ: ومَن بلغَه القرآنُ فقد بلَّغَه محمَّدٌ عليه السَّلامُ[٤].

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٩).

(٢) وهو وقف حسن كما قال أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٦٢٩).

وجاء في هامش (ن): «ومن وقف على قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فمثاله تقول: صليتَ الجمعة اليوم في الجامع؟ يقول: نعم، وإن شاء أعاد كلامك كله، والأحسن حذفه والاقتصار على ما يليق بالجواب، كذلك الوقف في الآية على هذا».

(٣) «قال الشيخ الإمام»: ليست في (ن). والمراد بهذه العبارة المؤلف نفسه، وقد تكرَّرت في كتابه هذا كثيراً وفي «غرائب التفسير».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٥٨)، والطبري في «تفسير» (٩/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧١) من قول محمد بن كعب القرظي. =

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني: الأصنامَ، استفهامُ إنكارٍ وتبكيتٍ.

﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: بل أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: وأتبرَّأ منَ الأصنامِ التي تزعُمون أنَّها له شركاءُ.

***

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ والإنجيلَ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، وقيلَ: يعرفون القرآنَ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ سبقَ تفسيرُه في (البقرة).

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: بَلَغوا النِّهايةَ في الخسرانِ؛ لأنَّ مَن خسرَ مالَه تعزَّى بسلامةِ نفسِه. وقيلَ: خسروا منازلَهم وأهاليَهم في الجنَّة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

***

(٢١) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: استفهامٌ يتضمَّنُ معنى النَّفي؛ أي: لا أحدَ أظلَمُ لنفسِه ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: اختلَقَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فيصفُه بغيرِ صفاتِه. والافتراءُ: تحسينُ الكذبِ.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: كذَّبَ نبيَّه بردِّ آياتِه.

﴿إِنَّهُۥ﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لا ينالون خيرًا.

***

= وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٩٤)، والخطيب البغدادي في «مسلسل العيدين» (ص: ٥٣) من قول ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: «مَن بلغه القرآن فكأنما شافهه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾».

(٢٢) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾؛ أي: اذكُرْ[1]، وقيل: أنذِرْهم.

ابنُ جريرٍ: تقديرُه: لا يُفلِحُ الظَّالمون أبدًا ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾[2]؛ أي: من قبورِهم؛ يُريدُ: الظَّالمين والخلقَ جميعًا.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾؛ أي: أشركوا مع الله غيرَه: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ سؤالُ تنكيرٍ[3]؛ أي: أين أعيانُها. وقيل: شفاعتُها.

ومعنى: ﴿شُرَكَآؤُكُمُ﴾؛ أي: سمَّيتُموهم شركاءَ لله.

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: تزعمونَهم شركاءَ.

***

(٢٣) ـ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾؛ أي: مقالتُهم. وقيل: الفتنةُ: الخلاصُ. وقيل: معذِرتُهم. وقيل: عاقبةُ فتنتِهم.

﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ أي: عندَ أنفسِنا، بل ظننَّا أنَّا مُصيبون.

وقيل: تخلَّقوا في القيامةِ بأخلاقِهم في الدُّنيا من الكذبِ فجحدوا كُفرَهم.

وقيل: هؤلاء قومٌ كانوا مُشركين، ولم يعلموا أنَّهم مُشركون، فيحلفون على اعتقادِهم في الدُّنيا.

---

(١) أي: اليوم منصوبٌ بمحذوفٍ، تقديره: واذكر يومَ نحشرهم. وهو مفعول به لا ظرف.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٨٨)، وفيه: إن هؤلاء المفترين على الله كذبًا، والمكذبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعًا؛ يعني: ولا في الآخرة، ففي الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، واستغربه.

(٣) أي: استفهام إنكار، كما ذكر المصنف في مواضع مقصورة، وهو إنكار توبيخ، لا إنكار تكذيب. انظر: «مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٣١٦).

(٢٤) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟﴾؛ أي: انظُرْ يا محمَّدُ. وقيل: الخطابُ للملائكةِ.

﴿كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: في الدُّنيا؛ لأنَّ القيامةَ لا يَكْذِبُ فيها أحدٌ.

وقيلَ: المرادُ به: كذبُهم بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وللقيامةِ[1] مواطنُ فما لم يصيروا إلى الجنَّةِ أو النَّار يجري فيها الخصامُ والمِراءُ والصِّدقُ والكذبُ.

وقيل: صارَ وَبالُ كذبِهم على أنفسِهم.

وقيل: ﴿كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: جحَدوا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: ما يَدَّعونه من الشُّركاءِ، ومعناه: ذهبَ عنهم ما كانوا يفترون، وقيل: اشتغَلَ عنهم.

وقيل: معنى ﴿ضلَّ عنهم﴾: نسُوا.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في سبب النُّزول: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في روايةِ أبي صالحٍ: إنَّ أبا سفيانَ والنَّضرَ بنَ الحارثِ وعتبةَ وشيبةَ ابني ربيعةَ وأميَّةَ وأُبيًّا ابنَي خلفٍ استمعوا إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ، فقالوا للنَّضرِ: ما تقولُ؟ فقال: والذي جعلَها بيتَه ما أدري ما يقولُ، إلَّا أنِّي أرى تحريكَ شفتَيه يتكلَّمُ بشيءٍ، وما يقولُ إلَّا أساطيرَ الأوَّلين مثل ما كنْتُ أحدِّثُكم عن القرون الماضية، قال: وكان النَّضرُ كثيرَ

---

(١) في (و): «والقيامة».

الحديثِ عن القرونِ الماضيةِ[١]، وكان يُحدِّثُ قُريشًا ويستملِحون حديثَه، فأنزلَ الله: ﴿وَمِنْهُم﴾[٢]؛ أي: من الكفَّارِ ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: يَتعرَّضُ لسماعِ القرآن.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطيةً، جمع كِنانٍ، وهو سِتْرُ الشَّيءِ[٣].

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: كراهةَ أن يفقَهوه. وقيل: أنَّ لا[٤] يفقَهوه.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثِقلًا يمنعُ من السَّمع.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ يُريدُ: انشقاقَ القمرِ وسائرَ ما رأوا من دلائلِ النُّبوّة.

﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾؛ أي: انتهى كفرُهم إلى أن جاؤوا مُجادِلين.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾: ما هذا ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: كتبُهم.

أبو عبيدة: ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: تُرَّهات[٥].

والأساطيرُ جمعٌ لا واحدَ له كعَباديدَ، وقيل: جمعُ إسطارٍ وإسطارةٍ وأُسطورٍ وأُسطورةٍ[٦]، وسَطَّرَ الرَّجلُ: أتى بالحديثِ الباطلِ، وهو سَطْرٌ وسَطَرٌ وأسطُرٌ وأسطارٌ وسُطورٌ[٧].

وذهب بعضُهم إلى أنَّها نزلت فيمَن قصدوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ ليُؤْذوه ويرجُموه،

---

(١) في (ن): «القرون الأول».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤)، وهو في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٥ ـ ٥٦) عن الكلبي. فلعله عند من عزاه لابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعلى كل فالكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) في (ن): «بالشيء».

(٤) في (و): «وقيل أنى»، وهو تحريف، والمثبت من (ن)، والمعنى عليه: «لأنْ لا...».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٨٩).

(٦) وإسطير وإسطيرة، فهي ستة: ثلاثة دون هاء، وثلاثة بزيادة الهاء. انظر: «القاموس» (مادة: س ط ر).

(٧) في عبارة المصنف اختصار، والمراد أن كلمة (سطر) فيها لغة بسكون الطاء، ولغة بفتحها، وتجمع على لغة التسكين على (أسطر) للقلّة، و(سطور) للكثرة، وتجمع على لغة الفتح على (أسطار). انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (س ط ر) (١٢/ ٢٢٩).

وكانوا يستدلُّون بقراءتِه على موضِعِه، فألقى الله عليهم النَّومَ إذ قعدوا يرصُدونه[١]، ومثلُها قولُه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا﴾ [الإسراء: ٤٥] الآيتان.

وقيل: هذا ذمٌّ كقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٨]، وقد سبق.

الزَّجَّاجُ: فعلَ ذلك بهم مُجازاةً على كُفرِهم[٢].

***

(٢٦) ـ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في سببِ نزولها قولان:

أحدُهما: أنَّها نزلت في أبي طالبٍ، كان ينهَى المشركين أن يُؤذوا رسولَ الله عليه السَّلامُ، ويتباعدُ عمَّا جاء به[٣].

قال مقاتلٌ: اجتمعت قريشٌ إلى أبي طالبٍ يُريدون سوءًا بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقال أبو طالبٍ:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٩)، جميعهم من طريق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني من سمع ابن عباس يقول... فذكره.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٥) من طريق حمزة بن حبيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الحاكم: حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والله لَنْ يَصِلوا إليك بجمعِهم حتَّى أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفينا
فاصدَعْ بأمرِكَ ما عليكَ غضاضةٌ وَابشِرْ وَقَرَّ بذاكَ منكَ عُيونا
لولا الملامةُ أو حَذاري سُبَّةً لَوَجَدْتني سَمْحًا بذاكَ مَتينا(٤)

والثَّاني: قولُ محمَّدِ ابنِ الحنفيَّة والسُّدِّيِّ والضَّحَّاكِ: نزلت في كفَّارِ مكَّةَ، كانوا ينهَون النَّاسَ عن اتِّباع محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ويتباعَدون بأنفُسِهم عنه(٥).

والهاء في ﴿عَنۡهُ﴾ تعودُ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

وقيل: إلى القرآن؛ أي: ينهَون عن سماعِه ويتباعَدون عنه مخافةَ ميلِ القلوبِ إليه.

***

(٢٧) ـ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ﴾؛ أي: يُوقَفون ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: عاينوها.

وقيل: صاروا فوقَ النَّار وصارتِ النَّارُ تحتَهم.

وقيل: حُبِسوا في النَّار.

وذكر أقضى القضاةِ وجهًا آخرَ؛ أي: جُعِلوا وقفًا على النَّار، من الوقوفِ المُؤبَّدة(٦).

---

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٥٥٦)، وعنه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية والسدي وغيرهم. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧) عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية، وقال: «وروي عن الضحاك وحبيب بن أبي ثابت نحو ذلك».

(٦) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ١٠٥)، وقد ذكره عن الكلبي بلفظ: «ولو ترى إذ حُبِسُوا على النار». وذكره بلفظه: المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، واستغربه، وذكره بلفظ قريب أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٤).

ويدفعُه قولُه: ﴿إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام: ٣٠].

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾: تمنَّوا الرَّدَّ إلى الدُّنيا ليُؤمِنوا ويُخلِصوا إيمانَهم.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ استئنافُ كلامٍ منهم[١]، ومَن نصَبَ جعلَ الواوَ تنوبُ عن الفاءِ، كأنَّهم تمنَّوا الرَّدَّ وأنْ لا يُكذِّبوا وأنْ يكونوا مُؤمنين.

وجوابُ (لو) محذوفٌ تقديره: لرأيتَ عجيبًا.

***

(٢٨) - ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم﴾ ﴿بَلۡ﴾ للإضرابِ عن الوفاءِ بما تمنَّوا، و﴿بَدَا لَهُم﴾: ظهرَ لهم ﴿مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ﴾ قيل: في الدُّنيا؛ أي: الشِّركُ والنِّفاقُ والمعاصي.

وقيل: هو قولُهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ أي: بدا بشهادةِ الجوارحِ؛ أي: بدا عنهم[٢].

وقيل: بدا جزاءُ ذنوبِهم.

ابنُ بحرٍ: ﴿بَدَا لَهُم﴾: ظهرَ وبانَ لهم ﴿مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ﴾؛ أي: يجدونه خافيًا، كما تقول: أحمَدْتُه: وجدتُه محمودًا، وأعمَرْتُ البلادَ: وجدتُها عامرةً[٣].

﴿وَلَوۡ رُدُّواْ﴾؛ أي: إلى الدُّنيا ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾؛ أي: إلى الكفرِ.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ قيل: في الدُّنيا، وقيل: في قولِهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) هذا على قراءة مَن رفع (نكذب)، وقد قرأ حمزة وحفص: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ و﴿نكون﴾ بنصب الباء والنون فيهما، وقرأ ابن عامر: ﴿وَنَكُونَ﴾ فقط بالنصب، والباقون بالرفع فيهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢٩) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾؛ أي: في الدُّنيا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾: ما هي، و﴿هِيَ﴾ كنايةٌ عن المدَّة. وقيل: عن الحياة.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ وهو عطفٌ على ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾؛ أي: لعادوا وقالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾.

***

(٣٠) ـ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: قضاءِ ربِّهم فيهم، وقيل: مسألةِ ربِّهم إيَّاهم عن أعمالِهم. وقيل: وُقِفُوا لحسابِ ربِّهم.

وفسَّر بعضُ المُشبِّهةِ ﴿وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: وُقِفُوا عليه فشاهَدوه[1]، وهذا فاسدٌ؛ لأنَّا إنَّما نُثبِتُ الرُّؤيةَ لله في حقِّ المؤمنين دون الكافرين.

﴿قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا﴾: هو إشارةٌ إلى البعثِ وما يَتْبعُه من الثَّوابِ والعقابِ.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالكائنِ الموجودِ لا بالباطلِ المعدومِ.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أقرُّوا، وأكَّدوا الإقرارَ باليمينِ.

﴿قَالَ﴾؛ أي: الله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ ابنُ عيسى: إنَّما قال: (ذوقوا) لأنَّهم في كلِّ حالٍ يجدونَه وجدانَ الذَّائق في شدَّة الإحساسِ، ولا يصيرون إلى نُقصانِ الإدراكِ[2].

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ قيل: بسببِ كفرِكم. وقيل: الباءُ للبدلِ؛ أي: مكانَه وبدلًا منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، وعدَّه من العجائب، وردَّه كما هنا.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٨٢) بلا نسبة، وفيه: «من غير أن يصيروا إلى حال مَن يشم الطعام في نقصان الإدراك».

(٣١) ـ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فاتَهم النَّعيمُ وهلكوا، ولقاءُ الله: البعثُ بعد الموتِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعني: القيامةَ، وسُمِّيت القيامةُ ساعةً لسرعةِ الحسابِ فيها للجزاءِ، كقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقيل: أراد السَّاعةَ التي إذا جاءت بَطَلت الدُّنيا، فحذفَ الصِّفة.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً، وهي نصبٌ على الحال؛ أي: باغتةً، وهي ورودُ الشَّيءِ على صاحبِه من غيرِ علمِه بوقتِه.

﴿قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: تحسَّروا على تقصيرِهم ونادوا الحسرةَ؛ أي: تعالَي فهذا أوانُكِ. وقيل: معناه: انتبهوا على حسراتِنا.

ومعنى ﴿فَرَّطْنَا﴾: قصَّرنا.

ابنُ بحرٍ: فرَطَ: سبقَ، والفارِطُ: السَّابقُ، وفرَّطَ: خلَّى السَّبقَ لغيره.

﴿فِيهَا﴾ قيل: في الدُّنيا.

وقيل: في الصَّفقةِ، ودلَّ ﴿خَسِرَ﴾ عليها[1].

وقيل: في السَّاعةِ؛ أي: فرَّطْنا في التَّقدمةِ لها.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: آثامَهم، وَزَرَ الرَّجلُ يَزِرُ وِزْرًا: أَثِمَ، ووُزِرَ فهو موزورٌ: إذا أُثِمَ أيضًا، وأصلُه: الثِّقْلُ، والوِزارةُ: حملُ الثِّقْلِ.

وقيل: الوَزَرُ: الملجأُ، والوِزارةُ منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، واستغربه. وذكر وجهًا عدَّه من العجائب واستحسنه، وهو: أن ﴿مَا﴾ هي الموصولة، و﴿فِيهَا﴾ كناية عن ﴿مَا﴾، وأنث حملاً على الأعمال.

وخُصَّ الظَّهرُ لأنَّه لا يُحمَلُ عليه إلَّا الأثقلُ.

وخُصَّ بالإضافةِ نفيًا للمجازِ، كقولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ورُوِيَ: وَزِرَ يَزِرُ؛ بالكسرِ فيهما[١].

وقيل: هو[٢] مجازٌ بمعنى اللُّزوم.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بئسَ شيئًا يحملونَه، وأفادَ ﴿أَلَا﴾ تعظيمَ ما يُذكَرُ بعدَه.

***

(٣٢) ـ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ جوابٌ لقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾؛ أي: وما أعمالُ الحياةِ الدُّنيا إلا لعبٌ ولهوٌ.

وقيل: وما أهلُ الحياةِ الدُّنيا إلَّا بأهلِ لعبٍ ولهوٍ؛ أي: سريعةُ الانقضاءِ قليلةُ البقاء.

وقيل: لأنَّه لا منفعةَ له[٣] في عاقبتِه.

وقيل: عاقبةُ اللَّعبِ واللَّهوِ الغَمُّ والنَّدمُ.

ابنُ عيسى: اللَّعبُ: عملٌ يَشْغَلُ عمَّا يُنتَفعُ به إلى ما لا يُنتَفعُ به، واللَّهوُ: صرفُ النَّفسِ عن الجِدِّ إلى الهزلِ، وأصلُه من (لَهِيتَ عنه)[٤]، ومنه: إذا استأثَرَ اللهُ بشيءٍ فَالْهَ عنه[٥].

---

(١) في (ن) زيادة «لغة».

(٢) أي: حمل الأثقال على الظَّهر.

(٣) «له»: ليست في (ن).

(٤) أي: غفلت عنه وتركت ذِكره، ومضارعه: يَلْهَى.

(٥) من أمثال العرب كما في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٣١٤)، و«الجليس الصالح» (ص: ٢٠٧)، ونسبه المبرد في «الكامل» (٤/ ٣٢) لعمر بن عبد العزيز، وقد رواه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٢٦) وذكر له خبرًا: أن عمر رأى رجلًا يشير بشماله فقال: يا هذا! إذا تكلمت فلا تشر =

﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾؛ لِدَوامِها وبقائِها، ولحُسْنِ عاقبةِ المتَّقين[١] فيها، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أيَّ الحالَيْن خيرٌ.

***

(٣٣) - ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال السُّدِّيُّ: التَقى الأخنَسُ بنُ شُرَيقٍ وأبو جهلِ بنُ هشامٍ، فقال الأخنسُ لأبي جهلٍ: يا أبا الحكَم، أخبرني عن محمَّدٍ، أصادقٌ هو أم كاذبٌ؟ فإنَّه ليس هاهنا أحدٌ يسمعُ كلامَك غيري، فقال أبو جهلٍ: واللهِ إنَّ محمَّدًا لصادقٌ، وما كذبَ محمَّدٌ قطُّ، ولكنْ إذا ذهبَ بنو قُصيٍّ باللِّواءِ والسِّقايةِ والحجابةِ والنَّدوةِ والنُّبوَّةِ، فماذا يكونُ لسائرِ قريشٍ؟ فأُنزلت هذه الآية[٢].

وقال أبو ميسرةَ: إنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ مرَّ بأبي جهلٍ وأصحابِه، فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا واللهِ لا[٣] نُكذِّبُكَ، إنَّكَ عندَنا لصادقٌ، ولكنْ نُكذِّبُ بما جئْتَ به، فنزلَتْ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٤].

= بشمالك، أشر بيمينك. فقال الرجل: ما رأيت كاليوم! إنَّ رجلًا دفن أعزَّ الناس إليه ثم إنه يهمه يميني من شمالي، فقال عمر: إذا استأثر الله بشيء فاله عنه. ومعناه والله أعلم: ما ذكره المبرد في «التعازي والمراثي» (ص: ٨٩) عن الأصمعي عن عمر قال: إنما الجزع قبل فوات الشيء، فإذا فاتك الشيء فاله عنه.

(١) في (و): «ولحسن عاقبتها للمتقين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٢).

(٣) في (و): «ما».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٤) إلى =

وعن مقاتلٍ: أنَّها نزلت في الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نَوفلٍ، كان يُكذِّبُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ في العلانيةِ، فإذا خلا مع أهلِ بيتِه قال: ما محمَّدٌ من أهلِ الكذبِ، ولا أحسبُه إلَّا صادقًا، فأنزلَ الله هذه الآيةَ(٥).

وكلمةُ (قد) تأتي للتَّوقُّع، وتأتي للتَّقريب من الحال، وتأتي للتَّقليل(٦)، والآيةُ تَحتمِلُ الأوجهَ الثَّلاثة.

وفي الآيةِ تسليةُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ على تكذيبِهم إيَّاه وقولِهم له: إنَّه كاذبٌ وساحرٌ وشاعرٌ ومجنونٌ، فإنَّهم لا يُكذِّبونك ولا يخصُّونك بالتَّكذيب، وإنَّما يجحدون آياتِ الله.

وقيل: معناه: لا يُكذِّبونك بحجَّةٍ، ولا يُعتَدُّ بتكذيبِهم.

وقيل: لا يَنْسُبونك إلى الكذبِ(٧).

و﴿يُكْذِبُونَكَ﴾(٨) بالتَّخفيفِ معناه: لا يجدونَك كاذبًا(٩). وقيل: هما بمعنًى.

***

= عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه، وروى نحوه الترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣٠)، والضياء في «المختارة» (٧٤٨)، من طريق ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه، وأعلَّه الترمذي بالإرسال، فقد رواه عن ناجية بن كعب مرسلاً وقال: و«هذا أصح».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٥٥٨).

(٦) وقد تأتي أيضاً للتحقيق والتكثير. انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٢٥٦ ـ ٢٥٩).

(٧) في (و): «التكذيب».

(٨) قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وباقي السبعة بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٩) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٣٩).

(٣٤) ـ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كهودٍ ولوطٍ وصالحٍ وشُعيبٍ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ فتأسَّ بهم واصبِرْ.

﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: مَعونتُنا.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا مُخلِفَ لوعدِه؛ يعني قولَه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]... الآيات، وقولَه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١]... الآية، وقولَه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]... الآية.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: قِصَصِهم وما حلَّ بقومِهم. والفاعلُ مُضمَرٌ[(١)].

وقيل: (من) زيادةٌ، وفيه بُعدٌ[(٢)].

***

(٣٥) ـ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عظُمَ وشَقَّ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك وعن الإيمانِ بك وبالقرآنِ، وحرصْتَ على إيمانِهم، ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ﴾: تطلُبَ ﴿نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ تغوصُ

---

(١) أي: فاعل (جاء) مضمر فيه، وهو يعود إلى النبأ وإن لم يتقدم ذكره؛ لأن قوله: ﴿مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يدلُّ عليه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨)، وانظر: «إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٢٩٠).

(٢) وهذا قول الأخفش، وهو مشهور عنه، كما في «معاني القرآن» له (١/ ٢٩٨)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٤٩٢). وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨) فقال: «ولا يجوز أن تكون (من) زيادة؛ لأنها لا تزاد في الإثبات، وأجاز الأخفش زيادتها في الإثبات قياساً على النفي».

فيها، والنَّفَقُ: سَرَبٌ له مَخْلَصٌ إلى مكانٍ آخرَ. ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: مَصعدًا تصعَدُ فيه، وقيل: درجًا، وقيل: سببًا، وسُمِّي سُلَّمًا لتسليمِه إلى المقصدِ.

﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بآيةٍ خيرٍ ممَّا معك فافعَلْ[1].

والمعنى: لا يُؤمنون وإن اجتهدْتَ كلَّ الاجتهادِ وجئْتَهم بما اقترحوا من الآياتِ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بإنزالِ آيةٍ تَضْطَرُّهم إلى الإيمان.

وقيل: لو شاء الله أن يَطبعَهم على الهدى لفعلَ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾؛ أي: بحكمِ الله في عبادِه.

وقيل: لا تجزَعْ في مواطنِ الصَّبرِ فتُقارِبَ حالَ الجاهلِ.

ويحتملُ أنَّ المعنى: فلا تكُنْ ممَّنْ لا يعلَمُ هذا، وليس المُرادُ به الجهلَ المذمومَ.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به غيرُه.

* * *

(٣٦) - ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يُجيبُ المؤمنون الذين ينتفعون بسمعِهم.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾؛ أي: فأمَّا الكفَّارُ الذين هم كالموتى، الذين لا يسمعون ولا يُبصِرون، فيبعثُهم الله مع الموتى، فإنَّهم في عِدادِهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2]؛ أي: إلى أرضِ المحشرِ.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٤).

(٢) في (و): «يحشرون».

(٣٧) ـ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: هلَّا أُنزِلَ عليه ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يُريدون: ما اقترحوا عليه من جَعلِ الصَّفا ذهبًا، وأن يُوسِّعَ لهم أرضَ مكَّةَ، ويُفجِّرَ الأنهارَ خلالها تفجيرًا.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ من الآياتِ التي اقترحتُم، لكنَّها سؤالُ إعناتٍ وطلَبُ مُدافعةٍ، وهو سُبحانَه لا يُنزِلُ مثلَ هذه الآياتِ، وقد أنزلَ عليك القرآنَ وهو من أبلَغِ الآياتِ وأظهَرِ المُعجزاتِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنَّها تستدعي تأمُّلًا فيها وتفكُّرًا.

***

(٣٨) ـ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثمَّ ذكرَ ما يُستدَلُّ به على قُدرتِه على الآياتِ، والدَّابَّةُ: اسمٌ لِمَا يَدِبُّ، يقعُ على المذكَّرِ والمؤنَّث، ولا يُطلَقُ على الآدميِّ إلَّا شتمًا[١]، وكذلك الحيوان[٢].

﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قيَّدَ الطَّيرانَ بالجناحَين قطعًا لمجازِ السُّرعةِ.

والجناحُ: أحدُ ناحيتَي الطَّير، مُشتقٌّ من جَنَحَ: إذا مالَ.

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلقِ والرِّزقِ والموتِ، وفي الحاجةِ إلى مُدبِّرٍ يُدبِّرُ أمرَ مَراشدِها[٣] وإنِ انفردَ كلُّ نوعٍ بخاصَّةٍ لا تُوجَدُ في غيرِه.

والأمَّةُ: الجماعةُ تشترِكُ في نوعٍ.

وقيلَ: أمثالُكم في الأكلِ والشُّربِ.

---

(١) ذكره ذلك المصنف في تفسير سورة (البقرة)، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٦).

(٢) فلا يقال الإنسان: دابة، أو حيوان؛ إلا على سبيل الشتم.

(٣) أي: ما يصلح أحوالها، والمراشد: مقاصد الطرق. انظر: «الصحاح» مادة: (ر ش د) (٢/ ٤٧٤).

الدِّمياطيُّ: في أنَّها تعرفُ اللهَ تعالى وتُوحِّدُه وتُسبِّحُ له، من قولِه: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قال: وتسبيحُه: يا حليمُ يا غفورُ[١].

الزَّجَّاجُ: أمثالُكم في الخلقِ والموتِ والبعثِ[٢].

ومَن ظنَّ أنَّ أصنافَ الحيوانِ مكلَّفةٌ مُتعبَّدةٌ لقوله: ﴿أَمۡثَالُكُم﴾، ولقوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤][٣]، فجاهلٌ بتأويلِ القرآن؛ لأنَّ المُماثلةَ لا تُوجِبُ الاتِّفاقَ في كلِّ شيءٍ، ولأنَّ قولَه: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ من الإنسِ والجنِّ.

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ قيل: الكتابُ: اللَّوحُ المحفوظُ، وهو مشتمِلٌ على ما يجري في العالمِ من جليلٍ ودقيقٍ من جميعِ الحيواناتِ وغيرِها.

وقيل: الكتابُ: القرآنُ.

وقوله: ﴿مِن شَيۡءٖ﴾؛ أي: من شيءٍ احْتِيجَ إلى بيانِه، وهو مشتمِلٌ على ما تُعُبِّدْنا به كنايةً وتصريحًا، أو مُجمَلًا وتفصيلًا.

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: هو كتابُ الأجلِ؛ لقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرعد: ٣٨]، ولقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ولقوله: ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ [آل عمران: ١٤٥][٤].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ للبعثِ والقِصاصِ.

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٨/ ١١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، ولفظه: «يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني، مثلما قال تعالى في (سبحان): ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]»، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨)، وعدَّه من العجائب، وردَّه كما هنا.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١٢).

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: حَشرُها: مَوتُها(١).

وقيل: تُحشَرُ وتُعوَّضُ عمَّا لَحِقَها من الآلامِ، ويُنصَفُ بعضُها من بعضٍ، وتدخلُ الجنَّةَ، وتكونُ من جملةِ دوابِّ الجنَّة.

***

(٣٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ عن الخيرِ ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، ويُريدُ بـ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمةَ الجهلِ والحيرةِ والكفرِ، وظلماتِ المحشرِ والنَّارِ.

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ فيموتُ على الكفرِ.

﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: الإسلامِ.

***

(٤٠) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾: كلمةُ استفهامٍ للجمع وتعجيبٍ ليس لها نظيرٌ، والكافُ فيها حرفُ خطابٍ لا محلَّ له من الإعراب، والتَّاءُ قبلَها ضميرُ الفاعلِ، لزم طريقةً واحدةً(٢) استثقالًا للجمعِ بين علامتَي خطابٍ، ومعناه: تنبَّهْ وتفكَّرْ.

وقال الكوفيون: الكافُ اسمٌ، ومحلُّه نصبٌ، وكأنَّهم أضمَروا المفعولَ الثانيَ(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦).

(٢) وهي الفتحة؛ سواء مكان المخاطب واحداً أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً، ورأى الأزهري أن المراد بها التقرير. انظر: «معاني القراءات» (١/ ٣٥٣).

(٣) واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٩) فقال: «الغريب: ذهب الكوفيون إلى أن الكاف =

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كما جاء مَن قبلَكم.

﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ التي تُحيَون فيها وتُخرَجون من قُبورِكم.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ فيكشفُ ما نزلَ بكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّ الأصنامَ آلهةٌ؟ وجزاءُ الشَّرطِ مُضمَرٌ، تقديرُه: فادعوها.

***

(٤١) ـ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

ثمَّ قال: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ لأنَّهم كانوا إذا مسَّهم الضُّرُّ دَعَوا اللهَ لا غير، دليلُه قولُه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ [الزمر: ٨]، وقولُه: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣]، وقولُه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ﴾ [لقمان: ٣٢]، وأمثالُه.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: فيكشِفُ الضرَّ الذي تدعون اللهَ إليه[1]، تقولُ: دعوْتُ اللهَ إلى أنْ يغفرَ لي، ودعوْتُ اللهَ بأن يُسهِّلَ لي[2].

﴿إِن شَآءَ﴾ يُريدُ: يكشفُ العذابَ في الدُّنيا؛ لأنَّ الساعةَ لا تُكْشَفُ ولا يُكْشَفُ ما ينزلُ بهم فيها.

= اسم، والمعنى: أرأيت نفسك، وهذا بعيد؛ لأن شرط المفعول الثاني في هذا الباب إذا كان مفردًا أن يكون هو إياه، وليس هو كذلك في قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ولا في سائر الآيات...».

(١) أي: إلى كشفه، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٧): «المعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتم، وهذا على اتساع الكلام مثل: سل القرية، المعنى: سل أهل القرية».

(٢) لعله يشير إلى أن (دعا) يتعدى بالباء وبإلى، فمن الثاني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ﴾، ومن الأول قول الشاعر:

دَعَــوْتُ لِمَــا نَابَنِــي مِسْــوَرًا

انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٥١٣).

﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: وتَتْركون، وقيل: (تَنسَون) منَ (النِّسيان)[1]. وقيل: تُعرِضُون عنه إعراضَ النَّاسي.

﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: الذي تُشركونَه مع الله، وقيل: (ما) للمصدرِ؛ أي: تنسَون إشراكَكُم.

***

(٤٢) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ يعني: رسلًا ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: (مِن) زيادةٌ؛ أي: زمانُهم قبلَ زمانِك.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾؛ أي: فكفَروا بهم وكذَّبوهم فأخذناهم ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: الشِّدَّةِ والفقرِ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الضُّرِّ والآفاتِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: ليعودوا إلى الله، والضَّراعةُ: الذِّلَّةُ، وتضرَّعَ: تصاغَرَ وخضَعَ.

والمعنى: فعلْنا ما ذكرنا فلم تخشَعْ قلوبُهم ولم تضرَعْ نفوسُهم.

***

(٤٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾؛ أي: هلَّا تضرَّعوا بالتَّوبةِ والإنابةِ ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم ينزَجروا بما ابتُلوا به ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ خيَّلَ إليهم أنَّها تُقرِّبُهم منَ الله.

***

---

(١) والمراد: أنَّهم ينسون شركاءهم على الحقيقة في تلك الحال.

(٤٤) ـ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: فلمَّا لم يتَّعِظوا بالبلاءِ، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

الزَّجَّاجُ: أي: فتحنا عليهم ما كان مُغلَقًا عنهم[١].

ابنُ جريرٍ: فتحنا عليهم أبوابًا من النِّعمِ كنَّا سدَدْناها عليهم[٢].

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «مُكِرَ بالقومِ وربِّ الكعبةِ»[٣].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟﴾: أُعجِبُوا ﴿بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾: فجأةً.

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: فرِحوا بما أُوتوا ونسُوا ما ذُكِّروا به أخذناهم بغتةً.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: (إذا) هذه تُسمَّى المُفاجأة، كما تقولُ: خرجتُ فإذا زيدٌ قائمٌ[٤]، ومعنى ﴿مُّبْلِسُونَ﴾: آيِسُون.

الزَّجّاجُ: المُبلِسُ: الشَّديدُ الحسرةِ اليائسُ الحزينُ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٨)، وفيه: «فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقًا عليهم من الخير».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، وما ذكره المصنف هو معنى كلامه مختصراً.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩١) عن الحسن موقوفًا عليه.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣١١) عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾....

(٤) انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ٥٧)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ٢٦٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٩).

قُطْرُبٌ: الإبلاسُ: الخشوعُ[١].

أبو عُبيدةَ: الكئيبُ والحزينُ[٢].

ابنُ جريرٍ: السّاكتُ عند انقِطاعِ الحجّةِ[٣].

الدِّمياطيُّ: أي: يئِسُوا منَ الخيرِ كما يئِسَ إبليسُ[٤].

ابنُ عيسى: الإبلاسُ: اليأسُ من النَّجاةِ عند وُرودِ الهلاكِ[٥].

الحسنُ: مُبَصْبِصُون[٦].

وقيل: الإبلاسُ: الإطراقُ منَ الحزنِ والنَّدمُ.

***

(٤٥) ـ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: آخِرُ مَن بقيَ منهم، تقولُ: دبَرَه دَبْرًا ودُبورًا: إذا تبِعَه.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: هو محمودٌ على ما فعلَ؛ فإنَّه سبحانَه قد أعذَرَ وأنذَرَ وأنعَمَ وأمهَلَ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥١٥). وذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٤٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١٤) بلا نسبة.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٩٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٢٤٩) وقد ذكره قولاً من جملة أقوال.

(٤) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٠٩)، وابن فارس في «مجمل اللغة» (ص: ١٣٥) مادة (ب ل س)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٠٢) دون نسبة.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٢٧١)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٥٣٥) دون نسبة.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٧٥). والبصبصة: تحريك الكلب ذنبه طمعًا وخوفًا. والإبل تفعله إذا حدي بها. انظر: «العين» (٧/ ٩١).

وقيل: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على إهلاكِ أعدائِه وأعداءِ أنبيائِه.

وقيل: علَّمَ المؤمنين كيف يَحْمَدونه على نِعمِه بالمُؤمنين ونِقمِه منَ الكافرين[١].

ويحتملُ أنَّ المعنى: أهلَكَهم الله، والحمدُ لله كما كانَ لم ينقطِعْ بهلاكِهم[٢].

***

(٤٦) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ﴾ فأصمَّكم، ﴿وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾ فأعماكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فسلَبَ العقولَ عنها[٣] والتَّمييزَ.

وقيل: ختَمَ على قلوبِكم فأماتَكم.

---

(١) في (و): «بالكافرين».

(٢) فصَّل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٠) ما أجمله هنا فقال ما معناه: «في الحمد هنا ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه أمر، وهو على وجهين:
أحدهما: قولوا: الحمد لله على إهلاك أعدائه وأعداء المؤمنين.
والثاني: قولوا: الحمد لله الذي لم يجعل هلاك أمة محمد ﷺ في الدنيا، كما جعل هلاك سائر الأمم فيها.
وأما الثاني: فهو ثناء من الله ـ سبحانه ـ على نفسه بإهلاك عدوه وعدو أنبيائه.
وأما الثالث: فهو إخبار، وهو على وجهين؛ أحدهما: إثبات، والآخر نفي.
أما الإثبات: فعلى تقدير: فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ثابت كما كان لم ينقطع بهلاكهم.
وأما النفي: فهو نفي الذم؛ أي: قَطَع دابر القوم الذين ظلموا، وهو محمود على ما فعل، فإنه سبحانه قد أعذر وأنذر وأنعم وأمهل.
الغريب: يحتمل أنه لما قال: (قُطع) بلفظ المجهول، قال: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هو القاطع فاحمدوه».

(٣) في (و): «سلب العقول منها».

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾؛ أي: مَن يأتيكم به؛ لأنَّهم علِمُوا أنْ لا أحدَ يُعطيهم عِوَضَها.

والهاء في ﴿بِهِ﴾ قيل: تعودُ إلى الأخذِ، والمرادُ المأخوذُ.

وقيل: إلى الختمِ، والمُرادُ به المختومُ عليه.

وقيل: إلى السَّمعِ، ويكونُ ما عُطِفَ عليه داخلًا معه.

وقيل: ما يأتيكم بأحدِ هذه الأشياءِ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾: نُكرِّرُها.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضون، والصُّدوفُ: الإعراضُ عن الشَّيءِ.

***

(٤٧) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ من غير مُقدِّمةٍ ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ يتقدَّمُها أدلَّةٌ وعلاماتٌ.

الحسنُ: ﴿بَغْتَةً﴾: ليلًا، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: نهارًا[1].

وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾: آمنين، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تنتظِرون.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: لو أُجِبْتُم إلى ما تقترِحون من إسقاطِ السَّماءِ كِسَفًا وغيرِها لم يُهلَكْ به إلَّا القومُ الكافرون والمُعانِدون.

***

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٥٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٩٣).

(٤٨) ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ بالجنَّةِ ﴿وَمُنذِرِينَ ﴾ بالنَّارِ، وليست بأيديهم الآياتُ.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾؛ أي: دام على إيمانِه، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

***

(٤٩) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: كذَّبوا رُسلَنا بردِّ آياتِنا ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾: ينالُهم ويُصيبُهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾: بسبب فِسقِهم وخُروجِهم من طاعةِ الله.

***

(٥٠) ـ ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾: خزائنُ رزقِه[1]. وقيل: خزائنُ عذابِه، وقيل: خزائنُ آياتِه، فأفعلُ كلَّ ما أُريدُ.

وقيل: خزائنُه: مَقدوراتُه[2].

﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾؛ أي: كلَّ الغيبِ، إلَّا ما علَّمَنيه سبحانَه.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾؛ أي: أقدرُ على ما يقدرُ عليه الملائكةُ.

---

(١) في (و): «نقمه».

(٢) في (و): «خزائنُ مقدوراته».

والمعنى: لستُ أدَّعي شيئًا ممَّا لا يَليقُ بي.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: ما يأمُرُني به بالوحيِ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: العالمُ والجاهلُ. وقيل: الضَّالُّ والمُهتدي.

وقيلَ: معناه: لستُ مثلكم؛ فإنِّي مُهتدٍ وأنتم ضالُّون.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعقِلُوا ذلك.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾؛ أي: بما يُوحَى إليك ـ وهو القرآنُ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[1]؛ أي: المؤمنين. وخَصَّهم لانتفاعِهم بالإنذارِ.

وقيل: هم الكفَّارُ، شكُّوا في البعثِ وقالوا: آلهتُنا شُفعاؤُنا عندَ الله.

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾: يلي أمرَهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفعُ لهم.

وقولُه: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ واقعٌ موقعَ المفعولِ الثَّاني لـ﴿أنذر﴾[2].

وقيل: محلُّه نصبٌ على الحالِ من ﴿يَخَافُونَ﴾[3].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

* * *

(١) في هامش (ن): «﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: يعلمون؛ كقوله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦١)، واستغربه.

(٣) «وقيل: محله نصب على الحال من يخافون»: ليست في (ن).

(٥٢) ـ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعدٍ قال: نزلَتْ هذه الآيةُ فيَّ وفي ابنِ مسعودٍ وعمَّارٍ وصُهيبٍ والمقدادِ وبلالٍ، قالت قريشٌ لرسولِ الله عليه السَّلامُ: إنَّا لا نرضى أن نكونَ أتباعًا لهؤلاءِ فاطرُدْهم عنك، فدخَلَ قلبُ رسولِ الله عليه السَّلامُ من ذلك ما شاءَ الله أن يدخُلَه، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[1].

وعن خبَّابِ بنِ الأرتِّ قال: فينا نزلَتْ، كنَّا ضُعفاءَ عندَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بالغداةِ والعشيِّ يُعلِّمنا القرآنَ والخيرَ، وكان يُخوِّفُنا بالجنَّةِ والنَّارِ، فجاء الأقرعُ بنُ حابسٍ وعُيينةُ بنُ حصنٍ فقالا: إنَّا من أشرافِ قومِنا، وإنَّا نكرهُ أن يرَونا معهم، فاطرُدْهم إذا جالَسْناك، قال: «نعم» قالوا: لا نرضى حتَّى تكتُبَ كتابًا، فأُتِيَ بأديمٍ ودَواةٍ، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[2].

والطَّرْدُ: إقصاءٌ على جَفاءٍ.

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾؛ أي: يُصلُّون الصَّلواتِ الخمسَ في الجماعةِ.

وقيل: يدعون بالتَّمجيدِ والتَّحميدِ.

وقيل: صلاةُ الفجرِ والعصرِ.

وقيل: هو قراءةُ القرآنِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٧) واللفظ له. ولفظ مسلم: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾...».

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٤٤).

وقيل: عامٌّ في العباداتِ.

والغَداةُ تُنكَّرُ، وتدخلُها الألفُ واللَّامُ للتَّعريفِ، و(غُدْوَةٌ) معرفةٌ لا تدخلُها الألفُ واللَّامُ، وكذلك (بُكْرَةٌ)، ومنَ العربِ مَن لا يَصْرِفُها[١].

وابنُ عامرٍ قاسَ (غُدوةً) على (الغَداةِ)[٢]، وفيه بُعدٌ عندَ النُّحاةِ[٣].

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: يُريدون اللهَ، والوجهُ ذُكِرَ تعظيمًا كقولِه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقيل: الوجهُ: الجهةُ؛ أي: يقصدون جهةَ الله بطاعتِهم.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ في الحسابِ، هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٦٢).

(٢) قرأ ابن عامر: (بالغدوة) هنا وفي (الكهف). انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٣) كذا قال المؤلف، وكذلك تكلم أبو عبيد على هذه القراءة بأن ابن عامر قرأ تلك القراءة اتباعاً للخط، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها؛ لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو ولفظهما على تركها، وكذلك الغداة، قال: على هذا وجدنا العرب. انتهى.

وتعقبه أبو حيان في «البحر» (٤/ ٥٢٢): بأن هذا من أبي عبيد جهل باللغة التي حكاها سيبويه والخليل من أن بعضهم ينكِّرها فيقول: «رأيته غدوةً» بالتنوين، قال: وعلى هذه اللغة قرأ ابن عامر، كما أنه لم ينفرد بهذه القراءة، بل قرأ بها أيضاً جماعة منهم: أبو عبد الرحمن السلمي ومالك بن دينار والحسن ونصر بن عاصم وأبو رجاء العطاردي، قال: وكيف يظن بهؤلاء الجماعة القرّاء أنهم إنما قرؤوا بها لأنها مكتوبة في المصحف بالواو، والقراءة إنما هي سنَّة متَّبعة، وأيضاً فابن عامر عربي صريح كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان، ونصرُ بن عاصم أحد العرب الأئمة في النحو، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبطِ علم النحو، والحسن البصري من الفصاحة بحيث يُستشهد بكلامه، فكيف يظن بهؤلاء أنهم لحنوا واغتروا بخط المصحف؟

أحدُها: حسابُ أعمالِـهم[1] كقولِه: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣].

والثاني: حسابُ أرزاقِهم.

والثالث: من كفايتِهم، تقولُ: حَسْبي؛ أي: كَفاني.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: فتُبعِدَهم، وقيل: تُؤخِّرَهم عن الصَّفِّ الأوَّلِ إلى الأخيرِ.

﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بسببِ طردِهم.

وقولُه: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جوابُ النَّفيِ، وقولُه: ﴿فَتَكُونَ﴾ جوابُ النَّهيِ[2]، وقيل: عطفٌ[3].

***

(٥٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ أي: امتحنَّا الفقيرَ بالغنيِّ والغنيَّ بالفقيرِ؛ ﴿لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ المعنى: لو كان هذا الأمرُ الذي دخلوا فيه ـ يعني: الإسلامَ ـ نعمةً وفضلًا لَمَا خُصُّوا به من بينِنا، كقولِه: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾؛ أي: هو أعلمُ بمَن يشكُرُ نعمتَه ممَّن يكفُرُها، فمَنَّ عليهم بالهدايةِ لشُكرِهم وخذلَ غيرَهم لكُفرِهم.

واللَّامُ لامُ العاقبةِ، وقيل: لامُ (كي).

---

(١) في (و): «أموالهم»، وفي (ن): «أعمالكم»، والمثبت أنسب بالسياق.

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٨٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦١) واستغربه.

(٥٤) - ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في سببِ النُّزولِ: قال عكرمةُ: نزلت في الذين نهى اللهُ نبيَّه عن طَرِدِهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسَّلامِ وقال: «الحمدُ لله الذي جعَلَ في أمَّتي مَن أمرَني أن أبدَأَهُم بالسَّلامِ»[1].

وقال ماهانُ الحنفيُّ[2]: أتى قومٌ النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقالوا: إنَّا أصبْنا ذنوبًا عظامًا، فما إِخالُه ردَّ عليهم شيئًا، فلمَّا ذهبوا وتولَّوا نزلت: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[3]؛ أي: يُصدِّقون بالقرآنِ، وقيل: بحُجَجِنا وبراهينِنا.

﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أمرَه اللهُ أن يبدَأهم بالتَّسليمِ عليهم.

الحسَنُ: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: من ربِّكم[4].

المُبرِّدُ: السَّلامُ في اللُّغة أربعةُ أشياءَ: اسمٌ من أسماءِ الله عزَّ وجلَّ، وجمعُ «سلامةٍ»، ومصدرُ «سلَّمَ»، واسمُ شجرٍ[5].

ومعنى: سلامٌ عليك: سلِمْتَ منَ الآفاتِ دينًا ودُنيا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩).
وروى نحوه أبو يعلى في «مسنده» (١١٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم».

(٢) ماهان أبو سالم الحنفي عن أم سلمة، قتله الحجاج بن يوسف، سمع مولاته عن أم سلمة، روى عنه المنهال بن عمرو وسليمان الشيباني، يعدُّ في الكوفيين، وقال بعضهم: ماهان أبو صالح، ولا يصح. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٦٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١٩).

(٥) ذكره تلميذه الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٥٢)، وذكر أنه سمعه منه.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: أوجبَها. وقيل: كتبَ في اللَّوحِ المحفوظِ، وما كَتَبَ أبقى وأثبَتَ.

﴿أَنَّهُۥ﴾ الهاءُ للأمرِ والشَّأنِ ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾: ذنبًا ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: جَهِلَ كُنْهَ ما يَؤُولُ إليه. وقيل: بجهالةٍ في اختيارِه.

الحسنُ: مَن عمِلَ عملًا خطيئةً فهو جاهلٌ[1].

﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعدَ السُّوءِ والعملِ أو الجهلِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عزَمَ أنْ لا يعودَ إلى الذَّنبِ ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فتحُ (أنَّ) الأولى على البدلِ من (الرَّحمة)، والكسرُ على الاستئناف، وكسرُ الثَّاني على الابتداءِ، والفتحُ على تقديرِ: فالأمرُ أنَّه[2].

و(مَن) يجوزُ أن تكونَ للشَّرطِ، والفاءُ دخلَ للجزاءِ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: الذي، والفاءُ دخلَ على الخبرِ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما بيَّنَّا الحُجَجَ في هذه السُّورةِ وما قبلَها ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبيِّنُها.

والفَصْلُ: بَوْنُ ما بين الشَّيئين، والفَصْلُ في القضاءِ من هذا، والتَّفصيلُ: التَّبيينُ بين المعاني المُلتبِسةِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ١٧٧).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾ ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بفتح الهمزتين، ونافع بفتح الأولى فقط، والباقون بكسرهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ اللَّامُ عطفٌ على المعنى؛ أي: نُفصِّلُ الآياتِ ليظهرَ الحقُّ ولتستبينَ.

ويَحتمِلُ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ فصَّلناه[١].

والمعنى: سبيلُ المُجرمين وسبيلُ المُؤمنين، فاكتَفَى بأحدِ الضِّدَّين.

واستبانَ لازمٌ ومُتعدٍّ[٢]. والبيانُ: فَصْلُ المعنى ممَّا التبَسَ به. والسَّبيلُ يُذكَّر ويُؤنَّث[٣].

***

(٥٦) ـ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ ابنُ عيسى: النَّهيُ: الزَّجرُ عن الفعلِ بطريقةِ: لا تفعَلْ[٤].

﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: تعبُدون. وقيل: ﴿تَدْعُونَ﴾ من الدُّعاءِ. وقيل: تدعونَها آلهةً؛ أي: تُسمُّونها، كما تقولُ: دَعَوْتُ ولدي زيدًا؛ أي: سمَّيتُه.

﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ ابنُ عيسى: الهوى: أريَحيَّةُ النَّفسِ إلى ما تحِنُّ إليه[٥].

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ مع كثرةِ وُضوحِه وإعلامِ شواهدِه[٦] ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: إلى شيءٍ من مَراشِدي.

الزَّجَّاجُ: وما أنا من النَّبيِّين الذين سلَكُوا الهدى[٧].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٣)، واستغربه.

(٢) وهو في الآية لازم.

(٣) انظر: «المذكر المؤنث» للأنباري (١/ ٤٢٣).

(٤) ذكر نحوه ابن فورك، وقيَّده بما لا يجوز. انظر: «تفسير ابن فورك» (٣/ ١٤٤).

(٥) هذا في اللفظ، أما في المعنى فيأتي النهي بلفظ اجتنب، ويكون بغير لفظ. انظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٨٢٦).

(٦) في (ن): «مع وضوح كثرة أعلامه وكثرة شواهده».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٥).

(٥٧) ـ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ في سببِ النُّزول: قال الكلبيُّ: نزلت في النَّضْرِ بنِ الحارثِ ورُؤساءِ قُريشٍ، كانوا يقولون: يا محمَّدُ، ائتِنا بالعذابِ الذي تعِدُنا به؛ استهزاءً منهم، فنزلَتْ: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾[١]: مُعجزةٌ. وقيل: القرآنُ.

وقيل: دِينٌ صحيحٌ.

الحسنُ: النُّبوَّةُ[٢].

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ الزَّجَّاجُ: الهاءُ تعودُ إلى البيانِ[٣]. وقيل: إلى مدلولِ البيِّنةِ. وقيل: إلى القرآنِ. وقيل: إلى ﴿رَّبِّي﴾[٤].

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: ليس عندي الذي تطلُبونَه، ولا في قُدرتي هذا العذابُ.

وقيل: ما اقترَحوا عليه من الآياتِ.

والاستِعجالُ: طلَبُ الشَّيءِ قبل وقتِه.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: ليس الحاكمُ بيننا إلَّا الله، وهو يُظهِرُ المُحِقَّ من المُبطِلِ.

---

(١) ذكره عن الكلبيِّ الواحديُّ في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٦) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، فهو مما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) ذكره بعض المفسرين دون نسبة. انظر: «تفسير ابن زمنين» (٢/ ٢٨٥)، و«الهداية» لمكي (٣/ ٢٠٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٣)، واستغربه.

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: يقضي القضاءَ الحقَّ.

وقيل: يصنعُ الحقَّ[1].

و﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: يُبيِّنُ الحقَّ. ويجوزُ: يقُصُّ القَصصَ الحقَّ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: لا حَيْفَ ولا جَوْرَ في حُكمِه.

***

(٥٨) ـ ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: لو كان العذابُ بيدي وفي مَقدوري ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنزلتُه عليكم، ولم أكُنْ لأحلُمَ[2] عنكم، ولصارَ الأمرُ إلى آخرِه، وانقطَعَ ما بيني وبينكم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: بمَن ينبغي أن يُؤْخذَ وبمَن ينبغي يُمْهَلَ.

***

(٥٩) ـ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ فهو يُظهِرُ ما أرادَ منها.

والمفاتحُ: جمع مِفْتَحٍ، وهو ما يُفتَحُ به[3].

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٥٦) وشرحه بقوله: «أي: كل ما صنعَه عزَّ وجلَّ فهو حق وحِكمة»، وجعله الزمخشري من قولهم: (قضى الدرع) إذا صنعها؛ أي: يصنع الحق ويدبره. انظر: «الكشاف» (٢/ ٣٠).

(٢) في (ن): «لأحكم».

(٣) قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: المفاتح: جمع مَفْتَح بفتح الميم، وهو المخزن الذي يُفتَح ويُغلَق، أو جمع مِفْتَح بكسرها، وهو المفتاح، ويؤيده قراءةُ مَن قرأ: (مفاتيح).

والغَيبُ: ما غابَ عن معارفِ الخلقِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنُ العذابِ والرِّزقِ[١].

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾: لا يُنزِلُ العذابَ والرِّزقَ إلّا هو.

وقيل: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: الأمورُ التي بها يُستدَلُّ على الغائبِ فيُعلَمُ حقيقتُه، من قولك: فتحتُ على الإمامِ: إذا عرَّفتَه ما نسيَ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «مفاتِحُ الغيبِ خمسٌ»، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية[٢].

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ﴾: ما في القِفارِ منَ النَّباتِ والدَّوابِّ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ من الحيوانِ والجواهرِ. وقيل: ﴿ٱلْبَرِّ﴾: الفَلاة ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القُرى.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ثابتةً وساقطةً.

وقيل: كم انقلَبَتْ ظهرًا لبطنٍ إلى أن وقعَتْ على الأرضِ.

ورُوِيَ عن كعبٍ: ما على الأرضِ شجرةٌ إلَّا وُكِّلَ بها ملكانِ، يكتُبُ أحدُهما ما سقَطَ منها، والآخرُ ما يَطلُعُ، فقيل له: ولا الحشيشُ؟ فقال: ولا الحشيشُ، فتلا هذه الآيةَ[٣].

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: تحتَ الأرضِ السَّابعةِ. وقيل: تحتَ التُّرابِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢١)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ١٩٠). وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ قال: هن خمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ إلى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]»، وسيورده المصنف مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف عليه.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾؛ أي: جميعَ الأجسامِ؛ لأنَّها إنَّما تكونُ رَطبًا أو يابسًا.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ، تطَّلعُ عليه الملائكةُ المُقرَّبون، ولِيعلمَ العبادُ أنَّ أعمالَهم مُحصاةٌ للجزاءِ.

وقيل: الكتابُ مجازٌ عن الحفظِ.

وقولُه: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ مع قولِه: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ استثناءٌ بعد استثناءٍ، كقولِ الشّاعرِ:

مـا بالمدينــةِ دارٌ غَيـرُ واحـدةٍ ... دارُ الخــليفةِ إلَّا دارُ مَرْوانـا[1]

وقُرِئَ: (ولا حبـةٌ.. ولا رطـبٌ ولا يابـسٌ) بالرَّفـعِ[2]، فيكـونُ مـا بعد ﴿إِلَّا﴾ خبـرَ المُبتدأ.

* * *

(٦٠) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾؛ أي: يُنيمُكم[3].

وخُصَّ اللَّيلُ بالنَّومِ والنَّهارُ باليقظةِ على الأغلبِ ومَجرى العادةِ.

والتَّوفِّي هاهنا مُستعارٌ من الوفاةِ التي هي الموتُ، وحَسُنَ هذه الاستعارةُ لِمَا بين النَّومِ والموتِ من المُناسبةِ: من زوالِ الإحساسِ والمعرفةِ والفكرِ والتَّمييزِ، وما يلحقُه من استرخاءِ الأعضاءِ ويمنعُه عن الكسبِ، ومثلُه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ

---

(١) عزاه سيبويه في «الكتاب» (٢/ ٣٤٠) للفرزدق، وقد سبق الكلام عليه.

(٢) هي قراءة شاذة نسبت لابن أبي إسحاق واليماني. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٤٣)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٦٩).

(٣) في (و): «يميتكم».

﴿مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فاستعمَلَ الحقيقةَ والمجازَ جميعًا.

والتَّوفِّي: قَبْضُ الشَّيءِ على التَّمام، وأصلُه من استيفاءِ العددِ، قال:

إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ
وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ[١]

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: كسَبْتُم.

وقيل: أَثِمْتُم، من قولِه: ﴿ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾: يُنبِّهُكم ويُوقِظُكم. وضعَ البعثَ في مُقابلةِ التَّوفِّي.

﴿فِيهِ﴾: في النَّهار.

الحسَنُ: في الأجلِ[٢].

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: ثمَّ يبعثُكم في النَّهارِ ويعلمُ ما جرحتُم فيه، يحتملُ أنَّ النَّهارَ هو السَّابقُ على اللَّيلِ، ولفظُ الماضي يدلُّ عليه، وقولُه: ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في نهارٍ آخرَ، كقوله: له عليَّ درهمٌ ونصفُه؛ أي: نصفُ درهمٍ آخرَ[٣]، وكلُّ شاةٍ وسخلتُها بدرهمٍ؛ أي: سخلةُ شاةٍ أخرى، أو يعودُ إلى الأجَلِ، كما رُوِيَ عن الحسَنِ.

---

(١) الرجز لمنظور الوبري، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٢)، و«تهذيب اللغة» مادة (و ف ي) (١٥/ ٤١٩).
وبنو الأدرم هم بنو تيم بن غالب بن فهر بن مالك، وهم من قريش الظواهر لا قريش الأباطح. وهذا الراجز يهجوهم بأن قريشًا أهل الأباطح لا يجعلون بني الأدرم تمامًا لعددهم، ولا يستوفون بهم عددهم إذا عدُّوا. من حاشية «تفسير الطبري» بتحقيق أحمد ومحمود شاكر (١١/ ٤٠٥).

(٢) لم أجده.

(٣) في هامش (ن): «القياس: إذا قال: (علي درهم ونصفه)، أن لا يلزمه إلا درهم واحد؛ لأن (نصفه) دخل في الدرهم، وليس كذلك؛ لأن تقديره: ونصفُه من درهم آخر».

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ليبلُغَ آخرَ أجلِه المُسمَّى له في الدُّنيا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموتِ، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يُجازيكم على أعمالِكم.

***

(٦١) ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالبُ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: علوَّ شأنٍ لا مكانٍ[١].

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾: ويُنزِّلُ عليكم ﴿حَفَظَةً﴾: يحفظونه ويحفظون عليه أعمالَه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ لغايةِ الحفظِ، ويُريدُ بـ(الموت): وقتَ الموتِ.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يُريدُ: ملَكَ الموتِ، وجُمِعَ لأنَّ له أعوانًا.

وقيل: المُتوفُّون هم الحفَظةُ أيضًا[٢].

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا يُضيِّعون[٣].

---

(١) بعيدًا عن الخلاف بين السلف والخلف في تفسير هذه الآية وأمثالها فقد أحسن ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢١٩) في قوله: «﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي: وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له لوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٤)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٧).

وقيل: لا يُؤخِّرون. وقيل: لا يتوانَون. وقيل: لا يَعجزون.

ابنُ بحرٍ: لا يَدَعون أحدًا يَفرُطُ عنهم؛ أي: يسبِقُهم ويفوتُهم[1].

***

(٦٢) - ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: انقلَبوا بردِّ اللهِ إيَّاهم بالبعثِ. وقيل: ردَّهم الملائكةُ.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: الذي يتولَّى أمرَهم. وقيل: سيِّدُهم[2].

﴿ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: الثَّابتِ من كلِّ جهةٍ، وكلُّ مولًى غيرُ الله فمِن بعضِ الجهاتِ.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاءُ والفصلُ يوم القيامة.

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: يُحاسِبُ جميعَ الخلقِ في مقدار حَلَبِ شاةٍ.

***

(٦٣) - ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾: يُخلِّصُكم. والنَّجاةُ: السَّلامةُ من الهلكةِ، واشتقاقُه من (النَّجوةِ)، وهي المُرتفعةُ من الأرض، والنَّاجي: مُرتفِعٌ عن موضعِ الهلكةِ.

﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ إذا تِهْـتُم فيهما.

وظلماتُ البرِّ والبحر: شدائدُهما، والظُّلْمةُ: الشِّدَّةُ.

وقيل: البرُّ: الفَلَا، وظلماتُ البرِّ: ظُلمةُ اللَّيلِ، وظُلمةُ السَّحابِ، وظُلمةُ الغُبارِ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٠).

(٢) كذا ضبطت في (ن)، وهو صحيح على أنها خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز فيه الجر.

وظُلماتُ البحرِ: ظُلمةُ اللَّيلِ، وظُلمةُ السَّحابِ، وظُلمةُ الأمواجِ.

﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾: مُعلِنين الضَّراعةَ ﴿وَخُفْيَةً﴾: مُسِرِّينَ في أنفُسكم.

الحسَنُ: ﴿تَضَرُّعًا﴾: علانيةً، ﴿وَخُفْيَةً﴾: نيَّةً(١).

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: إذا حزَبَكم أمرٌ عظيمٌ أعرَضْتُم عن الكلِّ وأخلصْتُم العبادةَ والدُّعاءَ لله ونذَرْتُم النُّذورَ، فلمَّا كشَفَ ما بكم وخلَّصَكم رجعتُم إلى شِركِكم. وهو معنى قولِه:

(٦٤) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾؛ أي: من هذه الظُّلمات، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غمٍّ وحزنٍ سواها، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ولا تشكُرون؛ أي: تُعاوِدون الشِّركَ ولا تَفُونَ بالعهودِ.

***

(٦٥) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الحجارةَ والطُّوفانَ والصَّيحةَ والرِّيحَ، كما فعَلَ بعادٍ وثمودَ وقومِ شُعيبٍ وقومِ لوطٍ وقومِ نوحٍ.

---

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٣/ ٣١٧)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٠٠).

وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧) عن الحسن أثرًا بليغًا في ذلك، قال رحمه الله: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جارُه، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعرُ به الناس، وإنْ كان الرجل ليصلِّي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]».

﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ يعني: الرَّجفةَ والزَّلزلةَ والخسفَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾: أئمَّةُ السُّوءِ، و﴿مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ خدَمُ السُّوءِ[١].

﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ﴾: يخلطكم ﴿شِيَعٗا﴾: أحزابًا مُتفرِّقين، فتتفرَّقَ كلمتُكم.

﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾: يُقاتلَ بعضُكم بعضًا.

الحسَنُ في جماعةٍ: الآيةُ نزلت في المسلمين[٢].

غيرُهم: في المشركين.

﴿ٱنظُرۡ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: تأمَّلْ ﴿كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ بالوعدِ والوعيدِ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾: ليكونوا أقربَ إلى التأمُّلِ والاعتبارِ.

***

(٦٦) ـ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾؛ أي: بالقرآنِ، وقيل: بما أخبرَ به محمَّدٌ عليه السَّلامُ.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ بمحمَّدٍ ـ عليه السَّلامُ ـ على تلوينِ الخطابِ.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: الصِّدقُ والحقيقةُ.

﴿قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾: بمُسلَّطٍ. وقيل: بحافظٍ. وقيل: لا آخذُكم بالإيمانِ أخذَ الوكيلِ الذي يلزمُه بلوغُ آخرِه، والحفظُ من لحوقِ الضَّررِ به.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٩ ـ ١٣١١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨) بلفظ: «﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾، قال: هذا للمشركين، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ قال: هذا للمسلمين».

(٦٧) ـ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: خبرٍ ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقتٌ يقعُ فيه ويظهرُ.

وقيل: لكلِّ عملٍ جزاءٌ.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عندَ وقوعِه في الدُّنيا بالسَّيفِ، وفي الآخرةِ بالعذابِ.

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾؛ أي: يُكذِّبون فيها، ويسخَرون منها، ويستهزِئون بها؛ يعني: القرآن.

والخوضُ: الدُّخولُ في الشَّيءِ على تلوُّثٍ، وأصلُ الخوضِ: المشيُ في الماءِ.

وقيل: الخوضُ: التَّخليطُ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: قُمْ عنهم ولا تقعُدْ معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾: غيرِ القرآنِ مما يَحِلُّ[1].

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ ما نُهِيتَ عنه بوسوستِه ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾: بعد التَّذكُّرِ ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وقيل: بعد ما ذكَّرناك. والذِّكرى: التَّذكيرُ.

* * *

(١) بعدها في (و): «بعد».

(٦٩) ـ ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ المسلمين قالوا: يا رسولَ الله، لَئِنْ كنَّا كلَّما استهزأ المُشركون بالقرآنِ قُمْنا وتركْناهم، لا نُطيقُ أن نجلسَ في المسجدِ الحرامِ ولا نطوفَ بالبيتِ، فأُنْزِلَتْ هذه الآيةُ[1].

والمعنى: ﴿ما عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معاصيَ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: من حسابِ هؤلاءِ الذين يخوضون في القرآنِ تكذيبًا واستهزاءً.

وقيل: وما على المُتَّقين من الحسابِ يومَ القيامةِ مكروهٌ.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾؛ أي: ولكن ذكِّروهم ذِكرى؛ فمحلُّها نصبٌ، ويحتملُ الرَّفع، وتقديرُه: ولكنْ عليهم ذِكرى[2].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مَساءتَكُم إذا رَأوكم.

***

(٧٠) ـ ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ قتادةُ: نسخَتْها: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥][3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢١١).

(٢) النصب على المصدر (المفعول المطلق)، والرفع على أنه مبتدأ خبر محذوف، وأجاز الزجاج أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٧).

وقيل: هذا تهديدٌ وليس بمنسوخٍ، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١].

ابنُ بحرٍ: ذَرْ مُلاطفتَهم وذكِّرْهم به، فصار كقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣].

والمُرادُ بهم[١]: مُشرِكو العربِ.

وقيل: هم الذين يخوضون في آياتِنا.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هم كفَّارُ مكَّةَ واليهودُ والنَّصارى[٢].

والمعنى: اعتقَدوا بُطلانَ الأديانِ.

الفرَّاء: ﴿دِينَهُمْ﴾: عيدَهم؛ فإنَّ كلَّ قومٍ اتَّخذوا عيدَهم فرحًا ولهواً وباطلاً، إلَّا أمَّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ فإنَّهم اتَّخذوا عيدَهم صلاةً لله وصدَقةً وذِكرًا[٣].

وقيل: ﴿دِينَهُمْ﴾: عبادتَهم[٤].

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بتكذيبِهم البعثَ. وقيل: غرَّتهم بما مُكِّنوا منها.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: بالقرآنِ[٥]. وقيل: بالحسابِ. وقيل: بالدِّينِ.

---

(١) في (ن): «به».

(٢) في «البسيط» (٨/ ٢١٤): «قال ابن عباس والمفسرون: يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها».

(٣) «وذكرًا»: ليست في (ن). انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٩)، ولفظه: «يقال: ليس من قوم إلا ولهم عيد فهم يلهون في أعيادهم، إلا أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم بر وصلاة وتكبير وخير».

(٤) استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٥)، وأضاف قولاً آخر عده من العجائب، وهو: «﴿دِينَهُمْ﴾ أي: دنياهم ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾، واستدل القائل بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي: لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الشباب، وزينة كزينة النسوان، وتفاخر كتفاخر الإخوان، وتكاثر كتكاثر السلطان».

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٢١٥).

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾: تُرهَنَ حتَّى لا محيصَ لها. وأصلُ الكلمة: البَسْلُ، وهو المنعُ.

وتقديرُه عند بعض المُفسِّرين: أن لا تُبْسَلَ نفسٌ، كقوله: ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦](1).

وعند بعضِهم: بيَّنَ لهم أن تكونَ أعمالُهم تَرْهَنُهم في النَّارِ ولا يجدون فكاكًا بالإيمانِ.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ﴾ ينصرُها بقوةٍ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفعُ عنها بمسألةٍ ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: تَفْدِ كلَّ الفداءِ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ الحسَنُ: إنْ آمَنَ ليفتديَ نفسَه لا يُقبَل(2).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾: ارتُهِنُوا ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾؛ أي: هم بين نارٍ يأكلونَها وماءٍ مغليٍّ يشربونَه.

* * *

(٧١) ـ ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ إنْ دَعَوناه دعوةَ عبادةٍ، وقيل: دعوةَ استعانةٍ.

﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إنْ خذَلْناه.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: نرجعُ إلى الكفرِ بعد أنْ رزقَنا الله الإسلامَ.

تقولُ العربُ لِمَن أدبرَ: قد رجعَ إلى خلفٍ، و: قد رجعَ القَهْقَرى(3).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٢٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ١١٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٣١)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢١٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦٢).

﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ استهْوى: استَفْعَل، مِن هَوَى يَهْوي هَوِيًّا، وقيل: استفعَلَ، مِن هَوِيَ يَهْوَى هوًى[1].

﴿حَيْرَانَ﴾: مُتحيِّرًا في ظُلمةِ اللَّيلِ وسَعةِ الفلاةِ.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾؛ أي: ويقولون له: ائتِنا.

والمُفسِّرون على أنَّ الآيةَ نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي بكرٍ وأبوَيه، كانا يدعُوانِه إلى الإيمانِ، وهو يدعوهما إلى الشِّركِ[2].

والمعنى: مثَلُ الكافرِ كرجلٍ أضلَّه الشَّيطانُ في مَفازةٍ ليلًا، وله أعوانٌ وأصدقاءُ يدعونَه ويقولون له: ائتِنا؛ فإنَّا على الطَّريقِ، فأبى أن يأتيَهم.

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أيضًا: عنَى بالأصحابِ: مَن يدعونَه إلى الضَّلالِ ويزعُمون أنَّ الذي يأمرون به هدًى[3].

---

(١) والمعنى على التقدير الأول: استزلته، وعلى التقدير الثاني: تعلّقت به، والعياذ بالله من الأمرين.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٢٤).

وهذا القول مردود لا يصح، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قد أسلم وكان من أجلاء الصحابة، وإنما ينزل مثل هذا فيمن مات على كفره كأبي لهب والوليد بن المغيرة.

ورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٠٦) بما رواه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك: أن مروان قال عن عبد الرحمن رضي الله عنه: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري». قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٥٧٧): «نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسنادًا وأولى بالقبول». وقال: «المراد بقول عائشة: (فينا)؛ أي: في بني أبي بكر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٢)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف. =

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: ما دلَّ عليه اللهُ فهو المُؤدِّي إلى الهدى والفوزِ بالنَّعيمِ ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

* * *

(٧٢) - ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ قيل: تقديرُه: أُمِرْنا لأنْ نُسلِمَ لربِّ العالمين ولأنْ نُقيمَ الصَّلاةَ.

وقيل: أُمِرْنا بالإسلامِ وبإقامةِ الصَّلاةِ.

ويحتملُ: أُمِرْنا ما أُمِرْنا لنُسلِمَ، وقد سبقَ.

وقيل: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿ٱئْتِنَا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

* * *

(٧٣) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ قيل: بالحكمةِ. وقيل: بكلامِه، وهو قولُه: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١].

الحسنُ: معناه: للحقِّ(١). وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: مُحقًّا.

= وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية أخرى فسَّرَ الأصحابَ فيها بالمهتدين.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢١) عن الكلبي. وذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٣٤) بلا نسبة، وفيه: «قيل: الباء بمعنى اللام؛ أي: إظهارًا للحق لأنه جعل صنعه دليلًا على وحدانيته». وذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١) بلا نسبة.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ قيل: عطفٌ على قولِه: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾[١].

وقيل: اذكر يومَ يقولُ.

وقيل: خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ مُبدِئًا، ويخلقُ مُعيدًا يومَ يقولُ: كُنْ فيكون.

وقيلَ: خبرٌ من قولِه: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾.

وقيل: نصبٌ على الظَّرفِ خبرٌ عن المبتدأ، وهو قولُه: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، و﴿قَوْلُهُ﴾ مبتدأٌ، و﴿الْحَقُّ﴾ صفتُه، و(اليومَ) خبرُه.

وقيل: يُعيدُها يومَ يقولُ[٢].

ومعنى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: يقولُ اليومَ: كُنْ فيكونُ؛ أي: فتقوم[٣] القيامةُ.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾؛ أي: وَعدُه ووعيدُه.

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه قَرْنٌ يُنفَخُ فيه فيُصعَقُ الخلْقُ، ثم يُنفَخُ فيه فيحيَون.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تكونُ السَّماواتُ صُورًا يُنفَخُ فيه مثلَ القَرْنِ، وتبدلُ سماءً أُخرى[٤].

---

(١) أي: على الهاء في (اتقوه)؛ أي: واتقوا الله واتقوا يوم يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

(٢) من قوله: «وقيل: نصبٌ على الظرف» إلى هنا ليس في (ن)، وهو بحرفه مذكور في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧). والظاهر أن قوله: «وقيل: نصبٌ على الظَّرفِ خبرٌ عن المبتدأ... إلخ» تفصيل لما قبله من قوله: «وقيلَ: خبرٌ من قولِه: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾».

(٣) في (و): «فتكون».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧)، وعدَّه من العجائب.

والثاني: أنَّه جمعُ «صُورةٍ»، كسُورَةٍ وسُورٍ، وصُوفةٍ وصُوفٍ؛ أي: تُنفَخُ الأرواحُ في الصُّور(١).

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٢).

***

(٧٤) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في (آزَرَ):

فذهب بعضُهم إلى أنَّه اسمُ أبيه، وظاهرُ القرآنِ يدلُّ عليه.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ اسمَ أبيه تارحُ(٣)، ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «كذَبَ النَّسَّابون»(٤).

---

(١) أي: الأجساد كما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧)، وهذا القول عدَّه المصنف من الغرائب.

(٢) تكلم المصنف عليها في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧) فقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ تعلق بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وقيل: خبر مبتدأ؛ أي: هو عالم الغيب، أو يرتفع بفعل مضمر دل عليه ﴿يُنفَخُ﴾؛ أي: يَنْفُخُ عالم الغيب، كما قال الشاعر:

لِيُبْكَ يَزيدُ ضارعٌ لخُصومةٍ ... ومُختَبِطٌ ممّا تُطِيحُ الطَّوائحُ

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧): «وقيل: نسبته إلى تارح كذب» وذكر الحديث.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٧)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١/ ١٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٥٢) عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول: «كذب النسَّابون قال الله: ﴿وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾». وإسناده شديد الضعف؛ فإن الكلبي متروك وأبا صالح لم يسمع من ابن عباس.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ تارَحَ وآزَرَ كيعقوبَ وإسرائيلَ(١).

وذهب بعضُهم إلى أنَّ آزرَ وَصْفُ ذمٍّ، ومعناه: المعوَجُّ.

وذكر الثَّعلبيُّ أنَّ معناه: الشيخُ، بالفارسيَّةِ(٢).

وقيل: آزرُ اسمُ صنمٍ، وإنَّ أباه ينحتُ الخشبَ أصنامًا فيعبدُها هو وغيرُه، ويكون منصوبًا بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه ما بعدَه، تقديرُه: أتتَّخِذُ آزرَ إلهًا ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ فحُذِفَ الأوَّلُ لأنَّ الثانيَ يدلُّ عليه(٣).

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾؛ أي: عن الحقِّ ﴿مُّبِينٍ﴾: ظاهرِ الفسادِ.

***

(٧٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: كما أريناه البصيرةَ في دِينِه والحقَّ في خلافِ قومِه نُريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقيل: كما أريناك كذلك أرينا إبراهيمَ.

و﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما يُشاهَدُ منهما من العجائبِ والحوادثِ والشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ والشَّجرِ والبحارِ والجبالِ.

والملكوتُ: أعظمُ المُلكِ، تقول العربُ: الملكوتُ: العراقُ واليمنُ(٤).

---

(١) أي: كان له اسمان، تارح وآزر، كيعقوب وإسرائيل. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ١١٩)، وعدَّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨).

(٣) استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٤٧)، وفيه: «وحكي عن العرب سماعًا: له ملكوت اليمن والعراق، بمعنى: له ملك ذلك».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خلْقُهما[١].

وقيل: (الملكوثُ) ـ بالثاء، وقُرِئَ به ـ اسمٌ عبريٌّ، فعُرِّبَ فقُلِبَ تاءً[٢].

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ عطفٌ على المعنى؛ أي: ليَحْتجَّ على قومِه، وليكونَ من المُوقنين.

وقيل: وليكونَ من المُوقنين أريناه ملكوتَ السَّماواتِ والأرضِ.

وقال مجاهدٌ: تفرَّجَتْ لإبراهيمَ السَّماواتُ السَّبعُ حتَّى العرشُ فنظرَ فيهنَّ، وتفرَّجَتْ له الأرَضون السَّبعُ فنظرَ فيهنَّ[٣].

***

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾: ستَره بظلامِه، تقولُ: جنَّ عليه اللَّيلُ وأجنَّه وجَنَّه، جَنًّا وجَنانًا وجُنونًا، وأصلُه: السَّترُ.

﴿رَءَا كَوۡكَبٗا﴾ قيل: الزُّهَرةُ. وقيل: كان المُشتَري.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ وفي صدورِ هذا القولِ عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه كان في النَّظرِ والاستدلالِ والبحثِ عن الأحوالِ، وهذه رُتبةٌ[٤] كلِّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٦)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨).

(٢) نسبت هذه القراءة لعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٤)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٧١)، وقد عدَّ المصنف هذا القول من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨)، وقبل: هو باليونانية أو القبطية أو النبطية. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٦٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٠١)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» له أيضاً (ص: ١٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٦).

(٤) في (ن): «مرتبة».

مُترقٍّ ومُستَدلٍّ، وكان استدلالُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ على معرفةِ ربِّه وخالقِه حتَّى عرفه من يومٍ وليلةٍ، ابتداؤُها حالَ بلوغِه.

والثاني: أنَّه قال في حالِ الطُّفوليَّة[1]؛ فإنَّ أمَّه ولدَتْه في غارٍ خَوفًا من نُمرودَ، فلمَّا خرجَ قال هذا القولَ.

والثالث: قالَه على وجهِ الإنكارِ على قومِه، وتقديرُه: أهذا ربِّي؟!

وقيل: تقديرُه: قال: أيقولون[2]: هذا ربِّي؟!.

وقيل: عبَدَ كلَّ واحدٍ منهما حتى غابَ[3].

والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾؛ أي: غابَ ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ لأنَّ أُفولَه دلَّ على حركتِه وانتقالِه، وتلك[4] من صفاتِ الأجسامِ.

***

(٧٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا، والبُزوغُ: ابتداءُ الطُّلوعِ.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: استعجزَ نفسَه، فاستعانَ ربَّه في دَرْكِ الحقِّ.

---

(١) في (ن): «الطفولة»، وهما مصدران بمعنى: الصغر، وبمعناهما: الطِّفَل والطَّفالة أيضاً. انظر: «المحكم» لابن سيده (٩/ ١٧٢).

(٢) في (ن): «يقولون».

(٣) هذا قول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير الطبري» (٩/ ٣٥٦) و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١٣٢٩)، وقد ذكره المصنف للتنبيه على غرابته.

(٤) في (ن): «وذلك».

(٧٨) - ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ قولُه: ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ دليلٌ على أنَّه في النَّظرِ والاستدلالِ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾؛ أي: رأى منها ما رأى من الكوكبِ والقمرِ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ يعني: الأصنامَ.

وفي تذكيرِ ﴿هَٰذَا﴾ - والشَّمسُ مُؤنثةٌ - ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه ذهبَ إلى لفظِ الشَّمسِ، وهو مُذكَّرٌ.

والثاني: أنَّه ذهبَ إلى الضَّوءِ.

والثالث: إلى الشَّخصِ[1].

والوجهُ أنَّ الرُّبوبيّةَ والتَّأنيثَ لا يجتمعان، وإبراهيمُ عليه السَّلامُ اعتقدَ فيه الرُّبوبيّةَ، أو أظهرَ، أو حكى على ما سبق[2].

***

(٧٩) - ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾: أخلَصْتُ طاعتي. وقيل: قصَدْتُ بعبادتي.

---

(١) انظر: «المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ١٤٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤١٤)، وقد عزاه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨) لعلي بن سليمان وهو الأخفش الأصغر، وأنشد:

قامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة ... قد ذل من ليس له ناصر

وزاد وجهًا عن الكسائي والأخفش، وهو الأوسط: أن تقديره: هذا الطالعُ ربي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٩)، واستغربه.

﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: خلقَهما.

﴿حَنِيفًا﴾ سبق بيانُه[١]. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

* * *

(٨٠) - ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: خاصَمُوه في دينِه.

﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾: عرَّفَني التَّوحيدَ والحقَّ، أنكرَ[٢] عليهم طمعَهم في أن يُزيلوه عن الحقِّ بالمُحاجَّةِ[٣].

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ يعني: الأصنامَ، وذلك أنَّهم قالوا له: إنَّا نخافُ أنْ تمسَّكَ آلهتُنا بسوءٍ مِن بَرَصٍ أو خَبَلٍ لِعَيبِك إيَّاها.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فإنَّه يُصيبُني بمشيئةِ الله.

وقيل[٤]: الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: لكنْ أخافُ مشيئةَ الله تُعذِّبُني على ذنبٍ يكونُ منِّي.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاطَ علمُه كلَّ شيءٍ ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (و): «سبق بيانه، مخلِصًا، وقيل: على دين الإسلام، وقيل: مستسلمًا حنيفًا».

(٢) في (و): «وأنكر».

(٣) تكلم المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٩) عن قوله تعالى: ﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾ فقال: «مَن خفَّف حذف النون التي قبل الياء، نحو: ليتي وليتني، وليست النونَ التي تقع علامة للرفع؛ لأنها لا تحذف في حال الرفع، وإنما كسرت لتصح الياء، فاستدلال القائل بالكسر باطل».

والقراءة بتخفيف النون هي قراءة نافع وابن عامر بخلاف عن هشام. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦١)، و«التيسير» (ص: ١٠٤).

(٤) في (ن): «قيل».

(٨١) ـ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾؛ أي: الأصنامَ ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: ما يكونُ لكم حُجَّةً في وجوبِ عبادةِ الأصنامِ.

﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنا وأهلُ ديني أم أنتم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

***

(٨٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قيل: هذا من كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ لمَّا سألَ: أيُّ الفريقَين أحقُّ بالأمنِ؟

وقيل: هذا استئنافٌ منَ الله سبحانَه مُجيبًا وحاكمًا[1].

وقيل: هذا من كلامِ قومِ إبراهيمَ، أجابوا بما فيه الحجَّةُ عليهم.

وقولُه: ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: بشركٍ؛ فإنَّ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه قال: لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله عليه السَّلامُ وقالوا: أيُّنا لم يظلِمْ نفسَه؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «ليس هو[2] ما تظنُّون، إنَّما هو ما قال لقمانُ لابنِه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[3].

وقيل: الظُّلمُ عامٌّ، والمُرادُ بالآيةِ: إبراهيمُ عليه السَّلامُ، وهذا القولُ مرويٌّ عن عليٍّ رضي الله عنه[4].

---

(١) في (و): «وحكمًا».

(٢) «هو»: ليست في (ن)، وفي (و): «هذا»، والمثبت من رواية مسلم.

(٣) رواه البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٣)، والحاكم في =

(٨٣) ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: هي إشارةٌ إلى قولِ إبراهيمَ: أيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن؛ أَمَنْ يعبدُ اللهَ أم مَن يعبدُ الأصنامَ؟!

وقيل: هي إشارةٌ إلى ما أُرِيَ من ملكوتِ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: هي إشارةٌ إلى قولِه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالحجَّةِ والبيانِ. وقيل: بالمنزلةِ والمكانِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه ﴿عَلِيمٌ﴾ بعبادِه.

***

(٨٤) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾؛ أي: لإبراهيمَ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ أي: كلَّهم وفَّقْنا وأرشَدْنا، وهو إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ إبراهيمَ، والفائدةُ في ذكر نوحٍ عليه السَّلامُ هاهنا: أنَّه أبو إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ قيل: من ذريَّة نوحٍ، وهو الأظهرُ. وقيل: من ذرِّيةِ إبراهيمَ.

﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: كما جزَيْنا إبراهيمَ على إحسانِه برفعِ درجاتِه في الدُّنيا والآخرةِ نجزي كلَّ مُحسنٍ ما يستحِقُّه.

= «المستدرك» (٣٢٣٢)، بلفظ: «هذه الآيةُ لإبراهيمَ ﷺ خاصةً، ليس لهذه الأُمة منها شيءٌ».

(٨٥) ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ ذهب بعضُهم إلى أنَّ إلياسَ وإدريسَ واحدٌ كإسرائيلَ ويعقوبَ.

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلُّهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: من الأنبياءِ.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ إنَّما تأخَّرَ ذكرُ إسماعيلَ ـ والله أعلم ـ لأنَّ الأوَّلِين هم أنبياءُ بني إسرائيلَ، وهو أبو العربِ.

﴿وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنُّبوَّةِ والرِّسالةِ.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾؛ أي: كما هدَينا هؤلاءِ هدَينا بعضَ آبائِهم وإخوانِهم.

﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: اختَرْناهم، وهو عطفٌ على قولِه: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾. ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* * *

(٨٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ما دانَ به هؤلاءِ المذكورون ﴿هُدَى اللَّهِ﴾: دينُ الله ﴿يَهْدِي بِهِ﴾: يدلُّ عليه ويُعرِّفُ ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الأنبياءِ والمُؤمنين.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هؤلاءِ مع مرتبتِهم وعِظَمِ شأنِهم لو كانَ منهم أدنى شِركٍ لبطلَتْ أعمالُهم وصاروا من أهلِ النَّارِ والخَسارِ.

ثم مدَحَهم فقال:

(٨٩) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: المُنزَّلَ ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ أراد: الحكمةَ.

وقيل: الحُكمُ: ما سَنُّوا. وقيل: الحُكمُ: فَهْمُ الكتابِ.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: وهي أعلى مرتبةِ البشرِ.

﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ قيل: بالنُّبوّةِ. وقيل: بالكتابِ والحُكمِ[١] والنُّبوّةِ. وقيل: بآياتِ القرآنِ.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: قُريشًا.

﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾: بمُراعاةِ أمرِ النُّبوّةِ والآياتِ ﴿قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ قيل: هم الأنبياءُ الثَّمانيةَ عشرَ. وقيل: هم الملائكةُ. وقيل: هم الأنصارُ.

(٩٠) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يعني: الأنبياءَ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾؛ أي: اقتدِ بهَدْيِهم[٢]، تقولُ: قَدَا به قِدَةً وقُدوةً، واقتدَى به: إذا تأسَّى به، والهاء للاستراحةِ[٣]، ومَن أشبعَ الهاء[٤] جعلَها كنايةً عن المصدرِ لا غير؛ أي: بهُداهم اقتدِ اقتِداءً[٥].

---

(١) في (و): «والحكمة».

(٢) في (ن): «بهداهم».

(٣) ويسمونها هاء بيان الحركة، وهي شبيهة بهاء الوقف. انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤١٢)، و«الصاحبي» لابن فارس (ص: ٧٨) و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٦).

(٤) قرأ بها ابن ذكوان في أحد الوجهين عنه، وهشام يكسرها من غير إشباع؛ أي: باختلاس حركتها، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، وحمزة والكسائي يحذفان الهاء في الوصل خاصة، والباقون يثبتونها ساكنة في الحالين، واتفقوا جميعًا على إثباتها وقفاً. انظر: «التيسير» (ص: ١٠٥).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ٣٥٢).

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ والدُّعاءِ إلى التَّوحيدِ ﴿أَجْرًا﴾: جُعْلًا ومَنفعةً تصلُ إليَّ من جهتِكم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: لا غرضَ إلا تذكيرُكم.

وقيل: ما محمَّدٌ إلا عِظةٌ للعالمين.

وقيل: ما القرآنُ إلا عِظةٌ للجنِّ والإنسِ.

***

(٩١) - ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه ما في رواية الوالبيِّ: قالتِ اليهودُ: يا محمَّدُ، أنزلَ الله عليك كتابًا؟ قال: «نعم» قالوا: والله ما أنزلَ اللهُ من السَّماءِ كتابًا، فأنزلَ الله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[1].

وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: جاء رجلٌ من اليهودِ يُقالُ له: مالكُ بنُ الصَّيفِ، يُخاصِمُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ، فقال له النَّبيُّ[2] ﷺ: «أنشُدُكَ بالذي أنزلَ على موسى التَّوراةَ، أما تجدُ في التَّوراةِ أنَّ الله يُبغِضُ الحبرَ السَّمينَ؟» وكانَ حبرًا سمينًا، فغضِبَ وقال: والله ما أنزلَ الله على بشرٍ من شيءٍ، فقال له أصحابُه الذين معه: ويحكَ، ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزلَ الله على بشرٍ من شيءٍ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٦)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩). والوالبي هو علي بن أبي طلحة، ورواياته عن ابن عباس صحيفة، وأكثرها في «تفسير الطبري».

(٢) «النبي»: ليست في (و).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٢).

ويُقالُ: إنَّ قائلَ هذا الكلامِ فِنْحاصُ بنُ عازُوراءَ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّها في يهودٍ كانوا بمكّةَ.

وقيل: هذه الآيةُ نزلت بالمدينةِ.

وقيل: نزلت في المُشركين الذين دفعوا النُّبوَّاتِ.

وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾؛ أي: ما عظَّموه حقَّ عظمتِه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: وما آمنوا بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[١].

أبو عبيدةَ: ما عرفوه حقَّ معرفتِه[٢].

وأصلُ القَدْرِ: الكمِّيَّةُ، وقَدَرَ الشَّيءَ وقَدَّرَهُ: عَدَّلَ كمِّيَّتَهُ، ويُستعملُ[٣] في الشَّرفِ وعُلوِّ الرُّتبةِ.

﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾: تكتبُونَه في القراطيسِ.

الفرَّاءُ: القراطيسُ[٤] هاهنا: الصَّحيفةُ[٥].

«الحجَّة»: تجلعونَه[٦] قراطيسَ؛ أي: تُودِعُونَه إيَّاها[٧].

وقولُه: ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾؛ أي: تجعلونَه عِضِينَ؛ تُؤمنون بالبعضِ فتُظهِرون

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٦) بلفظ: «هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٠).

(٣) في (ن): «ثم يستعمل».

(٤) في (ن): «القرطاس». وكذا وقع الاختلاف في نسخ الفراء كما ذكر في حواشيه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٣).

(٦) في (و) زيادة: «ذوي»، وفي «الحجة»: «ذوات»، وذكر في الهامش أنه في نسخة: «زا» وهو الوجه، والله أعلم.

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٥٥).

للنَّاس، وتكفُرون بالبعضِ وتُخفون، كصفةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ونعتِه وآيةِ الرَّجمِ.

وقيل: تجعلونه كتبًا مُتفرِّقةً؛ تُظهِرون بعضَها وتكتُمون بعضَها.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾؛ أي: ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ يا أهلَ الكتابِ بالكتابِ أمورَ دينِكم ودُنياكم ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾.

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: الخطابُ للمسلمين؛ أي: عُلِّمْتم على لسانِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤُكم[1].

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أجِبْ عنهم إنْ سكَتُوا؛ إذ لا جوابَ إلَّا هذا.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: لا تعجَلْ بإهلاكِهم؛ فإنَّ لهم أجلًا، وهذا قبلَ أن أُمِرَ عليه السَّلامُ بالقتالِ.

* * *

(٩٢) ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾؛ أي: وهذا أيضًا أنزلَه الآنَ على نبيِّه[2] محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿مُبَارَكٌ﴾ يكثُرُ به وفيه الخيرُ.

﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التَّوراةَ.

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: أهلَ مكَّةَ؛ لأنَّ الأرضَ دُحِيَتْ من تحتِها، ولأنَّها أعظَمُها منزلةً وشأنًا، ولأنَّها قبلةُ أهلِ الأرضِ.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهلَ الشَّرقِ والغربِ. وقيل: أهلَ الوبرِ والمدرِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧١).

(٢) في (و) زيادة: «وهو».

وهي عطفٌ على المعنى؛ أي: لنُثبِّتَكَ[١] به ولتنذرَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: مَـن كان يُقِرُّ بأنَّ لهُ معادًا، ومَن شأنُه إثباتُ الآخرةِ اعتقادًا، علِمَ أنَّه مِن عندِ الله فآمَنَ به ولزِمَ طاعتَه.

والهاءُ كنايةٌ عن القرآنِ. وقيل: عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يُراعُون أوقاتَها والقيامَ بإتمامِ ركوعِها وسجودِها، وخُصَّتْ بالذِّكر لأنَّها عَلَمُ الإيمانِ.

***

(٩٣) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ نزلت في مُسَيلِمةَ الكذَّابِ والأسودِ العَنسيِّ.

ورَوَى مَعْمَرٌ عن الزُّهريِّ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «بينا أنا نائمٌ رأيتُ كأنَّ في يديَّ سِوارَيْنِ مِن ذهَبٍ، فكبُرَ عليَّ، فأُوحِيَ إليَّ أنِ انفُخْهُما، فنفختُهما فطارا، فأوَّلْتُ ذلك كذَّابَ اليمامةِ، وكذَّابَ صنعاءَ الأسودَ العَنْسيَّ»[٢].

﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: عبدَ الله بنَ سعدِ بنِ أبي سرحٍ، وذلك أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أملى عليه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ

---

(١) في (ن): «لننبئنك».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٥٧) مرسلاً، ورواه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ فلمَّا بلغَ إلى قولِه: ﴿خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ قال ابنُ أبي سرحٍ: فتبارَكَ الله أحسنُ الخالقين؛ تعجُّبًا من تفصيلِ خلقِ الإنسانِ، فقال عليه السَّلامُ: «هكذا أُنزِلَتْ»، فشَكَّ وارتدَّ، وقال: إنْ كان محمَّدٌ صادقًا لقد أوحي إليَّ كما أُوحيَ إليه، ولَئِنْ كان كاذبًا لقد قلْتُ كما قالَ(1).

وقيل: المُرادُ بقولِه: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ هم الذين قالوا: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٦٦)، بألفاظ متقاربة. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٣)، وعدَّه من العجيب، وقال: «وقيل: في هذه الحكاية نظر؛ لأن ارتداده كان بالمدينة، والسورة مكية»، وهو نحو قول أبي الليث.

وقد نقل الآلوسي -رحمه الله- التوفيق بين كون السورة مكية وكون القصة وقعت في المدينة فقال في «روح المعاني» (١٨/ ٣٨): وطعن بعضهم في صحة هذه الرواية بأن السورة مكية وارتداده بالمدينة كما تقتضيه الرواية، وأجيب بأنه يمكن الجمع بأن تكون الآية نازلة بمكة واستكتبها ﷺ إياه بالمدينة فكان ما كان، أو يلتزم كون الآية مدنية لهذا الخبر، وقوله: إن السورة مكية، باعتبار الأكثر.

وأصل هذه القصة دون موافقة ابن أبي السرح للفظ القرآن: رواها أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٤٠٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار».

وهاهنا أمر يجب التنبه إليه، فقد ذكر بعض المفسرين في هذه الرواية زيادة فيها محذور خطير، وهي: أنه كان يكتب للنبي ﷺ، فإذا قال النبي ﷺ: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ كتب: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ و﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيقول له النبي ﷺ: «هما سواء»! وقد تم التنبيه على وهاء سند هذه الرواية ونكارة متنها في حواشي «الكشاف» طبعة دار اللباب، فلتنظر ثمة.

وقولُه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ استفهامٌ والمعنى النَّفيُّ؛ أي: لا أحدَ أظلَمُ منه، أو [من] قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (إذ) وقعَ موقعَ: (إذا)[1].

﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: شدائِده، من غَمَرَهُ الشَّيءُ: إذا غَشِيَهُ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ لقَبْضِ الأرواحِ.

وقيل: باسِطو أيديهم بالضَّربِ والعذابِ.

وقال ابنُ الأنباريِّ[2]: ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ يعودُ إلى الظَّالمين، وفيه بُعدٌ.

﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾؛ أي: يقولون لهم: أخرِجُوا أنفُسَكم.

والمُخرِجُ هو الله سبحانَه وتعالى، والمعنى تغليظُ الحالِ؛ أي: إنَّهم بمنزلةِ مَن يتولَّى إزهاقَ نفسِه إكراهًا له.

وقيل: معناه: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾: خلِّصوها من هذه الغَمرةِ والشِّدَّةِ، على وجهِ التَّوبيخِ.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ (الهُون) بالضَّمِّ: الهوانُ، وهو إلحاقُ ألمٍ على وجهِ الاستِخفافِ والإهانةِ والحقارةِ[3]، والهَوْنُ بالفتحِ: الدَّعةُ والرِّفقُ والسُّكونُ[4].

وقيل: هو خطابٌ لهم بعد أن دخلوا[5] النَّارَ.

---

(١) لأن (إذ) تدلُّ على ما مضى، وهذا أمر منتظر لم يقع. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٣٩).

(٢) في (و): «السدي». ولم أجد هذا القول.

(٣) «والحقارة» من (ن).

(٤) «والسكون» من (ن). وانظر: «الصحاح» مادة (هـ و ن) (٦/ ٢٢١٨).

(٥) في (ن): «بعد دخول».

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ مِن أنَّ له شريكًا وصاحبةً وولدًا؛ أي: بسببِ ما كنتُم.

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: عن العملِ بمُوجَبِها، والتأمُّلِ فيها والتدبُّرِ.

***

(٩٤) ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾؛ أي: للحسابِ والجزاءِ.

﴿فُرَٰدَىٰ﴾؛ أي: واحدًا واحدًا[١] من غيرِ مُعينٍ ولا ناصرٍ، تقولُ: فَرْدٌ وفَرِدٌ وفارِدٌ وفريدٌ[٢]، وأفرَدُ وفَرداءُ، وفُرادى: جمعُ فريدٍ؛ كأسيرٍ وأُسارَى[٣].

وقال الفرَّاءُ: ﴿فُرَٰدَىٰ﴾: اسمٌ مفردٌ على فُعالَى[٤].

وقيل: جمعُ فَردان؛ كسَكران وسُكارَى[٥].

---

(١) في (ن): «واحدًا بعد واحدٍ».

(٢) «وفريد» من (ن).

(٣) في (و): «تقولُ: فَرْدٌ وفَرَدٌ وفارِدٌ وأفرَدُ، وفُرد وفُرادى: جمعُ فريدٍ؛ كرديف ورداف وقرين وقران، وقيل: كأسيرٍ وأُسارَى». وفي «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣): «فَرْد، وفَرِد، وفارِد، وفريد، وأفرد، وفُرُد، وفِراد: جمع فريد؛ كرديف ورِداف، وقرين وقِران، وقرىء في الشواذ: (فِرادًا كما) بالتنوين».

(٤) كذا قال هنا، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣)، والذي في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٥) أنها جمع، ولفظه: «﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ وهو جمع، والعرب تقُولُ: قوم فرادى وفرادُيا هَذَا، فلا يُجرونَها، شبهت بثُلاث ورُبَاع، وفرادى واحدها فَرْد...» وهذا هو المشهور عنه عند أئمة اللغة والتفسير.

(٥) هو قول ابن قتيبة، كما في «غريب القرآن» (ص: ١٦٨)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣)، واستغربه.

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عُراةً حُفاةً غُرلًا بُهْمًا.

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾: ملَّكْناكم من الخوَلِ، والخوَلُ: مَن يَزْهى بهم[1] الإنسانُ ويُعجَبُ.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ يعني: ما كنتُم تعبُدونها على أنَّها شركاءُ لله، وأنَّها تشفعُ لكم عند الله؛ أي: ما بالُها[2] لا تَظهَرُ في أشدِّ ما كنتُم إليها مُحتاجين؟!

وقيل: هم الملائكةُ.

﴿لقد تَقطَّعَ بَيْنُكم﴾[3]؛ أي: تفرَّقَ جمعُكم وتشتَّتَ. والبَيْنُ: الوَصْلُ، والبَيْنُ الفِراقُ[4].

---

(١) في (و): «ما يزهى به».

(٢) في (ن): «ما لها».

(٣) هكذا ضبطت في النسخ بضم النون، وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو وابن كثير وحمزة وأبي بكر، وقرأ نافع وحفص والكسائي: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بنصب النون. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٤) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٧٥)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣): «قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ من رفعه جعله اسمًا بعد أن كان ظرفًا، كما جعل اسمًا في قوله عز وجل: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

الغريب: البين: الفراق، وقد يستعمل بضده، وهو الوصل؛ أي: تقطع وصلكم، فعلى هذا اسم وليس بظرف.

ومن قرأ بالنصب: فله وجهان: أحدهما: أن الفاعل مضمر، ومن نصب على الظرف، فتقديره: لقد تقطع وصلكم بينكم، وأول الآية يدل عليه. والثاني: وهو الغريب: قال الأخفش: إذا نصب فمعناه معنى المرفوع، لكن جرى في كلامهم منصوبًا ظرفًا تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام، قال: ومثله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾، ومثله: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، فـ(دون) في موضع رفع عنده.

العجيب: قول من قال: تقطع ما بينكم، فحذف الموصول، فإن ذلك لا يجوز، أو الموصوف، فإن ذلك إنما يسوغ مع المفرد».

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾: ضاعَ وبطلَ ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنْ لا بعْثَ ولا جزاءَ.

وقيل: مِن أنَّها شفعاؤُكم عند الله.

***

(٩٥) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: فالقُ الحبِّ عن السُّنبلةِ، والنَّواةِ عن النَّخلةِ، وكلِّ نباتٍ فعن حَبِّه ونَواهُ.

والفَلْقُ والفَطْرُ والخَلْقُ بمعنًى واحدٍ[1].

وقيل: المُرادُ به: الشُّقاقُ الذي في الحبِّ والنَّواةِ[2].

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾؛ أي: يُخرِجُ النَّباتَ ـ وهو كالحيِّ لكونِه ناميًا ـ من الحَبِّ والنَّواةِ، وهما كالميِّتِ؛ لكونِهما غيرَ ناميَين.

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: الحبَّ والنَّواةَ منَ النَّباتِ.

وقيل: يُخرِجُ الولدَ[3] من النُّطفةِ، والدَّجاجَ من البيضِ، ويُخرِجُ الميِّتَ من الحيِّ: النُّطفةَ من الإنسانِ، والبيضَ من الدَّجاجِ.

وقيل: يُخرِجُ المؤمنَ منَ الكافرِ، والكافرَ منَ المؤمنِ.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾؛ أي: الذي فصَّلَ هذه الأشياءَ هو ﴿ٱللَّهُ﴾ لا الأصنامُ.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصرَفون عن الحقِّ إلى الباطلِ.

***

---

(١) نقله أبو حيان عن تاج القراء في «البحر المحيط» (٤/ ٥٩١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٤) عن مجاهد، واستغربه.

(٣) في (و): «الوليد».

(٩٦) ـ ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾.

﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾؛ أي: شاقُّ عمودِ الصُّبحِ من بين الظُّلمة.

والإصباحُ: مصدرُ أصبحَ؛ أي: دخل في الصُّبح، والصُّبحُ: إضاءةُ الفجرِ.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (الأَصباح) بالفتحِ[1]، جمعُ: صُبْحٍ.

والمعنى[2]: فالقُ ما به يحصلُ الإصباحُ.

وقيل: فالقُ[3] نورِ النَّهارِ.

وقيل: الإصباحُ: ضوءُ الشَّمسِ بالنَّهارِ وضوءُ القمرِ باللَّيلِ. عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[4].

﴿وجاعلُ اللَّيلِ سكنًا﴾[5] يسكُنُ فيه الخلقُ بالنَّومِ وتركِ التَّصرُّفِ، ومَن قرأ: ﴿وَجَعَلَ﴾ فلأنَّ ﴿فَالِقُ﴾ بمعنى: فلَقَ.

---

(١) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (١١/ ٥٥٦).

(٢) أي: على القراءة المتواترة. ففي: «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥): «﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾؛ أي: فالق ما به يحصل الإصباح، والإصباح: مصدر أصبح».

(٣) في (ن): «خالق».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٣)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥).

(٥) كذا في النسخ: ﴿وجاعلُ الليلِ﴾ بألف وجر اللام من ﴿الليل﴾ على الإضافة، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿وجَعَل﴾ بغير ألف ونصب اللام من ﴿الليلَ﴾. انظر: «السبعة» (١/ ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥): «مَن أضاف نصب (سكنًا) بفعل مضمر دل عليه =

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾؛ أي: بحسابٍ، كقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، والمعنى: جعلَ سيرَهما بحسابٍ ومقدارٍ؛ لأنَّ الشَّمسَ تقطعُ البروجَ كلَّها في ثلاثِ مئةٍ وخمسةٍ وستِّين يومًا ورُبعِ يومٍ، وتعودُ إلى مكانها، والقمرَ يقطعُ البروجَ في ثمانيةٍ وعشرين يومًا، وبدوَرانِهما يَعرفُ النَّاسُ حسابَ الأيَّامِ والشُّهورِ والأعوامِ.

وقيل: يجرِيان بحسابٍ وعددٍ لبلوغِ نهايةِ آجالِهما[١].

قتادةُ: جعلَهما ضياءً[٢]، من قوله: ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي: نارًا. حكاه الماورديُّ[٣].

والحُسْبانُ: مصدرُ حسَبْتُ حُسْبانًا.

أبو عبيدةَ: الحُسْبانُ: جمعُ حِسابٍ؛ كشِهابٍ وشُهْبانٍ[٤].

والحُسْبانةُ: الوِسادةُ، وجمعُها: حُسْبانٌ، وحَسَّبْتُه: أجلَسْتُهُ عليها[٥].

= (جاعل)؛ أي: جعله سكنًا، وكذلك قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾؛ أي: جعلهما، ولا ينتصب باسم الفاعل عند البصريين؛ لأنه بمعنى الماضي، وأجاز ذلك الكوفيون».

(١) في (و): «أجلهما». والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، واستغربه المصنف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٥)، وعدَّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، وقال الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٠): «وأحسب أن قتادة ـ في تأويل ذلك بمعنى الضياء ـ ذهب إلى شيء يروى عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]، قال: نارًا، فوجَّه تأويل قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦] إلى ذلك التأويل، وليس هذا من ذلك المعنى في شيء».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ١٤٨).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٢)، وقد جعله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥) قول الجمهور.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٣٠)، وقد قيَّد الطبري جمع الوسادة بكسر الحاء، وتعقب ذلك =

وقيل: (وجعَلَ الشَّمسَ والقمرَ حسباناً) بالنَّصبِ من غير الباء، يُفيدُ اعتدالَ نظامِ العالَم، وذلك أنَّ الله قدَّرَ أن يكون لهما[1] ثلاثُ حركاتٍ:

إحداها: تحريكُ المُحيطِ للكلِّ من النقطةِ وإليها[2] في كلِّ يومٍ وليلةٍ مرَّةً واحدةً.

والثانيةُ: حركةُ فلَكِهما الخاصّ لهما بخلافِ تلك الحركةِ من المغربِ إلى المشرقِ.

والثالثةُ: ما لكلِّ واحدٍ منهما[3] من الحركةِ في فلكِهما[4].

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾: الذي لا يُغلَبُ ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾: الذي لا يخفَى عليه الدَّقيقُ والجليلُ.

* * *

(٩٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾؛ أي: خلقَها ﴿لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ وتخصيصُها بالاهتداءِ بها لا يدلُّ على نفيِ ما عداه من المنافع.

﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ تفصيلُ الآياتِ: تمييزُ كلِّ واحدةٍ منَ الأخرى.

= الأستاذ أحمد شاكر في تحقيقه للطبري (١١/ ٥٦٠) بقوله: هكذا قال أبو جعفر: «بكسر الحاء» والذي أطبقت عليه كتب اللغة أنه بضم الحاء، ولم يشيروا إلى كسر الحاء في هذه.

(١) في (ن): «لها».

(٢) في (و): «من النقطة ويعود إليها»، والمثبت من (ن)، ومثله في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، وجاء في هامش (ن): «يعني: نقطة الفلك».

(٣) في (ن): «منها».

(٤) عدَّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥).

(٩٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ قُرِئَ: بالكسرِ والفتحِ[1]، فالكسرُ اسمُ الفاعلِ بمعنى: القارّ، والفتحُ المصدرُ أو المكانُ؛ لأنَّ (استقرَّ) لازمٌ.

﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞ﴾ يصلحُ للمفعولِ والمصدرِ والمكانِ؛ فمَن قرأ: ﴿مُستقِرٌّ﴾ بالكسرِ فالمُستودَعُ مفعولٌ، فيكونُ تقديرُه: فمنكم مُستقِرٌّ ومنكم مُستودَعٌ، ومن قرأ بالفتحِ: فالمُستودَعُ مثلُه في أن يكونَ مصدرًا ومكانًا؛ أي: فلكم مُستقَرٌّ ولكم مُستودعٌ.

واختلفوا في معناهما:

فقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ في الرَّحمِ ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞ﴾ في القبرِ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ في الأرضِ ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞ﴾ في الأصلابِ[3].

ابنُ بحرٍ: ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ في أصلابِ الرِّجالِ ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞ﴾ في أرحامِ النِّساءِ[4].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٦ ـ ١٣٥٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٥) بلفظ: «﴿يعلم مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا﴾: المستودع: في الصلب، والمستقر: ما كان على وجه الأرض، أو في الأرض».

(٤) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٣/ ٨٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥٩٦)، وفيهما: «عبر عن الذكر بالمستقر لأن النطفة إنما تتولد في صلبه وإنما تستقر هناك، وعبر عن الأنثى بالمستودع لأن رحمها شبيهة بالمستودع لتلك النطفة».

قتادةُ: على الضِّدِّ[١].

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الدُّنيا ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في القبرِ.

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الدُّنيا ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في الآخرةِ.

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ مَن خُلِقَ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مَن لم يُخلَقْ بعدُ.

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: الأبُ، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: الأمُّ.

ويحتملُ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الجنَّةِ أو النَّارِ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من يومِ خُلِقَ إلى أن صارَ إلى جنَّةٍ أو نارٍ.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ قال في الأولى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّ الدلالةَ في الأولى أظهرُ، وفي الثانيةِ: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ لأنَّ الدلالةَ فيها أغمَضُ[٢].

وفِقْهُ الشَّيءِ: عِلمُه بما يتشعَّبُ منه، فيُوصَلُ إليه بإنعامِ النَّظرِ بعد معرفةِ ظاهرِه.

***

(٩٩) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: منَ السَّحابِ. وقيل: من جانبِ السَّماءِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ من النَّباتِ من الحبوبِ والثِّمارِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٤١).

(٢) ذكر الخطيب الإسكافي والمصنف في «البرهان» (ص: ١١١) وجهاً آخر، وهو أنّ قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ جاء بعد آيات نبهت على معرفة الله، وهي أشرف العلوم، فناسبها أشرف الألفاظ، وهو ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وأن قوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ جاء بعد آيات تستدعي تأملاً وتدبُّراً، فختمت بقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾. انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/ ٥٣٠ ـ ٥٣٣).

وقيل: رِزقَ كلِّ شيءٍ من الحيوان.

وقولُه: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بعدَ قولِه: ﴿أَنزَلَ﴾ محمولٌ على سعةِ الكلامِ وتلوينِ الخطابِ، وله نظائرُ[1].

وقيل: لا يمتنعُ أن يكونَ تقديرُه: قولوا: فأخرَجْنا نحنُ بني آدمَ منه نباتَ كلِّ شيءٍ بكِرابِ[2] الأرضِ وطَرْحِ البذرِ وغرسِ الشَّجرِ؛ لأنَّ النَّخلَ والرُّمَّانَ والعنبَ والحنطةَ والشَّعيرَ والأرزَّ لا ينبتُ حتى يُغرسَ ويُطرَحَ البذرُ، ولولا الماءُ لَمَا نفعَ طرحُ البذرِ ولا غرسُ الشَّجرِ، فيكون معنى: ﴿أخرجنا﴾: أخرَجْنا ما أنبتَه اللهُ بفلاحتِنا إلى الانتفاعِ به[3].

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قيل: من الماءِ، وقيل: من النَّباتِ.

﴿خَضِرًا﴾ أخضرَ، تقولُ: خَضِرَ يَخْضَرُ خُضْرَةً، فهو خَضِرٌ وأخضَرُ، واخضَرَّ فهو مُخْضَرٌّ.

﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ كالحنطةِ والذُّرةِ والشَّعيرِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾؛ أي: وأخرَجْنا من النَّخلِ نخلًا ﴿مِن طَلْعِهَا﴾؛ أي: من ثمرِها وكُفُرَّاها[4] وما يَطْلُعُ منها.

---

(١) وهذا يسمى: الالتفاتَ في علم البيان كما تقدم، وقد قال الزمخشري، قال: «وقد يكون من الغَيْبَةِ إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغَيْبةِ، ومن الغَيْبةِ إلى التكلُّمِ؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، وقولِه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر: ٩]».
ثم قال: «وذلك على عادةِ افتنانهم في الكلام وتَصَرُّفهم فيه، ولأنَّ الكلامَ إذا نُقِلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ كان ذلك أَحْسنَ تَطْرِيَةً لنشاطِ السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه مِن إجرائه على أسلوبٍ واحدٍ».
انظر: «الكشاف» (١/ ١٤).

(٢) كربت الأرض: إذا قلبتها للحرث. انظر: «الصحاح» مادة: (ك ر ب) (١/ ٢١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٦)، واستغربه.

(٤) الكُفرَّى: وعاء الطلع. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ك ف ر) (٢/ ٧٨٦).

﴿قِنْوَانٌ﴾: أغـداقٌ، وهـي لها كالأغصـانِ، واحدُها قِنْوٌ، ومثله: صِنْـوانٌ وصِنْوٌ، لا نظيرَ لهما[١].

﴿دَانِيَةٌ﴾ الحسنُ: مُلتفَّةٌ مُتداخلةٌ[٢]. غيرُه[٣]: مائلةٌ.

وقيل: دانيةٌ من الجناةِ يجنُونها قائمِينَ وقاعدِين.

وقيل: دانيةٌ وغيرُ دانيةٍ، فاكتفَى بأحدِ الضِّدَّين.

وقيل: تقديرُه: ولهم من النَّخلِ ما هذه صفتُها[٤].

---

(١) لعل المصنف يريد عدم النظير في القرآن الكريم، أما في اللغة فقد وقع غيرهما على ندرة، قال ابن خالويه في كتابه «ليس في كلام العرب» (ص: ١٥٩): «ليس في كلام العرب تثنية تشبه الجمع إلا ثلاثة أسماء، وإنما يفرق بينهما بكسرة وضمة، وهن: الصنو، والقنو، والرئد. والتثنية: صنوانِ، وقنوانِ، ورئدانِ، وهذا نادر مليح».

وفي «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٧٦): «رئد ورئدان»، قال: «والرئد: فرخ الشجر»، وذكر أيضاً: «شقذ وشقذانٌ». قال: «والشِّقذ: ولد الحرباء».

وقال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ١٥): «والعرب تجمع الصنو صنوان، والقنو قنوان؛ على لفظ اثنين بالرفع، وإنما يفترقان بالإعراب؛ لأن نون الاثنين مخفوضة، ونون الجمع يلزمها الإعراب على كل وجه».

(٢) لم أجده هكذا، وذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ١٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٤٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٢) عن الحسن قوله: «دانية بعضها من بعض لتقاربها».

(٣) في (و): «غير».

(٤) وقد تكلم المصنف عن إعراب ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٦) فقال: «كان القياس: (قنوانًا دانيةً) كما في مصحف أنس، عطفًا على ﴿نَبَاتَ﴾، وللرفع وجوه:

أحدها: ومن النخل نخلاً من طلعها قنوان، فحذف نخلاً، وفيه بعد.

الثاني: وكذلك من النخل من طلعها قنوان، كما تقول: ضربت زيداً وعمرو؛ أي: وعمرو؛ كذلك. =

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾؛ أي: وأخرجنا جنَّاتٍ من أعنابٍ.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ الزَّجَّاجُ: قَرَنَ الزَّيتونَ بالرُّمَّانِ؛ لأنَّهما شجرتانِ مُتشابهتانِ(١).

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾؛ أي: يُشبِهُ بعضُها بعضًا من وجهٍ ويختلفُ من وجهٍ.

وقيل: مُتشابهٌ لونُها، ويختلفُ طعمُها، كالحامضِ والحلوِ من الرُّمَّان.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾؛ أي: إلى ثمرِ كلِّ واحدٍ مما تقدَّم ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: أخرجَ ثمرَه.

﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ اليَنْعُ: مصدرُ (يَنَعَ)؛ أي: أدركَ؛ أي: وذا يَنْعِه، وهو النَّضِيجُ منه.

وقيل: يَنْعٌ جمعُ يانعٍ؛ كتاجرٍ وتَجْرٍ.

وقُرِئ: (ويُنْعِهِ)(٢)، (ويانِعِهِ)(٣) في الشَّواذِّ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: مَن شأنُه الإيمانُ بالآيةِ ففيما سبق ذكرُه آياتٌ(٤).

= الثالث: ولكم من النخل من طلعها قنوان.

ثم ذكر من الغريب: يحتمل أنه محمول على مضمر دل عليه (أخرجنا)؛ أي: ويَخرج من النخل من طلعها قنوانٌ، تقويه قراءة من قرأ: (يَخرج منه حبٌّ متراكب)، ومثله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]؛ أي: أنبتكم وتَنْبُتون نباتًا».

(١) «متشابهتان»: ليست في (و). ولفظ الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٦): «وقرن الزيتون بالرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره».

(٢) نسبت لمجاهد وابن محيصن وغيرهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٧٤).

(٣) نسبت لابن محيصن في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، ولابن أبي عبلة واليماني وأبي حنيفة في «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٧٤).

(٤) في (و): «بالآيةِ فيما سبق ذكرُه»، وليس فيها: «آيات».

(١٠٠) ـ ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ في سبب النُّزولِ: عن الكلبيِّ: أنَّ الآيةَ نزلت في الزَّنادقةِ، قالوا: إنَّ اللهَ وإبليسَ أخوانِ، واللهُ خالقُ النُّورِ والنَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ، وإبليسُ خالقُ الظُّلمةِ والحيَّاتِ والسِّباعِ والعقاربِ، فذلك قولُه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾[1].

ومعنى ﴿جعلوا﴾: زَعَموا وسمَّوا الجنَّ شركاءَ لله.

والواوُ في ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾ ضميرُ المُشركين.

وقيل: ﴿ٱلْجِنَّ﴾ بدلٌ من ﴿شُرَكَآءَ﴾[2].

والزَّنادقةُ هم المجوسُ هاهنا؛ فمنهم مَن قال: الشَّيطانُ قديمٌ، ومنهم مَن قال: إنَّه تعالى فكَّرَ في عِظَمِ ملكِه، فتولَّدَ من فكرِه إبليسُ، ومنهم مَن قال: بل شكَّ في قُدرتِه فتولَّدَ من شكِّه الشَّيطانُ[3]، فهؤلاء أثبتُوا نسبًا على سبيلِ ما يتولَّدُ الابنُ عن الأبِ[4].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٦٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢١).

(٢) وفيها وجهان ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٧):
أحدهما: أن التقدير: وجعلوا الجن شركاء لله، فـ﴿الجن﴾ و﴿شركاء﴾ مفعولان، و﴿لله﴾ متعلق بـ﴿شركاء﴾.
والثاني: ما ذكره هنا: أن ﴿شركاءَ﴾ المفعول الأول، و﴿لله﴾ واقع موقع المفعول الثاني، و﴿الجنَّ﴾ بدل من الشركاء.
قال: وهذا الوجه أبلغ وأحسن؛ لأنه يتضمن فائدة شريفة لا توجد في الوجه الأول، وذلك: أنه يفيد إنكار الشركاء أصلًا، والإنكار يجري مجرى النفي، وعلى الوجه الأول يفيد إنكار كون الجن شركاء لله دون غيرهم، تعالى أن يكون له شريك أو شبيه، ومثله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ [النحل: ٥٧].

(٣) في (ن): «إبليس» وفي الهامش: «الشيطان» وكتب فوقها: «أصح».

(٤) انظر: «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ص: ٥٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٧٨)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٣/ ٨٨).

الحسنُ: أطاعوا الشَّيطانَ في عبادةِ الأوثانِ، فكأنَّهم جعلوهم شركاءَ لله في العبادةِ(١).

وقيل: الجنُّ صنفٌ من الملائكةِ، وإبليسُ منهم، وهذا كقولِه: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾ [الصافات: ١٥٨].

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾؛ أي: الجاعلين لله شركاءَ، وقيل: الجنَّ.

﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾: افتعلُوا وافتَروا له ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ﴾ قالت العربُ: الملائكةُ بناتُ الله، وقالت النَّصارى: المسيحُ ابنُ الله ـ فجُمِعَ لازدِواجِ البناتِ(٢) ـ وإنَّ الله صاهرَ الجنَّ فولدَت الجِنِّيةُ أولادًا إناثًا هم الملائكةُ(٣).

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: بغير علمٍ أنَّ له بنينَ وبناتٍ، وقيل: بغيرِ حجَّةٍ دلَّتْهم على ذلك.

ويحتمل أنَّ معنى قولِه: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: جَهْلًا منهم.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: نزَّه نفسَه مُعَجِّبًا(٤) ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٥٠)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٣٢٥).

(٢) أي: جمع لفظ (ابن) مع أنه لم يُسمع بطائفة نسبت لله سبحانه وتعالى أكثر من ابن؛ لمناسبة لفظ (بنات).

(٣) في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٨): «أي: قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فجمع موافقة للبنات، وزعمت طائفة منهم أن الله صاهر الجن فولدت الجنية أولادًا إناثًا هم الملائكة، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا».

(٤) في (و): «متعجِّبًا».

(١٠١) ـ ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: مُبدِعُهما لا على مثالٍ سبقَ، فَعيلٌ بمعنى: مُفْعِلٍ.

والإبداعُ: إيجادُ الشَّيءِ بغيرِ(١) واسطةٍ.

وقيل: ﴿ بَدِيعُ ﴾؛ أي: مبدوعةٌ سماواتُه.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ لأنَّ الولدَ إنَّما يكونُ من الصَّاحبةِ، والصَّاحبةُ: كُفْؤُ الصَّاحبِ، وهو يقتضي المُجانَسةَ والمُماثلةَ، واللهُ سُبحانَه مُنزَّهٌ عن الجنسِ والمثلِ والكُفْءِ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ والمخلوقُ لا يكونُ كُفْؤًا للخالقِ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾؛ أي: وحِّدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا(٢)، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ فكِلُوا أمرَكُم(٣) إليه.

---

(١) في (ن): «بلا».

(٢) وأورد المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٨) ها هنا لطيفة، وهي: «لمَ قال في هذه السورة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وقال في (المؤمن): ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فقدم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾»؟

وأجاب بقوله: «لأن في هذه السورة تقدم ذكر الشركاء وذكر البنين والبنات، فأتى بعده بما يدفع قول من يجعل له شريكاً، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وفي (المؤمن) تقدم ذكر الخلق في قوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾، وكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان لا على نفي الشريك، فقدم في كل سورة ما اقتضاه ما قبله من الآيات».

(٣) في (ن): «أموركم».

(١٠٣) ـ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ الإدراكُ: اللَّحاقُ والإصابةُ، والأبصارُ: جمع بصرٍ، وهو حاسَّةٌ تُدرَكُ بها الرُّؤيةُ.

والمعنى: لا يُدرِكُ حقيقةَ ذاتِه أحدٌ من خلقِه، وليس هذا نفيًا للرُّؤيةِ(١).

وقد جاءتِ الأخبارُ المُتواترةُ بإثباتِها:

منها قولُه عليه السَّلامُ: «ستَرَوْنَ ربَّكُم كما ترَوْنَ القمرَ ليلةَ البدرِ»(٢)، وفي روايةٍ: «كما ترَوْنَ الشَّمسَ ليس دونَها سَحابٌ»(٣).

ومثلُه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢ ـ ٢٣].

وقولُه: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ أي: يعلمُ حقيقتَه، وأنتم لا تعرفون حقيقةَ البصرِ، وما الشَّيءُ الذي صارَ به الإنسانُ يُبصِرُ من عينيَه دونَ سائرِ أعضائِه(٤).

---

(١) كما ادعى ذلك المعتزلة، وفسروا هذه الآية وغيرها على ما يوافق مذهبهم، وينظر كلامهم ورده في «الكشاف» طبعة دار اللباب عند تفسير هذه الآية، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظ مسلم: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته».

(٣) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك».

(٤) في (و): «جسده». هذا كلام الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٨)، وفي «تفسير المنار» (٧/ ٥٤٤): «قد عرف البشر من تشريح العين ما تتركب منه طبقاتها ورطوباتها ووظائف كل منها في ارتسام المرئيات فيها، وعرفوا كثيرًا من سنن الله تعالى في النور ووظائفه في رسم صور الأشياء في العينين، ولكن لم يعرفوا كنه الرؤية ولا كنه قوة الإبصار ولا حقيقة النور»، وقد أفاض ابن كثير في «تفسيره» في الكلام على الآية وما قيل فيها.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الإدراكَ إذا قُرِنَ بالبصرِ فالمُرادُ به الرُّؤيةُ، فهذا نفيُ الرُّؤيةِ، وليس هذا مذهبَ أهلِ الحقِّ.

وقيل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في الدُّنيا، وتُدرِكُه في الآخرةِ؛ أي: تراه.

وقيل: إنَّ الله تعالى يُحدِثُ للعبدِ حاسَّةً سادسةً سوى حواسِّهم الخمسِ فيرَونه بها.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ للتَّدبيرِ ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: العالـمُ بالبادي والخافي من المخلوقاتِ.

***

(١٠٤) ـ ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: جمعُ بَصيرةٍ، وهي المُقابلةُ[1] أو الحالةُ التي تُبصِّرُ الحقَّ، والمُرادُ بها هاهنا: القرآنُ.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾؛ أي: استبصَرَ[2] بها واهتَدَى ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فلنفسِه مُستَهْدٍ.

﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾؛ أي: أَعرضَ عنها ﴿فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: فعليها ما[3] جنَى.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ الحسنُ: بربٍّ أُجازِيكم[4].

وقيل: لا آخذُكم بالإيمانِ أَخْذَ الحفيظِ عليكم.

---

(١) في (و): «المقالة». وقال الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٧٠): «يعني بالبصيرة: الحُجَّةَ البيِّنَةَ الظَّاهرةَ»، ولعل كلام المصنف مأخوذ من قول الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: «وفي المراد بالبصر هنا وجهان: أحدهما: بصيرة القلب؛ لأنه يبصر بها من شواهد الأفكار ونتائج الاعتبار ما تبصر العين ما قابلها من قبلها من الأشخاص والأجسام...».

(٢) في (و): «أبصر».

(٣) «ما»: ليست في (ن).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٣٢٧) بلفظ: «على أعمالكم حتى أجازيَكم بها».

(١٠٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾؛ أي: كما صرَّفْنا الآياتِ التي سبقَتْ ـ وهو الإتيانُ بها واحدةً بعد واحدةٍ. وقيل: تصريفُها: تقليبُ معانيها بالعباراتِ المُختلفةِ ـ نُصرِّفُ الآياتِ في القرآن.

﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قُرِئَ: ﴿دَرَسْتَ﴾ و﴿دارَسْتَ﴾ و﴿دَرَسَتْ﴾[1]، تقولُ: دَرَسْتَ: إذا قرأتَ على غيرِك، ودرَسَ النَّاقةَ: ارتاضَها، ودرَسَ السُّورةَ؛ أي: قرأ السُّورةَ لتخِفَّ على لسانِه.

فمَن قرأ: ﴿دَرَسْتَ﴾؛ أي: تلوْتَ وقرأْتَ كتُبَ أهلِ الكتابِ.

ومَن قرأ: ﴿دارَسْتَ﴾؛ أي: قارَأْتَ أهلَ الكتابِ فتعلَّمْتَ منهم، زعَمُوا أنَّه يتعلَّمُ من أبي فُكَيْهَةَ وجَبْرٍ[2]،...............................

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دارسْتَ) بالألف وفتح التاء، وابن عامر بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء، والباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٢) ذكر مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٨٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ [النحل: ١٠٣]: «ذلك أن غلامًا لعامر بن الحضرمي القرشي يهوديًّا أعجميًّا كان يتكلم بالروميَّة يسمى يسار ويكنى أبا فكيهة، كان كفار مكة إذا رأوا النبي ﷺ يحدثه قالوا: إنما يعلمه يسار، أبو فكيهة... فضربه سيده فقال: إنك تعلم محمدًا ﷺ، فقال أبو فكيهة: بل هو يعلمني».

ويسار أبو فكيهة: معدود في الصحابة، قال: ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس يجلس إليه المستضعفون من أصحابه: حباب وعمار وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن حرب، ذكره ابن إسحاق في المغازي. انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٥٨٢).

وقال ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٢٦٨): «مولى صفوان بن أمية، وقيل: مولى بني عبد الدار، ويقال: أصله من الأزد. أسلم قديمًا، فربط أمية بن خلف في رجله حبلًا فجره حتى ألقاه في الرمضاء، وجعل يخنقه، فجاء أخوه أبيُّ بن خلف، فقال: زده، فلم يزل على ذلك حتى ظنَّ أنه مات، فمرَّ أبو بكر الصديق فاشتراه وأعتقه». =

فتكونُ اللامُ لامَ العاقبةِ والصَّيرورةِ[(١)].

ابنُ عيسى: أي: يُقِرُّونَ بوُرودِ الآياتِ، فتقومُ الحجَّةُ الواضحةُ عليهم.

وقيل: تكرَّرَتِ الآياتُ ليقولوا إذا سمعوا آيةً بعد آيةٍ: درسْتَ هذه علينا، فيتذكَّروا[(٢)] الماضيةَ[(٣)]، فعلى هذَين اللامُ لامُ (كي)[(٤)].

ومَن قرأ ﴿دَرَسَتْ﴾؛ أي: هذه الآياتُ تقادمَتْ فانمَحَتْ، ولم يأتِ محمَّدٌ بآيةٍ سوى ما أتى به، فيكونُ تقديرُه: لئلّا يقولوا، وكراهةَ أن يقولوا: دَرَسَتْ[(٥)].

= وكذلك جبر فقد ذكر أيضًا في الصحابة؛ قال ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٥٦٢): «جبر مولى بني عبد الدار، ذكر الواقدي أنه كان بمكة، وكان يهوديًّا، فسمع النبي ﷺ يقرأ سورة يوسف فأسلم وكتم إسلامه، ثم أطلع مواليه على ذلك، فعذبوه، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة شكا إليه ما لقي فأعطاه ثمنه فاشترى نفسه وعتق واستغنى، وتزوج امرأة ذات شرف، وفي تفسير ابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، قال: كان لنا عبدان؛ أحدهما يقال له: يسار، والآخر يقال له: جبر، وكانا صيقليين، فكانا يقرءان كتابهما، ويعملان عملهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ولم يذكر أنهما أسلما».

(١) لام العاقبة تسمية بصرية، ولام الصيرورة كوفية، وما بعدها ليس بغية، لكنه مآل. انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١١٩).

(٢) في (و): «فيتذكرون».

(٣) ذكر المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩)، واستغربه.

(٤) لام كي هي تعرف بلام التعليل اليوم، ويأتي بعدها فعل مضارع منصوب بها عند الكوفيين، وبأن المضمرة عند البصريين، وإنما تأتي مبينة سبب الفعل الذي قبلها، انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ٦٦)، و«جامع الدروس العربية» للغلاييني (٢/ ١٧٣).

(٥) رتب المصنف هذه الوجوه على حسب القراءات في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩) فقال: «وقرىء في المعروف ﴿دَرَسْتَ﴾، وفيه وجهان: أحدهما: قرأت وتعلمت. الثاني، وهو الغريب: وليقولوا درست علينا هذه قبل اليوم، فيذكروا بالثانية الأولى.

و(دارست)، وله وجهان:

أحدهما: دارست أهل الكتاب وتعلمت من أبي فكيهة وجبر ويسار. [وقوله: ويسار، فيه نظر، فإنه =

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾؛ أي: القرآن ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

والواوُ في قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ عطفٌ على المعنى؛ أي: لتتمَّ حُجَّتُنا عليهم وليقولوا.

***

(١٠٦) ـ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: اعمَلْ بالقرآن.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١) منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ(٢).

***

(١٠٧) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٣): ربًّا، وقيل: رقيبًا.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: قيِّمٍ بأمورِهم.

= اسم أبي فكيهة كما تقدم، لا رجل ثالث كما يوهم كلامه].

الغريب: دارستنا قبل هذا، كما قيل في درست.

و(دَرَسَتْ)، وله وجهان:

أحدهما: هذه آيات دَرَسَتْ وتقادمت ولم يأتِ محمد إلا بما أتى به من قبله.

الثاني، وهو الغريب: لئلا يقولوا: دَرَسَتْ وانمحت ولا يأتينا محمد بغيرها.

واللام لام العاقبة على ثلاث تأويلات، ولام كي على ثلاث».

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩): «قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يجوز أن يكون حالاً عن ﴿رَّبِّكَ﴾، ويجوز أن يكون اعتراضًا بين الأمرين، ويجوز أن يكون بدلًا من ﴿مَآ أُوحِىَ﴾».

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٣٧).

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩): «أي: لو شاء أن لايشركوا ما أشركوا، فمفعول شاء مضمر، وقوله: ﴿مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ جواب: لو».

(١٠٨) ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في روايةِ الوالبيِّ: قالوا: يا محمَّدُ لتَنْتهِيَنَّ عن سبِّ[1] آلهتِنا أو لنهجُوَنَّ ربَّك، فنهاهُم الله أن يسُبُّوا أوثانَهم فيسُبُّوا اللهَ عَدْوًا[2].

السَّبُّ: الذِّكرُ بالقبيح.

و﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: هم الأصنامُ، ويحتمِلُ أنَّهم الكفارُ.

والعَدْوُ والعُدْوانُ والعُدُوُّ: مصدرُ (عَدا): إذا تجاوَزَ الحدَّ.

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وقيل: من الدُّعاء.

وإنَّما نُهوا عن سبِّ الأصنامِ لأنَّه إغراءٌ على الكفرِ والنِّفارِ عن الإيمان؛ ولأنَّ[3] السَّبَّ ليس من فعلِ العاقلِ، ولا مِن سبيلِ المُناظرِ، ولأنَّها ما أذنبَتْ فتُسَبَّ.

﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الطَّاعةِ والمعصيةِ والخيرِ والشرِّ، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيُجازيهم.

***

(١) في (ن): «سبك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٦).

(٣) في (و): «لأن».

(١٠٩) ـ ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: بأَوْكَدِ الأيمانِ وأعظمِها حُرمةً عندهم[١]. و(جَهْدَ) مصدرٌ واقعٌ[٢] موقعَ الحالِ؛ أي: مُجتهِدين.

﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾؛ أي: من التي اقترحُوها، من قوله: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات، فلمَّا نزلت هذه الآياتُ[٣] اشتدَّ طمعُ المسلمين في إيمانِ القومِ، فسألوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ أنْ يسألَ اللهَ إجابتَهم إلى إنزالِ آيةٍ، فأنزلَ الله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في قُدرتِه وسُلطانِه ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: وما يُشعِرُكم أنَّهم يُؤمنون عندها.

ثم استأنفَ فقال: ﴿إِنَّها إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّهم مُعانِدون، ومَن فتحَ[٤] فتقديرُه: لعلَّها إذا جاءت، وهو مذهبُ سيبويهِ[٥] والبصريين، وذهب الفرَّاءُ[٦]

---

(١) في (و): «حرمة عند ربهم».

(٢) في (ن): «وقع».

(٣) في (ن): «الآية».

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٥) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٢٣).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧)، وفيه: «وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وفي قراءة عبد الله: (لكي يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون)، والعرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في آخره جحد، أو في أوله جحد غير مصرح، فهذا مما دخل آخره الجحد، فجعلت (لا) في أوله صلة. وأما الجحد السابق الذي لم يصرح به فقوله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾».

والكوفيون إلى أنَّ التَّقديرَ: وما يُشعِرُكم أنَّها إذا جاءت يُؤمِنون[١].

***

(١١٠) ـ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نَحُولُ بينهم وبين الإيمان، ولو جاءَهم ما اقترَحُوا ما آمَنُوا به[٢].

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بالله ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يُريدُ: انشقاقَ القمرِ وغيرَه.

وقيل: بالقرآنِ.

وقيل: بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ زمنَ موسى عليه السَّلامُ؛ أي: أسلافُهم.

وقيل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ في النَّارِ ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في الدُّنيا؛ أي: جزاءً لذلك[٣].

---

(١) فصَّل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٠) فقال: «قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ الآية، أجمع المفسرون على أن (ما) للاستفهام، وفاعل (يشعركم) مضمر يعود إلى (ما)، والمفعول الثاني محذوف؛ أي: إيمانَهم، ثم استأنف فقال: إنها ـ أي: الآيات المقترحة ـ إذا جاءت لا يؤمنون. ومَن فتح جعله بمعنى: لعل، قال الخليل: العرب تقول: ائت السوق أنك أن تشتري لحمًا؛ أي: لعلك. وذهب الكوفيون إلى أن (لا) زائدة، وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، فيكون (ما) مبتدأ، (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) خبره، والعائد إلى (ما) محذوف بعد حذف الجار منه...».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٤٩٠) قوله: «لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تثبت قلوبهم على شيء، وردت عن كل أمر».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٠)، واستغربه.

وقيل: معناه: إنَّا نُحيطُ علمًا بذاتِ الصُّدورِ وخائنةِ الأعيُنِ منهم.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: في مجاوزتهم[1] الحدَّ في الكفرِ ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون متحيِّرين.

***

(١١١) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾: كما[2] اقترحُوا عليك فعايَنُوهم، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ﴾ بصِحَّةِ نُبوَّتِك ووُجوبِ الإيمانِ بك.

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ و﴿قِبَلًا﴾[3]؛ أي: مُعايَنةً.

وقيل في (قُبُلٍ): إنه جمعُ قَبيلٍ، وقَبيلٌ جمعُ: قبيلةٍ؛ أي: جماعةً جماعةً، وصِنفًا صِنفًا[4].

وقيل: جمعُ قَبيلٍ، وهو الكفيلُ.

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لِمَا سبقَ لهم من الشَّقاوةِ[5] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانَهم فيهديَهم. والاستثناءُ مُنقطعٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيقتَرحون الآياتِ.

---

(١) في (و): «تجاوزهم».

(٢) في (ن): «لما».

(٣) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، والباقون بضمهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٤) ذكر هذا الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٩٣)، وذكر الأزهري في «معاني القراءات» (١/ ٣٨٠) أن (قُبُل) جمع (قبيل)، وهم الجماعة ليسوا بني أب واحد، أما (قبائل) فجمع (قبيلة)، وهم بنو أب واحد.

(٥) في (ن): «الشقاء».

والكنايةُ(١) تعودُ إلى الذين حرَصُوا على إيمانِهم. وقيل: تعودُ على الكفَّارِ الذين(٢) قالوا: ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩].

* * *

(١١٢) - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾؛ أي: كما جعلنا لك عدوًّا كذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا.

وقيل: كما جعلنا العداوةَ بين بعضِ النَّاسِ وبعضِهم كذلك جعَلْنا بين الأنبياءِ وأُممِهم.

﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ قال بعضُهم: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ﴾: مَردَتُهم، وكذلك شياطينُ الجنِّ.

وقيل: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ﴾: مَنْ وُكِّلَ بهم من أولادِ إبليسَ، وكذلك شياطينُ الجنِّ من وُكِّلَ بهم من أولادِ إبليسَ.

و﴿شَيَٰطِينَ﴾ نصبٌ على البدلِ منَ (العدوّ).

وقيل: هو المفعولُ الأوّلُ، و(العدوّ) الثّاني(٣).

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: يُوَسوِسُ ويُوهِمُ ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: الباطلَ المُموَّهَ.

﴿غُرُورًا﴾ قيل: حالٌ. وقيل: علّةٌ. وقيل: نصبٌ على المصدرِ(٤).

---

(١) أي: واو الجماعة في ﴿يَجْهَلُونَ﴾.

(٢) في (ن): «والذين».

(٣) لأن (جعل) تنصيب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وأصل الجملة: الشياطينُ عدوٌّ. مادة (ع د و) (٣/ ٦٩)، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٤)، و«تهذيب اللغة».

(٤) وتفصيل هذه الأقوال: على الأول: هو مصدرٌ في موضع الحال؛ أي: غارِّين. وعلى الثاني: هو نصبٌ على المفعول له؛ أي: لأَنْ يَغُرُّوا غيرهم. وعلى الثالث: هو منصوبٌ على المصدر لـ﴿يُوحِي﴾؛ لأنه =

وقيل: بدلٌ من (الزُّخرف)[١].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: لو شاء إيمانَهم آمَنُوا، والهاءُ تعودُ إلى الكفرِ.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: كفرَهم إلى أنْ يأتيَ أمرُ الله بالقتالِ.

وقيلَ: ما فعل الشَّياطينُ الوحي.

***

(١١٣) ـ ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: ولتميلَ إلى الزُّخرفِ[٢] قلوبُ الكفَّارِ. تقولُ: صَغا يصغُو، وصَغِيَ يَصْغَى: مالَ.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾: وليُحبُّوه، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: وليكتَسِبُوا ما هم مُكتَسِبُون، والاقتِرافُ: الاكتِسابُ، من قولِه: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [التوبة: ٢٤].

وقيل: الاقتِرافُ: عملٌ مع[٣] تُهمةٍ، ويدفعُه قولُه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ [الشورى: ٢٣].

واللَّامُ لامُ العاقبةِ[٤]، وقيل: لامُ الأمرِ، ويدفعُه إثباتُ الألفِ إلا شاذًّا نحو:

ألم يـأتيـكَ[٥]

= بمعنى: يَغُرُّ بعضُهم بعضًا. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦٢٥)، و«الدر المصون» (٥/ ١١٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨١)، واستغربه.

(٢) في (و): «المحرف».

(٣) في (ن): «معه».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾.

(٥) يشير إلى قول قيس بن زهير العبسي كما في «الجمل في النحو» (ص: ٢٢٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٣)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٢٢٣): =

(١١٤) ـ ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلُبُ ﴿حَكَمًا﴾: حاكمًا، والحَكَم أبلغُ لأنَّه اسمٌ لِمَن عُرِفَ بالحُكمِ مرَّةً بعد أخرى، والحاكمُ اسمُ الفاعلِ، وهو نصبٌ على الحالِ.

وتقديرُ الآية: قل لهم: أفغيرَ الله أبتَغي حكمًا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿مُفَصَّلًا﴾: فيه بيانُ كلِّ ملتبسٍ، وفيصلًا[1] بيني وبينكُم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: هم مُؤمنو أهلِ الكتابِ. وقيل: هم أصحابُ رسولِ الله عليه السَّلامُ.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بإظهارِ الحقِّ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّين في أنَّ أهلَ الكتابِ يعلمون ذلك.

وقيل: لا تشُكَّ أنَّهم يعلمون نُبوَّتَكَ.

ابنُ جريرٍ: لا تكُنْ في شكٍّ ممَّا قصَصْنا عليك[2].

وقيل: لا تكُنْ شاكًّا في أنَّ الذين يبتغون حَكَمًا غيرَ الله لا يُؤمِنون.

= أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنْباءُ تَنْمي ... بِما لاقَتْ لَبونُ بَني زِياد

والشاهد فيه: إثبات الياء مع الجزم، وهذا شاذ لا يقاس عليه، وقد قرأ الحسن وابن شرف: (ولْتطغَى) بسكون اللام وإثبات الألف، وهي قراءة شاذة. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٢٧).

وثمة بيتٌ آخر يصلح شاهداً، وهو قول عدي بن زيد العبادي كما في «المنتخب من كلام العرب» (٦٩٧):

أَلَمْ يَأتِيكَ أَنَّ أَباكَ عَانٍ ... وَتَقْعُدَ لَا أُفُكُّ وَلَا تَصُولُ

وقد عدَّ المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨١) هذا القول من العجائب، وزاد في الإعراب قولين آخرين: أن تكون اللام هي لام كي، وهو عطف على المعنى؛ أي: ليغروه ولتصغى، وأن تكون: هي لام القسم، والأصل: لتصغين.

(١) في (ن): «وفصلاً».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٥٠٧).

(١١٥) ـ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قيل: هو القرآنُ. وقيل: عِداتُه[1]. وقيل: دِينُه.

﴿صِدْقًا﴾: صادقةً فيما وعدَ.

﴿وَعَدْلًا﴾ عادلةً فيما حكَمَ.

وقيل: ﴿صِدْقًا﴾ فيما حكاه، ﴿عدلًا﴾ فيما قضاه.

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا تبديلَ ولا تغييرَ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يقولون ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يُضمِرون.

* * *

(١١٦) ـ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الكفَّارَ. وقيل: الجهَّالَ؛ لأنَّ العلماءَ قليلون. وقيل: أهلُ[2] الأرضِ أهلُ مكَّةَ.

﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ما يتَّبعون إلَّا ظنًّا لا يعلمون صحَّته ولا فسادَه فهم شاكُّون ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذِبون.

قال بعضُ المفسِّرين: وذلك حين جادَلوه في أكلِ الميتةِ وقالوا: تأكلون ما قتلتُم ولا تأكلون ما قتلَ ربُّكم[3]؟!

---

(١) في (و): «عذابه».

(٢) «أهل» ليست في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٢). وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فقد روى أبو داود (٢٨١٩) واللفظ له، والترمذي (٣٠٦٩)، عن ابن عباسٍ، قال: جاءتِ اليهودُ إلى النبيِّ ﷺ، فقالوا: نأكُلُ ممَّا قتَلْنا ولا نأكُلُ ممَّا قتلَ اللهُ؟ فأنزل اللهُ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. قال الترمذي: «حديث حسن غريب». =

(١١٧) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: هو يعلمُ الكفَّارَ والمُؤمنين.

و﴿مَن﴾ محلُّه نصبٌ بفعلٍ دلَّ عليه ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلمُ مَن يضِلُّ.

وقيل: محلُّه رفعٌ؛ لأنَّه استفهامٌ.

وقيل: جرٌّ بإضمارِ الباءِ، ودلَّ عليه قولُه: ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، ولا يجوزُ أن يكون جرًّا بالإضافةِ، تعالى الله عن ذلك[1].

***

(١١٨) ـ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: يُريدُ دونَ ما لم يُذكَرْ ودونَ الميتةِ ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ المُرادَ به: ما ذُكِرَ اسمُ الله على ذَبحِه، إلَّا عطاءً فإنَّه قال: هو عامٌّ في كلِّ مطعومٍ ومشروبٍ ومذبوحٍ[2].

= ورواه الطبريُّ في «تفسيره» (٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٦) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم.

(١) لأن الإضافة تفيد التخصيص، والله واسع عليم، وقد فصل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٢) في الإعراب فقال: «قوله: ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ لا عمل لقوله: ﴿أَعْلَمُ﴾ في ﴿مَن﴾؛ لأن المعاني لا تعمل في المفعول به، ولا تعلَّق المعاني أيضاً، بل فيه إضمار دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلم، و﴿مَن﴾ في محل نصب، كقوله: ﴿يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وقيل: في محل رفع، كقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢]، وهذا أولى.

الغريب: نصب بنزع الخافض. العجيب: محله جر بالباء؛ لأنها منوية، و﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ يدل عليه».

ويريد بالمعاني هنا صيغة (أفعل)، وهي للتفضيل في الأصل، لكنها تخرج إلى معنى الصفة المشبهة، والصحيح أنها لا تنصب مفعولاً به وإن كانت من فعل متعدٍّ. انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٥/ ٢٣٢٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١١).

(١١٩) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الحسَنُ: عَنَى به مُشركي العربِ، قال: ومعناه حلالٌ لكم فكلوا[١].

غيرُه: عَنى به المُؤمنين[٢]، وهو تأكيدٌ للأوَّلِ[٣].

ومعنى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: أيُّ شيءٍ يتمُّ لكم في أنْ لا تأكلُوا؟

وقيل: ما منَعَكُم ألَّا تأكلُوا؟

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: فيما سبقَ منَ القرآنِ.

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾: إلى أكلِه. والاضْطِرارُ: العوَزُ الذي يُخافُ معه التَّلَفُ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهم الذين جادَلُوا في إحلالِ الميتةِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: الذين يُجاوِزُونَ[٤] الحقَّ إلى الباطلِ.

* * *

(١٢٠) ـ ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: اترُكوا معصيةَ الله سرًّا وجهرًا[٥].

---

(١) لم أجده.

(٢) وهو المفهوم من كلام الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٢ ـ ٥١٣) فلينظر ثمة.

(٣) في (ن): «تأكيد للآية الأولى».

(٤) في (ن): «تجاوزوا».

(٥) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٦ ـ ٥١٧) عن قتادة والربيع بن أنس ومجاهد.

غيرُه: الزِّنى في الحوانيتِ واتِّخاذَ الأخدانِ، فإنَّ العربَ لم تكُنْ تستنكِفُ منَ الزِّنى سرًّا.

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: هو عامٌّ في أنواعِ المعاصي[1].

وقيل: ظاهرُه: بالجوارحِ، وباطنُه: بالقلبِ.

والأليَقُ بالآيةِ أن يُحمَلَ ظاهرُ الإثمِ وباطنُه على أكلِ الميتةِ وما لم يُذكرِ اسمُ الله عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾.

***

(١٢١) ـ ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الميتةُ[2].

غيرُه: ما ذُبِحَ لغيرِ الله منَ الأصنامِ.

وقيل: ما ذبحَه غيرُ مُوحِّدٍ، وأمَّا ذبيحةُ المُسلمِ إذا كانت متروكةَ التَّسميةِ عمدًا فحرامٌ بخلافِ النّاسي[3]؛ فإنَّ عليًّا وابنَ عباسٍ رضي الله عنهم في جماعةٍ قالوا: لا بأسَ بأكل ما ذُبِحَ ونُسِيَ التَّسميةُ عليه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٨).

(٣) وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٦٢) في تحريم أكله ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يحرم سواء تركها عامدًا أو ناسيًا، قاله الحسن والشافعي.

والثاني: يحرم إن تركها عامدًا، ولا يحرم إن تركها ناسيًا، قاله أبو حنيفة.

والثالث: يحرم سواء تركها عامدًا أو ناسيًا، قاله ابن سيرين وداود.

وقال عليٌّ رضيَ الله عنه: هو على الملَّةِ[١].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذِكْرُ الله في قلبِه[٢].

وقال: كما لا ينفعُ الاسمُ مع الشِّركِ لا يضُرُّ النِّسيانُ في الإسلامِ[٣].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ متروكَ التَّسميةِ عمدًا حلالٌ، فكذلك عندَه النِّسيانُ؛ لِـمَا رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «ذبيحةُ المسلمِ حلالٌ وإنْ نسي ولـم يذكُرِ[٤] اسمَ الله عليه، فإنَّه لو ذكرَ لـم يذكُرْ إلَّا الله»[٥].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ متروكَ التَّسميةِ عمدًا أو نسيانًا حرامٌ على ظاهرِ الآيةِ.

---

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٢٤٧)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١).

ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩١) موقوفًا بلفظ: «المسلم فيه اسم الله وإن لم يذكر التسمية»، و(١٨٨٩٠) مرفوعًا بلفظ: «المسلم يكفيه اسمه، فإن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله»، وأعله البيهقي بالموقوف، وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٣٨): وفي إسناده ضعف... قال البيهقي: الأصح وقفه على ابن عباس، وقد صححه ابن السكن.

وروى الدارقطني في «سننه» (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «اسم الله على كل مسلم»، وأعلَّاه بمروان بن سالم، وقال البيهقي: وهذا الحديث منكر بهذا الإسناد.

(٣) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١).

(٤) في (و): «وإن نسي وإن لم يذكر».

(٥) رواه أبو داود في «المراسيل» (٣٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩٥) مرسلاً عن الصلت.

قال ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٣/ ٥٧٩): «علته مع الإرسال، هي أن الصلت السدوسي لا تعرف له حال، ولا يعرف بغير هذا، ولا روى عنه إلا ثور بن يزيد». وانظر: «نصب الراية» للزيلعي (٤/ ١٨١).

﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: أكلَه ﴿لَفِسۡقٌ﴾ الحسنُ: كفرٌ[١]، يُريدُ: مع الاستحلالِ.

غيرُه: معصيةٌ.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ بالوسوسةِ ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ بقولهم: تأكلون ذبيحتكم وصيدَ البازيِّ والكلبِ وتدَعُون ما قتلَه الله.

عِكرمةُ: إنَّ الشَّياطينَ أهلُ فارسَ؛ كاتبُوا أولياءَهُم من قُريشٍ بأنْ حُجُّوا محمَّدًا بتفضيلِه قتيلَ أصحابِه على قتيلِ الله[٢]. فالوحيُ على هذا: الكتابةُ.

﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ في استحلالِ ما حُرِّمَ من هذه ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾: كافرون.

* * *

(١٢٢) ـ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ نزلَتْ في حمزةَ وأبي جهلٍ[٣].

وقيل: في عمرَ وأبي جهلٍ[٤].

وقيل: في عمارِ بنِ ياسرٍ وأبي جهلٍ[٥].

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٠) دون نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٣) عن الضحاك، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١) عن زيد بن أسلم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١) عن عكرمة.

وقيل: في رسولِ الله عليه السَّلامُ وأبي جهلٍ(١).

وقيل: عامٌّ في كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ؛ شُبِّهَ الكافرُ بالميتِ لأنَّه لا يَنتفِعُ بحياتِه.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ يعني: القرآنَ، وقيل: الإيمانَ والحُجَجَ والبيانَ.

﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يُقالُ: هو كلُّ فضيلةٍ بين المسلمين. وقيل: يمشي به في القيامةِ.

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: كَمَن مثلُه مثلُ مَن في الظُّلماتِ.

وقيل: (مَثَل) زيادةٌ؛ أي: كمَن هو في الظُّلماتِ: الكفرِ والجهلِ.

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: لا يُفارِقُها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما زُيِّنَ للمُؤمنِ إيمانُه ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: زيَّنَ لهم الشَّيطانُ أعمالَهم.

ابنُ بحرٍ: ﴿زُيِّنَ﴾ في مثلِ هذا لا يَحتاجُ إلى فاعلٍ، كـ(أُعجِبَ) و(زُهِيَ) وغيرِ ذلك(٢)؛ أي: حُسِّنَ(٣).

***

(١٢٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: (كذلك) إشارةٌ إلى (الزَّينِ).

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٥٨٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٣)، واستغربه، وانظر: «إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل» للصديقي (٢٩ ـ ٦٩).

(٣) «أي حسن»: ليست في (و).

وقيل: إلى المصدرِ(١)؛ أي: كما جعَلْنا بمكَّةَ أكابرَ مُجرميها(٢) جعَلْنا في سائرِ البلادِ أكابرَ المُجرمين.

وأضافَ الأكابرَ إلى ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ لأنَّ (أفعلَ مِن) لا يُجمَعُ إلَّا مع الألفِ واللَّامِ أو مع الإضافةِ(٣).

وقوله: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ هي لامُ العاقبةِ.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لعَودِ(٤) الوبالِ إليها، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّه يعودُ إليها.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ تقديرَها: جعلنا مُجرميها أكابرَ. وهذا التَّأويلُ يدفعُه الإعرابُ(٥).

***

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُم﴾: أهلَ مكَّةَ ﴿ءَايَةٌ﴾: مُعجِزةٌ، وقيل: ﴿ءَايَةٌ﴾ مِنَ القرآنِ تأمرُهم بالإيمان.

﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾؛ أي: لن نُصدِّقَك ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾؛ أي: حتى يُوحَى إلينا ويُؤتَى كلُّ واحدٍ منَّا كتابًا.

---

(١) أي: مصدر الفعل الذي بعدها، وهو: ﴿جَعَلْنَا﴾.

(٢) في (ن): «المجرمين».

(٣) انظر: «همع الهوامع» للسيوطي (٣/ ٩٥).

(٤) في (و): «يعود».

(٥) وكذا زيفه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٤) فقال: «وهذا زائف، والوجه ما سبق».

وقيل: أرادَ: حتى نُؤتى منَ الكرامةِ والمنزلةِ مثلَهم.

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ وهو محمَّدٌ عليه السَّلامُ؛ أي: يُرسِلُ مَن يعلَمُ أنَّه يصلُحُ للرِّسالةِ، و﴿حَيۡثُ﴾ مفعولٌ به.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ﴾: ذُلٌّ، والصَّغارُ في القَدْرِ، والصِّغَرُ في السِّنِّ وغيرِه[1].

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في القيامةِ ﴿وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾؛ أي: جزاءً على[2] مكرِهم.

و﴿عِندَ﴾ صلةُ ﴿صَغَارٌ﴾، وقيل: تقديرُه: من عندِ الله. والوجهُ الأوَّلُ.

***

(١٢٥) - ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾: يُعرِّفَه طريقَ الإيمانِ ويُوفِّقَه له. وقيل: يهديَه لنَيلِ الثَّوابِ.

﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾: يفتَحْه ويُوسِّعْه ويُنوِّرْ قلبه لقَبولِ الإسلامِ[3].

ورَوى المُفسِّرون عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ سُئلَ عن شرحِ الصُّدورِ[4] ما هو؟ فقال: «نورٌ يقذِفُه اللهُ في قلبِ المُؤمنِ فينشرحُ له وينفسحُ» قالوا: فهل لذلك من أمارةٍ يُعرَفُ بها؟ فقال: «نعم؛ الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ص غ ر) (٨/ ٦٠).

(٢) «على»: ليست في (و).

(٣) في (و): «وينور عليه لقبول الإسلام».

(٤) في (ن): «الصدر».

والتَّجافي عن دارِ الغُرورِ، والاستعدادُ للموتِ قبل نزولِ الموتِ»(١).

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ عن هدايتِه ويخذلَه. وقيل: عن نَيلِ الثَّوابِ.

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾: لا يَنْجَعُ فيه الإيمانُ.

﴿حَرِجًا﴾: أثيمًا. وقيل: شاكًّا. وقيل: مُلتبِسًا(٢).

الفتحُ مصدرٌ والكسرُ(٣) صفةٌ؛ كقَمَنٍ وقَمِنٍ.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: كأنَّه كُلِّفَ الصُّعودَ إليها في البُعدِ والامتناعِ.

وقيل: كأنَّه لا يجدُ منفذًا؛ لضيقِ المسالكِ عليه إلى السَّماء(٤).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦٨)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وفي إسناده: عدي بن الفضل قال عنه الذهبي: «ساقط».

ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٨٥٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٩١٨ ـ تفسير)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٦) عن عبد الله بن المسور عن النبي ﷺ مرسلاً.

وذكر له الدارقطني في «علله» (٥/ ١٨٩) طرقاً ثم قال: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، وعبد الله بن المسور هذا متروك.

(٢) في (و): «متلبِّسًا».

(٣) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٤) تكلم بعض العلماء العصريين عن هذه الآية وذكروا أن فيها إعجازًا علميًّا لم يكتشفه المفسرون السابقون، حيث إن الإنسان كلما ارتقى في طبقات الجو العليا تتناقص قدرته على التنفس، فيضيق صدره، وهذا وإن كانت الآية تحتمله لكن كلام المفسرين القدامى في تفسيرهم للآية صحيح أيضاً، أما ما ذهب إليه بعضهم من نسبة العجز لمن تقدم من المفسرين، وأنهم لم يهتدوا لسرها حتى جاء العلم الحديث فكشف معنى الآية، فهو كلام في غير مكانه، فإنهم ـ كما المصنف هنا ـ فسروا الآية واستقام عندهم المعنى، ولا يُنكر أن تكشف الأيام عن معان جديدة للآية؛ لأن القرآن كتاب معجز لا تنتهي عجائبه، كما جاء في وصفه.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الحسَنُ: رجاسةُ الكفرِ وقَذارتُه[1]. رَجِسَ يَرْجَسُ مثل: نَجِسَ يَنْجَسُ.

وقيل: العذابُ، وقيل: السَّخَطُ، وقيل: الشَّيطانُ.

الزَّجّاجُ: اللَّعنةُ في الدُّنيا والعذابُ في الآخرةِ[2].

* * *

(١٢٦) ـ ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا﴾ يُريدُ ما سبقَ من ذكرِ الإسلامِ والإيمانِ والأحكامِ ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾؛ أي: الطَّريقُ الذي لا عِوَجَ فيه. وقيل: القرآنُ.

و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حالٌ عن ﴿هذا﴾، ويجوزُ أن يكونَ عن (الصِّراطِ).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يُريدُ: الجنَّةَ، و﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾: هو الله سُبحانَه، والجنَّةُ دارُه.

وقيل: يُريدُ: السَّلامةَ، فحذَفَ الهاءَ.

وقيل: ﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾: التَّحيَّةُ، وسُمِّيت دارَ السَّلامِ لقولِه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، و﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦].

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ناصِرُهم ومُعينُهم.

---

(١) لم أجده هكذا، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٦٢) عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: «الشرك».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٠).

(١٢٨) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الإنسَ والجنَّ يومَ القيامةِ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾؛ أي: فيقولُ: يا معشرَ الجنِّ ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾؛ أي: من إغوائِهم وإضلالِهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ وهم الذين أطاعُوا الجنَّ، اعترفُوا رجاءَ أن ينفعَهم: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: الإنسُ بالجنِّ، والجنُّ بالإنسِ.

وقيل: استمتعَ بعضُ الإنسِ ببعضِهم.

وقيل: أمَّا استمتاعُ الجنِّ بالإنسِ فإغواؤُهم إيَّاهُم وإضلالُهم، وأمَّا استمتاعُ الإنسِ بالجنِّ فهو أنَّ العربَ إذا نزلت واديًا أو سلكوا مفازةً استعاذوا بالجنِّ وقالوا: نعوذُ بسيِّدِ هذا الوادي ـ أو هذه المفازةِ ـ من شرِّ سُفهاءِ قومِه.

وكانوا يعتَقدون أنَّ الأرضَ مَلأى[1] جنًّا، وأنَّ مَن لـم يُدخِلْهُ جِنِّيٌّ في جوارِه خبَلَه الآخَرون، وكذلك إذا قتَلوا صيدًا استعاذُوا بهم؛ لأنَّهم يعتَقِدون أنَّ هذه البهائمَ للجِنِّ منها مراكِبُهم.

وقيل: هو ما كانوا يأخُذونَه من الجنِّ من السِّحرِ والكهانةِ والأراجيفِ، واستمتاعُ الجنِّ بالإنسِ أيضًا أنَّهم قالوا: قد سُدْنا الجنَّ والإنسَ حتى عاذُوا بنا، فيزدادون شرفًا في قومِهم وعِظَمًا في أنفُسِهم.

﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني: الموتَ، وقيل: البعثَ.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: منزلُكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، والأحسَنُ أن يُجعَلَ ﴿مَثْوَاكُمْ﴾ مصدرًا؛ لعملِه في الحالِ، وتقديرُه: ذاتُ مَثواكُم[2].

---

(١) في (ن): «ملئ».

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٥): «لا يخلو (مثوى) من أن يكون مصدراً أو مكاناً، فإن =

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: منَ الزِّيادةِ على النَّارِ منَ العذابِ والنَّكالِ.

وقيل: سوى ما شاءَ الله.

وقيل: إلا ما شاء اللهُ قبلَ الدُّخولِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما أنَّه قال[١]: جعَلَ أمرَهم في مَبلغِ عذابِهم ومُدَّتِهم إلى مشيئةِ الله حتَّى لا يَحكمَ على اللهِ في خلقِه أحدٌ[٢].

والمعنى: لن[٣] ينفعَكم اعترافُكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٢٩) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: كما خذَلْنا عُصاةَ الجنِّ والإنسِ ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قتادةُ: هو من المُوالاةِ؛ أي: نُتبعُ[٤] بعضَهم بعضًا في النَّارِ[٥].

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: منَ التَّوليةِ؛ أي: نُسلِّطُ بعضَهم على بعضٍ[٦].

= جعلته مصدراً امتنع أن يكون خبراً عن النار، وإن جعلته ظرفاً امتنع أن يعمل في الحال، والوجه أن يجعل مصدراً ليعمل في الحال، وتضمر (ذات) فيقال: النار ذات مثواكم؛ ليصلح أن يكون خبراً».

وقد ذهب الزجاج إلى أنه مكان، ووجهه أن يُضمر فعل ينصب الحال وتقديره: النار مثواكم تثوون خالدين فيها. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦٤٥).

(١) «قال»: ليست في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٥)، وعدَّه من الغريب العجيب.

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٤٦): «والإجماع على التخليد الأبدي في الكفار، ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما».

(٣) في (ن): «لم».

(٤) في (و): «يتبع».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٨) عن قتادة وابن زيد.

كما قيل: إذا فسدَ الزَّمانُ أُمِّرَ عليهم شِرارُهم[١]، وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «عُمَّالُكم أعمالُكم»[٢]، وعنه عليه السَّلامُ: «يقولُ الله: أنا اللهُ لا إلهَ إلَّا أنا، مالكُ الملوكِ، قلوبُهم ونواصيهم بيدي، فمَنْ أطاعَني جعلتُهم عليه رحمةً، ومَن عصاني جعلتُهم عليه نِقْمةً، فلا تشتغِلُوا بسبِّ الملوك، ولكنْ توبوا إليَّ أُعطِّفْهم عليكم»[٣].

وقيل: منَ الولايةِ، المؤمنُ وليُّ المؤمنِ حيثُ كان، والكافرُ وليُّ الكافرِ حيثُ كان.

وقيل: معناه: نَكِلُ بعضَهم إلى بعضٍ.

---

(١) روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٥٠) عن منصور بن الأسود قال: «سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم».

(٢) لم أقف عليه مرفوعًا. وروى الطبراني عن الحسن البصري أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج، فقال له: لا تفعل، إنكم من أنفسكم أُتيتم، إنما نخاف إنْ عُزل الحجاج أو مات أن يتولى عليكم القردة والخنازير، فقد روي: إنَّ أعمالَكم عمَّالُكم، وكما تكونوا يولَّى عليكم. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٢٠).

(٣) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٦٢)، وتمام في «فوائده» (١/ ٢٦٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٤٩): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه وهب بن راشد، وهو متروك».

وقال ابن حبان: «وهب بن راشد شيخ يروي عن مالك بن دينار العجائب لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به».

ولعل الصواب أنه من قول مالك بن دينار، روى عنه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٧)، قال: «قرأت في الحكمة...» وذكره.

وعن كعب قال: «إنا نجد أن الله تعالى قال...» وذكره. رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩).

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٩) وفيه: «ومن الغريب: قال الله تعالى في بعض كتبه» وذكر الخبر.

(١٣٠) ـ ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ﴾: يقرؤُون ﴿عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾: كتُبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

الضَّحَّاكُ: بَعَثَ إلى الجنِّ رُسلًا منهم كما بعَثَ إلى الإنسِ رُسلًا منهم(١).

الزَّجَّاجُ والفرَّاءُ في جماعةٍ: رُسلُ الجنِّ منَ الإنسِ(٢).

وقولُه: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ لا يدفعُ هذا التَّأويل؛ فإنَّه غلَّبَ الإنسَ على الجنِّ.

ابنُ عبّاسٍ: رُسلُ الجنِّ هم المُنذِرون، من قولِه: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩](٣).

﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ بالجُرمِ والعِصيانِ.

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بحيثُ لا يُمكِنُ التَّلافي والاستدراكُ، يجوزُ أن يكونَ من كلامِهم، ويجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا بما بعدَه.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾؛ أي: بمَن أتاهُم منَ الرُّسلِ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٦٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٦)، وعدَّه من العجيب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٦)، واستغربه.

(١٣١) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى إرسالِ الرُّسلِ ﴿أَن لَّمْ﴾ بسببِ أنْ لم ﴿يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: لا يُهلِكُهم ولا يُعذِّبُهم حتَّى يبعثَ إليهم الأنبياءَ ويُعْذِرَ إليهم(١).

وقولُه: ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: منَ الله. وقيل: بظُلمِهم.

ومعنى: ﴿غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: عن الإعذارِ والإنذارِ.

***

(١٣٢) ـ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلِكُلٍّ﴾؛ أي: للمُؤمنِ(٢) والكافرِ ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: هم مُتفاوتون في الثَّوابِ والعقابِ على قَدْرِ أعمالِهم، والجنَّةُ درَجاتٌ والنَّارُ دركاتٌ، فغُلِّبَت الدَّرجاتُ.

وقيل: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ للمؤمنين خاصَّةً، ثمَّ أَوعَدَ الكفَّارَ فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

***

(١٣٣) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عنِ العبادِ ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ بهم ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يستأصِلْكُم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ يريدُ: ويُقِمْ مكانَكُم غيرَكُم، و﴿ما﴾ بمعنى: مَن.

---

(١) أي: لا يدع لهم موضعاً للاعتذار.

(٢) في (و): «المؤمن».

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾؛ أي: خلقكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: قرنًا بعد قرنٍ.

وقيل: يَذهبُ بكم ويأتي بخَلْقٍ مخالفٍ لجنسِكم هو أطوعُ للهِ منكم، ولهذا قال: ﴿مَّا يَشَآءُ﴾[1].

***

(١٣٤) ـ ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖ﴾؛ أي: منَ البَعثِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ لَكائنٌ لا محالةَ.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بفائتين، وتقديرُه: لا تُعجِزون طالبَكم.

***

(١٣٥) ـ ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞ﴾ هذا أمرُ تهديدٍ[2] ووَعيدٍ، ومثلُه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩].

والمعنى: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ فعملُكم عائدٌ عليكم بالوَبالِ ﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾ بخلافِ عملِكُم .

وقيل: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ في أمري؛ ﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾ في أمرِكم.

وقولُه: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: على قَدْرِ منزلَتِكم، من قولِ العربِ: مَكُنَ مَكانةً فهو مَكينٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «وتهديد».

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ناحيَتِكُم[١].

أبو عبيدةَ: على حِيالِكُم[٢].

الزَّجَّاجُ وابنُ عيسى: طريقَتِكُم[٣].

الكلبيُّ: منازِلِكُم[٤].

وقيل: على تُؤَدةٍ وتثبُّتٍ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: سيَظهرُ[٥] أيُّنا أحسنُ عملًا.

و﴿مَن﴾ بمعنى: الذي، ومحلُّه نصبٌ كقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ويجوزُ أن يكونَ استفهامًا ومحلُّه رفعٌ كقولِه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢].

والعاقبةُ: مصدرٌ[٦]، والمرادُ بها الجنَّةُ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لا يفوزُ[٧]، عِكرمةُ: لا يبقَون في الثَّوابِ[٨].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٠).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٦)، وفيه: «أي: على حيالكم وناحيتكم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٣) وفيه: «المعنى: اعملوا على تمكنكم. ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه».

ونقل الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٥٠١) عن ابن عيسى قوله: «على تمكنكم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٢١).

(٥) في (ن): «فسنظهر».

(٦) قال الأزهري: «وقد جاءت مصادر كثيرة على فاعله». انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١٤١)، و«شرح شافية ابن الحاجب» لركن الدين الاستراباذي (١/ ٣٠٧).

(٧) في (ن): «لا يفوزون».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٢).

(١٣٦) - ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُواْ﴾ يعني: قُريشًا ومُشركي العربِ ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلَقَ وأظهرَ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾: الزَّرعِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبلِ وغيرِها ﴿نَصِيبًا﴾: حظًّا، يُريدُ: وللأصنامِ نصيبًا، فاكتفى بما دلَّ عليه قولُه: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾.

اختلفَتْ عباراتُ المُفسِّرين عن هذا النَّصيبِ، ومحصولُ كلامِهم: أنَّ الكفَّارَ جعلوا للضِّيفانِ والمساكينِ في حُروثِهم وأنعامِهم نصيبًا، ونسَبُوه إلى الله سُبحانَه، وجعلوا للأوثانِ نصيبًا يُنفِقونَه ويصرِفُونَه إلى وُجوهٍ عيَّنوها لها، ثم جعلُوا الأرجحَ الأجودَ للأصنامِ، والأخسَّ الأرذَلَ لله، وقصَّروا في نصيبِ الضِّيفانِ والمساكينِ بعد توفيرِهم نصيبَ الأوثانِ عليها، وإنْ وقعَ في نصيبِ الأوثانِ خلَلٌ أو احتاجَتْ[1] إلى زيادةٍ صُرِفَ من نصيبِ الله إليها، وإنْ وقعَ فيما نسَبُوه إلى الله خلَلٌ لم يُصرَفْ إليه من نصيبِ الأوثانِ.

ثم ذمَّ صنيعَهم فقال: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

* * *

(١) في (ن): «واحتاجت».

(١٣٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما زيَّنَ لهم الشَّيطانُ عبادةَ الأوثانِ وبَخْسَ حقِّ الله ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾: البناتِ بالوَأْدِ مخافةَ الفقرِ والعارِ، والبنينَ بالنُّذورِ عندَ قضاءِ الحاجاتِ ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾: شياطينُ الجنِّ؛ لأنَّهم شارَكُوهم في الكفرِ وزيَّنُوا بالوسوسةِ لهم ذلك.

وقيل: ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾: قومٌ كانوا يخدُمون الأوثانَ.

وقراءةُ ابنِ عامرٍ: ﴿زُيِّنَ﴾ بضمِّ الزاي و﴿قتلُ﴾ رَفعٌ ﴿أولادَهم﴾ نصبٌ ﴿شركائِهم﴾ جرٌّ[1]، وإنْ ضَعُفَت في العربيَّةِ للإحالةِ بين المُضافِ والمُضافِ إليه؛ فقويَّةٌ في الرِّوايةِ عاليةٌ[2].

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليُهلِكُوهم بالعذابِ، واللَّامُ لامُ العاقبةِ، وقيل: هي لامُ (كي).

﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ أي: ليُغطُّوا عليهم دينَهم الذي يجبُ أن يتديَّنُوا به.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بسَلْبِ قُدرتِهم على ذلك، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: دَعْهُم وما هم فيه.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

(٢) ومن أشد المتكلمين فيها الزمخشري، انظر كلامه مع الرد عليه في طبعة دار اللباب من «الكشاف».
وجاء في هامش (ن): «ابن عامر من القراء السبعة، وهو شامي، وفي مصحف الشام مكتوب كما يقرأ ابن عامر، وهو من جملة المصاحف الخمسة المعتمد عليها».

(١٣٨) - ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾ يعني: ذبائحَ الأوثانِ. وقيل: البَحيرةُ وأخواتُها ﴿وَحَرْثٌ﴾: هو ما جعلوه للأوثانِ ﴿حِجْرٌ﴾: حرامٌ، وأصلُه: المنعُ ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يُريدُ: الرِّجالَ دونَ النِّساءِ. وقيل: مَن يخدُمُ الأوثانَ والأصنامَ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾؛ أي: لا حجّةَ لهم على ذلك، وقيل: بكذبِهم.

قال شُرَيحٌ: لكلِّ شيءٍ كنايةٌ، وكنايةُ الكذبِ الزَّعْمُ(١).

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يعني: السَّائبَ والحاميَ.

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ مُجاهدٌ: كانت لهم طائفةٌ منَ الأنعامِ لا يذكرونَ اسمَ الله عليها؛ لا حالةَ الذَّبحِ، ولا حالة الحلبِ والبيعِ والرَّحلِ(٢).

عاصمٌ عن أبي وائلٍ: هو ما لـم يُحجَّ عليه(٣).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٤) بلفظ: «إن لكل شيء كنية، وكنية الكذب: زعموا».

ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١٤١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٧٩٦) بلفظ: «زعموا كنية الكذب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٨٣) بلفظ: «كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها، ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوها، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن منحوا، ولا إن عملوا شيئًا».

ووقع في (ن): «... لإحالةِ الذبح ولإحالةِ الحلب...»، وفي (و): «... لإحالةِ الذبح وإحالة الحلب...»، هكذا وقع فيهما بهذا الرسم والضبط، والمثبت هو الموافق لما في الخبر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٤).

غيرُهما: هو ما لم يُذكَرِ اسمُ الله على ذَبحِه[1].

﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ؛ أي: مُفترين؛ لأنَّهم زعمُوا أنَّ اللهَ أمرَهم بذلك. وقيل: افترَوا بتركِهم التَّسميةَ ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

***

(١٣٩) - ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ قيل: الأجِنَّةُ. وقيل: اللَّبنُ. وقيل: هما جميعًا.

﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾؛ أي: هي للذُّكورِ خاصَّةً.

وتأنيثُ ﴿خَالِصَةٌ﴾ لتأنيثِ معنى ﴿مَا﴾ لأنَّها للأجنَّةِ، وتذكيرُه للَفظِه.

وقيل: هي مصدرٌ كالعاقبةِ[2]، قال:

كُنْتَ أميني وكنْتَ خَالِصتي ... وليسَ كلُّ امرئٍ بمُؤتَمَنِ[3]

وقيل: للمُبالغةِ في الخُلوصِ.

﴿وَإِن يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾؛ أي: خرَجَ ميتًا زالَ عنه التَّحريمُ، فحلَّتْ للرِّجالِ والنِّساءِ.

---

(١) في (و): «عليه».

(٢) رجح المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٨) فقال: «وهذا أظهر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٣١)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٦٥)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٥/ ١٨٣). وجاء في «البسيط»: (أمنيتي) بدل (أميني).

﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾: هو كقولِه: ﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ﴾ [النحل: ٦٢]، وتقديرُه: بوَصفِهم، فحُذِفَ الجارُّ. وقيل: جزاءَ وَصْفِهم، فحُذِفَ المُضافُ. ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

***

(١٤٠) ـ ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾.

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ﴾ بالوَأْدِ والنَّذرِ ﴿سَفَهَۢا﴾: جَهْلًا وخِفَّةَ عقلٍ.

وهو مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ. وقيل: نصبٌ على المصدرِ؛ أي: سَفِهُوا سَفَهًا. وقيل: نصبٌ على العلَّة، وفيه بعدٌ.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾؛ أي: بغيرِ علمِ أنَّ اللهَ أمرَهُم به.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: البَحيرةَ وأخواتِها ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: كذَبوا في نسبةِ التَّحريمِ إلى الله ﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ إلى الصَّوابِ.

***

(١٤١) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾: خلَقَ ابتداءً ﴿جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: مرفوعاتٍ على ما يحملُها كالكرمِ وما يُشبِهُه؛ أي: من شأنِها أنْ تُعْرَشَ.

﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾: النَّخلَ وما يُشبِهُه[1].

(١) في (ن): «يشبهها».

وقيل: المعروشاتُ: ما يُرفَعُ بعضُ أغصانِها على بعضٍ.

ابنُ عبَّاسٍ: المعروشاتُ: ما غرس[١] النَّاسُ، وغيرُ المعروشاتِ: ما خرجَ في البرِّ والجبالِ منَ الأشجارِ والثِّمارِ[٢].

وقيل: ﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: ما حولَها حائطٌ ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾: ما لا حائطَ حولَها.

﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا﴾ حالٌ مُقدَّرٌ، كقولِه: معه صقرٌ صائدًا به غدًا[٣].

﴿أُكُلُهُۥ﴾: ثمرُه، والهاءُ تعودُ إلى الزَّرعِ.

وقيل: أُكُلُ ذلك، وقيل: أُكُلُ كلِّ واحدٍ منها[٤].

﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖ﴾ قيل: مُتشابهٌ في اللَّونِ، غيرُ مُتشابهٍ في الطَّعمِ؛ كالحلوِ والحامضِ والمرِّ منَ الرُّمانِ.

وقيل: أنواعٌ تَشتبِهُ طُعومُها، وأنواعٌ تختلفُ طُعومُها.

وقيل: المُتشابهُ: ما كان من جنسٍ واحدٍ، وغيرُ المُتشابهِ: ما اختلفَ جنسُه وثمرُه.

---

(١) في (و): «المعروشات: ما حولها ما غرز».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٣).

(٣) تسمى الحال المقدرة؛ لأنها لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا﴾، وكما تقول: «خِطْ هذا الثوبَ قميصاً»، لأن الجَبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، كذا الثوبُ لا يكون قميصاً في حال الخياطةِ، فقوله: «صائداً به غدًا»؛ أي: مقدِّراً به الصيد غدًا، وكذا كل حال مقدرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٥٢). و«الكشاف» تفسير الآية (٧٤) من الأعراف، والآية (٤٥) من سورة الأحزاب.

(٤) ذكر هذين القولين المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩)، واستغربهما.

﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾: من ثمرِ كلِّ واحدٍ من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾، هذه رُخصةٌ للمالكِ أن يأكُلَ عند إدراكِه وقبلَ[1] إخراجِ حقِّ الله منه.

﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾؛ أي: حقَّ الله، وفيه خمسةُ أقوالٍ:

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: منسوخةٌ بالزَّكاةِ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نُسِخَتْ بالعُشْرِ ونصفِ العُشْرِ[3].

أنسُ بنُ مالكٍ والحسَنُ: هي الزَّكاةُ المفروضةُ[4].

سُفيانُ: هو أن يدَعَ المساكينَ يتَّبعون أثَرَ الحصَّادين، فما سقطَ منَ المِنجَلِ أخذوه[5]، ويُكرَهُ حَصادُ اللَّيلِ لهذا.

وقيل: هذا نَدْبٌ.

و﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: يومَ قطعِه وجُذاذِه.

---

(١) في (ن): «قبل».

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤١)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٠٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٤٧٢)، و(١٠٤٨٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢٠)، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الحق هنا بالعشر ونصف العشر ولم يذكر النسخ ـ وهو موافق للقول الآتي عن أنس والحسن ـ رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢١) عن أنس بن مالك والحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) روي نحوه عن مجاهد، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٦٠) ولفظه: «يتركهم يتبعون آثار الصرام»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٠٣) بعدة روايات.

وقيل: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: يومَ كيلِه.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بإشراكِ الآلهةِ في الحرثِ.

وقيل: لا تُسرِفُوا في الأكلِ قبل إخراجِ حقِّ الله.

وقيل: لا تُسرِفُوا فتنفِقُوا في معصيةِ الله.

وقيل: لا تُسرِفُوا فتَتَجاوَزُوا قَدْرَ المفروضِ، وأنَّها نزلَتْ في مُعاذِ بنِ جبلٍ: جدَّ نخلَه، فلم يزَلْ يتصدَّقُ حتَّى لم يبقَ منه شيءٌ، فنزلَتْ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].

***

(١٤٢) - ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: هي كبارُ الإبلِ التي يُحمَلُ عليها، والفَرْشُ: صِغارُها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الحَمُولةُ: ما حُمِلَ عليه من الإبلِ والبقرِ، والفَرْشُ: الغَنَمُ[2].

والإِفراشُ: الإضجاعُ للذَّبحِ.

ابنُ جريرٍ: الفرشُ منَ الأنعامِ: ما قَرُبَتْ جثَّتُه منَ الأرضِ[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٩) عن ابن جريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٢١) بلفظ: «فأما الحمولة: فالإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شيء يحمل عليه، وأما الفرش: فالغنم». وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٠-١٤٠١) (٧٩٧٢) و(٧٩٧٦) مفرقاً.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٦٢٢)، وفيه: «الفرش إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، =

وقيل: الحَمولةُ: الإبلُ والخيلُ والبغلُ والحميرُ والبقرُ، والفرشُ: ما اتُّخِذَ من أصوافِها وجُلودِها[(١)].

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ أي: كلوا ما أَحلَّ اللهُ[(٢)] لكم منها، ولا تُحرِّموها كفعلِ الجاهليَّةِ.

* * *

(١٤٣) ـ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: أفرادٍ، والزَّوجُ: ما معه آخرُ من جنسِه، ويُقالُ لمجموعِهما: زَوجٌ، وللمُفردِ: زوجٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما زوجٌ للآخرِ.

ونصبُ ﴿ثَمَانِيَةَ﴾ على البدلِ منَ الحمولةِ والفرشِ، أو تقديرُه: أنشأنا ثمانيةَ أزواجٍ[(٣)].

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ الضَّأْنُ: ذَواتُ الصُّوفِ والألايا، والضَّأْنُ جمعٌ، واحدُها: ضائنٌ، وقيل: ضائنةٌ.

وقيل: إنَّها جمعٌ لا واحدَ لها من لفظِها، وتُجمَعُ على «ضَئينٍ» كعَبيدٍ وكَليبٍ.

= فيقال له: الفرش. وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها في استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩)، واستغربه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) اسم الجلالة «الله»: ليس في (و).

(٣) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩) وقال: «والقولان واحد»، ويريد: أنهما واحد في المعنى، أما في الإعراب فاختلافهما واضح؛ فالأول بدل كما ذكر، والثاني مفعول به لفعل محذوف، والله أعلم.

﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ هي ذَواتُ الشَّعرِ، واحدُها: ماعزٌ، ومَن فتحَ العينَ[١] جعلَه كحارِسٍ وحَرَسٍ، وطالبٍ وطَلَبٍ، وجاء فيها: المِعْزَى والأُمْعُوزُ والمَعيزُ، وكلُّها جمعٌ[٢].

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ هذا جوابٌ لمَن[٣] قالوا: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وقيل: نزلَتْ في مالكِ بنِ عَوفٍ وأصحابِه[٤].

والمعنى: قُلْ لهم: أحرَّمَ اللهُ الذُّكورَ أم حرَّمَ الإناثَ؟ أم حرَّم جميعَ ما في الأرحامِ؟ ولو كانَ تحريمُه من جهةِ اللهِ لكانَ عامًّا في نوعِه كتحريمِ البناتِ والأخواتِ والرِّبا والزِّنى، ولم يكُنْ مخصوصًا في بعضٍ دونَ بعضٍ، ولا في عامٍ دون عامٍ، وعلى قومٍ دون قومٍ، كما يزعُمون، وإذا لم يكُنْ هذا على منهاجِ سائرِ المُحرَّمات ظهرَ كذبُكُم على اللهِ وافتِراؤُكُم.

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: أخبِروني بما علِمتُم به أنَّ هذا من جهةِ اللهِ سُبحانَه.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين، والباقون بإسكانها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧١)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٢) بين هذه الألفاظ اختلاف في الدلالة رغم دلالتها على الجمع، وذكر عن أُبيٍّ رضي الله عنه أنها قرأها: (من المعزى)، وهي قراءة شاذة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٦)، و«جمهرة اللغة» مادة: (م ع ز) (٢/ ٨١٧).

(٣) في (و): «لما».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٤)، وفيه أن مالك بن عوف جادل النبي ﷺ في مخالفته لهم في تحريمهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، في خبر طويل.

(١٤٤) ـ ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾؛ أي: أم شاهدتُموه فسمِعتُم يُوصي بهذا التَّحريمِ إذ كنتُم لا تؤمنون بنبيٍّ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يُريدُ علماءَهُم وكُبراءَهُم.

وقيل: يُريدُ عمرَو بنَ لُحيٍّ؛ فإنَّه غيَّرَ دينَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ وسَنَّ هذا التَّحريمَ.

﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾: العوامَّ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(١٤٥) ـ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾؛ أي: في القرآنِ[1] ﴿مُحَرَّمًا﴾: حيوانًا حُرِّمَ أكلُه ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾: آكلٍ يأكلُه ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ المُحرَّمُ ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: فإنَّ الخنزيرَ، وقيل: فإنَّ اللَّحمَ ﴿رِجْسٌ﴾: مُنتِنٌ قَذِرٌ ﴿أَوْ فِسْقًا﴾؛ أي: مذبوحَ فِسقٍ، فحُذِفَ المُضافُ.

(١) في (و): «اليوم أي القرآن».

و﴿فِسۡقًا﴾ نصبٌ بالعطفِ على ما قبلَه، وقولُه: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ جرَى مَجرى الوصفِ[١]، وقيل: أو ما أُهِلَّ به لغيرِ الله فِسقًا[٢].

﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ أي: ذُبِحَ على اسمِ الصَّنمِ.

اختلفَت الأئمَّةُ في هذه الآيةِ على خمسةِ أقوالٍ:

الأوَّلُ: أنَّها منسوخةٌ، وأنَّ (المائدةَ) نزلت بعدَها، وفيها النَّاسخةُ. وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَّآ أَجِدُ﴾ خبرٌ، والخبرُ لا يدخلُه النَّسخُ[٣].

الثَّاني: أنَّها مُحكَمةٌ، وليس شيءٌ من الحيوانِ بمُحرَّمٍ إلَّا ما فيها. وهذا مذهبُ مالكٍ، وليس هذا المأخوذَ به في المذهبَين[٤].

والثَّالثُ: أنَّ المُحرَّماتِ داخلةٌ فيها؛ لأنَّ التَّذكيةَ إنَّما تُؤخَذُ توقيفًا، وكلُّ ما لم يُؤخَذْ[٥] تذكيَتُه بالتَّوقيفِ فهو ميتةٌ داخلٌ في الآيةِ، فالشَّرعُ أباحَ لك أكلَ السَّمكِ بغيرِ ذكاةٍ، ولا يجوزُ غيرُه؛ لأنَّه لم يُجِزْهُ النَّبيُّ عليه السَّلامُ.

---

(١) ولم يرتض المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩) هذا القول، فقال بعد أن نقله عن الجمهور: وفيه نظر؛ لأن قوله: ﴿أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ من الموصولات، ولا يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليها بأجنبي.

(٢) أي: ﴿فِسۡقًا﴾ منصوب على أنه مفعولٌ مِن أجْله مُقدَّمٌ على العامل فيه وهو ﴿أُهِلَّ﴾ كقوله:

طَرِبْتُ وما شوقًا إلى البِيضِ أَطْرَبُ

وفَصَل به بين ﴿أَوۡ﴾ و﴿أُهِلَّ﴾ بالمفعولِ له، ويكونُ ﴿أَوۡ أُهِلَّ﴾ معطوفًا على ﴿يَكُونَ﴾، قاله الزمخشري، ولم يرتضه أبو حيان لما فيه من التكلف كما قال. انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٧٦).

(٣) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٨/ ١٣٥).

(٤) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» (٥/ ٧٨٤)، و«شرح مختصر الطحاوي» (٨/ ٧٦)، و«أسنى المطالب» (١/ ٥٦٣).

(٥) في (ن): «يوجد».

الرّابعُ: ما صحَّ تحريمُه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ داخلٌ في الاستثناءِ.

الخامسُ: أنَّ الآيةَ جوابٌ لِمَا سألوا، وثَمَّ محرَّماتٌ لم يَسألوا عنها.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ سبقَ في (البقرةِ).

***

(١٤٦) ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا﴾؛ أي: حرَّمْنا عليهم في أيَّامِ موسى عليه السَّلامُ عقوبةً لهم ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ يريدُ: ما ليس بمُفرَّجِ الأصابعِ مشقوقِها كالإبلِ والنَّعامِ والبطِّ، وجميعُ أنواعِ السِّباعِ كالسَّنانيرِ والكلابِ وما يَصطادُ بظُفرِه منَ الطَّيرِ داخلٌ فيه.

وقيل: كلُّ ذي مِخلبٍ منَ الطَّيرِ وكلُّ ذي حافرٍ من الدَّواب، وسُمِّي الحافرُ ظفرًا مجازًا.

﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ﴾ يريدُ: الثُّروبَ[1]، وقيل: كلُّ شحمٍ لم يختلطْ بلحمٍ ولا عظمٍ. وقيل: شحمُ الكليتَينِ.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ يريدُ: شحمَ الجَنْبِ وما علِقَ بالظَّهرِ من خارجٍ، وقيل: من داخلٍ.

﴿أَوِ ٱلۡحَوَايَآ﴾: هي ما يتحوَّى في البطنِ؛ أي: يجتمعُ ويستديرُ، ويُسمَّى[2]

---

(١) الثروب: جمع ثرب؛ شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ث ر ب) (١٥/ ٥٩).

(٢) في (و): «وسمي».

بناتِ اللَّبَنِ. وقيل: هي المباعرُ. واحدتُها: حاويةٌ. وقيل: واحدتُها: حاوِياءُ؛ كقاصِعاء وقواصِعَ. وقيل: حَوِيَّةٌ؛ كسَفينةٍ وسَفائنَ.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: قيل: هي الألْيةُ لاتِّصالِـها بالعُصْعُصِ. وقيل: المُخُّ.

وقيل: فيها تقديمٌ، والتَّقديرُ: حرَّمْنا عليهم شُحومَهما، أو الحوايا، أو ما اختلطَ بعظمٍ إلَّا ما حملَتْ ظُهورُهما. و(أو) للتَّخييرِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّحريمُ ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: بظُلمِهم ومُخالفتِهم أنبياءَهُم.

الحسَنُ: بكُفرِهم[1].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبَرْنا به.

* * *

(١٤٧) - ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: لا يُعجِّلُ بالعقوبةِ ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يُمهِلُ ولا يُهمِلُ.

* * *

(١٤٨) - ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ في الآيةِ أعظَمُ مُعجزةٍ لرسولِ الله عليه السَّلامُ؛ لأنَّه أخبرَ عنهم قبلَ قولهم، فكان كما أخبرَ[2].

---

(١) لم أجده.

(٢) بعدها في (و): «عنهم قبل قولهم».

وعطفَ ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ على الضَّميرِ المتصلِ، وعَدَّ (لا) حائلًا.

المعنى: رضِيَ منَّا ومن آبائِنا الشِّركَ، وأرادَ منَّا تحريمَ ما حرَّمناه.

وقيل: معناه: لو شاءَ الله أنْ لا يُفعلَ لحالَ بيننا وبينَه.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا ليس بجوابٍ لهم؛ لأنَّه مُشدَّدٌ؛ أي: كذَّبكَ قومُك فيما أخبرْتَهم به كذلك كذَّبَ الأممُ السَّالفةُ أنبياءَهُم.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه جوابٌ؛ لأنَّهم كذَبوا في هذا، وكذَّبوا بهذا رسولَ الله ﷺ؛ لأنَّهم قالوا: أرادَ الله منَّا أن نُشرِكَ ورضيَ به.

وقيل: قالوا هذا القولَ تعنتًّا واستهزاءً، ولو قالوا تيقُّنًا واعتقادًا كان إيمانًا.

وقولُه: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾؛ أي: عذابَنا.

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾: بيانٍ لدعوتِكُم ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾: فتُظهِروه.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما تتَّبِعون إلا ظنًّا لا يُؤدِّي إلى علمٍ، ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾: تكذِبونَ على الله[1].

***

(١٤٩) ـ ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ لأنَّ ما احتجَجْتُم به باطلٌ، وإذا بطلَتْ حُجَّتُكم غلبَتْ حُجَّةُ الله وعلَتْ[2]، وهي ما احتجَّ بها على الكافرين في الآيةِ الأولى وفي سائرِ الآياتِ.

والحُجَّةُ: ما تَثْبُتُ به صِحَّةُ دَعوى المُدَّعي.

---

(١) «على الله»: ليست في (و).

(٢) في (ن): «علت حجة الله وغلبت».

والبالغةُ: التي بلغَتْ النِّهايةَ في التَّصحيحِ والبيانِ.

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هدايةَ إلجاءٍ واضطرارٍ.

***

(١٥٠) ـ ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾؛ أي: ائتُوني بمَن يشهدُ لكم على صِحَّةِ دَعوتِكم أنَّ اللهَ حرَّمَ الحرثَ والأنعامَ.

وقيل: هلُمَّ شهادتَكُم.

﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾؛ أي: شهادتُهم غيرُ مقبولةٍ؛ لأنَّهم يشهدون لأنفُسِهم حيثُ كانوا على دينٍ واحدٍ واعتقادٍ واحدٍ.

والمعنى: إنِ اقتَصَروا على قولِهم وشهادتِهم فخالِفْهم في ذلك.

و(هلُمَّ): يأتي مبنيًّا على الفتحِ، يستوي معه الواحدُ والجمعُ، والتَّأنيثُ والتَّذكيرُ، وقد يجري مَجرى سائرِ الأفعالِ، فيُقالُ: هلُمَّا، وهلُمُّوا، وهلُمِّي، وهَلْمُمْنَ[١].

وأصلُه: (ها) و(لُمَّ).

قال الكوفيون: أصلُها: (هَلْ) و(أُمَّ)[٢].

ويكونُ مُتعدِّيًا كما في الآيةِ، وبمعنى: تعالَوا، كقولِه: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وإنْ أقرُّوا بالآخرةِ كأهلِ الكتابِ

---

(١) بناؤه لغة أصل الحجاز، وإجزاؤه لغة أهل نجد. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٨)، و«المقتضب» (٣/ ٢٥).

(٢) انظر: «الخصائص» (٣/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٥١٤)، و«الإنصاف» للأنباري (١/ ٢٧٩ و٢٨٢).

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ كعبدةِ الأوثانِ ﴿وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾: يجعلُون له عِدْلًا(١)، وهو المِثْلُ.

***

(١٥١) - ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمَّدُ للَّذين حرَّموا الحرثَ والأنعامَ: ﴿تَعَالَوۡاْ﴾: احضُروا ﴿أَتۡلُ﴾: أقرأْ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ﴾: ما الذي(٢) حرَّمَ، ومحلُّه نصبٌ بـ ﴿أَتۡلُ﴾.

وقيل: نصبٌ بـ ﴿حَرَّمَ﴾، و﴿أَتۡلُ﴾ بمعنى: أقُلْ(٣).

وقولُه: ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ مِن صلةِ ﴿حَرَّمَ﴾، وقيل: استئنافٌ للإغراءِ، ويحتملُ أن يكونَ صلةَ ﴿أَتۡلُ﴾.

وقولُه: ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ بدلٌ من ﴿مَا﴾، ومحلُّه نصبٌ.

الزَّجَّاجُ: لأنْ لا، ومحلُّه خفضٌ(٤).

---

(١) في (ن): «عديلاً».

(٢) في (ن): «ما الذي».

(٣) وعليه تكون ﴿مَا﴾ استفهامية في موضع نصب على المفعولية لـ﴿حَرَّمَ﴾، والجملة مفعول ﴿أَتۡلُ﴾ لأن التلاوة من باب القول، فيصح أن تعمل في الجملة بناء على المذهب الكوفي من أنه تُحكى الجملة بكل ما تضمن معنى القول، وغيرهم يقدر في ذلك قائلاً ونحوَه، والمعنى هنا على الاستفهام: تعالوا أقلْ لكم وأبينْ جوابَ: أيَّ شيءٍ حرَّم ربُّكم. انظر: «روح المعاني» (٤/ ٢٩٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٠٤)، وفيه: «﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام؛ أي: =

وقيل: رفعٌ؛ أي: ذلك أنْ لا تُشرِكُوا.

وقيل: ﴿تُشۡرِكُواْ﴾ جزمٌ إذا حُمِلَتْ على النَّهيِ، ونَصبٌ إذا أُعمِلَتْ (أَنْ)، وكذلك ما بعدها.

وقيل: (أنْ) هاهنا هي المُفسِّرةُ بمعنى: (أي).

وقيل: (لا) صلةٌ، والمعنى: لا تُشرِكُوا مع الله في العبادةِ والطّاعةِ غيرَ الله.

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾؛ أي: أوصيكُم بالوالدَين إحسانًا.

وقيل: أحسِنُوا بالوالدَين إحسانًا، فحُذِفَ؛ لأنَّ المصدرَ دلَّ عليه.

والمعنى: عقوقُهما حرامٌ والبرُّ بهما والإحسانُ إليهما فرضٌ.

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾: فقرٍ بكم ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ والإملاقُ: الفقرُ يحملُ صاحبَه على الخضوعِ.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: الزِّنا سرًّا وجهرًا.

وقيل: ﴿مَا ظَهَرَ﴾ بالجوارحِ ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ بالنِّيَّةِ.

وقيل: الآثامُ كلُّها فواحشُ منهيٌّ عنها ظاهرُها وباطنُها.

و﴿مَا ظَهَرَ ... وَمَا بَطَنَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾.

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾: القودُ بالنَّفسِ الحرامِ، والزِّنى بعد الإحصانِ، والكفرُ بعد الإيمانِ.

= أبين لكم الحرام لئلا تشركوا به شيئًا؛ لأنهم إذا حرموا ما أحل الله فقد جعلوا غير الله ـ في القبول منه ـ بمنزلة الله جل وعز، فصاروا بذلك مشركين». ولم يرتض هذا الوجه الآلوسي، في «روح المعاني» (٤/ ٣٠١)، وقد ارتضاه معربو القرآن الكريم، وأجازه، وذكر ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص: ٣٠) سبعة وجوه في إعرابها، فلتنظر ثمة.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ما ذُكِرَ مُفصَّلًا ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: وصَّاكُم ربُّكُم بحفظِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتصيروا منَ الرَّاشدين.

* * *

(١٥٢) ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: يُريدُ: التِّجارةَ وتثميرَ مالِه. الزَّجَّاجُ: ركوبَ دابَّته واستخدامَ خادمِه[١]، وقد سبقَ.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: ثماني عشرةَ سنةً، وقيل: إذا احتَلَمَ، وقيل: يبلُغَ الحِنْثَ، وقيل: ثلاثينَ سنةً.

جمع شِدَّةٍ؛ كنِعْمَةٍ وأَنْعُمٍ، وقيل: جمع شَدٍّ، نحو: فَلْسٍ وأفْلُسٍ، وقيل: هو واحدٌ كالآنُكِ[٢].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾: أوفوهما بالعدلِ تامًّا، و(الميزانُ) مصدرٌ كالكيلِ[٣].

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: إذا توخَّيْتُم الإيفاءَ فلا تُؤاخَذون بما ليس في وُسْعِكُم بالتَّعديلِ على أقلِّ التَّقليلِ، فإنَّه يصعُبُ خُصوصًا في الكيلِ.

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠٥) عن بعضهم، ثم قال: «وليس في الظاهر أن هذا هو المراد، وإنما التي هي أحسن: حفظ ماله عليه، وتثميره بما وجد إليه السبيل».

(٢) الأول قول سيبويه، والثاني قول الكسائي، والثالث قول أبي عبيدة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٩٧)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٢٢٣).

(٣) ويمكن أن يكون (الميزان) آلة الوزن، و(الكيل) مصدر أطلق على الآلة كالمكيال. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦٦٦).

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾؛ أي: إذا حكَمْتُم بينَ النَّاسِ وتكلَّمتُم فقولوا الحقَّ.

وقيل: تجنَّبوا الزِّيادةَ والنُّقصانَ.

وقيل: لا تَحيفُوا وإن كانَ المقولُ فيه قريبًا لكم.

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾: هو ما عُهِدَ إليكم من تأديةِ أحكامِ الشَّرعِ.

وقيل: النُّذورُ والحَلِفُ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ما تقدَّمَ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعِظون.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: ما سبقَ في السورةِ؛ لأنَّها كلَّها في التَّوحيدِ وأدلَّةِ النُّبوَّةِ وإثباتِ الدِّينِ.

وقيل: الإشارةُ إلى هذه الآياتِ؛ لأنَّها المُحْكَماتُ التي لم تُنْسَخْ في ملَّةٍ منَ المِلَلِ.

وقيل: هو القرآنُ.

﴿صِرَٰطِى﴾: طريقي الذي يُؤدِّي سالكَه إليَّ لا عِوَجَ فيه ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حالٌ.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾: اعملوا بمُوجَبِه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: الكتبَ المُتقدِّمةَ والشرائعَ المنسوخةَ. وقيل: البِدعَ والشُّبهاتِ.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: تُزيلَكم عن الإسلامِ وتُبعِدَكم[1] عن القرآنِ.

---

(١) في (و): «وتقعدكم».

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: الاتِّباعُ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: أمرَكُم بلُزومِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لتكونوا على رجاءِ إصابةِ التَّقوى.

***

(١٥٤) ـ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: (ثُمَّ) لتراخي الإخبارِ؛ أي: ثمَّ أخبرَكُم أنَّا آتينا موسى الكتابَ[١].

وقيل: ثمَّ قُلْ: آتينا موسى.

وقيل: (ثمَّ) مع الجملةِ تأتي بمعنى الواوِ، كقولِ الشّاعرِ:

إنَّ مَن سادَ ثمَّ سادَ أبُوه ... ثمَّ قد سادَ بعد ذلكَ جَدُّه[٢]

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ قيل: الفعلُ مسندٌ إلى ضميرِ (الذي)، وهو واقعٌ موقعَ الجمعِ؛ أي: على الذينَ أحسَنُوا، وهم الأنبياءُ عليهم السَّلامُ[٣]، كقولِ الشّاعرِ:

وإنَّ الذي حانَتْ بفَلْجٍ دِماؤُهم ... هُمُ القَومُ كلُّ القَومِ يا أُمَّ خالدِ[٤]

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٢) واستغربه.

(٢) البيت لأبي نواس من قصيدة مدح بها إبراهيم بن عبيد الله الحجبي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٢)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٦)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٩٥٩)، وروايته في هذه المصادر: (قل لمن ساد...). والبيت لم يرد في النسخة (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، واستغربه.

(٤) البيت للأشهب بن رميلة، وهو في «الكتاب» (١/ ١٨٧)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٩٠)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٩١)، و«المقتضب» (٤/ ١٤٦).

وقيل: الفعلُ لله؛ أي: تمامًا على الذي أحسَنَ اللهُ إلى موسى عليه السَّلامُ[1].

وقيل: الفعلُ لموسى؛ أي: تمامًا على الذي أحسَنَ موسى من قيامِه بأمرِنا ونَهيِنا.

وقيل: أحسَنَ موسى؛ أي: علِمَ.

وقيل: الفعلُ لإبراهيمَ عليه السَّلامُ[2].

وجوَّزَ الكوفيون أن تكونَ ﴿أَحْسَنَ﴾ اسمًا في محلِّ جرٍّ صفةٍ لـ(الذي)[3]. وهذا خطأٌ عند البصريِّين.

وقُرِئَ: (أحسَنُ)[4]؛ أي: هو أحسَنُ.

وقيل: ﴿الَّذِي﴾ بمعنى: ما؛ أي: على إحسانِه، وفيه بُعدٌ أيضًا[5].

﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: بيانًا لكلِّ ما يحتاجُونَ إليه في دينِهم ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُم﴾؛ أي: بني إسرائيلَ ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ بالثَّوابِ والعقابِ والبعثِ والحسابِ.

* * *

---

(١) انظر: «روح المعاني» (٤/ ٢٩٧)، ونسب هذا القول للجبائي، وعدَّه خلاف الظاهر.
وذكر نحو هذا القول ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٦٤) والتقدير عنده: ﴿تَمَامًا﴾؛ أي: تفضلاً وإكمالاً على الذي أحسن الله فيه إلى عباده من النبوَّات والنعم وغير ذلك.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) قراءة شاذة نسبت لابن يعمر. انظر: «المحتسب» (١/ ٢٣٤)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٨١).

(٥) والذي على هذا الوجه موصول حرفي يؤول مع ما بعده بمصدر، وقد ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(١٥٥) ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: كثيرُ الخيرِ ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اعملُوا بما فيه، ﴿وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: بعد الاتِّباعِ.

***

(١٥٦) ـ ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾؛ أي: أنزلْنا القرآنَ كراهةَ أنْ تقولوا، أو: لئلَّا تقولوا.

وقيل: لعلَّكم تتَّقون أنْ تقولوا يا أهلَ مكَّةَ[1]:

﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾: اليهود والنَّصارى، وخُصَّا بالذِّكْرِ لحصولِهما بينَ أظهُرِهم، وهذا يدلُّ على أنَّ المجوسَ ليسوا بأهلِ كتابٍ.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾: ما نَدري ما هي وما معنى كتُبِهم.

***

(١٥٧) ـ ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: أصوبَ دينًا، وقيل: أشدَّ اهتِداءً.

والأحسَنُ أن يُجعَلَ من الهدايةِ؛ لأنَّه لا يهدي[2] إلا مُهتدٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، واستغربه.

(٢) في (و): «لا يهتدي».

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حُجَّةٌ واضِحةٌ بالغةٌ[١] تعرِفُونَها ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن عمِلَ بها.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ﴾؛ أي: النَّبيَّ عليه السَّلامُ ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بردِّ آياتِ الله ﴿وَصَدَفَ﴾: أعرَضَ ﴿عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضُون ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ غيرَ مُتفكِّرين فيها ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شدَّتَه ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾: بإعراضِهم.

و(صدَفَ) لازمٌ ومُتعدٍّ، والآيةُ تحتمِلُهما إذا قدَّرْتَ مفعولًا[٢].

***

(١٥٨) ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظرُ أهلُ مكَّةَ، والنَّظرُ إذا لم يكُنْ مُقيَّدًا بـ(إلى) كان انتِظارًا، ولم يكونوا مُنتَظرين لذلك في الحقيقةِ، ولكن يُقالُ لِـمَا سيَلحَقُ لا محالةَ: إنَّه ينتظرُه؛ أي: يلحقُه لحوقَ المنتظِرِ.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبضِ أرواحِهم، وقيل: بالعذابِ.

﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ يعني: عذابُه، أو إهلاكُه، أو أمرُه، فحُذِفَ لأنَّ التَّهديدَ دلَّ عليه. والإتيانُ الذي هو انتقالٌ لا يجوزُ على الله تعالى[٣].

---

(١) في (ن): «بليغة».

(٢) يأتي (صدف) لازماً بمعنى: أعرض، ويأتي متعدياً بمعنى: صدَّ، والآية تحتمل أن تكون بمعنى: أعرض هو عن الآيات، أو بمعنى صدَّ غيرَه عن الآيات والله أعلم. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٦٩٧).

(٣) في (و): «والإتيان هو انتقال، ولا يجوز على الله تعالى».

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ يعني: أشراطَ السّاعةِ.

ورُوِيَ عن حُذيفةَ والبراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما قالا: كنَّا نتذاكرُ السَّاعةَ إذ أشرَفَ علينا رسولُ الله ﷺ، فقال: «ما تذاكرون؟» قلنا: نتَذاكرُ السّاعةَ، فقال: «إنَّها لا تقومُ حتَّى ترَوا قبلَها عشرَ أماراتٍ: الدُّخانَ، ودابَّةَ الأرضِ، وخسفًا بالمشرقِ، وخسفًا بالمغربِ، وخسفًا بجزيرةِ العربِ، والدَّجَّالَ، ويأجوجَ ومأجوجَ، ونارًا تخرجُ من قعرِ عدن، ونُزولَ عيسى عليه السَّلامُ، وطلوعَ الشَّمسِ من مغربِها»(١).

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾:

قيل: ذلك إذا ظهرَتْ أُولى الآياتِ.

وقيل: إذا خرجتِ الآياتُ كلُّها؛ لأنَّه يُغلَقُ بابُ التَّوبةِ.

ورُوِيَ أنَّ النَّبيَّ(٢) عليه السَّلامُ قال يومًا لأصحابِه: «بادِرُوا بالعملِ الصَّالحِ قبل أن يُغلَقَ بابُ التَّوبةِ بطُلوعِ الشَّمسِ من مغربِها» قالوا: يا رسولَ الله، كيفَ يكونُ ذلك؟ قال: «إنَّ الشَّمسَ إذا غربَتْ صارَتْ إلى تحتِ العرشِ فخرَّتْ ساجدةً إلى أن يُقالَ لها: ارتَفِعي واطلُعي من مطلعِكِ، فإذا أرادَ الله قيامَ السَّاعةِ لا يُقالُ لها كما كان يُقالُ لها(٣)، فيطولُ اللَّيلُ على النَّاسِ، فيقعُ الفزَعُ، ثمَّ يُقالُ لها: اطلُعي وارتفِعي من

---

(١) هكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٧٤) عن حذيفة والبراء، ورواه مسلم (٢٩٠١) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «رسول الله».

(٣) «لها»: ليست في (ن).

مغربِك، فتطلُعُ من المغربِ مع القمرِ مُقرَّنَينِ[١] كبعيرَين مقرونَينِ، فبعدَ ذلك لا ينفعُ نفسًا إيمانُها ولا عملُها بالصَّالحاتِ»[٢].

---

(١) في (ن): «مقرونين».

(٢) كذا ذكر المصنف هذا الحديث بالمعنى، وهو مجموع من عدة روايات بعضها مرفوع والآخر موقوف:

فقد روى بعضه بنحوه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩)، عن أبي ذر رضي الله عنه، ولفظ مسلم ـ وهو أقرب إلى سياق المصنف ـ: «أن النبي ﷺ قال يومًا: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٦٨٨١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٢٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورواه مختصرًا البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾».

وقوله: «فتطلع من المغرب مع القمر مقرنين كبعيرين مقرونين»: رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كأنهما بعيران مقرونان».

وقوله في أول الحديث: «بادروا بالعمل الصالح قبل أن يغلقَ باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها» روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٨) عن ابن =

قولُه: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ قيل: إخلاصًا، وقيل: طاعةً، وقيل: توبةً.

وقولُه: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ دليلٌ لمَن قال: إنَّ الإيمانَ لا يُشترطُ في صِحَّتِه إلى العملِ.

وقولُه: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ دليلٌ على أنَّ العملَ معَ الإيمانِ مشروطٌ[1].

و﴿أَوْ﴾ يدلُّ على صِحَّةِ القولَين.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ إحدى هذه الآياتِ الثَّلاثِ[2] ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ثوابَه وكرامَتَه.

وقيل: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ بكُم إحداها.

وقيل: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ هلاكَكُم وموتَكُم، فانتَظِروا هلاكي ومَوتي.

* * *

= عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات، فقال لهم: يا عباد الله، توبوا إلى الله، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب، فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الإيمان».

(١) وهذا مذهب المعتزلة، استدلوا بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ على أن الإيمان لا ينفع مع عدم كسب الخير، قال ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ٨٢) في سياق رده على الزمخشري: «إن هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة باللف، وأصل الكلام: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبلُ إيمانُها بعدُ، ولا نفساً لم تكسبْ في إيمانها خيراً قبلُ ما تكسبه من الخير بعدُ، إلا أنه لفَّ الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً بلاغة واختصاراً وإعجازاً».

قال: «ويظهر بذلك أنها لا تخالف مذهب الحق، فإنا نقول: لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود، فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر من أن يدل له».

(٢) في (و): «أي: إحدى آياتٍ ثلاثٍ».

(١٥٩) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾؛ أي: آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ.

و﴿فارقوا﴾[٣] معناه: بايَنُوا وخرَجُوا عنه.

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فِرقًا يَدِينُ بعضُهم بخلافِ ما يَدِينُ به البعضُ، فتهوَّدَ بعضٌ وتنصَّرَ بعضٌ[٤]، وكان دينُ الله دينَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: هم أهلُ البِدَعِ من هذه الأمَّةِ.

وقيل: هم اليهودُ والنَّصارى اختَلَفُوا فيما بينَهم.

الحسَنُ: جميعُ المُشركين[٥].

وأصلُه من (شاعَ وذاعَ). وقيل: أصلُه من (شيَّعْتُه)؛ أي: اتَّبعْتُه.

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾؛ أي: أنتَ بريءٌ منهم، قال:

إذا حاوَلْتَ في أسَدٍ فُجُورًا ... فإنِّي لسْتُ منكَ ولسْتَ منِّي[٦]

وقيل: هو نَهيٌ عن قتالِهم، ثمَّ نُسِخَ بآيةِ السَّيفِ.

وقيل: ليس عليك من جِنايتِهم ضررٌ.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: يتولَّى جزاءَهُم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: يُعاقِبُهم.

---

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٤) في (ن): «فتهود قوم وتنصر قوم».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٩٦).

(٦) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» ت: حمدو طماس (ص: ١٢٣)، و«الكتاب» (٤/ ١٨٦)، و«النكت والعيون» (٢/ ١٩٣).

(١٦٠) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: الحسنةُ: قولُ: لا إلهَ إلّا الله، والسَّيِّئةُ: الشِّركُ[1].

غيرُه: الحسنةُ عامٌّ في كلِّ طاعةٍ يأتيها المؤمنُ.

والحسنةُ: الفَعْلةُ الواحدةُ، وتقعُ على الإيمانِ الذي يضُمُّ جميعَ الطّاعاتِ.

وقولُه: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قيل: يُكتَبُ بالواحدة[2] عشرَ حسناتٍ.

رُوِيَ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «مَن صامَ رمضانَ وأتبَعَه بِستٍّ من شوّالٍ فقد صامَ السَّنةَ كلَّها، فاحسُبُوا إن شِئتُم»[3].

وقيل: عشرٌ منَ النَّعيمِ[4].

وقيل: المُرادُ بالعَشْرِ: التَّضعيفُ، لا العددُ المعلومُ لمحدودٍ، كما يقالُ: إنْ أسدَيْتَ إليَّ معروفًا كافأْتُكَ عَشْرًا.

وقيل: العَشرُ لبعضِ الطّاعاتِ كما سبقَ.

وقيل: لبعضِ المُطيعين؛ فإنَّ عمرَ رضي الله عنه قال: نزلَتْ هذه الآيةُ في الأعرابِ وضُعَفاءِ المُهاجرين[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤١).

(٢) في (و): «الواحدة».

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٨٣٣٤)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٢٧٠٢)، وليس فيه عندهما: «فاحسبوا إن شئتم». وكذا رواه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه دون تلك الجملة، ولم أقف عليها.

(٤) في (و): «النعم».

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، ولم أجده عن عمر، لكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٢) عن =

وقيل: مَن جاء بالإيمانِ فقد جاء بعشرِ حسناتٍ، وهي المذكورةُ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية.

وقولُه: ﴿أَمْثَالِهَا﴾؛ أي: في كونِها حسنةً.

وقيل: المُرادُ به المُجانسةُ؛ أي: من أَحْسَنَ أُحْسِنَ إليه.

وأنَّثَ عَشْرًا لأنَّ الأمثال مُضافةٌ[1] إلى مؤنَّثٍ.

وقيل: تقديرُه: فله عشرُ حسناتٍ أمثالها، فحُذِفَ الموصوفُ.

وعن سُفيانَ الثَّوريِّ رحمَه الله قال: لمّا نزلَ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «ربِّ زِدْني» فنزلَتْ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية، قال: «ربِّ زِدْني» فنزلَتْ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية، قال: «ربِّ زِدْ أمَّتي» فنزلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠][2].

= ابن عمر رضي الله عنه قال: «نزلت هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ في الأعراب، والأضاعف للمهاجرين».

وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧١٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نزلت في الأعراب: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، فقال رجل: فما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وإذا قال الله عز وجل لشيء: عظيم، فهو عظيم».

قال الطبري: يعني: من جاء بالحسنة من أعراب المؤمنين فله عشر أمثالها، ومن جاء بالحسنة من مهاجريهم يضاعف له ويؤته الله من لدنه أجراً؛ يعني: يعطه من عنده أجراً عظيماً.

(١) في (و): «لأنه مضاف».

(٢) رواه ابن المنذر كما في «العجاب» (١/ ٦٠٦)، و«الدر المنثور» (١/ ٧٤٧). وروى نحوه =

والسَّيِّئةُ: الكفرُ، وجزاؤُها النَّارُ، وقيل: عامٌّ كالحسنةِ.

والمُرادُ بـ ﴿مِثْلَهَا﴾: أنَّها تسوءُ كالسَّيئةِ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقَصونَ من حسناتِهم، ولا يُزادُ في سيِّئاتِهم.

***

(١٦١) ـ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: دلَّني وأرشدَني إلى دينٍ مُستقيمٍ، ليس فيه شِعْبٌ يُخافُ[1] منه الضَّلالُ، وهو دينُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

﴿دِينًا﴾ بدلٌ من الصِّراطِ على المعنى، تقولُ: هُدِيتُ الطَّريقَ، وإلى الطَّريقِ.

وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: عرَّفَني دِينًا.

﴿قِيَمًا﴾: قائمًا، فِعَلٌ للمُبالغةِ، وقيل: مصدرٌ كالشِّبَعِ.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: شريعةَ إبراهيمَ، مُشتقَّةٌ من الإملالِ؛ لأنَّها تَبْتَني على مكتوبٍ ومسموعٍ، وقيل: منَ الملَّةِ لتأثيرِها.

نصبُها[2] على البدلِ.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الأديانِ كلِّها[3]. وقيل: مُستقيمًا، وقد سبقَ.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

= ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٤٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٥)، وليس فيه آية الأنعام.

(١) في (و): «نخاف». الشِّعب: الطريق في الجبل والشَّعْب: الصَّدْع، والسياق يحتمل هذين المعنيين، لكن والأول أولى. انظر: «القاموس» (مادة: ش ع ب).

(٢) في (ن): «وقيل نصبها».

(٣) «كلها»: ليست في (ن).

(١٦٢) - ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ يُريدُ: ذاتَ الرُّكوعِ والسُّجودِ.

﴿وَنُسُكِي﴾: عبادتي، وقيل: دِيني، وقيل: قُرباني.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: حياتي ومَوتي لله، وهو مُدبِّري في الحالتَين.

وقيل: عملي في حياتي وما أُوصي به بعدَ مماتي.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مالكِهم.

***

(١٦٣) - ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في العالمين. وقيل: لا شريكَ له في المذكورِ أوَّلُ.

﴿وَبِذَلِكَ﴾؛ أي: بذلك القولِ ﴿أُمِرْتُ﴾ وقيل: بالإخلاصِ.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من أمَّتي. وقيل: أوَّلُ مَن استحقَّ هذا الاسمَ.

***

(١٦٤) - ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾: أطلُبُ ربًّا ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خالقُ كلِّ شيءٍ، فلا تصِحُّ الرُّبوبيةُ لمربوبه.

وهذا استفهامٌ بمعنى التَّوبيخِ، وجوابٌ لمن دَعوه إلى عبادةِ الأوثانِ[1].

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ هذا كقولِه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

---

(١) في (ن): «الأصنام».

ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: ولا تكسبُ كلُّ نفسٍ إلا لها وعليها(١).

وقولُه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ جوابٌ للوليدِ بنِ المُغيرةِ حينَ قال: وَلْنَحْمِلْ خطاياكُم(٢).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: في القيامةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: يُبيِّنُ الرُّشدَ منَ الغيِّ عيانًا.

***

(١٦٥) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سكَّانَ الأرضِ بدلَ الجِنِّ.

وقيل: خلائفُ الأرضِ أمَّةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: يخلُفُ بعضُكم بعضًا، ويخلُفُ أهلُ(٣) كلِّ عصرٍ مَن كانَ قبلَه.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في النَّسبِ والحسَبِ، والفقرِ والغِنى، والذُّلِّ والعِزِّ، وغيرِ ذلك.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: ليختبرَكم ويختبِرَ شُكرَكُم وصبرَكُم، والله عالمٌ بما يكونُ منكم، والمعنى: يُعامِلُكم مُعاملةَ المُبتَلي.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ومثلُه: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

---

(١) في (و): «إلا عليها».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٤١٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٥٦٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «في أهل».

ابنُ بحرٍ: معناه إذا شاءَ عاقَبَ[1].

وقيل: معناه: يُسرِّعُ عقابَ مَن استحقَّه.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ لمَن استغفرَ وتابَ.

وقيل: سريعُ العقابِ لأعدائِه، غفورٌ رحيمٌ لأوليائِه.

تمَّ الربعُ الأوَّلُ من هذا التَّفسيرِ المُباركِ

والحمدُ لله على نِعَمِه، والصَّلاةُ على نبيِّ الرَّحمةِ سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه. ربِّ اختِمْ بالخيرِ برحمتِكَ[2].

***

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٧).

(٢) من قوله: «تم الربع الأول» إلى قوله: «رب اختم بالخير برحمتك»: ليست في (ن).

سُورَةُ الأَعۡرَافِ

سورة الأعراف

مئتانِ وخمسُ آياتٍ، مكيّةٌ

قال محمودُ بنُ نصرٍ رحمه الله[1]: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي مكيَّةٌ إلَّا خمسَ آياتٍ، من قولِه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣][2].

وقيل: كلُّها مكيَّةٌ.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١) ـ ﴿الٓمٓصٓ﴾.

﴿الٓمٓصٓ﴾ سبقَ الكلامُ في الحروفِ الواقعةِ أوائلَ السُّوَرِ على العمومِ.

---

(١) من قوله: «مئتان» إلى هنا: ليست في (و).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٠٠).

قال ابن الجوزي: وروى العوفي وابن أبي طلحة وأبو صالح عن ابن عباس أن سورة الأعراف من المكّيّ، وهذا قول الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة.

قلت: رواه عن ابن عباس ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ٢٣)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٤٥). وروي أيضاً عن عبد الله بن الزبير رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٢).

وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٥٥): عن قتادة: مكية إلَّا قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الآيةَ فإنها نزلت بالمدينة.

وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧ ـ ٢٨): مكيَّةٌ غيرَ ثمانِ آياتٍ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إلى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ [الآية: ١٧١].

وقيلَ في هذه السُّورةِ على الخصوصِ: إنَّ معناه: المُصوِّرُ.

وقيل: أنا اللهُ أعلَمُ وأُفصِّلُ.

وقيل: معناه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١][1].

* * *

(٢) ـ ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: هذا كتابٌ، وقيل: القرآنُ كتابٌ.

﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ﴾ الفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

وقيل: فيه معنى الشَّرطِ، وتقديرُه: إذا كان أُنزِلَ إليك لتُنذِرَ به فلا يكُنْ في صدرِكَ.

﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: شَكٌّ[2].

الحسَن: ضِيقٌ[3]، خَوفًا أنْ لا تقومَ بحقِّه.

وقيل: ضِيقٌ بأن يُكذِّبوك؛ فإنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه رَوَى أنَّ[4] النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «أخافُ أنْ يَثْلَغُوا رأسي فيجعَلوه كالخُبْزَةِ»[5].

والهاءُ في ﴿مِّنْهُ﴾ تعودُ إلى الكتابِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٠١).

(٤) في (ن): «عن».

(٥) رواه مسلم (٤/ ٢١٩٧) ضمن حديث عن عياض بن حمار رضي الله عنه بلفظ: «ربِّ إذًا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة».

وقيل: إلى تكذيبِ المُشركين[١].

وقيل: إلى الإنذارِ؛ لأنَّه في تقديرِ التَّقديم[٢].

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾؛ أي: أُنزِلَ لتُنذِرَ به، وقولُه: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ﴾ اعتِراضٌ.

وقيل: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾[٣] على انشراحِ صدرٍ بالإنذارِ.

﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: ولتُذكِّرِ المؤمنين، وخصَّهم بالإنذارِ[٤] لانتفاعِهم بها. ومحلُّها نصبٌ بالمصدرِ، ويجوزُ الرَّفعُ بالعطفِ على ﴿كِتَٰبٌ﴾، ويجوزُ الجرُّ؛ أي: للإنذارِ والذِّكرى.

* * *

(٣) - ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ يعني: القرآنَ؛ أي: قل: اتَّبعوا.

وقيل: خطابٌ له وللمؤمنين.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكَّرون قليلًا، و(ما): صلةٌ. وقيل: معناه: قليلًا تذكُّركُم[٥]. وقيل: قليلًا مَن يتذكَّرُ منكم[٦]. وقيل: (ما): نفيٌ، وفيه بُعدٌ[٧].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، وعدّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، واستغربه.

(٣) «به»: ليست في (ن).

(٤) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أن كلمة (الإنذار) هنا جاءت موضع (الذكرى) والله أعلم.

(٥) و(ما) مصدرية على هذا القول.

(٦) و(ما) موصولية على هذا القول.

(٧) لأن (ما) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها عند البصريين. انظر: «الدر المصون» (٥/ ٢٤٦).

(٤) ـ ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ﴾: (كم) تُستَعملُ للكثرةِ والاستفهامِ[١]، والمُرادُ به هاهنا: الكثرةُ.

﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾؛ أي: أهلَها، والمُرادُ: أرَدْنا إهلاكَها. وقيل: أهلَكْناها[٢] بالخُذلانِ، وقيل: الإهلاكُ ومجيءُ البأسِ معًا كما تقولُ: أعطيتُكَ وأحسنتُ إليك.

وقيل: أهلكناها ﴿فَجَآءَهَا﴾؛ أي: فصحَّ أنَّه جاءها ﴿بَأۡسُنَا﴾: عذابُنا.

وقيل: أهلَكناهم بإرسالِ الملائكةِ للعذابِ.

﴿بَيَٰتًا﴾: ليلًا ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾: نائمون وقتَ الظَّهيرةِ، والمعنى: أخذناهُم بغتةً في حالِ سكونٍ وراحةٍ، وحُذِفَ واوُ الحالِ لأنَّ العائدَ ينوبُ عنه.

الفرَّاءُ: الواوُ مُضمَرٌ، وتقديرُه: أو وهُم[٣]. وفيه بُعدٌ[٤].

---

(١) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٥٥ ـ ٦٧).

(٢) «وقيل: أهلكناها»: ليست في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٢).

(٤) كذا استبعده الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٧)، وذكر المصنف قول الفراء في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٦)، وقال: «وأنكره الزجاج، قال: العائد من الجملة قام مقام الواو فلمْ يحتج إليه».

قال: «وأنا أذكر فصلاً يكون حَكَماً بين الشيخين: اعلم أن الحال إذا كانت جملة من مبتدأ وخبر، فالغالب عليها الواو، فإن كان في الجملة عائد يعود إلى ذي الحال حسن الحذف وحسن الإثبات، فإن كان مبتدأ الجملة ضميرَ ذي الحال لم يكن بد من الواو، نحو: جاءني زيد وهو ضاحك، وضربت عمرًا وهو قائم، لو قلت: (جاءني زيد هو ضاحك) و(ضربت عمراً هو قائم) لم يصح، ثم نرجع إلى الآية فننظر أن العائد من قوله سبحانه ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ كيف هو، فنظرنا والعائد إلى ذي الحال هو مبتدأُ الجملةِ التي وقعت حالًا؛ لأن تقدير الآية: وكم من أهل قرية أهلكناهم فجاءهم بأسنا بياتًا أو هم قائلون، فصح أن الفراء أصاب، وعُذْرُه من حذف الواو الاستثقالُ من الجمع بين (أو) و(الواو)».

والمعنى: بعضُهم بياتًا وبعضُهم قائلين[1].

* * *

(٥) ـ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: دُعاؤُهم وقولُهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ اعترفوا بأنَّهم كانوا ظالمين.

وقيل: ظنُّوا أنَّ الإقرارَ ينفعُهم، فلم يُقبَلْ منهم.

* * *

(٦) ـ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن إجابتِهم الرُّسلَ وقَبولِ الرِّسالةِ والحرمةِ لهم.

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن أداءِ الرِّسالةِ والشَّفقةِ على الأممِ؛ لنُجازيَ كلًّا على فعلِه.

وقيل: هذا سؤالُ مُحاسبةٍ ومُطالبةٍ، واستشهادُ الرُّسلِ كاستِنطاقِ الجوارحِ.

* * *

(٧) ـ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ اللهَ يسألُ كلَّ واحدٍ[2] بكلامِه، ليس بينَه وبينَه تَرْجُمانٌ»[3].

---

(١) في (ن): «قائلون».

(٢) في (ن): «أحد».

(٣) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، بلفظ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: يُقرَأُ على العبدِ ما هو مكتوبٌ في كتابِ عملِه[1].

وفي قولِه: ﴿بِعِلۡمٍ﴾ قولانِ:

أحدُهما: بأنَّا عالمون.

والثاني: بمَعلومِنا، كقولِه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن الأُممِ والرُّسلِ.

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾.

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ والوزنُ بمعنى: وزنِ الأعمالِ، وهو مُقابلةُ شيءٍ بشيءٍ ليظهرَ مقدارُه منه.

وقولُه: ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾؛ أي: يومَ إذ سألْنا وقصَصْنا؛ يعني: يومَ القيامةِ، فحُذِفَت الجملةُ وعُوِّضَ عنها التَّنوينُ، فصار للتَّعريفِ.

﴿ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: لا نُقصانَ ولا رُجحانَ.

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٧)، وفيه: «وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول في معنى قوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٍ﴾ أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم». قال: «هذا قول غير بعيد من الحق، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٠) بلفظ: «يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون».

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: جمع: ميزانٍ، والجمهورُ على أنَّه ميزانٌ له لسانٌ وكِفَّتان، والوازِنُ جبريلُ عليه السَّلامُ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الميزانَ عبارةٌ عن العدلِ(١).

وقيل: الميزانُ: كتابُ أعمالِ الخلقِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه عبارةٌ عن رفعِ المنزلةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٨ و٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٤٤٠)، عن مجاهد: أن الوزنَ هو القضاء والحقَّ هو العدل. وذكره الرازي عن بعض السلف وعن كثير من المتأخرين، فقال: وهو قولُ مجاهدٍ والضَّحاكِ والأعمش، وكثيرٌ من المتأخِّرين ذهبوا إلى هذا القول، وقالوا: حملُ لفظ الوزنِ على هذا المعنى سائغٌ في اللُّغة، والدَّليلُ عليه، فوجبَ المصيرُ إليه. انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٢).

وقد ذهب إلى هذا القول المعتزلة، أما الأول فهو قول جمهور الأمة كما قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ١٤)، وهو قول عامة المفسرين كما قال الرازي، وهو الذي صوبه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٧)، وعدَّه الزجاجي في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٩) أولى أن يُتبع، وهو الأرجح؛ لحديث البطاقة المعروف ـ رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٩) و(١٩٣٧) وصحَّحَه، من حديثِ عبد الله بنِ عمرو رضيَ اللهُ عنهما ـ ولعدم الضرورة التي تدعو إلى صرف الكلام عن ظاهره، ولأن هذا لو جاز لفتح باباً للتأويل لا ينتهي كما أشار القشيري فيما نقله عنه القرطبي، حيث قال: إذْ لو حُمِلَ الميزانُ على هذا فليحمل الصراط على الدِّين الحقِّ، والجنةُ والنارُ على ما يَرِدُ على الأرواحِ دونَ الأجسادِ، والشَّياطينُ والجنُّ على الأخلاقِ المذمومةِ، والملائكةُ على القُوى المحمودة. وقد أَجمعت الأُمةُ في الصدرِ الأولِ على الأخذِ بهذه الظواهِر من غيرِ تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وَجَب الأخذُ بالظَّاهر، وصارت هذه الظواهرُ نصوصًا. انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ١٥٦).

وجُمِعَ الميزانُ لتعدُّدِ مَن يُوزَنُ لهم، وقيل: لاختلافِ الموزوناتِ، كقولِه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقيل: هي جمعُ (موزونٍ)، لا جمعُ (ميزانٍ).

وفيما يُوضَعُ في الميزانِ ـ والأعمالُ أعراضٌ ـ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الذي يُوزَنُ صحائفُ الأعمالِ.

وقيل: وزنُ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ بأن يجعلَ الله في موضعِ الحسناتِ ثِقلًا وفي موضعِ السَّيِّئاتِ خِفَّةً.

وقيل: يُوزَنُ الإنسانُ.

***

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مكَّنَّاكُم من سُكناها وزراعتِها.

وقيل: ملَّكناكُموها، والتَّمكينُ: التَّمليكُ.

ابنُ عيسى: هو إعطاءُ ما يصحُّ به الفعلُ مع دفعِ المنعِ(١).

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: جمعُ معيشةٍ، وهي ما يتعيَّشون به. وقيل: ما يتوسَّلون به إليها. وقيل: المعيشةُ ما منه العَيشُ من مَطعمٍ ومَشربٍ(٢)، وزنُها: مَفْعِلَة ومَفْعُلَة.

---

(١) قال العسكري في «معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٤٢): «الفرق بين التمكين والإقدار: أن التمكين إعطاء ما يصح به الفعل كائنًا ما كان من الآلات والعدد والقوى، والإقدار إعطاء القدرة، وذلك أن الذي له قدرة على الكتابة تتعذر عليه إذا لم يكن له آلة للكتابة، ويتمكن منها إذا حضرت الآلة، والقدرة ضد العجز، والتمكن ضد التعذر».

(٢) في (ن): «أو مشرب».

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: ما أقلَّ شُكرَكم، وقد فعلتُ بكم هذه كلَّها. وقيل: قلَّ مَن يشكرُ منكم.

***

(١١) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خلَقْنا أباكُم آدمَ(١). فحُذِفَ المُضاف، أو نُزِّلَ خلقُه منزلةَ خلقِ الكلِّ لمَّا كان الخلقُ كلُّهم من أجزاءٍ انفصلَتْ عنه.

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾؛ أي: في أرحامِ الأمَّهاتِ، وتصويرُ الشَّيءِ: إعطاؤُه صورتَه.

وقيل: خلَقْنا أباكم(٢)، ثمَّ صوَّرْناكم في ظهرِه.

وقيل: خلَقْناكم في أصلابِ الآباءِ، ثمَّ صوَّرْناكم في بطونِ الأمَّهاتِ.

وقيل: خلَقْنا أباكُم، وصوَّرْنا أباكُم.

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: (ثم) موضوعةٌ للتَّراخي، وذهب الأخفشُ إلى أنَّه هاهنا بمعنى: الواوِ(٣). وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

وقيل: (ثمَّ) لترتيبِ الخبرِ؛ أي: ثمَّ أُخبِرُكُم أنَّا قُلنا للملائكةِ(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٢).

(٢) في (و): «وقيل خلقناكم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٢١).

(٤) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٦١٤).

ومَن جعَلَ الخلقَ والتَّصويرَ والخطابَ كلَّها لآدمَ فـ(ثمَّ) وقعَ موقعَه؛ لأنَّ هذه فُعِلَت لآدمَ[1] في أوقاتٍ مُتباينةٍ.

وأمَّا ذكرُ التَّصويرِ بعد الخلقِ فليس بمُشكِلٍ؛ لأنَّ التَّصويرَ وقعَ بعد خلقِ شيءٍ لا محالةَ.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ سبقَ في سورةِ (البقرة).

ورَوَى النَّقَّاشُ أنَّ بعضَ المُفسِّرين قال: إنَّ الله سبحانَه وتعالى أسجَدَ الملائكةَ لآدمَ عليه السَّلامُ مرَّتين؛ مرَّةً عند تمامِ خلقِه وهو قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ الآية [الحجر: ٢٩]، ومرَّةً عندَ قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]. وهذه الرِّوايةُ مُخالفةٌ لإجماعِ المُفسِّرين[2].

***

(١٢) ـ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾: أيُّ شيءٍ حالَ بينك وبينَ السُّجودِ لآدمَ؟ و(لا) صِلةٌ، كقولِه: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩].

وقيل: المنعُ بمعنى القولِ؛ أي: مَن قالَ لك: لا تسجُدْ. وهذا مُزيَّفٌ؛ لأنَّ النَّهيَ مجرومٌ[3].

وقيل: الممنوعُ منَ الشَّيءِ مُضطرٌّ إلى خلافِ ما مُنِعَ منه، فكأنَّه قيل: أيُّ شيءٍ اضطرَّكَ إلى أنْ لا تسجُدَ؟

---

(١) في (ن): «بآدم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٧)، واستغربه.

(٣) في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٨): «الغريب: المنع بمعنى القول؛ أي: من قال لك: لا تسجد. وهذا ضعيف، لأنه يقتضي الخبر».

وقيل: ما الذي جعَلَك في مَنَعةٍ عن عذابي[١]؟

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا ليس بجوابٍ للأوَّلِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه جوابٌ من حيثُ المعنى؛ أي: المانعُ هو أنِّي خيرٌ منه، وذكرَ العلَّةَ فقال: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ وهي نُورانيَّةٌ ﴿وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ وهو ظُلمانيٌّ.

وقيل: أخطأ إبليسُ؛ فإنَّ الجواهرَ كلَّها من حيثُ كونُها جوهرًا سواءٌ، وإنَّما اختلافُها بالأعراضِ والأوصافِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الطِّينَ أفضلُ منَ النَّارِ[٢].

وقولُ مَن قال: إنَّ إبليسَ قاسَ[٣] = قولٌ ركيكٌ؛ لأنَّه ليس في الآيةِ قياسٌ ولا احتجاجٌ.

* * *

(١٣) ـ ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ قيل: منَ السَّماء. وقيل: منَ الجنَّةِ. وقيل: منَ الأرضِ؛ فإنَّه أُخرِجَ إلى البحرِ. وقيل: من المرتبةِ التي أنتَ فيها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٨)، واستغربه.

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٩) خمسة وجوه لتفضيل الطين على النار، وأفاض ابن القيم في تفضيل الطين على النار فذكر خمسة عشر وجهًا لذلك. انظر: «بدائع الفوائد» (٤/ ١٣٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٨٦) عن الحسن وابن سيرين قالا: «أول مَن قاس إبليس».

قال الطبري: «يعنيان بذلك: القياس الخطأ». قال ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ٣٧٩): «ولا يتأول عليهما إنكار القياس، وإنما خرج كلامهما نهيًا عما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم، فأرادا حمل الناس على الجادة».

قلت: والمراد أنهما لم يقصدا إنكار القياس الذي هو حجة في الأحكام الشرعية.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: أن تترفَّعَ وتمتنعَ عمَّا أُمِرْتَ به، ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذِلَّاء، جمعُ: صاغرٍ، وقيل: منَ المُعذَّبين.

***

(١٤) ـ ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾.

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ سأَلَ منَ الله أن يُبقيَه إلى يومِ القيامةِ.

***

(١٥) ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ الجمهورُ على أنَّه مُنْظَرٌ إلى وقتٍ غيرِ معلومٍ.

وقيل: مُنْظَرٌ إلى النَّفخةِ الأولى.

وقيل: مُنظَرٌ إلى يومِ القيامةِ.

***

(١٦) ـ ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ قيل: الباءُ بمعنى (مع)، وقيل: باءُ البدلِ[١].

قال الشَّيخُ الإمامُ رحمه الله[٢]: ويحتمِلُ السَّببَ.

وقيل: بمعنى اللَّامِ، وقيل: للقَسَمِ.

وذكرَ الثَّعلبيُّ أنَّ (ما) للجزاءِ[٣]، وهو سهوٌ؛ إذ لا جزاءَ بعدَه، ولأنَّ ما للشَّرطِ

---

(١) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩)، واستغربهما، وباء البدل هي التي تدخل في مثل قولك: هذا بذاك؛ أي: عوض منه. انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٣).

(٢) «قال الشيخ الإمام رحمه الله» من (ن).

(٣) ذكر الثعالبي في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠) كوجه من وجوه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩)، وعدَّه من العجائب.

لا يدخُلُ عليه الباءُ من فعلٍ يقعُ قبلَه، لا يجوزُ: مررتُ بمَن تمرُرْ، ولكن تقولُ: بمَن تمرُرْ أمرُرْ به[١].

وقيل: للاستفهامِ، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ الألفَ تُحذَفُ منه في الاستفهامِ[٢] إلَّا في ضرورةِ الشِّعرِ.

وقيل: للمصدرِ، وهو الصَّوابُ؛ أي: بإغوائِك إيَّايَ.

ومعنى ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: أضلَلْتني. وقيل: أهلَكْتني. وقيل: خيَّبْتني. وقيل: ألفَيْتني غاوِيًا. وقيل: سمَّيْتني غاويًا. وقيل: جعلْتَني في الغيِّ، وهو العذابُ من قولِه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: عذابًا.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ أي: أترصَّدُ لهم فأصدُّهم عن سلوكِ الصِّراطِ المُستقيم، وهو الدِّينُ القَويمُ. وقيل: طريقُ الجنَّةِ. وقيل: طريقُ مكَّةَ.

وتقديرُه: على صراطِك، وفي صراطِك، فحذفَ الجارَّ قياسًا على المُبهَمِ من ظرفِ المكانِ.

* * *

(١٧) - ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أكثَرَ المُفسِّرون في هذه الآيةِ، ومحصولُ كلامِهم: أنَّه يتصرَّفُ بهم في الإضلالِ من جميعِ الجهاتِ.

---

(١) من قوله: «إذ لا جزاء» إلى قوله: «بمن تمرر أمرر به»: ليست في (ن).

(٢) أي: تحذف الألف من (ما) الاستفهامية مع الجار. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩) وعده من الغريب.

وقال في الأولَيين (مِنْ) لابتداءِ الغايةِ، وفي الأُخرَيَيْنِ (عن)؛ لأنَّ (عن) يدلُّ على الانحرافِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾: من قِبَلِ الآخرةِ، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: من قِبَلِ الدُّنيا، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: من قِبَلِ حسناتِهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾: من قِبَلِ الباطلِ[(١)].

وعنه أيضًا: ولم يقُلْ: من فوقِهم؛ لأنَّ رحمةَ الله تنزَّلُ عليهم من فوقِهم، ولم يقُلْ: من تحتِهم؛ لأنَّ الإتيانَ منه توحُّشٌ[(٢)].

﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾: مُوحِّدين مُطيعين.

الحسنُ: لمَّا أُغوِيَ آدمُ عليه السَّلامُ علِمَ أنَّ ذريَّتَه أضعفُ منه، فقالَ الله سبحانَه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠][(٣)].

وقيل: إنَّما علمَ من جهةِ الملائكةِ.

***

(١٨) ـ ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا﴾: مَعيبًا، والذَّامُ[(٤)] والذَّأمُ[(٥)] والذَّمُّ: العَيبُ، والمهموزُ أشدُّها[(٦)].

﴿مَّدۡحُورٗا﴾: مطرودًا مُبعَدًا من رحمةِ الله، وقيل: مطرودًا من السَّماءِ.

﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: هو إبليسُ وذُرِّيتُه ومَن تبعَه من ذُرِّيةِ آدمَ، وغلَّبَ الخطابَ على الغيبةِ، وكرَّرَ الخروجَ ثلاثَ مرّاتٍ؛ لأنَّ الأوَّلَ خروجٌ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٩٧).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠١) القسم الأول منه، وذكره بتمامه أبو حيان في «البحر» (٥/ ٢٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٧).

(٤) يقال: الذَّامُ بتخفيف الميم، والذَّامُّ بتشديدها. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ذ م م) (١٤/ ٢٩٩).

(٥) في (ف): «الذَّيم»، وهي لغة في (الذَّأم) أيضاً. انظر: «الصحاح» مادة (ذ أ م) (٥/ ١٩٢٥)، وبدل في «المحكم» مادة (ز ي م) (١٠/ ١١٠).

(٦) ذكر ذلك المصنف في «البرهان» (ص: ١١٩).

مُطلَقٌ[١]، والثاني خروجٌ بصفةِ صَغارٍ وذُلٍّ، والثالثَ بصفةِ طردٍ وذمٍّ شديدٍ.

***

(١٩) - ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾؛ أي: وقلنا بعد إخراجِ إبليسَ من الجنَّة: يا آدمُ اسكُنْ ﴿أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: اتَّخِذْها مسكنًا.

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ سبقَ تفسيرُها في (البقرة).

وعن أهلِ الكتابَين: أنَّها شجرةُ الحنظلِ؛ أي: استدِلَّا على مرارةِ أحوالِ الدُّنيا. حكاه الماورديُّ[٢].

﴿فَتَكُونَا﴾؛ أي: فتَصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يجوزُ أن يكونَ نصبًا، وأن يكون جزمًا[٣].

***

(٢٠) - ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾؛ أي: إليهما ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ قيل: كان وَسْواسًا وإلهامًا، وقيل: كان كلامًا؛ لقولِه عقيبَه: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا﴾ الآية.

ابنُ بحرٍ: أصلُ الوسواسِ: الإكثارُ من الكلامِ على غير نظامٍ.

غيرُه: الوسوسةُ حديثُ النَّفسِ.

---

(١) وقد جاء بلفظ ﴿فاهبط﴾، وإذا أمره بالهبوط إلى الأرض فقد أمره بالخروج من الجنة. انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/ ٥٧٤).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩)، وفيه: «وحكى محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة الحنظل، ولا أعرف لهذا وجهًا».

(٣) النصب بأن مضمرة بعد الفاء على اعتبارها سببية، والجزم بالعطف على ﴿تقربا﴾ على اعتبار الفاء عاطفة.

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾: ليُظهِرَ، واللَّامُ لامُ العاقبةِ.

﴿مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ من جملةِ بدنِهما[١].

قتادةُ: كانا لا يريانِ سوآتِهما قبل المعصيةِ[٢].

وقيل: لم يكُنْ يرى كلُّ واحدٍ منهما عورةَ صاحبِه قبل المعصيةِ، فلمَّا عصَيا بدَتْ عوراتُهما.

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا﴾: إلا كراهةَ أنْ تكونا[٣].

الكوفيُّون: إلَّا أنْ لا تكونا[٤].

﴿مَلَكَيْنِ﴾ تُعلِّمانِ الخيرَ والشَّرَ. وقيل: ﴿مَلَكَيْنِ﴾ تستغنيانِ عن الغذاءِ.

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾: من الذين لا يموتون.

***

(٢١) ـ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾: (قاسَمَ) من بابِ: طارَقْتُ وعافاهُ الله[٥]، والمعنى: أقسَمَ لهما يمينًا فاجِرةً، وظنَّا أنَّ أحدًا لا يحلفُ بالله كاذبًا، وإبليسُ أوَّلُ مَن حلَفَ بالله كاذِبًا[٦].

وقيل: ﴿قاسَمهما﴾: قالَ لهما: إنْ كان ما قُلتُه خيرًا فهو لكما دوني، وإن

---

(١) في (ن): «حلة بدنهما». والمثبت من (و)، وهو الموافق لما ذكره أبو حيان في «البحر» (٥/ ٢٥) عن قتادة قال: «كَنى بسوءاتِهما عن جميع بدنهما، وذكر السوأة لأنها أقبحُ ما يَظهرُ مِن بني آدمَ».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١١٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٢٢)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ١٠٧).

(٤) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٦٣)،

(٥) أي: ليس من باب المفاعلة والمشاركة، بل من باب: فاعل بمعنى فَعَل، وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) ذكر ذلك مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٣٢).

كان شـرًّا فهـو علـيَّ دونكمـا، ومَـن فَعَلَ ذلـك معكمـا فهو مـنَ النَّاصحيـن لكما، فكانَتْ هـذه مُقاسـمةً. حكاهما المـاورديُّ[(١)].

***

(٢٢) ـ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾؛ أي: دلَّاهما في المعصيةِ، والتَّدليةُ والإدلاءُ: إنزالُ منَ الأعلى[(٢)] إلى أسفلَ، كقولِه[(٣)]: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩].

ابنُ عيسى: حطَّهما إلى المعصيةِ[(٤)].

الثَّعلبيُّ: دلَّلَهما، فقُلِبَ اللَّامُ الأخيرُ ياءً[(٥)].

الواحديُّ: جرَّأهما على المعصيةِ[(٦)]. ولا أدري من أينَ أخذَ[(٧)].

﴿بِغُرُورٍ﴾: هو إظهارُ النُّصحِ مع إبطانِ الشَّرِّ.

---

(١) أي: هذا القول والذي قبله. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢١٠). وفي (ن): «حكاه الماوردي» فيكون المراد القول الأخير.

(٢) في (ن): «الإنزال من أعلى».

(٣) في (ن): «لقوله».

(٤) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٩١): «وقال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ وحقيقته: صيرهما إلى الخطيئة بغرور، والاستعارة أبلغ، لإخراجه إلى ما يحس من التدلي من علو إلى سفل».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٢٢) من جملة أقوال ساقها.

(٦) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٦٧).

(٧) لعله أخذها من الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٢٢) مادة (د ل ل)، فقد قال: «وفيه قول ثالث: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾؛ أي: جرأهما إبليس على أكل الشجرة بغرره والأصل فيه: دللهما. والدال والدالة الجرأة»، وبهذا تعلم أن قول الواحدي مردّه إلى قول الثعلبي، والله أعلم.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾: فُروجُهما، وسُمِّيَ الفرجُ سوأةً؛ لأنَّه يسوءُ صاحبَه ظهورُه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت كِسوتُهما منَ النُّورِ[1].

قتادةُ: كان لباسُ آدمَ وحوَّاءَ في الجنَّةِ ظُفُرًا كلَّه[2].

وقيل: كان حُلَّةً.

﴿وَطَفِقَا﴾: داما ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يجعلانِ ورقةً على ورقةٍ ليستُرا فُروجَهما، والخَصْفُ: ترقيعُ النَّعلِ، فصارَتِ الأوراقُ كهيئةِ الثَّوبِ.

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: من ورقِ شجرِ الجنَّةِ، وهو ورقُ التِّينِ. وقيل: ورقُ الموزِ.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾؛ أي: عن أكلِها ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾: أسأنا إليها بالمعصيةِ ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾: تستُرْ عيوبَنا ﴿وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: منَ الهالكين.

* * *

(٢٤) ـ ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ سبقَ في (البقرةِ) تفسيرُ أكثرِ هذه الآياتِ.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٩) عن وهب بن منبه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١١٣).

(٢٥) ـ ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾.

﴿ قَالَ فِيهَا ﴾: في الأرضِ ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ للثَّوابِ والعقابِ، فهبطَ آدمُ بأرضِ الهندِ، وحوَّاءُ بجُدَّةَ، والحيَّةُ بأصفهانَ، وإبليسُ بالأُبُلَّةِ[1]، وقيل: بالمدائنِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ يَا بَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

﴿ يَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ خطابٌ للحاضرين ولِمَن يأتي بعدَهم.

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾؛ أي: خلقْنا، وذُكِرَ بلفظِ الإنزالِ لعُلوِّ الشَّأن، ومثله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦].

وقيل: أنزلَ الماءَ، وهو السَّببُ لكلِّ ملبوسٍ من قطنٍ وكتَّانٍ وصوفٍ وإبريسمٍ.

وقيل: أنزلَ أصلَ كلِّ شيءٍ من السَّماءِ عند إهباطِ آدمَ عليه السَّلامُ إلى الأرضِ.

﴿يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ لتستُروا به عوراتِكم، فيدفعَ عنكم الحرَّ والبردَ.

واللِّباسُ: كلُّ ما يُلبَسُ من ثوبٍ ودرعٍ وغيرِهما، وأصلُه مصدرُ: لبِسْتُ الشَّيءَ لُبْسًا ولِباسًا.

﴿وَرِيشًا﴾: هو اسمٌ للمالِ، قال الشَّاعرُ:

فَريشي منكُمُ وهَوايَ معْكُمْ … وإنْ كانَتْ زيارتُكُمْ لِمَامَا[2]

وقيل: الأثاثُ والدِّثارُ والشِّعارُ.

---

(١) الأبلة: بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. انظر: «مراصد الاطلاع» (١/ ١٨).

(٢) البيت مختلف في نسبته، فهو للراعي كما في ملحق «ديوانه» (ص: ٣١١)، و«الكتاب» (٣/ ٢٨٧)، ولجرير كما في «ديوان جرير» بشرح ابن حبيب (١/ ٢٢٥)، و«أساس البلاغة» مادة: (ر ي ش).

الزَّجَّاجُ: هو اللِّباسُ(١).

ابنُ زيدٍ: الرِّيشُ: كلُّ ما فيه الجمالُ(٢).

والرِّياشُ: الخِصْبُ في المعاشِ، وقد قُرِئَ به(٣)، وأصلُه من ريشِ الطَّائرِ، وهو كِسوتُه.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ وهو الإيمانُ ببعثِ الرَّسولِ وإنزالِ القرآنِ.

وقيل: لباسُ التَّقوى: ما يُلبَسُ للتَّواضعِ كالصُّوفِ والخشنِ من القُطْنِ(٤).

وقيل: لباسُ التَّقوى: سترُ العورةِ.

ويحتملُ أنَّ (اللِّباسَ) زيادةٌ، والمرادُ: عَينُ التَّقوى، كقولِه: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ [النحل: ١١٢](٥).

وقيل: هو الحياةُ. وقيل: خشيةُ الله. وقيل: السَّمْتُ الحسَنُ.

ابنُ بحرٍ: هو لبسُ ما تتَّقي به من الحرِّ والبردِ(٦).

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: خيرٌ لصاحبِه.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى لباسِ التَّقوى. وقيل: إشارةٌ إلى جميعِ ما تقدَّمَ.

وقيل: لباسُ التَّقوى: الحياءُ(٧).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٢٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٧).

(٣) نسبت إلى زر بن حبيش والحسن البصري، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ١٢٢)، وعزاها الداني في «المقنع» (ص: ٩٧) إلى المفضل عن عاصم.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٩).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠١)، وعدَّه من العجائب.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١١٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠١) دون نسبة، واستغربه.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٥) عن معبد الجهني، وذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٨٦) عن الحسن، وكذا فعل السمعاني في «تفسيره» (٢/ ١٧٥)، لكنه قال: وفي الحديث: «إن لباس =

وقيل: الدِّرعُ والمِغفَرُ والسَّاعدانِ.

ومَن قرأ: ﴿وَلِبَاسُ﴾ بالرَّفعِ[1] جاز أن يكونَ ذلك فصلًا وعمادًا، وجاز أن يكونَ بدلًا، وجاز أن يكونَ مبتدأً.

وذكر بعضُ المُفسِّرين أنَّ جماعةً من المُشركين كانوا يتعبَّدون بالتَّعرِّي وخلعِ الثِّيابِ في الطَّوافِ بالبيتِ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من فرائضِه التي أوجبَها بآياتِه، يُريدُ: سترَ العورةِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه ليس في الآيةِ ما يدلُّ على وجوبِ سترِ العورةِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: لا يُضِلَّنَّكم بإبداءِ العورةِ في الطَّوافِ، والمعنى: لا تُفتَنُوا بفتنةِ الشَّيطانِ ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾؛ أي: تسبَّبَ إلى خروجِهما ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وتقديرُه: فتنةً مثلَ فتنةِ أبويكُم.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ مجاهدٌ: نزَعَ عنهما لباسَ التَّقوى[3].

= التقوى هو الحياء» لأنه يبعث على التقوى، وهو قول الحسن. قلت: ما هو بحديث، والله أعلم.

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٦) عن مجاهد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٠).

غيرُه: لباسُهما ما سبقَ ذِكرُه.

﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾: فُروجهما، مجاهدٌ: معصيتَهما حينَ خرجا من أمرِ الله[1].

﴿إِنَّهُۥ﴾: إبليس ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: جنودُه، من قولِه: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ [الشعراء: ٩٥].

وقيل: خَيلُه ورَجِلُه، من قولِه: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقيل: ذُرِّيتُه، من قولِه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقيل: جِنسُه الذي هو منهم.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: لا ترَونَ أجسادَهم ولا تعلمون مكانَهم؛ لأنَّ أجسامَهم رقيقةٌ، وفي أبصارِنا ضعفٌ عن إدراكِ الرَّقيقِ اللَّطيفِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلا يَقبلُ قولَهم ولا يُجيبُ دعوتَهم مؤمنٌ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾: عبادةَ صنمٍ. وقيل: عامٌّ في المعاصي. وقيل: الفاحشةُ هاهنا: كشفُ العورةِ في الطَّوافِ. وقيل: تحريمُ البَحيرةِ.. الآيةَ.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا﴾؛ أي: ونُهوا عنها قالوا: وَجَدْنا ﴿عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: بالفاحشةِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٥) وفيه: «سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوى الله وطاعته، وهو معنى قول مجاهد».

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: استفهامُ إنكارٍ يتضمَّنُ نهيًا.

***

(٢٩) - ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ بلا إلهَ إلا الله، وقيل: بالعدلِ؛ أي: لا يأمرُكم بالفحشاءِ، بل يأمرُكم بالقِسطِ[1].

﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: استقبِلوا القِبلةَ ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: سجدةٍ وصلاةٍ؛ أي: اجعلوها خالصةً لله.

وقيل: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: مكانِ صلاةٍ.

وقيل: عند وقتِ كلِّ صلاةٍ.

﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ بالتَّوحيدِ والطَّاعةِ. وقيل: ادْعُوه بعد الإخلاصِ.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ شقيًّا وسعيدًا.

وقيل: مُؤمنًا وكافرًا، من قولِه: ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

وقيل: يُبعَثون على ما ماتوا عليه، المؤمنُ على إيمانِه، والمُنافقُ على نفاقِه.

وقيل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿تَعُودُونَ﴾ خلقًا جديدًا؛ يُخاطِبُ مُنكري البَعثِ.

وقيل: منَ التُّرابِ خلقَكم، وإليه تعودون.

---

(١) في (و): «لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بالقسط».

وقيل: هو مُفسَّرٌ بقولِه عليه السَّلامُ: «يُحشَرُ النّاسُ حُفاةً عُراةً غُرْلًا» ثمَّ تلا: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

***

(٣٠) - ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: وفَّقهم وأرشدَهم ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: أضلَّهم وخذَلَهم.

﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ أي: على طريقٍ مُستقيمٍ.

***

(٣١) - ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ ناسٌ منَ الأعرابِ يطوفون بالبيتِ عُراةً، حتى كانت المرأةُ تطوفُ بالبيتِ وهي[2] عُريانةٌ، فتُعلِّق على سُفلِها سُيورًا مثلَ هذه السُّيورِ التي تكونُ على وجهِ الحُمُرِ دفعًا منَ الذُّبابِ، وهي تقولُ:

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ ... فما بَدا منهُ فَلا أُحِلُّهُ

---

(١) ذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٦)، ورواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لكن في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وهي نظير هذه الآية.

(٢) «وهي»: ليست في (و).

فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[١].

ابنُ عيسى: قالوا: إنَّ الثِّيابَ قد دنَّستها المعاصي فتجرَّدوا منها.

وقال أيضًا: فعلوا تفاؤُلًا بالتَّعرِّي[٢] منَ الذُّنوبِ.

قال الكلبيُّ: كانوا لا يأكلونَ منَ الطَّعامِ إلّا قوتًا، ولا يأكلونَ في حَجِّهم لحمًا ولا دسمًا، يُعظِّمون بذلك حَجَّهم، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[٣].

ومعنى ﴿زِينَتَكُمْ﴾: لُبسُ الثِّيابِ وسترُ العورةِ في الطَّوافِ وعند الصَّلاةِ.

وقيل: هو التَّزيُّنُ بأحسنِ اللِّباسِ في الجُمَعِ والأعيادِ.

وقيل: هو التَّزيُّنُ لكلِّ صلاةٍ، ولكلِّ دخولِ مسجدٍ؛ لقولِه سُبحانَه: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾؛ أي: اللَّحمَ والدَّسمَ واللَّبنَ ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في الامتناعِ عن الحلالِ. وقيل: بالشُّروعِ في الحرامِ.

أمـرَ بالتَّزيُّـنِ بالملابسِ، وتقويةِ الأبـدانِ والأرواحِ[٤] بالغـذاءِ، وأن يكونَ ذلك مـن حِلِّه.

ابنُ عيسى: الإسرافُ: الخروجُ عن حدِّ الاستواءِ[٥].

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ومَن لا يحبُّه اللهُ فهو في النَّارِ.

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٥)، وأصل الحديث رواه مسلم (٣٠٢٨).

(٢) في (و): «للتعري».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٥).

(٤) «والأرواح»: ليست في (و).

(٥) انظر «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٢).

وذكر الثَّعلبيُّ: أنَّ هارونَ[١] الرَّشيدَ كان له طبيبٌ نصرانيٌّ حاذقٌ، فقال لعليِّ بنِ الحسينِ الواقديِّ: ليس في كتابِكم من علمِ الطِّبِّ شيءٌ، والعلمُ علمان؛ علمُ الأبدانِ، وعلمُ الأديانِ؟ فقال له عليُّ بنُ الحسينِ رحمه الله: جمعَ الله الطِّبَّ في نصفِ آيةٍ من كتابِه، وهو قولُه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾، فقال النَّصرانيُّ: فلا يُروَى عن نبيِّكم شيءٌ من الطِّبِّ؟ فقال عليٌّ: جمعَ رسولُ الله ﷺ الطِّبَّ في كلماتٍ، وهي قولُه: «المعدةُ بيتُ الدّاءِ[٢]، والحِمْيَةُ رأسُ كلِّ دواءٍ، وأعطِ كلَّ بَدَنٍ ما عوَّدْتَه» فقال النَّصرانيُّ: ما تركَ كتابُكم ولا رسولُكم لجالينوسَ طبًّا[٣].

***

(٣٢) ـ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: إضافةُ مُلكٍ وتمليكٍ ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾: خلقَه وأظهرَه ﴿وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: اللَّذيذاتِ والحلالاتِ.

وقيل: هي الشَّاةُ وألبانُها؛ لأنَّهم حرَّموها في حجِّهم.

---

(١) «هارون»: ليست في (ن).

(٢) في (ن): «كل داء».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٣٣٩). قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١١٤): «هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب «لقط المنافع في الطب»».

وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦١١): «لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره».

وجالينوس فيلسوف يوناني له كتب في صناعة الطب وغيرها، وكان ـ كما ذكر المسعودي ـ بعد المسيح بنحو مئتي عام، وبعد بقراط بنحو ست مئة سنة. انظر: «أخبار العلماء» للقفطي (ص: ٨٦).

وقيل: هي البَحيرةُ.. الآيةَ.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: للمؤمنين والكافرين ﴿خالِصَةٌ يومَ القيامةِ﴾؛ أي: لا يُشارِكُهم فيها يومَ القيامةِ مَن ليس بمؤمنٍ.

وقيل: هي للمؤمنين في الدُّنيا مشوبًا بالكدِّ والحزنِ ﴿خالصةٌ يومَ القيامة﴾ من التَّعبِ والنَّصَب، والحَزَنِ والوَصَب[1].

و﴿خالصةٌ﴾ خبرُ المبتدأ، وقيل: خبرٌ بعد خبرٍ، ومَن نصبَها[2] فعلى الحالِ، والعاملُ فيها اللَّامُ[3]، وهذه مسألةٌ طويلةٌ، كُتُبُ النَّحوِ أولى بها.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كما بيَّنَّا هذا الحُكمَ نُبيِّنُ سائرَ الأحكامِ.

***

(٣٣) - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: الفواحشُ: الكبائرُ؛ سرًّا وجهرًا.

وقيل: نكاحُ المُحرَّماتِ والزِّنى.

وقيل: الطَّوافُ عُراةً.

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: الذُّنوبَ كلَّها.

---

(١) «والوصب»: ليست في (و).

(٢) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٣) يعني: العامل هو الفعل المقدر قبل اللام في ﴿الذين﴾، أي: هي تحصل للذين آمنوا خالصة، أو قبل لام مقدرة أخرى، والتقدير: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة مع غيرهم، وهي تحصل لهم خالصةً في الآخرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٩١)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٧)، و«الحجة» لأبي علي (٤/ ١٥).

الفرَّاءُ: الإثمُ هو ما دونَ الحدِّ(١).

وقيل: الإثمُ: الخمرُ، واحتجُّوا ببيتٍ مِن شعرٍ(٢) مَن لا يُحتجُّ بشعرِه، وهو أبو نُوَاسٍ:

شَرِبْتُ الإثْمَ حتّى ضَلَّ عَقْلي كَذاكَ الإثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ(٣)

المُفضَّل: الإثمُ: الخمرُ، وأنشدَ:

نَهانا رَسُولُ اللهِ أنْ نَقْرَبَ الزِّنى وأنْ نَشْرَبَ الإثْمَ الذي يُوجِبُ الوِزْرا(٤)

والصَّحيحُ أنَّ الخمرَ حُرِّمت بالمدينةِ، وهذه السُّورةُ مكيَّةٌ.

﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: التَّسلُّطَ على النَّاسِ والاستيلاءَ عليهم.

﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: حجَّةً وبُرهانًا؛ لأنَّهم زعَمُوا أنَّ الله أمرَهم بعبادةِ الأوثانِ.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريمِ هذه الأشياءِ، والتَّعرِّي في الطَّوافِ.

* * *

(٣٤) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾؛ أي: وقتٌ مُعيَّنٌ يأتيهم فيه عذابُ الاستئصالِ إنْ لم يُؤمِنوا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٨).

(٢) في (ن): «واحتجوا بيت شعر».

(٣) لم أجده في «ديوان أبي نواس»، ولم أقف على من نسبه إلى أبي نواس غير المصنف، وهو بلا نسبة في عشرات المصادر منها: «المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١١٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٢١)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ١١٧)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ١٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣١).

(٤) انظر: «مجمع البيان» للطبرسي (٨/ ٤٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٤)، و«الدر المصون» (٥/ ٣٠٦).

ابنُ عيسى: الأجلُ الواحدُ يدلُّ على تقارُبِ أعمارِ أهلِ ذلك العصرِ.

قال الشَّيخُ رحمه الله[١]: ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالأمَّةِ الآحادُ، كقولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]؛ أي: لكلِّ أحدٍ أجلٌ لا يتقدَّمُه ولا يتأخَّرُ عنه، وهو قولُه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قولُه: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾؛ أي: لا يطلبون التَّأخُّرَ لشدَّةِ بأسِهم.

قالَ الشَّيخُ رحمه الله[٢]: ويحتمِلُ أنَّ تأخَّرَ واستأخرَ بمعنًى.

***

(٣٥) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: من بني آدمَ ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾: يقرؤُونَ عليكم كتُبي.

وقيل: المُرادُ بهم مُشركو العربِ، والمُرادُ بالرُّسلِ محمَّدٌ عليه السَّلامُ.

وقيل: يقصُّون دليلَ[٣] رُبوبيَّتي.

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشِّركَ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العملَ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أصلًا.

وقيل: لا يحزنونَ على ما فاتَهم من نعيمِ الدُّنيا.

***

(٣٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: كذَّبوا رُسلَنا بردِّ آياتِنا ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ﴾: تعظَّموا عن الإيمانِ بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: لا يبرحُونَ.

---

(١) «قال الشيخ رحمه الله»: ليست في (و).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليست في (و).

(٣) في (ن): «دلائل».

(٣٧) ـ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾؛ أي: أشدُّ في كُفرِه. وقيل: لا أحدَ أظلمُ منه.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ فأنكرَ النبوَّةَ وردَّ الرِّسالةَ.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قيل: الكتابُ: اللَّوحُ المحفوظُ؛ أي: ما كُتِبَ لهم من العمرِ والرِّزقِ والعملِ والشَّقاوةِ والسَّعادةِ.

وقيل: الكتابُ: القرآنُ، وما كُتِبَ لهم فيه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: زُرقةُ العيونِ وسوادُ الوجوهِ[1].

وقيل: هو العذابُ الأكبرُ الذي أعدَّه الله للكُفَّارِ.

وقيل: هو ما أَوجَبَ من حفظِ عُهودِهم إذا أعطَوا الجزيةَ.

وقيل: الكتابُ: كتابُ الحفَظةِ؛ أي: الجزاءُ على الطَّاعاتِ والمعاصي.

قال الشَّيخُ رحمه الله[2]: ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: أولئك ينالُهم ما قُسِمَ لهم كما ينالُ المُؤمنين ما قُسِمَ لهم، ثمَّ تتغيَّرُ أحوالُهم عندَ الموتِ، وهو قولُه:

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٧٨) لكن دون نسبة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٤) بلفظ: «ينالهم ما كتب عليهم، يقول: قد كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود»، فما ذكره الفراء هو معنى هذا القول، وقد أشار لذلك الواحدي في «البسيط» (٩/ ١١٤)، فقال بعد ذكر رواية الطبري: واختار الفراء هذا فقال: «ينالهم ما قضى الله عليهم في الكتاب من سواد الوجوه وزرقة الأعين».

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليست في (و).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾؛ أي: ملَكُ الموتِ وأعوانُه ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾: يقبِضُون أرواحَهم ويتوفَّون عددَهم. وقيل: يتوفَّونَهم عذابًا وإنْ لم يموتوا.

﴿قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: عبَدْتُموهم، ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: ضاعوا فلا نراهُم، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

***

(٣٨) - ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾؛ أي: قالَ الله، وقيل: قالتِ الملائكةُ وخزنةُ جهنَّمَ.

﴿فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ﴾: مضَتْ ﴿مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ لم يتكلَّمِ المُفسِّرون في تكرارِ (في)، ووجهُه: أنَّ الثَّانيةَ مُتعلِّقةٌ بالدُّخولِ، والأولى بمعنى: (مع)[1]، وهي حالٌ؛ أي: ادخُلوا النَّارَ مُجتمعِين معَهم.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾؛ أي: النَّارَ ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾؛ أي: في الدِّين، الكافرُ يلعَنُ الكافرَ، واليهوديُّ اليهوديَّ، والأُخوَّةُ تُستعملُ في النَّسبِ والمُشابَهةِ والمُشاركةِ في الشَّيءِ، وأنَّثَ لتأنيثِ الأمَّةِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾؛ أي: تدارَكُوا واجتمَعُوا ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ دخولًا ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ دخولًا.

وقيل: أُخراهُم: التُّبَّاعُ، والأولى: القادةُ.

واللَّامُ لامُ السَّببِ[2].

---

(١) انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٢٢٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٠٣).

(٢) في (ن): «النسب»، وهو تحريف، فقد قال الزجاج: «المعنى: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾: يا ربنا هؤلاء أضلونا ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾؛ أي: تعني أولاهم». =

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾: زيَّنوه لنا وسَنُّوا الضَّلالةَ[١] فاقتدَينا بهم.

﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: عذابًا ذا زيادةٍ مثلِه عليه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: زيادة حيَّاتٍ وأفاعٍ[٢].

وقيل: الضِّعفُ: المِثلُ. وقيل: القِسطُ[٣].

وحكى الماورديُّ أنَّ الضِّعفَ هاهنا: العذابُ[٤]، وهو بعيدٌ[٥].

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: للقادةِ بكُفرِهم وإغوائِهم، وللتَّابعِ بكُفرِهم وتقليدِهم واقتدائِهم[٦]؛ أي: كُفيتُم ما تَسألون.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: التَّاءُ تصلُحُ للاتِّصالِ والانفِصالِ، والياءُ للكلِّ[٧].

***

= قال الواحدي في «البسيط» (٩/ ١٢٤) تعقيباً على كلام الزجاج: «فعلى هذا ليست اللام من صلة القول؛ لأنهم قالوا لله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾، ولم يقولوا لأولاهم شيئاً، ولكن اللام لإبانة أنهم عنوا بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أولاهم وهم القادة، فاللام هاهنا لام (أَجْل)؛ أي: لأَجْلهم ولإضلالهم إياهم». ولام النسب نحو: لزيدٍ عمٌّ هو لعمروٍ خالٌ. انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٤).

(١) في (ن): «الضلال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٠٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٣)، واستغربه.

(٤) إنما حكاه عن مجاهد، وقدّم عليه قول الجمهور. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٣)، وعدَّه من العجائب.

(٦) في (و): «والاقتداء بهم».

(٧) قرأ عاصم في رواية أبي بكر بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣٩) - ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فإنَّكم كفرتُم مثلَ كُفرِنا، وتَساوَينا في الكفرِ.

وقيل: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾؛ أي: لم تُؤمِنوا إذ كفَرْنا، وإنَّكم في دُعائِكم علينا ظالمون.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: فذوقوا بكسبِكُم وكُفرِكُم، ولا تُحيلوا الذَّنبَ على غيرِكم.

* * *

(٤٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾؛ أي: عن الإيمانِ بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لصُعودِ طاعاتِهم وأدعيتِهم وأرواحِهم كما تُفتَّحُ للمُؤمنين.

وقيل: لنُزولِ الرَّحمةِ. وقيل: لدُخولِ الجنَّةِ.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ﴾: يدخلَ البعيرُ ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: في ثُقبةِ الإبرةِ؛ أي: لا يدخُلونها أبدًا.

وقال الماورديُّ: في ﴿سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ قولان:

أحدُهما: ثُقْبُ الإبرةِ.

والثّاني: السَّمُّ القاتلُ الذي يدخلُ في مَسامِّ البدنِ[1].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٣).

وهذا سوءُ ضبطٍ منه؛ فإنَّه لم يفهَمْ كلامَ ابنِ عيسى.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مثلَ هذا الذي ذكَرْناه نجزي الكافرين.

* * *

(٤١) - ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فَرْشٌ ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ قيل: لُحُفٌ ولباسٌ. وقيل: ظُلَلٌ. وانصرَفَ (غواشٍ) لأنَّ الياءَ لـمَّا جازَ حذفُه منَ الآحادِ تخفيفًا صار حذفُه من المجموعِ لازمًا، فلمَّا حُذِفَ الياءُ صار لها في الآحادِ نظيرٌ، فدخلَه التَّنوينُ[(١)].

وقيل: التَّنوينُ بدلٌ منَ الياء السَّاقطِ. والقولُ هو الأوَّلُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين.

ثمَّ ذكرَ جزاءَ المُؤمنين فقال:

(٤٢) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: طاقتَها، والتَّكليفُ: إلزامُ ما فيه كُلفةٌ؛ أي: مشقَّةٌ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قولُه: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ اعتِراضٌ.

وقيل: تقديرُه: منهم، فيكونُ خبرًا، واللَّذانِ بعدَه خبرٌ بعدَ خبرٍ[(٢)].

---

(١) وقال في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٤): «حذف ياؤه حذفاً، ولما كان هذا الحذف جائزًا في الآحاد كالمهتد والداع والمُناد، وكان جائزاً في الأفعال، نحو: ﴿نَبْغِ﴾ و﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ صار في الجمع لازمًا، ولما حذف الياء سقط عن زنة الجمع ودخل في زنة الآحاد، فدخله التنوين».

(٢) عند تقدير (منهم) يصير الضمير عائداً على (الذين آمنوا) رابطاً للجملة، فتعرب خبراً، وتصبح جملة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ خبراً ثانياً، وجملة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ خبراً ثالثاً.

(٤٣) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: يُخرِجُ أسبابَ العداوةِ من قلوبِهم.

والغِلُّ: الحِقدُ الذي يتغَلْغَلُ إلى صميمِ القلبِ.

وقيل: هو العصبيَّةُ[1] والحسدُ.

يعني: أصحابَ الجنَّةِ.

وعن الحسنِ البصريِّ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: فينا أهلَ بدرٍ نزلَتْ هذه الآيةُ[2].

ابنُ بحرٍ: هو معطوفٌ على ﴿الذين آمنوا﴾؛ أي: آمَنوا وبرِئَتْ قلوبُهم من الغِلِّ.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ فإنَّ النَّظرَ إلى الماء الجاري من الملاذِّ.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾: وفَّقَنا وأرشَدَنا لِمَا هذا جزاؤُه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بأنفسِنا ﴿لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ لَضَلَلْنا.

وقيل: ﴿هَدَانَا﴾: دعانا إليه ودلَّنا عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: أتَوا بالحقِّ، ووقعَ الموعودُ على ما سبقَ به الوعدُ.

﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾: أُعطيتُموها، وقيل: أُورِثْتُم منازلَ أهلِ النَّارِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقولُه: ﴿تِلْكُمُ﴾ إشارةٌ إليها بعد المُعاينةِ.

وقيل: إشارةٌ إلى ما وُعِدوا به في الدُّنيا؛ أي: هذا جزاءُ طاعتِكم في الدُّنيا.

---

(١) في (ن): «المعصية».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨).

(٤٤) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿حَقّٗا﴾: صِدقًا.

﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾ هذا سؤالُ تقريرٍ يتضمَّن تحسيرَ الكفَّارِ[1].

﴿قَالُواْ نَعَمۡ﴾ فيه لغتان[2]، وذلك أنَّهم إذا صاروا إلى النَّارِ زالَ عنهم الصَّمَمُ والبَكَمُ والعمَى التي في قولِه: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾: نادى مُنادٍ ـ وهو صاحبُ الصُّورِ ـ نداءً أسمعَ الفريقَين.

وقيل: أعلَمَ مُعلِمٌ بينَهم من أهلِ الجنَّةِ والنَّارِ.

﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذا شُدِّدَتْ ﴿أَنَّ﴾ فهو مفعولُ ﴿أَذَّنَ﴾، ومَن خفَّفَ[3] فكذلك، واسمُه مُضمَرٌ، ويحتمِلُ أن تكونَ بمعنى: أي[4].

* * *

(٤٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: صفةٌ لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، و﴿يَصُدُّونَ﴾ بمعنى: صدُّوا، وقيل: تقديرُه: كانوا يصُدُّون في الدُّنيا.

---

(١) في (ن): «تحسيرًا للكفار».

(٢) قرأ الكسائي: (نعم) حيث وقع بكسر العين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣) قرأ البزي وابن عامر وحمزة والكسائي: (أنَّ) بتشديد النون و(لعنةَ) بنصب التاء، والباقون بتخفيف النون ورفع التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٤) و(أن) التي بمعنى (أي) تسمى التفسيرية أو المفسِّرة، ولا محل لها من الإعراب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤١)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٩٢).

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)]، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِه.

﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾: يطلُبون لها الاعوجاجَ والتَّدافُعَ في التَّناقُضِ في اللَّفظِ والمعنى، ويُلَبِّسونَ على الجُهَّالِ.

و﴿عِوَجًا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ(يبغون)، تقولُ: بَغَيْتُكَ الشَّيءَ، وقيل: مصدرٌ؛ كقولهم: رجَعَ القَهْقَرى.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بالدَّارِ الآخرةِ ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

***

(٤٦) - ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾.

﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾: هو السُّورُ الذي في قولِه: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ﴾ [الحديد: ١٣]، وهو الأعرافُ أيضًا.

وقيل: الأعرافُ: أعالي السُّورِ، وأعالي كلِّ شيءٍ أعرافُه.

و(الأعرافُ) في الآيةِ واحدٌ، ومثلُه: ثوبٌ أسمالٌ؛ أي: خَلِقٌ، وثوبٌ أخماسٌ[(٢)]، وبُرْمَةٌ أعشارٌ[(٣)].

أبو عبيدة: كلُّ عالٍ مُرتفعٍ[(٤)] من الأرضِ أعرافٌ[(٥)].

---

(١) صرّح النحاس بأن الكلام هنا غير تام، وأن القطع ليس بكاف. انظر: «القطع والائتناف» (ص: ٢٥٢).

(٢) أي: طوله خمسة أشبار. انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٨٩).

(٣) البرمة: القدر، ويقال: «برمة أعشار»: إذا انكسرت قطعًا. انظر: «الصحاح» و«اللسان» مادة: (ع ش ر). وهذه الألفاظ (أسمال أخماس، أعشار) ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد، واختار المصنف هذا القول في (الأعراف).

(٤) في (ن): «كل ما ارتفع».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١٥).

وقيل: هو جمعٌ، واحدُها: عُرْفٌ، وكلُّ مرتفِعٍ عُرْفٌ، ومنه عُرْفُ الفرسِ والدِّيكِ.

وقيل: هو من المعرفةِ[١]، وعليها قومٌ جعلَهم الله على تعريفِ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ[٢].

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ قيل: هم الأنبياءُ.

وقيل: هم ملائكةٌ[٣] ﴿رجال﴾؛ أي: ذكورٌ، كقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩][٤].

وقيل: هم الفُقَهاءُ والعلماءُ.

وقيل: هم الصَّالحون وأفاضِلُ المؤمنين.

وقيل: هم الشُّهداءُ، وهم عدولُ الآخرةِ، فهؤلاءِ علَوْا في الدُّنيا وفي[٥] الآخرةِ بعلمِهم وعمَلِهم، فتعالَتْ وارتفَعَتْ منازلُهم في الآخرةِ.

وقيل: هم قومٌ استوَتْ حسناتُهم وسيِّئاتُهم.

وقيل: هم قومٌ جعلَهم الله تعالى على معرفةِ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ ـ كما سبق ـ يُميِّزون بعضَهم من بعضٍ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّهم قومٌ خرَجُوا إلى الجهادِ في سبيلِ الله وهم عُصاةٌ لآبائِهم، فقُتِلوا، فأعتقَهم اللهُ منَ النَّارِ؛ لأنَّهم قُتِلوا في سبيلِه، وحُبِسوا عن الجنَّةِ بمعصيةِ آبائِهم»[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٥)، واستغربه.

(٢) أي: على الأعراف رجال أوكلت لهم مهمة تمييز أهل الجنة من أهل النار.

(٣) في (ن): «الملائكة».

(٤) وقال في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٤): «وقيل: الملائكة، سموا رجالاً كما في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]».

(٥) في (و): «فلهؤلاءِ علوٌّ في الدُّنيا وعلوٌّ في».

(٦) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٥٤ ـ تفسير)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٢٣)، =

وقيل: هم قومٌ بطَّأَتْ بهم صَغائرُهم إلى آخرِ النَّاسِ.

وقيل: هم قومٌ رضيَ عنهم آباؤُهم دونَ أمَّهاتِهم، أو أمَّهاتُهم دونَ آبائِهم.

وقيل: هم أولادُ الزِّنى[1].

وقيل: هم الذين كانوا في الفترةِ ولم يُبدِّلوا دينَهم.

وقيل: هم أولادُ المُشركين. وقيل: هم المُراؤون[2].

﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾؛ أي: كلَّهم، وهم أصحابُ الجنَّةِ وأصحابُ النَّارِ.

﴿بِسِيمَىٰهُمۡ﴾: بما أُعطوا منَ الثَّوابِ والنَّعيمِ[3]، أو من عذابِ الجحيمِ.

وقيل: سِيْما المؤمنين بياضُ الوُجوهِ ونَضارتُها، وسِيْما[4] الكافرينَ زُرقةُ العينِ وسَوادُ الوجهِ.

و(سِيما) يُمَدُّ ويُقصَرُ، و(سِيْميا) فيه لغةٌ، واشتِقاقُه من (السُّومَةِ)، وهي العلامةُ، وقيل: هو مقلوبٌ منَ[5] (الوَسْمِ)؛ كالجاهِ منَ الوَجْهِ.

= والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (ص: ١٠٦)، من طرق عن عبد الرحمن المزني رضي الله عنه.

ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (ص: ١٠٦) أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومدارها كلها على أبي معشر نجيح المزني، وهو ضعيف، كما قال البيهقي.

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠٥٣)، و«المعجم الصغير» (٦٦٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه محمد بن مخلد الرعيني، وهو ضعيف».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٥)، وعدَّهما من العجائب.

(٣) في (و): «والنعم».

(٤) في (ن): «سيماء المؤمنين... وسيماء».

(٥) «من»: ليست في (و).

﴿وَنَادَوۡاْ﴾: أصحابُ الأعرافُ ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: أهلَها ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ تهنئةٌ منهم لأجلِ الجنَّةِ.

﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ على الوجوه الأولى: حالٌ للمُخاطَبين، فيكونُ خطابًا لهم قبل الدُّخولِ، وليس في الآيةِ ما يدلُّ على دُخولهم بعدُ، وعلى الوجوه الأُخرى: حالٌ للمسلمين، وهذا أظهرُ.

وقولُه: ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾؛ أي: في دخولِ الجنَّةِ.

***

(٤٧) ـ ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: من مُواجهتِهم قبل الدُّخولِ وبعدَه على القولَين ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: إذا نظَروا إلى أصحابِ النَّارِ استَعاذُوا بالله من[1] أن يكونُوا من أهلِها.

***

(٤٨) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ ذكرَ المُفسِّرون أنَّ الرِّجالَ هاهنا: الوليدُ بنُ المُغيرةِ، وأبو جهلِ بنُ هشامٍ، والعاصُ بنُ وائلٍ، ونُظَراؤُهم، وذلك أنَّهم قالوا: إنَّ بلالًا وسَلمان وعمَّارًا وأمثالَهم يُدخِلُهم الله الجنَّةَ ويُدخِلُنا النَّارَ! كلَّا واللهِ، إنَّ اللهَ لا يُفضِّلُ خدَمَنا ورُعاتَنا علينا، وأقسموا أنْ لا يخصَّهم بفضلٍ دونَهم[2].

---

(١) «من»: ليست في (ن).

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٦٢) عن الكلبي.

فناداهم أصحابُ الأعرافِ: ﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: لم تدفعْ عنكم كثرتُكُم وشوكَتُكم. وقيل: جمعُكم المالَ.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: استِكبارُكم عن الإيمانِ؛ أي: تعظُّمُكُم.

***

(٤٩) ـ ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾: حلفتُم في الدُّنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني: الجنَّة، والمُشارُ إليهم: سلمانُ وبلالٌ وصُهَيبٌ وخبَّابٌ.

﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ هذا قبلَ الدُّخولِ.

ويحتمَلُ: أقسَمْتُم لا ينالُهم اللهُ برحمةٍ، وقد قالَ الله لهم: ادخُلوا الجنَّةَ.

وقيل: أقسمَ أهلُ النَّارِ لا يدخُلُ أصحابُ الأعرافِ الجنَّةَ، فقالَ الله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾[1].

وقيل: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ من كلامِ الملائكةِ.

ابنُ بحرٍ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلامِ أصحابِ الأعرافِ لأنفُسِهم، ثم يرجعون إلى مُخاطبةِ أنفسِهم، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: رفعٌ بالابتداءِ[2] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خبرُه، لا يجوزُ غيرُه.

وقولُه: ﴿وَنَادَىٰٓ﴾ بلفظِ الماضي تحقيقًا للوعدِ، وكذلك أكثرُ ألفاظِ القيامةِ.

***

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٣٤)، ونسبه لعامة أهل التأويل.

(٢) في (ن): «على الابتداء».

(٥٠) ـ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ ﴾: صُبُّوا ﴿عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ مِقدارَ ما يُبرِدُ أبدانَنا ويُزيلُ عطَشَنا.

والإفاضةُ: إجراءُ الماءِ من عالٍ[1].

﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطَّعامِ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾؛ أي: ماءَ الجنَّةِ وطعامَها تحريمَ مَنْعٍ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

***

(٥١) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرَّموا وأحلُّوا ما شاؤوا، وقيل: ﴿دِينَهُمْ ﴾: عيدَهم.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ اغترُّوا بطُولِ البقاءِ.

ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴾: نتركُهم في العذابِ.

وقيل: نُعامِلُهم مُعاملةَ المنسيِّ.

وقيل: نُجازِيهم على نسيانِهم.

﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾؛ أي: تركُوا العملَ له ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾: يُنكِرون المعرفةَ بأنَّها من عندِ الله.

***

(١) في (ن): «معالي».

(٥٢) - ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ يعني: القرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيَّنَّاه بالتَّحريمِ والتَّحليلِ والوعدِ والوعيدِ وغيرِها.

وقيل: ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: جعلناه يُفْهَمُ شيئًا شيئًا.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: بعلمٍ منَّا؛ أي[1]: ونحنُ عالمون بتفصيله.

وقيل: على علمٍ في الكتابِ.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوزُ أن يكون حالًا، ويجوزُ أن يكونَ وصفًا للكتابِ[2]، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا له.

* * *

(٥٣) - ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتَظِرون؛ أي[3]: يلحقُهم لُحوقَ المُنتظِرِ[4].

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: ما يَؤُولُ إليه أمرُهم منَ العذابِ في الدُّنيا، والنَّارِ في العُقبى.

---

(١) «أي»: ليست في (ن).

(٢) والصفة هنا مقطوعة؛ أي: هو هدى ورحمةٌ، والجملة في محل جر صفة، وذلك على قراءة من رفع (رحمة). انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤١)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٥٧٣).

(٣) في (ن): «أن».

(٤) أي: لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين، وإنما قيل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، وإن كانوا جاحدين؛ لأن الإنسان ينتظر ما يعلم أو يظن وقوعه، ولم يكونوا كذلك لأنهم لم يصدقوا بذلك، لكنه لما كان واقعاً لا محالة كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى ولذلك جاء تهديداً لهم. انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ١٦٣)، و«كشف المعاني في المتشابه من المثاني» لابن جماعة (ص: ١١٤)، و«روح البيان» لإسماعيل حقي (٣/ ١٢٢).

وقيل: ثوابَه. وقيل: عاقبتَه. وقيل: حقيقتَه.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: تركوا الاستعدادَ له.

﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أقرُّوا حين لا ينفعُهم.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: تـمَنَّوا شفيعًا أو رَدًّا إلى دارِ الدُّنيا، وضمِنُوا عملًا يُخالفُ ما عملوا، فلم يُجابوا إلى مُلْتَمَسِهم.

﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: خسِروا أعظمَ ما يخسرُه الخاسِرون.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: لم تنفعْهم عبادةُ الأصنامِ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أراد: السَّماواتِ والأرضَ وما بينَهما، وقد فصَّلَها في سورةِ (السَّجدةِ).

وأوَّلُ هذه الأيامِ الأحدُ، وآخرُها الجمُعةِ، وكلُّ يومٍ من هذه الأيامِ السِّتَّةِ كألفِ سنةٍ.

وقيل: خلقَه في أيَّامٍ لتُشاهِدَ الملائكةُ حدوثَ شيءٍ بعدَ شيءٍ.

وزيَّفَ ابنُ بحرٍ هذا القولَ فقال: ليس يُعقَلُ كونُ الملائكةِ قبل كونِ السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّهم لا يستغنون عن مكانٍ يحويهم.

وحملَ على أنَّ المُرادَ من السِّتِّ: تعليمُ العبادِ، قال[١]: وأصلُ جميعِ الحسابِ من سِتَّةٍ، ومنها يتفرَّعُ سائرُ العددِ بالغًا ما يبلغُ.

ويحتمِلُ أنَّ الله تعالى فرَّقَ خَلْقَ هذه الأشياءِ، فكانَ خلقُه سبحانَه لشيءٍ منها في كلِّ يومٍ من الأيَّامِ السِّتَّةِ كلمحِ البصرِ[٢]، والله أعلمُ.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ: أنَّ الاستواءِ هاهنا لا يُفسَّرُ بما لم يَصفِ اللهُ ذاتَه به.

الحسنُ: استَوى أمرُه[٣].

وقيل: استَولى، وأُنشدَ:

قد استَوَى بِشْرٌ على العِـراقِ   مِن غيرِ سيفٍ ولا دمٍ مُهْراقِ[٤]

---

(١) أي: ابن بحر. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦).

(٢) في (ن): «بالبصر».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩).

(٤) البيت منسوب للبعيث في «الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (١/ ٣٨)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ١٦٩).
ونسب للأخطل في «المحرر الوجيز» (١/ ١١٥) و«تاج العروس» مادة: (س و ا) (٣٨/ ٣٣١).
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٩٠): «وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكَلِم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً، فإنه إنما يقال: استوى على الشيء إذ كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً حتى يقال: استوى عليه، أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية، حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة، والله أعلم».

وأضافَ الاستيلاءَ إلى العرشِ وإنْ كانَ سُبحانه مُستوليًا على الكلِّ؛ لأنَّه أعظمُ شيءٍ خلَقَه.

وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ (ثمَّ) للتَّراخي، واستيلاءُ الله تعالى على الأشياءِ ليس بمُحدَثٍ.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: استقرَّ[1]. وهذا لا يقتضي مكانًا، بل هو كما قال: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وقيل: معناه: عَلا؛ كقولِه: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

وقيل: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: أقبلَ على خلقِ العرشِ فيمَن قالَ: خُلِقَ العرشُ بعدَ السَّماءِ، ومَن قال: خلقَه قبلَ السَّماءِ قال: أقبلَ على نقلِه.

وقيل: معناه: لم يُخلَقْ بعدَ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما إلا العرشُ، كما سبقَ في (البقرة)[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٦٥) عن الكلبي ومقاتل، وانظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص: ١٦٩). وكل ما فيه عن ابن عباس مروي من طريق السدي الصغير عن الكلبي، وهما متهمان بالكذب، وهذا الإسناد من أوهى الأسانيد في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما تقدم التنبيه عليه مرارًا.

(٢) وهذه الأقوال كلها على مذهب الخلف القائلين بالتأويل في آيات الصفات، والذي لجؤوا إليه بعد ظهور الفرق الضالة من المشبهة والمعطلة وغيرهم، أما الذين ذهبوا مذهب السلف فقالوا: إذا وردَت صفةٌ من صفات الله تعالى موهمةٌ مشابهةَ المخلوقين؛ كورودِ لفظ اليد والعين ونحوهما، فإننا نُؤمِنُ بها مع القطعِ بأنَّه تعالى ليس كمثلِه شيءٌ في صفاته ولا ذاته، ونُوْكِلُ معرفةَ كيفيَّتها وكيفيَّةِ تعلُّقِها به تعالى إلى الله، ونجريها على ما أجراها الله تعالى ورسوله عليه من غير تأويلٍ ولا تكييفٍ، وهو مذهبُ سلفِ الأمَّة، ويقال له: الطريقُ الأسلمُ، وطريقةُ المتأخِّرين في التأويل يقال لها: الطريقُ الأعلمُ. والحقُّ أنَّ الأَولى بالمؤمن هي الطريقُ الأُولى، فإنَّه لا يحيطُ بالصفة وكيفيَّتها إلا =

وفي العرشِ أقوالٌ: قيل: هو السَّريرُ.

ويُقالُ: العرشُ: المُلْكُ، ويُقالُ لمن ذهَبَ ملكُه أو عزُّه: ثُلَّ عرشُه.

وقيل: العرشُ: السَّقفُ؛ يعني: السَّماوات، من قولِه: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقال هذا القائلُ في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾؛ أي: عرشُ هذا الخَلْقِ العظيمِ، يريدُ: بناءَه وسقفَه.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: جعلَ اللَّيلَ يُغطِّي نورَ النَّهارِ ويذهَبُ بضوئِه، وتقديرُه: يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ ويُغشي النَّهارَ اللَّيلَ؛ كقولِه: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] فاكتفَى بأحدِ الضِّدَّين.

ابنُ بحرٍ: يُغطِّي النَّهارَ وضِياءَه باللَّيلِ(١)، فعلى هذا يكونُ اللَّيلُ ظرفًا.

﴿يَطْلُبُهُۥ﴾: يَعْقُبُه ﴿حَثِيثًا﴾: محمولًا على السُّرعةِ، فَعيلٌ بمعنى مفعولٍ من (حثَّه).

= مَن أحاط بذات الموصوف، وقد ثبت فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وطريقةُ التأويل غايتُها الحملُ على المجازِ، وكونُه المرادَ أمرٌ غيرُ مقطوعٍ به، وإنَّما هو ظنٌّ وتخمينٌ. وقد ذكر أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط» (٥/ ٦٦) عند تفسير هذه الآية قصة الإمام مالك التي تبين منهج الأئمة في هذا الأمر، وذلك حين جاءه رجل فسأله: كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليًّا وعلَتْه الرحضاء [عَرَق يغسل الجلد كثرةً] ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً. ثم أمر به فأُخرج. روى القصة البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧).

(١) لم أقف عليه، وقد ذكر نحوه الهروي في «الغريبين» (٤/ ١٣٧٦).

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾؛ أي: وخلَقَ الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ مُسخَّراتٍ مُذلَّلاتٍ جارياتٍ مَجاريَهنَّ.

وقيل: مُسخَّراتٍ للخلقِ؛ كقولِه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: ١٣].

﴿بِأَمۡرِهِۦٓ﴾؛ أي: كلُّ ذلك كان بأمرِه، وقيل: قال لها: كوني مُسخَّرةً، فتسخَّرَتْ بأمرِه. وقيل: بإرادتِه. وقيل: لأمرِه.

﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾؛ أي: الخلقُ العظيمُ والأمرُ النَّافِذُ.

وقيل: له الخَلقُ كلُّه والأمرُ الذي لا يُخالَفُ.

وقيل: له الخَلقُ، وله الأمرُ فيهم.

وقيل: الخلقُ والأمرُ واحدٌ، فعُطِفَ لتقدُّمِ ذكرِ الخلقِ والأمرِ في الآيةِ.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تعالى بالوحدانيَّةِ وعظُمَ بدوامِ البقاءِ[1].

وقيل: معناه: إنَّ ذِكْرَ ربِّ العالمين بركةٌ عليكُم وعلى مَن ذكرَهُ منكم.

***

(٥٥) ـ ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا﴾: تذلُّلًا.

ابنُ عيسى: التَّضرُّعُ: التَّذلُّلُ، وأصلُه الميلُ في الجهاتِ ذُلًّا، من قولِهم: ضَرَعَ الرَّجلُ: إذا مالَ بأُصبُعِه يمينًا وشمالًا ذُلًّا وخوفًا[2].

---

(١) في (و): «وعظم بالبقاء».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٣٧) دون نسبة.

وقيل: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: سِرًّا وإخلاصًا، ونصبُها على الحالِ، أو على المفعولِ له.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: الذين يَسألون الله درجةَ الأنبياءِ والمُرسلين.

وقيل: يدعو مَن لا يستحِقُّه.

وقيل: هو الذي يرفعُ صوتَه عندَ الدُّعاءِ[1]، فإنَّ أبا موسى الأشعريَّ رضي الله عنه قال: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ في غزاةٍ فأشرَفُوا على وادٍ، فجعلَ النّاسُ يُكبِّرون ويُهلِّلون ويرفَعُونَ أصواتَهم، فقال عليه السَّلامُ: «أيُّها الناسُ، ارْبَعوا على أنفُسِكُم، إنَّكم لا تدعُونَ أصمَّ ولا غائبًا، إنَّكم تدعُونَ سميعًا قريبًا، إنَّه معَكُم»[2].

وقيل: الاعتِداءُ: السَّجْعُ في الدُّعاءِ، حكاه هشامٌ في «تفسيرِه»[3].

* * *

(٥٦) - ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾؛ أي: بالكفرِ وتعويقِ النَّاسِ عن الإيمانِ.

وقيل: بالمعصيةِ. وقيل: بالظُّلمِ.

﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾: بعدَ أنْ أصلَحَها اللهُ ببعثِ الأنبياءِ، وبيانِ الشَّرائعِ، ومنعِ النَّاسِ عن المعصيةِ والظُّلمِ، ولولا الأنبياءُ والشَّرائعُ لأكَلَ النَّاسُ بعضُهم بعضًا.

وقيل: معناه: لا تَعصُوا في الأرضِ فيُمسِكَ اللهُ المطرَ بمعاصيكم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٧)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٨)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا﴾ من عقابِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابِه.

وقيل: ﴿خَوۡفٗا﴾ منَ الرَّدِّ ﴿وَطَمَعًا﴾ في الإجابةِ.

ونصبُها على الحالِ، أو على المفعولِ له.

﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ أي: تَلْحقُ المُحسِنَ دونَ المُسيءِ.

وقيل: معناه: ما وعدَ اللهُ المُحسِنَ قريبٌ منَ المُحسن(١)؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ.

وفي تذكيرِ ﴿قَرِيبٞ﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّه محمولٌ على المعنى، والمُرادُ به الثَّوابُ والنَّعيمُ.

الأخفشُ: المُرادُ به المطرُ(٢). وهذا مذهبُ البصريِّين.

وقال الكوفيُّون: (القريبُ) و(البعيدُ) إذا أردتَ بهما النَّسبَ يُثنَّى ويُجمَعُ ويُؤنَّثُ، وإذا أردتَ بهما قُربَ المكانِ وبُعدَه فلا يُثنَّى ولا يُجمَعُ ولا يُؤنَّثُ، وأنشدَ:

عَشِـيَّةَ لا عَفْـرَاءُ مِنْـكَ قَرِيـبَـةٌ ... فَتَدْنُو وَلا عَفْـرَاءُ مِنْـكَ بَعِيـدُ(٣)

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به المفعولُ؛ أي: مُقرَّبةٌ، فيصيرُ من بابِ(٤): كَفٌّ خضيبٌ، و: عَينٌ كَحيلٌ(٥).

---

(١) في (و): «المحسنين».

(٢) ذكره جوازاً فقال: وإن شئت قلت: تفسير الرحمة ها هنا: المطرُ ونحوُه، فلذلك ذكَّر؛ كما قال ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ﴾ [الأعراف: ٨٧] فذكَّر لأنه أراد الناس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٢٧).

(٣) البيت لعروة بن حزام كما في «ديوانه» (ص: ١٠٦)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨١)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٢٥١)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٤٢).

(٤) «باب»: ليست في (ن).

(٥) فهو (فعيل) بمعنى (مفعول)، والأصل ألا تلحقه علامة التأنيث وإن وصفت به أنثى. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (٢٤٣).

(٥٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾؛ أي: يُثيرُها سهلةً[1] مـن عالٍ ﴿بُشْرًۢا﴾ بالبشارةِ؛ كقولِه: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦].

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: قُدَّامَ المطرِ وأمامَ الغيثِ.

و﴿نُشُرًا﴾[2]: تهبُّ من كلِّ صَوْبٍ كقولِه: ﴿وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣] من قولِهم: أنشَرَ اللهُ الموتَى فنشَرَتْ؛ أي: أحياها فحَيِيَتْ.

وقيل: لها نَشْرٌ؛ أي: رائحةٌ طيبةٌ.

وقيل: من (نشرتُ) ضِدِّ الطَّيِّ؛ أي: تنشرُ السَّحابَ.

وعن أبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ: لا تقطرُ مـنَ السَّماء قطرةٌ حتَّى تعملَ فيها أربعُ رياحٍ: فالصَّبا تُهيِّجُ السَّحابَ، والشَّمالُ تجمعُه، والجنوبُ تذُرُّه، والدَّبورُ تُفرِّقُه[3].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾؛ أي: دفعَتِ الرِّيحُ سحابًا وحملَتْه.

والإقلالُ: دفعُ الشَّيءِ بتمامِه من غيرِ تعبٍ.

والسَّحابُ: جمعُ سحابةٍ.

---

(١) في (ن): «سَهْلَها».

(٢) قرأ عاصم: ﴿بشرًا﴾ بالباء المضمومة وإسكان الشين حيث وقع، وابن عامر بالنون مضمومة وإسكان الشين، وحمزة والكسائي بالنون مفتوحة وإسكان الشين، والباقون بالنون مضمومة وضم الشين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧).

﴿ثِقَالًا﴾؛ أي: بالماءِ، جمعُ (ثِقَلٍ) نحو: جَمَلٍ.

﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ﴾؛ أي: إلى بلدٍ. وقيل: لإحياءِ بلدٍ. وذكَّرَ للجنسِ.

﴿مَّيِّتٍ﴾: لا نباتَ به ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ﴾: بالبلدِ، وقيل: بالسَّحابِ ﴿ٱلۡمَآءَ﴾: المطرَ ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾ على الوجهَين[1] ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أنواعِ حملِ الأشجارِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أحيَيْنا هذا البلدَ بإخراجِ الثَّمراتِ ـ وحياةُ الأرضِ: خروجُ نباتِها ـ ﴿نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ من الأجداثِ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ في «تفسيرِه» عن أبي هُريرةَ وابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إذا ماتَ الناسُ كلُّهم في النَّفخةِ الأولى أُمطِرَ عليهم أربعين عامًا كمنيِّ الرِّجالِ من ماءٍ تحتَ العرشِ يُدعى: ماءَ الحيوانِ، فيَنبُتون في قُبورِهم بذلك المطرِ كما ينبُتون في بطونِ أمَّهاتِهم، وكما ينبُتُ الزَّرعُ منَ الماء، حتَّى إذا استكمَلَتْ أجسادُهم نُفِخَ فيهم الرُّوحُ، ثمَّ تُلقَى عليهم نَومةٌ فينامون في قُبورِهم، فإذا نُفِخَ في الصُّورِ الثَّانيةُ عاشوا وهم يجِدون طعمَ النَّومِ في رُؤوسِهم وأعيُنِهم، كما يجِدُ النَّائمُ إذا استيقظَ في نومِه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، فيُنادي المُنادي: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢][2].

﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

***

(٥٨) ـ ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾.

﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يُريدُ: الأرضَ العَذْبَ التُّرابِ، لا حجارةَ فيه ولا مِلحَ.

---

(١) أي: بالبلد أو بالسحاب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٣٨٥)، وقد ذكره الثعلبي بلا إسناد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٨)، واستغربه.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: بعلمِه ومشيئتِه. وقيل: بإطلاقِه له وحفظِه منَ الآفاتِ.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ يُريدُ السَّبخةَ ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلًا عسيرًا، وأصلُ النَّكَدِ: العُسْرُ والشُّؤْمُ.

وقيل: هذا مَثَلٌ ضربَه الله للمُؤمنين(١)، يسمعُ القرآنَ فينتفعُ به، ومثلٌ للكافرِ(٢) يسمعُه فلا ينتفعُ به.

وقيل: الأرضُ الطَّيِّبةُ والخبيثةُ كلتاهما منَ الأرضِ، وهو مَثَلٌ لآدمَ عليه السَّلامُ وذُرِّيَّتِه، كلُّه منه؛ فمنهم طيِّبٌ مُؤمنٌ، ومنهم خبيثٌ كافرٌ.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبيِّنُها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: نعمَتي ويُطيعونَني.

* * *

(٥٩) - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ بعثَه الله وكانَ ابنَ خمسينَ سنةً ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه وأطيعُوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: لا إلهَ سواه، فلا تعبُدوا معَه غيرَه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إنْ لم تُؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يومِ القيامةِ.

* * *

(٦٠) - ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ الأشرافُ منهم ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾: نجِدُكَ ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: خطأٍ وذهابٍ عن الرَّشاد ﴿مُّبِينٍ﴾: بيِّنٍ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولو قال: للمؤمن، لكان أظهر، والله أعلم. انظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ٣٧٩).

(٢) في (ن): «الكافر».

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النُّصحُ: خلافُ الغِشِّ، تقولُ: نصَحْتُه ونصَحْتُ له.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لأنَّه أوحى إليَّ دونكم. وقيل: أعلَمُ ثوابَه وعقابَه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾: استفهامُ إنكارٍ، والمعنى: بَعُدَ في عُقولِكم وُجودُه.

﴿أَن جَآءَكُمْ﴾: من أنْ جاءَكُم ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: وَحيٌ ورسالةٌ ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾؛ أي: أُنزِلَ عليه. وقيلَ: معَ رجلٍ ﴿مِّنكُمْ﴾: من جملتِكُم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: ليُخوِّفكُم المكروهَ ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ عبادةَ الأصنامِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ إنْ أطعتُموه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ نسَبُوه إلى الكذبِ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾؛ أي: نوحًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: بَنيه ـ سامٌ وحامٌ ويافثُ ـ وستَّةُ رجالٍ.

وقيل: كانوا ثمانين؛ أربعين رجلًا وأربعين[1] امرأةً.

---

(١) في (ن): «أربعون رجلاً وأربعون».

﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: في السَّفينةِ ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾: عمَى القلبِ، تقولُ: جاء[1] رجلٌ أعمى، للذي لا يرى بعينِه، ورجلٌ عَمٍ: لا يهتدي بقلبِه[2].

وقيل: ﴿عَمِينَ﴾: جاهلين. وقيل: ضالِّين عن الحقِّ.

***

(٦٥) - ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ يُريدُ: وأرسلنا إلى عادٍ، فهو عطفٌ على (نوحٍ).

وعادٌ: هي عادٌ الأولى، عادُ بنُ عُوْصِ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ.

﴿أَخَاهُمْ﴾؛ أي: في النَّسبِ ﴿هُودًا﴾: هو هودُ بنُ عبدِ الله، وقيل: هودُ بنُ شالخٍ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: أفلا تتَّقون عذابَ الله.

***

(٦٦) - ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾؛ أي: في ضلالٍ بتركِكَ دينَنا.

والسَّفاهةُ: خِفَّةُ العقلِ والحلمِ، والسَّفاهةُ بلغة حميرَ: الجنونُ[3].

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعائك.

---

(١) «جاء»: ليست في (و).

(٢) انظر: «العيني» مادة (ع م ي) (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر: «لغات القبائل» لأبي عبيد (ص: ٥)، و«اللغات» لابن حسنون (ص: ٢٧).

(٦٧ ـ ٦٩) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ سبق[1].

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾؛ أي: في مساكنِهم ومنازِلِهم وأموالِهم، وكان مساكنُهم بالأحقافِ من رملِ عالجٍ[2] من حضرموتَ إلى بحرِ عُمان.

﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾: طُولًا وقوَّةً وامتدادًا وسَعةً.

قيل: كانَ طولُ الواحدِ منهم اثني عشرَ ذراعًا. وقيل: سبعينَ ذراعًا. وقيل: ثمانينَ.

الكلبيُّ: أطولُهم مئةُ ذراعٍ، وأقصرُهم ستُّونَ ذراعًا[3].

وقيل: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾: في النَّاسِ ﴿بَصۜۡطَةٗ﴾: قوَّةً عليهم وغَلَبةً.

---

(١) «سبق»: ليست في (و).

(٢) رمل عالج: رمل عظيم في بلاد العرب يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل ـ بالسعودية ـ إلى شمال تيماء، وقد سمّي قسمه الغربي: رمل بحتر، نسبة إلى قبيلة من طيئ ويسمى اليوم: النفود. انظر: «المعالم الأثيرة» لمحمد حسن شراب (ص: ١٨٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٢).

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾: نعمَه، واحدُها: إلى، مثل (مِعًى)، وهو الصَّحيحُ، وقيل: (أَلًا) بالفتحِ كـ(قَفًا)، وقيل: (إِلْيٌ) كـ(حِسْيٌ).

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي تبقَوا في الجنَّةِ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مِنَ الأصنامِ، استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لا نفعلُ ذلك.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ يعني: العذابَ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ودلَّ قولُه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عليه.

* * *

(٧١) ـ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: نزلَ ووجبَ؛ أي: دنا ذلك.

﴿رِجْسٌ﴾: عذابٌ، وكلُّ مُستقذَرٍ: رِجْسٌ، والرِّجْسُ: الصَّوتُ الشَّديدُ أيضًا.

ابنُ بحرٍ: الرِّجْسُ: ضدُّ التَّزكيةِ(١).

أبو عمرٍو: الرِّجسُ: الرِّجْزُ، قُلِبَ زايُه سينًا(٢).

---

(١) ذكره الرازي بلا نسبة في «التفسير الكبير» (١٤/ ٣٠٣).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٩). وفي (ن): «زاؤه» بدل: «زايه».

﴿وَغَضَبٌ﴾: إرادةُ انتقامٍ.

﴿أَتُجَـٰدِلُونَنِى﴾: أتُخاصِمُونَني ﴿فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾؛ أي: في أسماءٍ[1] أصنامٍ ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أسماءً لا تستحقُّها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ﴾؛ أي: سمَّيتُموها آلهةً من غيرِ حجَّةٍ ولا بيانٍ.

الثَّعلبيُّ: سمَّوا صنمًا صُداء، وصنمًا صَمُودًا، وصنمًا الهبارَ[2].

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: نزولَ العذابِ ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

***

(٧٢) ـ ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ يعني: مَن آمنَ به ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: بنعمةٍ منَّا عليهم.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ أي: أهلَكْناهُم هلاكَ استِئصالٍ. والدَّابرُ: الأصلُ، وقيل: الدَّابرُ: آخِرُ مَن بقيَ منهم.

﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: زيادةُ ذمٍّ لهم.

ابنُ بحرٍ: أي: لو بقُوا ما كانُوا ليُؤمِنُوا.

ثمَّ سلَّطَ الله عليهم الرِّيحَ سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسومًا فأُهلِكُوا.

***

---

(١) «أسماء»: ليست في (ن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٣٩٦).

(٧٣) - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾: أرسلنا إلى ثمودَ، اسمُ قبيلةٍ عظيمةٍ، مُشتقٌّ من (الثَّمَدِ)، وهو الماءُ القليلُ، وجدُّهم ثمودُ بنُ عابَرَ[1] بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ.

﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: هو صالحُ بنُ عبيدٍ[2] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هذا جوابُ لقولِهم: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ إضافةُ تخصيصٍ كـ(بيتِ الله)، ولأنَّها لم تكُنْ منِ اجتماعِ ذكرٍ وأُنثى، بل أخرجَها اللهُ من صخرةٍ مُنفردةٍ في ناحيةِ الحِجْرِ، وكان ديارُهم الحِجْرَ بين الحجازِ والشّامِ، يُقالُ لتلك الصَّخرةِ: الكاثبةُ، فتمخَّضَتِ الصَّخرةُ تمخُّضَ النَّتوجِ بولدِها، ثمَّ تحرَّكت الهضبةُ، فانصدعَتْ عن ناقةٍ عُشَراءَ، ثمَّ نَتَجَتْ سَقْبًا[3] مِثْلَها في العِظَمِ.

﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ تدلُّ على صدقِ نُبوَّتي ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: عُشبَها وخَلاها؛ أي: سهَّلَ الله لكم أمرَها، فليس عليكم منها مُؤنةٌ.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: لا تقربُوها بنَحرٍ وعقرٍ، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

***

(١) في (ن): «عاد»، وفي (و): «عاش». وما أثبتناه هو الذي عليه أكثر المصادر.

(٢) هكذا ورد الاسم في «تاريخ الطبري» (١/ ١٣٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤١٢): صالح بن عبيد بن آسف، وفي كثير من المصادر: صالح بن آسف، دون ذكر عبيد.

(٣) السَّقْبُ: ولد الناقة الذكر. انظر: «معجم ديوان الأدب» (١/ ٩٤).

(٧٤) ـ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أنزلَ لكم وأسكنكُم، منَ (البَواءِ)، وهو المنزلُ، واشتقاقُه من (باءَ): إذا رجَعَ.

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾؛ أي: وسَّعَ عليكم، فصِرتُم أربابَ قُصورٍ وحُصونٍ.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾؛ أي: تُنقِّبون في الجبالِ للبيوتِ؛ لأنَّ الأبنيةَ لم تكُنْ تفي بعُمرِهم ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

* * *

(٧٥) ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: الكفَّارُ منهم ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾، أي: المؤمنين، ثـمَّ أبدلَ فقال: ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إليكم؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عقرها قُدارُ بنُ سالفٍ ومِصْدَعُ بنُ دهرٍ، وتأتي القصَّةُ في موضعِها.

﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: جاوزوا الحدَّ في الكفرِ[1]، وتعظَّموا عن أن يُؤمِنُوا ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ تكذيبًا واستهزاءً.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ صادقًا في ادِّعائك النُّبوَّةَ ووعيدِك إيَّانا بالعذابِ.

***

(٧٨) - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزلةُ، وفي الآيةِ الأخرى: ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]، وفي آيةٍ ثالثةٍ: ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، ووجهُ ذلك أنَّ الطَّاغيةَ صِفةٌ لكلِّ عذابٍ جاوزَ الحدَّ في الفسادِ[2]، والرَّجفةُ: الصَّيحةُ التي زَعْزعَتْهم وحرَّكتْهُم للهلاكِ.

وقيل: ماتُوا بالرَّجفةِ والصَّيحةِ جميعًا.

وقيل: الصَّيحةُ: الأمرُ والدُّعاءُ والنِّداءُ؛ أي: اللهُ أمرَها وناداها بأنْ تَهلِكَ بالرَّجفةِ الشَّديدةِ المُفرِطةِ.

وقيل: الطَّاغيةُ: سيولٌ وقعَتْ بعَقِبِ الرَّجفةِ.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ﴾: بلدِهم، وقيل: منازِلِهم، فوحَّدَ للجنسِ.

﴿جَٰثِمِينَ﴾: ميِّتين خامِدين.

وقيل[3]: كرمادِ الجاثمِ، والجواثمُ: الأثافيُّ، وكلُّ ما لاطَ بالأرضِ ساكنًا فهو جاثمٌ.

---

(١) في (ن): «كفرهم».

(٢) قوله: «الفساد» كذا في النسخ. ولعله وهم، والصواب: الشدة أو القوة. انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٩٨)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٦٢١)، و«تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٣٩)، وغيرها. أما الفساد فلا مكان لذكره هنا، وإنما يمكن أن يذكر في تعريف الطغيان بأنه ما جاوز الحد في الفساد.

(٣) «وقيل»: ليست في (ن).

(٧٩) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لمّا عقروا النّاقةَ فارَقَهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم عندَ فِراقِه إيَّاهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

وقيلَ: أعرَضَ بعد نُزولِ العذابِ بهم، وقال هذا القولَ، كما خاطَبَ النَّبيُّ ﷺ قتلى بدرٍ.

***

(٨٠) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾؛ أي: وأرسَلْنا لوطًا. الأخفشُ: واذكُرْ لوطًا[1].

هو لوطُ بنُ هارانَ، ابنُ أخي إبراهيمَ عليهما السَّلامُ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وهم أهلُ سَدوم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: استفهامُ تقريعٍ وتوبيخٍ وإنكارٍ على ارتكابِ القبيحِ.

والفاحشةُ هاهنا: اللِّواطُ.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: لم يُعرفْ[2] هذا الفعلُ قبلَ اليومِ، ولا يُرى ذَكرٌ على ذَكرٍ في الدُّنيا حتَّى كانَ قومُ لوطٍ.

وقيل: عالَمِي زمانِهم. وهذا هاهنا بعيدٌ.

والمُرادُ بالعالَمِين: النَّاسُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣١)، وقد قدم فيه القول السابق ثم قال: وقال بعضهم: «واذكر لوطا».

(٢) في (و): «يعلم».

(٨١) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾؛ أي: لشهوةِ الجماعِ التي حقُّها أنْ تُنالَ من النِّساءِ.

﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ أي: لا منَ النِّساءِ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (بل): ردٌّ لجوابٍ عيسى يزعموا[1] أن يكونَ لهم فيه عذرٌ؛ أي: لا عُذرَ لكم ولا حجَّةَ.

ابنُ عيسى: ﴿بَلْ﴾ إضرابٌ عن الأوَّلِ إلى جميعِ المعايبِ؛ من عبادةِ الأوثانِ وإتيانِ الذُّكرانِ.

والإسرافُ والجهلُ توأمانِ، ولهذا قال في النَّملِ: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥][2].

***

(٨٢) ـ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ يُريدُ: لوطًا وابنتَيه ـ زعورا[3] وريثا، وقيل: ريثاءَ وعيثاءَ ـ ومَن آمن معَه؛ أي: لم يكن لهم جوابٌ، فعدَلوا إلى السَّفاهةِ والاستهزاءِ.

﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزَّهون عن أعمالِكم.

---

(١) كذا في النسخ، وقد نقل أبو حيان في «البحر» (٥/ ١٠١) هذا الكلام عن المؤلف بلفظ: «(بل) ردّ لجواب زعموا أن يكون لهم فيه عذر».

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/ ٦٣٢)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٢٤).

(٣) اختلفت المصادر في الاسم، فمما ذكروه: (زغرتا) و(رعزيا) و(زعرثا).

وقيل: يتقزَّزون(١) عن إتيانِ أدبارِ الرِّجالِ وأدبارِ النِّساءِ.

وقيل: يتحرَّجون.

ابنُ بحرٍ: يرتقبون أطهارَ النِّساء ليُجامِعُوهنَّ فيها.

ابنُ عبَّاسٍ: عابُوهم بما يُتمدَّحُ به(٢).

* * *

(٨٣) ـ ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾؛ أي: مَن آمنَ به ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ واسمُها واهلةُ، فإنَّها كانت تُسِرُّ الكفرَ.

﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ من الباقين، وغُلِّبَ المُذكَّرُ.

وقيل: منَ الباقين في عذابِ الله.

وقيل: منَ الغائبين عن النَّجاةِ، تقولُ: غَبَرَ عنا؛ أي: غابَ.

وقيل: من المُعمَّرين.

* * *

(٨٤) ـ ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ مُفسَّرٌ بقوله سُبحانَه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢ ـ ٨٣].

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾؛ أي: الكافرين.

---

(١) في (ن): «يتعززون».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ١٠٢). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧) عن قتادة.

(٨٥) ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: وأرسَلْنا إلى مدينَ.

الفرَّاءُ: إلى أهلِ مدينَ، ومدينُ: اسمُ بقعةٍ[١]، وأنشدنا:

رُهبانُ مَدْيَنَ لو رأوكِ تَنَزَّلُوا ... والعُصْمُ من شَعَفِ العَقُولِ الفادِرِ[٢]

غيرُه: مدينُ بنُ إبراهيمَ الخليلِ عليه السَّلامُ.

وقيل: اسمُ رجلٍ يُقالُ له: مَدينان، وكان سِبطَ نوحٍ عليه السَّلامُ، وجُعِلَ اسمًا لقبيلةٍ، وهم أصحابُ الأيكةِ.

قتادةُ: أُرسِلَ مرَّتين؛ مرّةً إلى مَدْينَ، ومرّةً إلى أصحابِ الأيكةِ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٤)، وفيه: (﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ يريد: قصدَ ماء مدين. ومدين لم تصرف لأنها اسم لتلك البلدة، ثم أنشد البيت.

(٢) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» بشرح ابن حبيب (١/ ٣٠٨)، و«الغريبين» (٣/ ٧٩٦)، و«البسيط» (٧/ ٤٩٥)، ونسب لكثير كما في «معجم البلدان» (٥/ ٧٨)، ورجح الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري (١٠/ ٥٠٢) أنه لجرير، وقال في شرحه: و«العقول» عندي بفتح العين، من قولهم: «عقل الوعل يعقل عقولاً»: امتنع برأس الجبل... والشعف: جمع شعفة (بفتحتين): وهي رأس الجبل. و«الفادر»: الوعل العاقل الممتنع في رأس الجبل، وهو حينئذ مسنٌّ معتقِل في رأس جبله. و«العصم»: جمع أعصم، وهو الوعل، سمي بالصفة الغالبة، لأن في إحدى يديه بياضًا... بمعنى أن العصم غيرَ المسنة تنزلت أيضاً من المعقل الذي يعقل إليه مسن الوعول امتناعًا من الصيد لقلة احتفاله بمفارقة معقله كاحتفال شوابِّ الوعول.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٠).

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: هو شُعَيبُ بنُ توبةَ، وقيل: شُعَيبُ بنُ ميكيل، وكان يُقال له: خطيبُ الأنبياءِ؛ لحُسنِ مُراجعتِه قومَه[١].

وقيل: كان نبيًّا لم تكُنْ له مُعجزةٌ.

وأنكرَ الزَّجَّاجُ هذا القولَ، قال: والدَّليلُ[٢] على أنَّ له مُعجزةً قولُه: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] قال: ولا تُقبَل نبوَّةٌ بغيرِ مُعجزةٍ[٣].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: ما أُوتيَ منَ المُعجزةِ ﴿فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ الإيفاءُ: إتمامُ الشَّيءِ إلى حدِّ الواجبِ فيه.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا تَنقُصُوا حقوقَهم بتطفيفِ الكيلِ ونُقصانِ الوزنِ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفرِ ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: بعد بَعثِ الأنبياءِ والأمرِ بالعدلِ والإحسانِ.

والأليَقُ بالآيةِ: ولا تُفسِدوا بالظُّلمِ والعدوانِ في الكيلِ والميزانِ.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الإيمانُ السَّابقُ على إيفاءِ الكيلِ والوزنِ، وكانوا أهلَ كُفرٍ وبَخْسٍ للمكيالِ والميزانِ.

---

(١) رُوي في حديث ليس له إسناد متصل. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٢٣) و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٥٢٢)، و«المستدرك» (٤٠٧١).

(٢) في (ن): «وقال الدليل».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٣).

(٨٦) ـ ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ ﴾: ولا تجلِسُوا ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾: طريقٍ ﴿تُوعِدُونَ﴾: تَتَهدَّدون بالمكارِهِ ﴿وَتَصُدُّونَ﴾: تمنَعون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن الإيمانِ به.

الزَّجَّاجُ: سبيلُه الذي آمَنَ به ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾[1]؛ أي: يريدُ الإيمانَ.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: تلتَمِسون للسَّبيلِ زَيغًا.

وقيل[2]: تُريدونَ الاعوِجاجَ والعدولَ عن القصدِ.

وقيل: هو إخبارُهم أنَّ ما أتى به شُعيبٌ باطلٌ غيرُ مُستقيمٍ، وذلك أنَّهم كانوا يجلسون على الطَّريقِ، ويقولون لمَن قصدَ شُعيبًا ليُؤمِنَ به: إنَّ شُعيبًا كذَّابٌ لا يفتننَّكَ عن دينِكَ.

السُّدِّيُّ: كانوا عشَّارين[3].

ابنُ زيدٍ: يقطَعون الطَّريقَ[4].

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾: فأكثَرَ عددَكُم، وقيل: كنتُم فقراءَ فأغناكُم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٤)، وفيه: «أي: عن الطريق التي آمن اللهُ مَن آمَنَ بها».

(٢) «وقيل»: ليست في (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤). والعشارون: جمع عشار، وهو صاحب المكس: الذي كان يأخذ من المسلمين عشر أموالهم لا على وجه الزكاة، بل على وجه التعدي. انظر: «شرح المشكل» لابن الجوزي (٢/ ٢٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٣٨).

وقيل: كنتُم عجزةً فجعلكم ذوي مقدرةٍ.

﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾؛ أي: آخرَ أمرِ قومِ لوطٍ.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ أي: اصبِروا على أذى هؤلاءِ الكفَّارِ.

وقيل: خطابٌ للكفَّارِ تهديدًا لهم؛ أي: اصبِروا حتى تَروا ماذا يستقبِلُكم.

* * *

(٨٨) ـ ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾؛ أي: الذين تعظَّموا عن الإيمانِ.

﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ عادَ: موضوعُه لفعلٍ عُمِلَ[1] مرَّةً، وقد يُستعملُ للابتداءِ بمعنى: صارَ، قال الشَّاعرُ:

تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيْبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا[2]

---

(١) «عمل»: ليست في (و).

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في «ديوانه» (ص: ٤٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٤٤).

ولأبي الصلت بن ربيعة الثقفي، والد أمية في «الشعر والشعراء» (١/ ٤٥٣)، و«العقد الفريد» (١/ ٢٩٠).

=

ولـم يكُنِ اللَّبنُ بو لًا.

وقيل: خطابٌ للَّذين معَه دونَه.

وقيل: خاطَبوه على زَعمِهم.

والملَّةُ: الشَّريعةُ.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾؛ أي: كيف نعودُ في مِلَّتِكُم ونحنُ له كارِهون؟!

والكارِهُ للشَّيءِ لا يصيرُ إليه اختيارًا.

وقيل: معناه: أتُجبِرونَنا على العَودِ وإنْ كرِهْنا؟ قالوا: نعم. ثمَّ قال شُعَيبٌ:

(٨٩) ـ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: قـد اختلَقْنا على الله الكذبَ ﴿إِنْ عُدْنَا﴾: دخَلْنا ﴿فِى مِلَّتِكُم﴾: دينِكم ﴿بَعْدَ إِذْ﴾: ﴿إِذْ﴾ بمعنى الوقتِ وأضافَ ﴿بَعْدَ﴾ إليه.

﴿نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾: خلَّصَنا.

= وللنابغة الجعدي في «ديوانه» (ص: ١١٢)، و«أشعار النساء» (ص: ٣٢)، و«التمثيل والمحاضرة» (ص: ٦٢).

وللجعدي أو لأبي الصلت في «المعاني الكبير» (٢/ ١٠٢٦).

وقد شكك الأصمعي في نسبة هذا البيت للنابغة في «فحولة الشعراء» (ص: ١١) فقال: لو كانت هذه القصيدة للنابغة الأكبر بلغَتْ كلَّ مَبْلغ.

وفي «الدر الفريد» (٥/ ٤١٩): فبنو عامر بن صعصعة يرون هذا البيت للنابغة الجعدي، وباقي الرواة مجمعون على أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله، وأحسب أن النابغة الجعدي جاء به متمثلًا.

والقَعْبُ: القدَحُ الغَليظُ، ويجمع على قِعابٍ.

﴿وَمَا يَكُونُ﴾: وما ينبَغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾: نصيرَ إلى ملَّتِكم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾؛ أي: يشاءَ الكفرَ لنا فحينئذٍ نصيرُ، والكفرُ بمشيئةِ الله.

وقيل: كانَ في ملَّتِهم أشياءُ يجوزُ تعاطيها.

وقيل: هذا على وجهِ البُعدِ وأنَّه لا يكونُ؛ كقولِه سُبحانه: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ [الأعراف: ٤٠] وكقولِهم: حتَّى يبيضَّ القارُ[١]، ويشيبَ الغُرابُ[٢].

ويحتمِلُ: إلّا أن يشاءَ الله أن تُؤمِنُوا.

وقيل: ﴿نَّعُودَ فِيهَآ﴾ كنايةٌ عن القريةِ[٣].

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾؛ أي: أحاطَ علمُه بما يكونُ منَّا ومنكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ هو جوابٌ لقولِـهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ [الأعراف: ٨٨]؛ أي: فوَّضْنا أمورَنا إليه.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾: بيِّنْ مصيرَنا ومصيرَهم، وهذا حينَ أذِنَ الله له في الدُّعاء عليهم.

وقيل: ﴿ٱفْتَحْ﴾: احكُمْ واقضِ، والفتَّاحُ: القاضي بلغةِ عُمان[٤]؛ لأنَّه يتولَّى فصل[٥] الأمورِ وفتحَ المُشكلاتِ.

---

(١) القار: الزفت.

(٢) قال السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٣٣): و«هذا طريق المعتزلة».

وقال الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٣٤): «وهذا لا يصح مع قوله: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وآيات كثيرة تصرح بأن الله تعالى يشاء كل ما يحدث في العالم». وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٤)، واستغربه.

(٣) أي: نرجع إلى القرية. وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٤)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٥).

(٥) في (و): «فتح».

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما أنه قال: ما كنتُ أعرفُ معنى ﴿افْتَحْ﴾ حتَّى سمعتُ ابنةَ ذي يَزَنٍ تقولُ لزوجِها: لعلِّي أُفاتحُكَ[1]؛ أي: أُخاصِمُك إلى القاضي.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: الحاكمين.

***

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ وتركتُم دينكُم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾: مغبونون. وقيل: جاهلون. وقيل: عجزةٌ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزلةُ، وفي آيةٍ أُخرى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]، قيل: هي صيحةُ جبريلَ. وقيل: الصَّيحةُ اسمُ العذابِ. وقيل: هو الأمرُ والنِّداءُ. وقيل: لا تخلو زلزلةٌ من صياحٍ ورياحٍ.

وذكرَ المُفسِّرون: أنَّ الله سُبحانه سلَّطَ عليهم حرًّا شديدًا أخذ بأنفاسِهم، فدخلوا البيوتَ، فدخلَ عليهم البيوتَ، فلم ينفَعْهم ظلٌّ ولا بناءٌ، وأنضَجَهم الحرُّ، فبعثَ الله سُبحانه سحابًا فيها ريحٌ طيِّبةٌ، فوجَدُوا بردَ الرِّيح وطِيبَها وظِلَّ السَّحابةِ؛ فنادَوا: عليكم بها، فخرَجُوا إلى البرِّيّةِ، فلمَّا اجتمَعُوا تحتَ السَّحابةِ؛ رجالُهم ونساؤُهم وصِبيانُهم، ألهبَها الله عليهم نارًا، ورجفَتْ بهم الأرضُ، فاحترقوا كما يحترقُ الجرادُ المَقْلُوُّ، وصارُوا رَمادًا، وهو عذابُ يومِ الظُّلَّةِ[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٠٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٤٧).

وقيل: أهلَكَ مَديَنَ بالزَّلزلةِ، وأصحابَ الأيكةِ بالحرِّ، وكان شُعيبٌ عليه السَّلامُ مبعوثًا إليهما.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾: مدينتِهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾: ميِّتين.

***

(٩٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾: يُقيموا فيها وينعَموا، وأصلُه من (المَغْنَى) و(المغاني)، وهي المنازلُ، تقولُ: غَنِيَ يَغْنَى غِنًى وغُنيًا وغُنيانًا، قال:

وغَنِيتُ دَهرًا قبلَ[1] مُجْرى داحسٍ ... لو كانَ للنَّفسِ اللَّجُوجِ خُلودُ[2]

وقال آخرُ:

وَلَقَدْ يَغْنَى بِها جِيرَانُكِ الـ ... ـمُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ[3]

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الهالكين، لا كما زعَموا وقالوا: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

***

---

(١) في (ن): «بعد» وكذا وقعت في بعض المصادر، وفي أكثرها: «قبل» كالمثبت.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة في «ديوانه» (ص: ٣٥)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٨٥)، و«العين» (٧/ ١٣٩)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥١٧). ورواية الديوان وأكثر المصادر: «وغنيت سبتًا»، والسبت: برهة من الدهر كما قال صاحب «العين». وجاء في هامش (ن): «داحس اسم فرس».

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» (ص: ٥٨)، و«الخصائص» (٢/ ٢٥٧)، و«مختارات شعراء العرب» لابن الشجري (٢/ ٣٧). ورواية الديوان:

ولقد يغنى به أصحابك الـ ... ـممسكو منك بأسباب الوصال

(٩٣) ـ ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ بعد أن نزلَ بهم العذابُ ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾ في نزولِ العذابِ ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ عزَّى نفسَه عنهم.

وقيل: وتولَّى عنهم وقال حينَ رأى أوائلَ العذابِ.

* * *

(٩٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ ﴾ يُريدُ: كذَّبوه فأخذْنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾؛ أي: عاقَبْناهم.

والبأساءُ: الشِّدَّةُ في أنفُسِهم، والضَّرَّاءُ: ما نالهم في أموالِـهم.

الحسنُ: الجوعُ والفقرُ[1].

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾: لكي يتضرَّعوا. وقيل: عاملناهم مُعاملةَ الشَّاكِّ.

* * *

(٩٥) ـ ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا ﴾: حوَّلْنا ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾: الشِّدَّةِ والفقرِ ﴿ٱلْحَسَنَةَ ﴾: الراحةَ والغِنَى ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟ ﴾ أي: كثُروا. قتادةُ: سُرُّوا[2].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٩) بلفظ: «هذه الأمراض والجوع ونحو ذلك».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٢٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١)، وقال: «وهذا الذي =

الحسنُ: حتَّى سَمِنوا وسَمِنَتْ دوابُّهم[١].

﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾؛ أي: هذه عادةُ الدَّهرِ؛ أي[٢]: بعد كلِّ خِصْبٍ جَدْبٌ، وبعد كلِّ جَدْبٍ خِصْبٌ، فكونوا على ما أنتم عليه.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾: فجأةً، وهي الأخذُ على غِرَّةٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزولِ العذابِ.

***

(٩٦) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ الشِّركَ والمعاصيَ ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾: لأنزلْنا عليهم ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: المطرَ، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: النَّباتَ؛ أي: لوسَّعْنا عليهم النِّعمةَ، ورفَعْنا عنهم الجَدْبَ والقَحْطَ.

وقيل: بركاتُ السَّماءِ: قَبولُ الدُّعاءِ، وبركاتُ الأرضِ: تسهيلُ الحاجاتِ[٣].

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾؛ أي: الأنبياءَ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: عاقَبْناهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: بكُفرِهم وسوءِ صنيعِهم.

***

= قاله قتادة في معنى ﴿عَفَواْ﴾ تأويل لا وجه له في كلام العرب؛ لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلا أن يكون أراد: حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم، فيكون ذلك وجهًا وإن بعد».

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٧) بلفظ: «حتى سمنوا».

(٢) «أي»: ليست في (و).

(٣) في (و): «الدعاء»، والمثبت من (ن)، وهو موافق لما في «النكت والعيون» (٢/ ٢٤٣).

(٩٧) ـ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ يريدُ: الكافرينَ منهم ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عذابُنا ﴿بَيَاتًا﴾: ليلًا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

***

(٩٨) ـ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾: نهارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: ساهُونَ لاهُونَ.

***

(٩٩) ـ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: استدراجه. وقيل: عذابه. وقيل: جزاءَ مكرِهم.

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ أي: الذين لا يُؤمنون به.

***

(١٠٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يُبيِّنْ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾: يسكُنونَ فيها، وينالُونَ من ثمارِها ﴿مِن بَعْدِ أَهْلِهَا﴾؛ أي: الأممِ الخاليةِ الذين أُهلِكُوا بقبيحِ فعلِهم، فعمِلَ هؤلاءِ أعمالَهم وعَتَوا على ربِّهم.

﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: أهلَكْناهم كما أهلَكْنا مَن قبلَهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: نختمُ عليها ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: الهدَى.

وقيل: لا يُجيبونَ، من قولِنا: سمعَ الله لمَن حمِدَه، قال:

دَعَـوْتُ اللهَ حَتـى خِفْـتُ أَنْ لا ... يَكُـونَ اللهُ يَسْـمَعُ مَـا أَقُـولُ[1]

---

(١) البيت لشُمَير ـ أو سُمَير، أو شُتَير ـ بن الحارث الضبي. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٤٢)، و«الفائق في غريب الحديث» (٢/ ١٩٧)، و«التكملة والذيل» (٤/ ٢٨٢).

(١٠١) ـ ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: قُرى قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وقومِ شُعَيبٍ.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾: نُخبِرُك أخبارَها، ونُبيِّنُ لك آثارَها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزات والدّلالاتِ والأمرِ والنَّهيِ ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ قولَه: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعودُ إلى الرُّسلِ، تقديرُه: أنَّ مجيءَ الرُّسلِ لم يسلُبْ عنهم اسمَ الكفرِ والتَّكذيبِ، بل بقُوا كافرينَ مُكذِّبين كما كانوا قبلَ الرُّسلِ.

والثَّاني: أنَّ الفعلَ في قولِه: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ لقومٍ، والفعلَ في قولِه: ﴿كَذَّبُوا۟﴾ لقومٍ آخرين؛ أي: تواطَؤُوا على تكذيبِ الرُّسلِ.

والثَّالثُ: لو أهلكْناهم ثمَّ أحيَيْناهُم لم يُؤمِنُوا بما كذَّبوا من قبلِ الإهلاكِ؛ كقولِه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

والرَّابعُ: أنَّ الله علِمَ منهم قبلَ خلقِه إيّاهم أنَّهم يكفُرون ويُكذِّبون بتوحيدِ الله، فلم يُخالِفُوا معلومَ الله فيهم.

والخامسُ: أنَّ المُرادَ بقولِه[1]: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يومُ الميثاقِ؛ أي: أضمروا التَّكذيبَ يومَ أقرُّوا بالإيمانِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما وصَفْنا ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

***

(١) في (ن): «من قوله».

(١٠٢) ـ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾؛ أي: وفاءِ عهدٍ، وهو ما عُهِدَ إليهم في الكتُبِ.

وقيل: عهدُ يومِ الميثاقِ.

وقيل: هو ما رُكِّبَ من العقولِ.

وقيل: ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾: من طاعةٍ.

﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ يُريدُ: وجَدْنا، فأكَّدَه بـ(إنَّ)، ثمَّ خُفِّفَ وأُلزِمَ بعدَه اللّامُ[1]، والكوفيُّون يجعَلون (إنْ) للنَّفيِ، واللامَ بمعنى: إلّا، وهذا لا يُعرَف له أصلٌ[2].

***

(١٠٣) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾: بعد قومِ شُعَيبٍ وقومِ لوطٍ وغيرِهم ممَّن تقدَّمَ ذِكرُهم ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يُريدُ: ما كان معه من المُعجزاتِ الواضِحاتِ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ واسمُه: الوليدُ بنُ مصعبِ بنِ ريَّان، وقيل: اسمُه قابوسُ.

﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: أكابرِ قومِه.

﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾؛ أي: كفَروا بالآياتِ وجحَدُوها[3] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ حيث صارَ إلى الهلاكِ.

***

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢: ١٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٢)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ١١٤).

(٢) انظر: «اللامات» (ص: ١١٥)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٦)، و«مغني اللبيب» (ص: ٣٠٦).

(٣) في (ن): «وجحدوا بها».

(١٠٤ ـ ١٠٥) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليكَ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾: جديرٌ بأنْ لا أقولَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: الصِّدقَ. قالَه حين كذَّبَه،

و﴿حقيقٌ عليَّ﴾ بالتَّشديدِ[١]: واجبٌ عليَّ.

ابنُ حبيبٍ[٢]: أي: حقيقٌ عليك أن لا تقولَ[٣]. فصُرِفَ الخِطابُ[٤].

وقيل: حقيقٌ بالرِّسالةِ، وتمَّ الكلامُ.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يُريدُ: العصا ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أطلِقْهُم ولا تستَعْبِدْهُم، وكان قد استعبدَهُم.

الثَّعلبيُّ: قال وهبٌ: كان سببُ استِعبادِ فرعونَ بني إسرائيلَ: أنَّ فرعونَ موسى كانَ فرعونَ يوسفَ، فلمَّا تُوفِّي يوسفُ عليه السَّلامُ وانقرضَتِ الأسباطُ وكثُرَ نَسلُهم، غلبَهم فرعونُ فاستعبدَهم، فأنقذَهم اللهُ بموسى.

---

(١) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» (ص: ١١١).

(٢) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر النيسابوري، صاحب كتاب «عقلاء المجانين»، كان أديبًا نحويًّا، عارفًا بالمغازي والقصص والسير، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وسارت تصانيفه الحسان في الآفاق، توفي سنة (٤٠٦ هـ). قال الذهبي: وقد تكلم فيه الحاكم في رقعة نقلها عنه مسعود بن علي السجزي. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٢٣٧)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٤٥ ـ ٤٧).

(٣) في (ن): «أقول».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٦٠)، قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت عليّ بن مهدي الطبري يقول: إنّه تعريض، يقول: حقيق عليك، فصرف الخطاب.

قال[١]: وكان بينَ اليومِ الذي دخلَ يوسفُ مصرَ واليومِ الذي دخل موسى رسولًا أربعُ مئةِ عامٍ[٢].

***

(١٠٦) ـ ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ في دعواك[٣].

الزَّجَّاجُ: ناقَضَ فرعونُ في قولِه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] حينَ طالبَ موسى بالبيِّنةِ[٤].

***

(١٠٧) ـ ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ ﴾ ـ يعني: موسى ـ من يده ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ ﴾: حيَّةٌ عظيمةٌ كأعظَمِ ما يكونُ.

ابنُ عيسى: سُمِّي ثُعبانًا لأنَّه يجري كثَعَبِ الماءِ[٥].

﴿مُّبِينٌ ﴾: ظاهرٌ.

فقصَدَتْ فرعونَ فاغِرةً فاها لتأخُذَه، فوَثَبَ ونزلَ من سريرِه وهرَبَ منها

---

(١) «قال»: ليست في (و).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٦٠).

(٣) في (و): «دعوتك».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٢)، وفيه: «قد أوجب فرعون أنه ليس بإلهٍ كما ادعى؛ لأنه قد أوجب له الصدق إن أتى بآية يعجز عنها المخلوقون».

(٥) في «الصحاح» مادة: (ث ع ب) (١/ ٩٢): «ثعبت الماء ثعبًا: فجرته. والثعَب بالتحريك: مسيل الماء في الوادي، وجمعه: ثعبان. والثعبان أيضًا: ضرب من الحيات طوال، والجمع: ثعابين».

وأحدَثَ، وهرَبَ النّاسُ، فأخذَها موسى فعادَتْ عصًا كما كانت، فعادَ فرعونُ إلى مكانِه فقال: هل معَكَ آيةٌ أخرى[١]؟

❋ ❋ ❋

(١٠٨) ـ ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾.

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾: لها شعاعٌ يغلِبُ الشَّمسَ، ثمَّ ردَّها إلى جيبِه فعادَتْ يدُه كما كانت.

❋ ❋ ❋

(١٠٩) ـ ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ ﴾؛ أي: قال فرعونُ وصدَّقَه القومُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ بفُنونِه وحِيَلِه، يسحرُ النّاسَ بخِداعِه وأخذِه عيونَ النَّاسِ حتَّى يُخيِّلَ إليهم العصا حيَّةً، واليدَ بيضاءَ.

❋ ❋ ❋

(١١٠) ـ ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾.

﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾: مصرَ.

﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾: تُشيرون عليَّ أنْ أفعلَ به؟

❋ ❋ ❋

(١١١) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ ﴾: أخِّرْ أمرَه، وقيل: احبِسْه ﴿وَأَخَاهُ ﴾ هارونَ.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ٦٣ ـ ٦٤) مطولًا عن وهب، وهو خبر فيه مبالغات كثيرة، ولا شك أن وهباً قد أخذه من الإسرائيليات.

وقيل: معنى ﴿أَرْجِهْ﴾ بغيرِ همزٍ[1]: أطمِعْه[2]، ولا تقتُلْهما حتَّى يظهرَ كذبُهما، فإنْ قتَلْتَهما قبل أن يظهرَ كذبُهما ظنَّ الكافرون أنَّهما صادقانِ.

﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: الشُّرَطَ[3].

* * *

(١١٢) ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذقٍ.

قيلَ: وأرسِلْ في مدائنِ مملكتِكَ ﴿حَٰشِرِينَ﴾ الذين يجمَعُونَ السَّحرةَ. والحشرُ: الجمعُ، ومنه: يومُ الحشرِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ فرعونَ لمَّا رأى من سلطانِ الله في العصا ما رأى قال: إنَّا لا نُغالِبُ موسى إلَّا بمَن هو منه، فاتَّخذَ غلمانًا من بني إسرائيلَ، وبعثَ بهم إلى قريةٍ فيها السَّحرةُ يُعلِّمونَ السِّحرَ كما يُعلَّمُ الصِّبيانُ في المكتبِ،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ ـ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١١). واختصر الداني ما فيها من قراءات سبعية بقوله: قرأ ابن كثير وهشام هنا وفي الشُّعراء بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضَّم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائيّ بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكِّنان الهاء.

(٢) في (ن): «أطعمه». والمثبت من (و) وهو الموافق لما في «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٥٧) وفيه: مأخوذٌ من رَجَا يَرْجو؛ أي: أَطْمِعْه ودعه يرجو، حكاه النَّحاس عن محمد بن يزيدَ.
ونحوه قول أبي حيان في «البحر» (٥/ ٢٣٥): وقيل: ﴿أَرْجِهْ﴾ بغير همز: أَطْمِعْه، جعله من (رَجَوْت) أدخل عليه همزة الفعل؛ أي: أَطْمِعْه وأخاه ولا تقتُلْهما حتى يظهرَ كذبُهما فإنك إنْ قتلْتَهما ظُنَّ أنهما صَدَقا.

(٣) في (و): «الشرطة».

فتعلَّموا سحرًا كثيرًا، وواعَدَ فرعونُ موسى موعدًا[١]، وبعثَ إلى السَّحرةِ فجاء بهم وبمُعلِّمِهم، فقال له: ماذا صنَعْتَ؟ قال: قد علَّمتُهم سِحْرًا لا يُطيقُه سِحرُ أهلِ الأرضِ إلَّا أن يكونَ أمرًا من السَّماءِ، فإنَّه لا طاقةَ لهم به، ثمَّ بعثَ في مملكتِه فلم يترُكْ ساحرًا إلَّا أتى به.

الكلبيُّ: كانوا سبعين رجلًا[٢].

وقيل: اثنَينِ وسبعينَ.

السُّدِّيُّ: كانوا بضعًا وثلاثينَ ألفًا[٣].

عِكرمةُ: كانوا سبعينَ ألفًا[٤].

وقيل: ثمانينَ ألفًا.

واسمُ رئيسِهم: شمعونُ.

***

(١١٣) ـ ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾.

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ يُريدُ: فأرسَلَ إليهم فحَضَرُوا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾: مالًا وجُعْلًا ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾.

***

(١) في (و): «وعدًا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٥)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت السحرة سبعين رجلًا، أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٣٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٣٨).

(١١٤) ـ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾.

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾؛ أي: في المنزلةِ عندي. وقيل: أوَّلُ مَن يدخُلُ عليَّ وآخرُ مَن يخرجُ.

* * *

(١١٥) ـ ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ ﴾؛ أي: السَّحرةُ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ ﴾ عصاكَ ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ لِمَا[١] معَنا.

* * *

(١١٦) ـ ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ قَالَ أَلْقُواْ ﴾؛ أي: قال لهم موسى: ألقُوا إن كنتُم مُحقِّين.

وقيل: ألقُوا ما يصحُّ ويجوزُ.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾؛ أي: أرهبُوهُم وأفزعُوهُم.

الزَّجَّاجُ: طلَبُوا منهم الرَّهبةَ[٢].

﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾: ألقَوا حبالًا غِلاظًا، وخشبًا طوالًا كأنَّها حيَّاتٌ تملأُ الواديَ.

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿ عَظِيمٍ ﴾ تعظيمٌ لعصا موسى، كما جرَتِ العادةُ في تعظيمِ الخصمِ بعدَ الغلَبةِ.

وقيل: ﴿ عَظِيمٍ ﴾ في عينِ مَن رآه.

---

(١) في (ن): «بما».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٦)، وعبارته: «أي: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس».

(١١٧) ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: ألقينا في قلبِه، وقيل: جاءَه جبريلُ.

﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾؛ أي: فألقاها ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: تبلعُ تناولًا بفيها بسرعةٍ منها ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: مأفوكَهم؛ أي: الحبالَ والعصيَّ وسائرَ ما أتوا به، منَ (الإفكِ)، وهو الكذبُ.

وتقديرُه: ما يأفِكُونَ فيه وبه.

وقيل: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يقلِبُون ويُزوِّرُونَ على النَّاسِ، منَ (الأفْكِ) وهو الصَّرْفُ وقلبُ الشَّيءِ عن وجهِه.

* * *

(١١٨) ـ ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ظهرَ، وهو أمرُ اللهِ ونبوَّةُ موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: قرَّعَهم وصدَّعَهم كوقعِ المِيْقَعةِ[1].

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ منَ السِّحرِ.

وكان حِمْلُ أربعينَ جملًا ابتلعَتْها عصا موسى، وما نتأَ وسطُها.

* * *

(١١٩) ـ ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾.

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾: فغُلِبَ فرعونُ وجنودُه والسَّحرةُ كلُّهم.

﴿وَٱنقَلَبُوا۟﴾ إلى المدينةِ ﴿صَٰغِرِينَ﴾: أذِلَّاءَ مقهورين.

* * *

(١) الميقعة: المطرقة التي يضرب بها الحديد. انظر: «غريب الحديث» للحربي (١/ ٥٧).

(١٢٠) ـ ﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾.

﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾: ألقاهم الله؛ أي: أسرَعُوا ولم يتمالَكُوا أنْ وقَعُوا ساجِدينَ لله.

وقيل: مُوافقةً لموسى وهارونَ؛ فإنَّهما سجَدا شُكرًا على وقوعِ الحقِّ.

***

(١٢١ ـ ١٢٢) ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قال فرعونُ: إيَّايَ تعنُونَ؟ قالوا:

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ فهو بدلٌ.

***

(١٢٣ ـ ١٢٤) ـ ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾.

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: بموسى، وقيلَ: بالله ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾ من غيرِ أمري؟

﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ﴾: صَنعةٌ ﴿مَّكَرۡتُمُوهُ﴾: صنعْتُموه ﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾: في مصرَ ﴿لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَا﴾ بالمكرِ والسِّحرِ ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمرِكم، هذا تهديدٌ.

ثمَّ صرَّحَ فقال:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ اليدَ اليُمنى والرِّجلَ اليُسرى، وهو أوَّلُ مَن فعلَ هذا.

ويحتملُ: من أجلِ خلافٍ ظهرَ منكم.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: أُعلِّقُكم على خُشُبٍ منصوبةٍ.

***

(١٢٥) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ بالموتِ، فيُثبِّتُنا اللهُ، فلا نُبالي بوعيدِك.

***

(١٢٦) ـ ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾؛ أي: ما تُنكِرُ منَّا مُنكَرًا إلّا إيمانُنا بربِّنا.

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أنزِلْ علينا ما يحبِسُنا عن الكفرِ، وهوِّنْ علينا ما يُريدُه من عذابِنا.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: اقبِضْنا إليك على دينِ موسى وهارونَ.

***

(١٢٧) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ قال أكابرُ قومِه: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ بالاستعلاءِ فيها وتغييرِ دينِ أهلِها.

واللَّامُ لامُ العاقبةِ.

﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾: كان له أصنامٌ يعبدُها، ويعبدُها قومُه تقرُّبًا إليه، ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

قيل: كان يعبُدُ بقرةً، وإذا رأى بقرةً حسناءَ أمرَهُم أن يعبُدوها[١].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٧)، وعدَّه من العجائب.

أبو عبيدةَ عن الحسنِ: إنَّه كان يعبدُ تيسًا[١].

وقيل: كانَ في عنُقِه صنمٌ صغيرٌ يعبدُه[٢].

وقيل: كان قِبْطٌ يعبدون الكواكبَ، ويزعُمون أنَّها تستجيبُ دُعاءَ مَن دَعاها، وإنَّ فرعونَ كان يدَّعي أنَّ الشَّمسَ استجابَتْ له وملَّكَتْه عليهم، وقوَّاه[٣] مَن قرأ: (وإِلاهَتَكَ)[٤]؛ أي: عبادَتَكَ.

وقيل: شمسَكَ التي تعبدُها، وهي مختصَّةٌ بك[٥].

وقيل: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾؛ أي: عبادتَكَ.

وقيل: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾: كبارَ قومِك.

﴿قَالَ﴾ يعني: فرعونُ، مُجيبًا للملأ:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٤٥) وزاد: «في السر».

وروى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٧) عن الحسن قال: «كان لفرعون إله يعبده في السر».

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٧) عن الحسن: «كان لفرعون جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها».

ولفظه عند الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٧١): «كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد عليها كأنَّه صنم كان عابده يحنُّ إليه».

قال: وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: كان فرعون يصنع لقومه أصناماً صغاراً ويأمرهم بعبادتها ويقول لهم: أنا رب هذه الأصنام، وذلك قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾.

(٣) في (ن): «وقراءة».

(٤) قراءة شاذة نسبت لعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٠)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٦).

(٥) في (و) زيادة: «وقيل: وآلهتك؛ أي: عبادتك».

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: لينقطعَ نسلُهم ﴿وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ للاستخدامِ، وقد سبقَ.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: غالِبون.

***

(١٢٨ ـ ١٢٩) ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ فيه تسلٍّ ووعدٌ، و(الأرضُ): مصرُ، وقيل: جميعُ الأرضِ، وقيل: الجنَّةُ.

﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: يهبُها.

والإرثُ: مصيرُ الشَّيءِ للخَلَفِ بعدَ السَّلَفِ.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: النَّصرُ والظَّفرُ. وقيل: السَّعادةُ والشَّهادةُ. وقيل: الجنَّةُ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: لـمَّـا آمنَتِ السَّحرةُ بموسى، تبِعَه ستُّ مئةِ ألفٍ من بني إسرائيلَ.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: بنو إسرائيلَ ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرِّسالةِ، بقَتْلِ الأبناءِ واستخدامِ البناتِ.

﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادةِ القتلِ والإتعابِ بالأعمالِ الشَّاقَّةِ، كنَحْتِ الحجارةِ، وحملِ الأثقالِ، وضربِ اللَّبِنِ من غيرِ تِبْنٍ، وأداءِ الجزيةِ والخَراجِ.

قيل: قالوها استِبْطاءً وشكوى من فرعونَ[1].

---

(١) «من فرعون»: من (ن).

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ عسى هاهنا: يقينٌ، فحقَّقَ اللهُ ظنَّ موسى عليه السَّلامُ وفتحَ عليهم[1] مصرَ مع يُوشَعَ، وملَّكَهم مصرَ وغيرَها زمنَ داودَ وسُليمانَ عليهما السَّلامُ.

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يعلَمَ عمَلَكُم في الشُّكرِ والطَّاعةِ والمُخالفةِ والعِصيانِ.

وقيل: ينظرَ إلى أعمالِكم واقعةً موجودةً مُستحَقًّا عليها الجزاءُ والثَّوابُ.

***

(١٣٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالقَحْطِ والجَدْبِ، تقولُ: أَسْنَتَ القومُ: إذا أجدَبُوا، قال:

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ[2]

وجُمِعَتْ لأنَّهم ابتُلوا بها أعوامًا، وقيل: كان سبعَ سنينَ.

وإنَّما جُمِعَ جمعَ السَّلامةِ جبرًا لسُقوطِ لامِه، وكسرُ الفاءِ دليلٌ على ذلك.

مجاهدٌ: السِّنون[3]: الجوائحُ[4].

---

(١) في (ن): «عليه».

(٢) البيت في مدح هاشم أبي عبد المطلب، واسمه عمرو، ونسب لابنته في «العين» (٣/ ٤٠٥)، و«كتاب الأفعال» (١/ ١٣٤).

ونسب لعبد الله بن الزبعرى في «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٢٣)، و«معجم ديوان الأدب» (٢/ ٢٨٥)، و«أمالي المرتضى» (٢/ ٢٦٩).

ولمطرود الخزاعي في «تهذيب اللغة» مادة: (هـ ش م) (٦/ ٦٠)، و«الصحاح» مادة: (هـ ش م).

(٣) في (و): «السنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٢).

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالآفاتِ.

وقيل: (السِّنونَ) وقعَتْ بالبوادي وأهلِ المواشي، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ في القُرى والأمصارِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فينتَبِهون ويرجِعُون.

***

(١٣١) - ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: الخِصْبُ والنِّعمةُ والعافيةُ والأمنُ ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نحنُ نستحِقُّها.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: قَحطٌ وألـمٌ وخوفٌ ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ تشاءَمُوا بهم.

وأصلُ ذلك: أنَّ الواحدَ إذا خرجَ في طلبِ أمرٍ تفاءَلَ بالسَّانحِ منَ الطَّيرِ وغيرِه والبارحِ[١]، وسُمِّي ذلك: الطِّيَرةَ، ومَن تشاءَمَ بشيءٍ منه قيل: تطيَّرَ.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هو الذي يأتي بطائرِ البركةِ وطائرِ الشُّؤمِ منَ الخيرِ والشَّرِّ. وسمَّاه طائرًا على اعتِقادِهم[٢].

---

(١) كذا في النسخ، والمشهور أن البارح للشُّؤم. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٥١)، و«الكشاف» (٣/ ٣٧١)، وفيه: «كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره، فإن مر سانحاً تيمن، وإن مر بارحاً تشاءم...». السانح: ما ولاك ميامنه من طائر أو غيره بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك. والبارح: ما ولاك مياسره بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك. ولكن عبارة المصنف تشير إلى أن بعض العرب يتفائلون بالبارح، ويتشاءمون بالسانح، وهو ما ذكره ابن بري. انظر: «تاج العروس» مادة: (س ن ح) (٦/ ٤٨٨).

(٢) في (ن): «طائرًا لاعتقادهم».

وقيل: طائرُهم: أنصِباؤُهم منَ الرَّخاءِ والخِصْبِ وغيرِ ذلك.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما يتشاءَمُون به من[1] عندِ الله، وهو[2] العذابُ في العُقبى، وهذا بالإضافةِ إلى ذاك غيرُ مُعتدٍّ به.

***

(١٣٢) ـ ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ في (مهما) قولان:

أحدُهما: أنَّ أصلَه (ما) الذي للشَّرطِ، زيدَ عليه (ما)، كما يُزادُ مع (إنَّ) وغيرِه، فصار «ماما»، ثمَّ قُلِبَ الألفُ همزةً، ثمَّ هاءً.

والثاني: أنَّ أصلَه (مه)؛ أي: دَعْ وكُفَّ، و(ما) للشَّرطِ[3].

ورُوِيَ عن بعضِ أصحابِ الكسائيِّ الوقفُ على (مَهْ)[4].

والمعنى: أيُّ شيءٍ جئتَنا به لتسحرَ أعيُننا وتُشبِّهَ علينا فما نحنُ لك بمُؤمنين.

وقولُ مَن قالَ[5]: تقديرُه: متى جئتَنا، فسهوٌ[6].

---

(١) «من»: ليست في (ن).

(٢) في (و): «هو».

(٣) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٩)، واستغرب الثاني.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٩).

(٥) في (ن): «وقيل من قال»، وفي (و): «وقول من»، ولعل الصواب المثبت.

(٦) وكذلك ضعف الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ١٤٦) هذا القول، فقال: «وهذه الكلمةُ في عداد الكلمات التي يُحرِّفُها مَن لا يَدَ له في علم العربيَّة فيَضعُها غيرَ موضعها، ويَحسبُ (مهما) بمعنى (متى ما) ويقول: مهما جئتَني أعطيتُك، وهذا مِن وضعِه وليس من كلام واضعِ العربية في شيء، ثم يَذهبُ فيفسِّر ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ﴾ بمعنى الوقت، فيُلحدُ في آيات الله وهو لا يَشعُر، وهذا وأمثالُه مما يُوجب الجُثُوَّ بين يدي الناظر في كتاب سيبويه».

(١٣٣) ـ ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾؛ أي: ماءً يغشَى كلَّ مكانٍ، وذلك أنَّ السَّماءَ أُرسِلَتْ عليهم من السَّبتِ إلى السَّبتِ لم تُقلِعْ حتَّى تهدَّمَتْ ديارُهم، فسألوا موسى أن يرفعَ ذلك عنهم ليُؤمِنُوا، فأنجَمَ[١] السَّحابُ، وهبَّتِ الرِّيحُ، فجفَّتِ الأرضُ، وزَكا الزَّرعُ، فقالوا: كان ذلك رحمةً لا عذابًا.

وقيل: دخلَ الماءُ بيوتَ القِبْطِ، ولم يدخُلْ بيوتَ بني إسرائيلَ من الماءِ قطرةٌ.

وقيل: الطُّوفانُ: الموتُ الذَّريعُ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه الغرقُ.

وعنه أيضًا: أنَّه أمرٌ عظيمٌ من أمرِ الله تعالى طافَ بهم.

وقيل: هو الطَّوْفُ[٢] في الأرضِ.

وهو مصدرٌ كالرُّجحانِ.

الأخفشُ: جمعُ (طُوفانةٍ)[٣].

وهبٌ: هو الطَّاعونُ أُرسِلَ على أبكارِ آلِ فرعونَ ليلةً فأقصَعَهم ولم[٤] يبقَ منهم إنسانٌ. حكاه الثَّعلبيُّ[٥].

---

(١) في (و): «فألجم». وأنجم السحاب: أقلع. انظر: «الفصيح» (ص: ٢٧٦).

(٢) في (ن): «الطوفان».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣٥).

(٤) في (ن): «فأقصعه فلم»، وفي (و): «فأقبضهم ولم»، والمثبت من «تفسير الثعلبي»، وفي هامش (ن): «أقصعه: قتله مكانه».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٧٩).

أبو قِلابةَ: هو الجُدَرِيُّ، وهم أوَّلُ مَن عُذِّبوا به فبقيَ[١].

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ هو المعروفُ ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: الدَّبا، وهو صِغارُ الجرادِ لا أجنحةَ لها.

وقيل: نوعٌ من القُرَادِ، وهو القَمْقامُ[٢].

وقيل: هو السُّوسُ يكونُ في الحِنطةِ.

وقيل: البُرْغُوثُ.

وقيل: همُ القَمْل، وكذلك قراءةُ الحسنِ[٣].

وقيل: دوابُّ سودٌ صِغارٌ.

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: جمع ضِفْدَعٍ، وهو المعروفُ، كانت تقعُ في طعامِهم وشرابِهم، حتى إذا تكلَّمَ الرَّجلُ وقعَ الضِّفدعُ في فيه.

﴿وَٱلدَّمَ﴾ قيل: الرُّعافُ.

وقيل: مياهُهم انقلَبَتْ دمًا، حتّى القِبْطيُّ يشربُ منَ الكوزِ دمًا، ويشربُ الإسرائيليُّ من ذلك الكوزِ ماءً[٤]، ويمجُّ الإسرائيليُّ من فيه الماءَ في فمِ القِبْطيِّ فينقلبُ دمًا، ويمجُّ القِبطيُّ في فمِ الإسرائيليِّ دمًا فينقلبُ ماءً[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ١٤٧).

(٢) بعدها في (و): «صغار الدبا». وفي «اللسان» مادة: (ق م ق م): و«القَمْقَام»: صغار القِرْدان، وضَرْبٌ مِن القَمْل شديدُ التشبُّث بأُصول الشَّعر، واحدتُها: قَمْقامة، وقيل: هي القُراد أوَّل ما يكونُ صغيرًا لا يكاد يُرَى من صِغره».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٠)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٧).

(٤) ورد ضمن خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٠) عن ابن عباس، وآخر رواه (١٠/ ٣٩٤) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٣) عن محمد بن كعب.

﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾: مُبيَّناتٍ. وقيل: مُنفصِلاتٍ، وبينَ كلِّ واحدةٍ إلى الأخرى شهرٌ.

﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمانِ ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ لم يُؤمِنوا مع تظاهُرِ هذه الآياتِ وتتابُعِها.

***

(١٣٤) - ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾؛ أي: العذابُ الذي تقدَّمَ ذِكرُه واحدًا بعد واحدٍ، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: بما تقدَّمَ إليك أن تدعُوَه به، فيُجيبُكَ كما أجابَكَ في آياتِكَ.

وقيل: بما جعَلَ لك منَ النُّبوَّةِ.

﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ سألوه أن يرفعَ ذلك عنهم ليُؤمِنُوا.

***

(١٣٥) - ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ﴾ العذابَ، وقيل: الموتَ.

ورَوى النَّقّاشُ في «تفسيرِه»: أنَّ الرِّجزَ في قولِه: ﴿فلما وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ [الأعراف: ١٣٤]: الثَّلجُ[١].

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ يعني: ضرَبُوا أجلًا لإيمانِهم، فلمَّا جاءَ الأجلُ نكثُوا عُهودَهم ولم يُؤمِنوا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٩)، واستغربه. وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد الميسر» (١/ ٦٩) عن سعيد بن جبير أن الرجز هو الثلج، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

وقيل: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: الغرقُ. وقيل: الموتُ.

و(إذا) في الآيةِ للمُفاجأةِ، وهو ظرفُ مكانٍ، تقولُ: خرجتُ فإذا زيدٌ، تريدُ: وبالحضرةِ زيدٌ.

***

(١٣٦) ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: عاقَبْناهم على سوءِ فعلِهم.

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: البحرِ. قيل: هو القُلْزُمُ[(١)].

وذهبَ جماعةٌ من المُفسِّرين إلى أنَّ اليمَّ: البحرُ[(٢)] بلسانِ العِبرانيَّةِ[(٣)]، وليس كذلك؛ لقولِه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. وقد جاء في الشِّعرِ:

داوِيَّـةٌ وَدُجَـى لَيْـلٍ كَأَنَّـهُمـا يَمٌّ تَراطَـنُ فِـي حافاتِهِ الـرُّومُ[(٤)]

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بسببِ تكذيبِهم آياتِنا، وحملِهم إيَّاها على العاداتِ وعلى السِّحرِ.

﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: عن النِّقمةِ، وقيل: عن الآياتِ؛ أي: كانوا لا يعتَبِرون بها.

---

(١) وهو البحر الأحمر. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ق ل ز م).

(٢) في (و): «إلى أنّ البحر اليم».

(٣) وقيل: بالنبطية، وقيل بالسريانية. انظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ١٦٦).

(٤) البيت لذي الرمة، وهو في «ديوانه» (١/ ٤١٠) برواية: «دويَّةٌ...». قال الباهلي شارح الديوان: ويروى: «داويةٌ..» وهي مفازةٌ مستويةٌ، يقول: اجتمعت فلاةٌ وظلمةُ ليلٍ، فصارا كأنهما بحر تراطن في حافاته الروم، وتراطنهم: كلامهم.

(١٣٧) ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾؛ أي: يجدونَهم ضُعفاءَ؛ يعني: بني إسرائيلَ، أورَثَهم اللهُ دارَ أعدائِهم بعد أن أهلكَهم.

قوله: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يُريدُ: أرضَ الشَّامِ؛ لقولِه: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، والألفُ واللَّامُ للعهدِ.

وقيل: عامٌّ في جميعِ الأرضِ، وأنَّهم ملكوها زمنَ داودَ وسُليمانَ عليهما السَّلامُ.

وقيل: لكلِّ قطعةِ أرضٍ مشرِقٌ ومغرِبٌ تجري مَجرى الحدودِ لها.

وقيل: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾: ظرفٌ، لقولِه: ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾؛ أي: يُستَضْعَفون في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وليستْ بمفعولٍ لـ﴿أَوْرَثْنَا﴾.

قوله: ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾[1]؛ أي: بالماءِ والشَّجرِ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قيل: نعمةُ ربِّك.

وقيل: هي ما وعدَ اللهُ بني إسرائيلَ بقولِه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآيات.

وقيل: هي قولُ موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٩].

وقيل: كلمتُه: وعدُه، كما تقولُ: جاءَ ما قلْتُ، ووصفَه بالحسنى لأنَّه وعدٌ محبوبٌ[2].

---

(١) في (ن): «التي باركنا حولَه فيها».

(٢) في (ن): «لأنها وعد بمحبوب».

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾؛ أي: بصبرِهم على الإيمانِ والشَّدائِدِ.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾؛ أي: خرَّبْنا قُصورَهم وأبنيَتَهم. والتَّدميرُ: الإهلاكُ وإخرابُ البناءِ.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: يبنون. الحسنُ: عرشُ الكَرْمِ[1].

وقيل: ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾: يُدبِّرُ في إبطالِ أمرِ موسى عليه السَّلامُ.

* * *

(١٣٨ ـ ١٣٩) ـ ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾؛ أي: عبَرْنا بهم البحرَ، وهو القُلْزُمُ.

﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ فبلَغُوا قريةً فيها قومٌ يعبُدون الصَّنمَ.

وقيل: يعبُدون تماثيلَ البقرِ. وهذا أوَّلُ شأنِ العجلِ.

وقيل: كانوا منَ العمالقةِ.

وقيل: هم قبيلةُ لَـخْمٍ نزلوا بالرَّقَّةِ[2]، فسألهم بنو إسرائيلَ عن فعلِهم، فقالوا: عبادتُنا لها قُربةٌ إلى الله تعالى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٧) عن ابن زيد.

(٢) مدينة الرقة السورية معروفة، لكن ذكر المقريزي في «المواعظ والاعتبار» (١/ ٤٢٠) وصفًا لا ينطبق على مدينة الرقة، فقال: «هذه المدينة من جملة مدائن مدين، فيما بين بحر القلزم وجبل الطور، كان بها ـ عندما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر ـ قومٌ من لخم آل فرعون، يعبدون البقر، وإياهم عنى الله بقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾، وآثار هذه المدينة باقية إلى اليوم فيما بقي من مدينة فاران والقلزم ومدين وأيلة تمرُّ بها الأعراب».

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: بنو إسرائيلَ ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أنَّ عبادةَ شيءٍ مع الله سُبحانَه باطلٌ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾: مُهلَكٌ، من التَّبارِ، وأصلُه: الكسرُ، ومنه: التِّبْرُ.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: عملُهم.

* * *

(١٤٠) ـ ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: أطلُبُ لكم معبودًا غيرَ الله، من بغَيتُه الشَّيءَ؛ أي: طلَبتُه له.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جعلَ لكم الزِّيادةَ على عالمي زمانِكم.

* * *

(١٤١) ـ ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: واذكروا ذلك.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يحمِلونكُم عليه ويُريدونه منكم، وقد سبق.

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سبقَ تفسيرُه.

* * *

(١٤٢) ـ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾: ذا[1] القَعْدةِ ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾؛ أي: من ذي

---

(١) في (ن): «ذو».

الحِجّـةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾: كُـنْ خليفَتي فيهم ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾: واحمِلْهُـم على طاعةِ الله ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: لا تسـلُكْ سُـبُلَ[1] العاصين.

وذلك أنَّ الله تعالى وعَدَ موسى أن يُؤتيَه كتابًا فيه بيانُ ما يأتون ويذَرُون إذا أهلَكَ عدوَّهم، فلمَّا أهلَكَهم سأَلَ موسى ربَّه الكتابَ، فأمرَه بصومِ ثلاثين يومًا، وكان ذا القَعْدةِ، فلمَّا صامَ أنكرَ خَلوفَ فمِه فاستاكَ بعودِ خرُّوبٍ[2]، فقالت الملائكةُ له: كنَّا نشمُّ مِن فيك رائحةَ المسكِ، فأفسدْتَه بالسِّواكِ، فأمرَه الله بصومِ عشَرةِ أيّامٍ من ذي الحِجَّةِ[3]، وقال: أما علِمْتَ أنَّ خَلُوفَ فمِ الصَّائمِ أطيبُ عندي من ريحِ المسكِ[4]؟!

وكانت فتنةُ قومِه في العشرِ الذي زادَه الله.

وقولُه: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [البقرة: ٥١] عبارةٌ عن الوعدِ الأوَّلِ والذي أُتِمَّ به، فلا تناقُضَ بينهما، والحمدُ لله.

***

---

(١) في (ن): «طريق».

(٢) الخرنوب والخروب: شجر ينبت في جبال الشام، له حب كحب الينبوت، يسميه صبيان أهل العراق: القثاء الشامي، وهو يابس أسود. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (خ ر ن ب) (٧/ ٢٧٧).

(٣) انـظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٩٧) و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧٥)، ولم يذكروا له راويًا ولا سنداً.

(٤) قطعة من خبر طويل عن ابن عباس رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، ورواه مختصرًا بهذه القطعة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد ورد قوله: «خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» مرفوعًا في حديث الصوم، الذي رواه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٤٣) ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: (لمَّا) علَمٌ للظَّرفِ؛ أي: حينَ جاء وكلَّمه[1] ربُّه. والميقاتُ: الوقتُ المُعيَّنُ للشَّيءِ، كميقاتِ الحجِّ.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: أَرِني نفسَكَ أنظُرْ إليك، وقيل: مكِّنِّي من رُؤيتِك.

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾؛ أي: في الدُّنيا. وقيل: لن تقدرَ أن تراني.

﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾: وهو جبلُ زُبَيْرٍ ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: بقيَ على حالِه ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾: ظهرَ وبانَ.

وقيل: تجلَّى مقدارُ إبهامٍ من العرشِ.

وقيل: تجلَّى آيةً من آياتِ الله. وقيل: خلَقَ الله ﴿لِلۡجَبَلِ﴾ قلبًا وعينًا[2].

المُبرِّدُ: تجلَّى: أظهرَه[3]، جعلَه مُتعدِّيًا كالتَّبدُّلِ والتَّوعُّدِ.

وقيل: تجلَّى لأهلِ الجبلِ، يُريدُ: موسى والسَّبعينَ الذي معه.

﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾: قِطَعًا. وقيل: تُرابًا ورملًا. وقيل: ساخَ في الأرضِ.

---

(١) في (و): «كلمه».

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولعل المعنى: ظهر الجبل في غير خلقه المعروف، فصار له قلب وعين آيةً من آيات الله، والله أعلم.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٠٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٦٦) وفيه: «وقال المبرد: المعنى: ظهر للجبل من ملكوت الله ما تدكدك به».

و: ﴿دكَّاءَ﴾[(١)]: مَلْساءَ مُستويةً مع[(٢)] الأرضِ.

وقيل: تفرَّقَ في الأرضِ؛ فأُحُدٌ ورَضْوى ووَرْقانُ بالمدينةِ وثَوْرٌ وثَبِيرٌ وحِراءٌ بمكَّةَ منه[(٣)].

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مَغشيًّا عليه. وقيل: ميتًا.

ويُقوِّي القولَ الأوَّلَ قولُه: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾؛ أي: زالَ غَشْيُه[(٤)] ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ منَ الإقدامِ على السُّؤالِ بغيرِ إذنٍ.

وقيل: عن صغائري.

وقيل: هذا تسبيحٌ منه على ما جرَتْ به عادةُ المؤمنِ عند رُؤيةِ العظائمِ.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنَّك لا تُرى في الدُّنيا. وقيل: من قومي.

اختلَفَ المُفسِّرون في هذه الآيةِ:

فذهبَ بعضُهم[(٥)] إلى نَفيِ الرُّؤيةِ ونَفيِ الجهةِ، وقالوا: كلمةُ (لن) لنفيِ التَّأبيدِ[(٦)].

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٢) في (و): «من».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢/ ٥١١) مرفوعًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا يصح، قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٢٣): (وهذا حديث غريب بل منكر).

(٤) في (ن): «غشيته».

(٥) يعني المعتزلة.

(٦) قال ابن هشام في «المغني» (ص: ٣٧٤): «ولا تفيد (لن) توكيد النفي خلافًا للزمخشري في «كشافه»، ولا تأبيده خلافًا له في «أنموذجه»، وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيُّها باليوم في: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾، ولكان ذكر الأبد في: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ تكرارًا، والأصل عدمه». =

وإنَّ الله سُبحانَه قال لموسى في مُناجاتِه: لستُ في مكانٍ واحدٍ فأتجلَّى لعينٍ تنظرُ إليَّ، يا ابنَ عمرانَ، تكلَّمْتَ بكلامٍ عظيمٍ، وإنَّ الملائكةَ مرَّت به وهو مَغشِيٌّ عليه، فجعَلُوا يركُلونَه بأرجُلِهم ويقولون له: يا ابنَ النِّساءِ الحُيَّضِ، أطَمِعْتَ في رُؤيةِ ربِّ العزَّةِ(١)؟!

وإنَّ موسى عليه السَّلامُ علمَ أنَّ السُّؤالَ مُحالٌ، وإنَّما سألَ ليكونَ الرَّدُّ بحضرةِ قومِه الذينَ قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣](٢)، أو سألَ آيةً كسُؤالِ

= قلت: يقول الزمخشري بأن (لن) لتوكيد النفي، ولكن لم أقف على قوله بالتأبيد، وعبارته في «الأنموذج» (ص: ١٠٢): «و(لن) نظيرة (لا) في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد» وهذه العبارة تفيد التأكيد، وفرق كبير بين التأكيد والتأبيد، والله أعلم.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢١)، واستغربه.

وهذا خبر لا أصل له، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥١٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، نقلاً عن بعض الكتب دون تعيين، ولا شك أنها من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم، وكان الأولى بجمع كبير من أهل التفسير تنزيه كتبهم عن أمثال هذه القصص؛ لما فيها من الإساءة لنبي الله موسى ومن نسبة فعل شنيع للملائكة. وانظر ما قال ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ١٥٥) والآلوسي في «روح المعاني» (٩/ ٣٣٥) ومحمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢٠١).

(٢) جَعْلُ السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] ليس بشيء؛ لأن حقَّه عليه السلام في أن يجهِّلهم ويزيلَ شبهتهم كما فعل بهم حيث قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف: ١٣٨]. ومذهب أهل السنة والجماعة أن معنى ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾: أرني نفسك بأنْ تتجلَّى لي فأنظرَ إليك وأراك، وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزةٌ في الجملة؛ لأن طلب المستحيل على الأنبياء عليهم السلام محالٌ، وخصوصاً ما يتعلق بمعرفة الله تعالى ويقتضي الجهلَ به، وردُّه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ليس لامتناع رؤيته تعالى في نفس الأمر، وإلا لقال: لن أُرى، بل لقصورِ الطالب عن رؤيته لبقية الحجاب، فهي موقوفة على ارتفاعه. انظر: «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

إبراهيمَ عليه السَّلامُ حينَ قال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وإنَّ التَّجلِّيَ كان منَ العرشِ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى إثباتِ الرُّؤيةِ وإثباتِ الجهةِ، وأنَّ (لن) لنفيِ الرُّؤية في الدُّنيا؛ كقولِه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ثم قال حكايةً عنهم: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، و﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧] يعني: الموتَ[١].

وذكروا ما رُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ في قولِه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾: ما تجلَّى منه إلّا قدرَ الخِنْصَرِ[٢].

وذكرُوا عن النَّبيِّ[٣] عليه السَّلامُ في قولِه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: وضعَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ الإبهامَ على المفصلِ الأعلى من الخنصرِ، رواه حمَّادٌ عن ثابتٍ عن أنسٍ، قال حمَّادٌ لثابتٍ: أتقولُ هذا؟ فضربَ ثابتٌ صدرَه بيدِه فقال: يقولُه رسولُ الله عليه السَّلامُ ويقولُه أنسٌ وأنا أكتُمُه[٤]!

---

(١) يعني المصنف هنا أن (لن) ليست للتأبيد؛ لأنها عندما اقترنت بـ(أبداً) دلّت على الانتفاء في الدنيا، لا في الآخرة بدليل أنها وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، ثم أخبر عنهم أنهم تمنوه في النار في الآيتين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٠). قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٥١): «هذا التأويل يتمسك به المعتزلة تمسكاً شديداً لقولهم: إن رؤية الله عز وجل غير جائزة، وقائله من أهل السنة إنما يقوله مع اعتقاده جواز الرؤية».

(٣) في (و): «وذكروا عن أبيٍّ عن النبي»، وعبارة: «في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ ما تجلى منه إلا قدر الخنصر، وذكروا عن أبي»: ليست في (ن). والصواب المثبت.

(٤) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٩)، ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢٦٠)، والترمذي (٣٠٧٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة».

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى إثباتِ الرُّؤيةِ ونفيِ الجهة[١] وما يُورِثُ تشبيهًا، وهو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ[٢]، والدَّلائلُ على صِحَّتِه وإبطالِ مذهبِ المُبتدعةِ يطولُ تعدادُها، ولكلِّ مكانٍ مقالٌ.

***

(١٤٤) ـ ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: اخترتُكَ واستخلصتُكَ وأخذتُكَ صفوةً على بني آدمَ ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾: نُبوَّتي ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾ من غيرِ واسطةٍ ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ اعمَلْ بما فيه بجِدٍّ واجتهادٍ ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ على ذلك.

***

(١) في (و): «المكان»، والمعنى واحد. انظر التعليق الآتي.

(٢) نقله الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١٠٠) عن الأشعري فقال: ومن مذهب الأشعري أن كل موجود يصح أن يرى، فإن المصحح للرؤية إنما هو الوجود، والباري تعالى موجود فيصح أن يرى، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار. قال: ولا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة، ومكان، وصورة ومقابلة، واتصال شعاع، أو على سبيل انطباع، فإن كل ذلك مستحيل.

وقال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ١٦): ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة ـ تعالى عن ذلك ـ بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة.

والذي قاله الأشعري في «الإبانة» (ص: ٢٥): وندين بأن الله يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ.

(١٤٥) - ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ﴾: فرَضْنا عليه. وقيل: كتَبْنا بالقلمِ. وقيل: كان كنقشِ الخاتمِ[1].

وقيل: كتَبَ الله التَّوراةَ بيدِه وأهلُ السَّماواتِ يسمَعون صريرَ القلمِ.

﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾: جمعُ لَوْحٍ، وهو ما يَلُوحُ المكتوبُ فيه فوقَ غيرِه، وكانت عشرةَ أذرُعٍ[2] على طولِ موسى. وقيل: سبعةً. وقيل: ثمانيةً.

وكانت ألواحُه من زَبَرْجَدٍ. وقيل: من ياقوتٍ أحمرَ. الحسنُ: منَ الخشبِ[3]. وقيل: من نُورٍ. وقيل: منَ الصَّخرةِ[4].

الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: منَ البَرَدِ[5].

﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ احتاجَ إليه في بيانِ الدِّينِ.

﴿مَّوْعِظَةً﴾: وَعْظًا ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الحلالِ والحرامِ والأوامرِ والنَّواهي والقصَصِ والأخبارِ، وما كانَ وسيكونُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه.

(٢) في (ن): «ألواح».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٠)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه.

(٤) في (و): «من ياقوتٍ أحمر. وقيل: من نور. وقيل: من الصّخرة. وقيل: من الخشب».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٦) عن الربيع عن أبي العالية. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعدَّه من العجائب.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: جِدٍّ ومُواظبةٍ.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ قيل: (أحسَن) صلةٌ؛ أي: يأخُذوا بها[١].

وقيل: بحَسَنِها؛ كقولِه: ﴿أحسن مقيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤][٢].

وقيل: فيها الفرضُ والمندوبُ والمُباحُ، والفرضُ أحسَنُها.

وقيل: المأمورُ به أحسنُ منَ المنهيِّ عنه.

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: منازِلَهم ومصارِعَهم.

وقيل: دارُ الفاسقين: جهنَّمُ[٣]. وقيل: مِصرُ[٤].

وقيل: هو من (الدَّورانِ)؛ أي: ما دارَ إليه أمرُهم[٥].

***

(١٤٦) ـ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يُريدُ بالآياتِ: ما في

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه، وعبارته: «الغريب: (أفعل) هنا للمبالغة لا للتفضيل كما في قوله ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) يعني: دار فرعون وقومه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه، وفيه: «ما دار عليه أمرهم من الهلاك والنكال».

السَّماواتِ وما في الأرضِ من دلائلِ الوحدانيّةِ، صرَفَهم عنها جزاءً على تكبُّرِهم عن الإيمانِ.

وقيل: صرفَهم عن التَّفكُّرِ فيها.

وقيل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾؛ أي: عن خبرِ آياتي عقوبةً على فِعلِهم.

أبو عبيدةَ: عن الخوضِ في القرآنِ[1].

سفيانُ بنُ عُيَينةَ: عن فهمِ القرآنِ[2].

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾: مُعجزةٍ ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾: طريقَ الهدى والبيانِ ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: طريقةً ودِينًا ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾: الباطلِ والشَّيطانِ ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: غيرَ ناظِرينَ فيها، فيكونُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفعًا بالابتداءِ، ويجوزُ: فعَلْنا ذلك بأنَّهم، فيكونُ نصبًا[3].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه. وفيه: «عن الخوض في علم القرآن»، وهو على هذا في معنى ما بعده، وعلى حذف كلمة (علم) يكون بمعنى: سأشغل المتكبرين عن الخوض في آيات الله والاستهزاء بها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٣)، ثم قال بعده: «وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيداً لأهل الكفر بالله ممن بعث إليهم نبينا ﷺ دون قوم موسى؛ لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ دون موسى عليه السلام». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه.

(٣) على أنه مفعول به لفعل مضمر.

(١٤٧) ـ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾: جحَدُوا بالإيمانِ بها ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾: الثَّوابِ والعقابِ والبعثِ والنَّشرِ[١] والحسابِ ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾: بطَلَتْ.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: جزاءَ أعمالِـهم.

***

(١٤٨) ـ ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾.

﴿ وَاتَّخَذَ ﴾؛ أي: صنَعَ وصاغَ ﴿قَوْمُ مُوسَىٰ ﴾ يُريدُ: السَّامريَّ ومَن أعانَه على ذلك، ومَن رضيَ به وصدَّقَه.

﴿مِن بَعْدِهِ ﴾: بعد انطلاقِه للميقاتِ، وهو العَشرُ التي أتمَّ اللهُ بها الميقاتَ.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ الحليُّ: ما اتُّخِذَ للزِّينةِ منَ الذَّهبِ أو الفِضَّةِ.

وذلك أنَّهم كانوا قد استَعاروا منَ القِبْطِ بعضَ حُليِّهم لعرسٍ كانَ لبني إسرائيلَ ـ وقيل: ليومِ زينةٍ ـ فلمَّا أهلَكَ الله فرعونَ وقومَه بقيَ الحليُّ معهم، وكان حرامًا عليهم، فقال السّامِريُّ لهارونَ: إنَّا كنَّا استَعَرْنا حليَّهم، وإنَّ بني إسرائيلَ أخذوا في بيع الحليِّ وتمحيقِها، وإنَّها عاريَّةٌ وليست لنا، فأمرَ هارونُ مُناديًا يُنادي: مَن كانت عنده عاريَّةٌ من آلِ فرعونَ فليأتِنا بها، فأتَوه بشيءٍ كثيرٍ، فقال هارونُ: أنت أحقُّ بحفظِ هذه، فقبَضَها السَّامريُّ، وكان صائغًا، فصاغَ منها تمثالَ عِجْلٍ مُجوَّفًا كأحسنِ ما يكونُ[٢].

---

(١) «والنشر» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤١٨) عن أبي بكر بن عبد الله الهذلي.

وهو قولُه: ﴿عِجْلًا﴾، والعِجْلُ: ولدُ البقرةِ القريبُ العهدِ بالولادةِ.

﴿جَسَدًا﴾: لحمًا ودمًا.

وقيل: جسدًا من غير روحٍ، والجسدُ بدَنُ الحيوانِ، والجسمُ عامٌّ.

وقيل: ﴿جَسَدًا﴾؛ أي: أصغرَ من الجِسادِ[١].

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾؛ أي: صوتٌ، والخُوارُ: صوتُ البقرةِ، وقيل: إنَّما[٢] خارَ مرَّةً واحدةً.

وخُوارُه فيمَن جعلَه لحمًا ودمًا ظاهرٌ، وفيمَن جعلَه تمثالًا من ذهبٍ: خارَ بحيلةٍ احتالَ بها حتَّى خارَ، فقيل: جعَلَ في بطنِه بُييتًا[٣] يُفتَحُ ويُغلَقُ، وكان إذا أرادَ السّامريُّ أن يخورَ العجلُ، أدخَلَ جوفَه غلامًا يخورُ إذا أرادَ السَّامريُّ بعلامةٍ بينهما.

وقيل: كانَ يضعُه في مَهبِّ الرِّيحِ. وقيل: عملَ بالماءِ والفوَّاراتِ.

وقِصَّتُه مذكورةٌ في سورةِ (طه).

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾: لا يأمرُهم ولا ينهاهُم ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ إلى خيرٍ.

﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾؛ أي: اتَّخذوه إلهًا معبودًا ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: واضِعينَ العبادةَ غيرَ موضِعِها.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه. وفيه: «أصغر من الجساد، وهو الزعفران».

(٢) في (و): «إنه».

(٣) في (و): «بيتًا»، والبييت تصغيره، وهو الأنسب في وصفه.

(١٤٩) ـ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ الجمهورُ: على أنَّه عبارةٌ عن النَّدمِ، والنَّدمُ في القلبِ، وإسنادُه إلى اليدِ كإسنادِهم المُلْكَ والمحبوبَ والمكروهَ إليها، تقولُ: في يدِه ملكٌ، وفي يدِه محبوبُه، وحصَلَ في يدِه المكروهُ.

ابنُ عيسى: وقعَ البلاءُ في أيديهم؛ أي: وجدوه وُجدانَ ما يحصُلُ في الكفِّ[١].

وقيل: أصلُه من الأسرِ والكَتْفِ.

وقيل: مَن نَدِمَ وضعَ يدَه على رأسِه[٢].

ويحتملُ أنَّ الإنسانَ إذا حَزَبَهُ أمرٌ عظيمٌ مسحَ كفَّه بكفِّه وحَوْقَلَ[٣].

﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ﴾: وعلِمُوا أنَّهم ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ بعبادةِ العجلِ.

الحسَنُ: لأنَّهم كانوا عبَدوا العجلَ إلَّا هارونَ[٤]. وقيل: عبدَه بعضُهم.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ومَن قرأ بالتّاءِ نصَبَ ﴿ربَّنا﴾ على النِّداءِ[٥].

---

(١) قال ابن عيسى في «النكت» (ص: ٩٤): «هذا مستعار، وحقيقته: ندموا لما رأوا من أسباب الندم، إلا أنَّ الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس، وأما قوله هنا فذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) روى معناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٩).

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٤)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(١٥٠) ـ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ منَ الطُّورِ ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾: حزينًا، وقيل: مُتغيِّظًا، من قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ والأسَفُ: الحزنُ، والأسَفُ: الغضبُ.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾؛ أي: بئسَ ما نُبتُم عنِّي وقُمْتُم مَقامي بعدَ انطِلاقي.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: أتركتُموه؟ الزَّجَّاجُ: عجِلْتُه: سبقْتُه[1].

وقيل: تجاوَزْتُم أمرَ ربِّكم.

الحسَنُ: أعجِلتُم وَعْدَ ربِّكُم الذي وعدَنيه من الأربعينَ ليلةً؛ لأنَّهم قدَّروا أنَّه ماتَ[2].

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي: التي ذُكِرَتْ في قولِه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] غَضَبًا على قومِه، فتكسَّرَ بعضُها، ورُفِعَ كثيرٌ منها إلى السَّماءِ، حتَّى رَوَى المُفسِّرون أنَّ ستَّةَ أسباعِها رُفِعَتْ، وبقيَ سُبْعٌ[3].

وحقيقةُ هذا: أنَّ الألواحَ لمَّا كُسِرَتْ ذهبَ أثرُ المكتوبِ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٨)، وفيه: «يقال: عجلت الأمر والشيء: سبقته، وأعجلته: استحثثته».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٣)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٦٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣ و١٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وتعقبه ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية بقوله: «ويأباه قوله: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾؛ لأن الظاهر منه أن المأخوذ هو المُلقى بعينه».

(٤) ولعل في هذا جواباً لما قاله العلامة ابن كمال باشا رحمه الله.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾؛ أي: بشعرِ رأسِه. وقيل: بناصيتِه. وقيل: بذُؤابتِه. وقيل: العربُ تقولُ: فلانٌ حسَنُ الرَّأسِ؛ أي: الشَّعرِ.

﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غَضبًا عليه أنَّه لم يمنَعْهم، ولم يخرُجْ من بينِهم، فيلحقْ به.

وقيل: أخذَ رأسَه وجرَّه ليُناجِيَه.

وقيل: جرَّه عِتابًا عليه لا هَوانًا به.

وقيل: أخذَه كما يأخُذُ الإنسانُ شعرَه ولحيتَه عند الغضبِ؛ لأنَّهما كانا كشخصٍ واحدٍ.

وقولُه: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ يدفعُ هذه الأقاويلَ.

وقيل: غضِبَ عليه لتركِه اتِّباعَه.

﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ ذكرَ الأمَّ ليُرقِّقَه عليه، وكان لأبيه وأمِّه.

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾؛ أي: وجَدوني ضعيفًا لِوَحدَتي، ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾: وقارَبُوا قَتْلي؛ لإنكاري عليهم.

وقيل: ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾؛ أي: أرادُوا وهَمُّوا.

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: لا تَسُرَّهُم بإهانَتِكَ إيَّاي[1]. والشَّماتةُ: سرورُ العدوِّ بسوءِ العاقبةِ. وأرادَ بالأعداءِ: الذين عبَدوا العجلَ.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: في عِدادِهم.

* * *

---

(١) في (و): «بي».

(١٥١) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾؛ أي: ما صَنعْتُ إلى أخي، وقيل: إلقاءَ الألواحِ.

وقيل: استغفَرَ سالفَ ذنوبِهما.

﴿وَلِأَخِى ﴾ حينَ لـم يمنَعْهم ولـم يلحَقْ بي.

﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ﴾: أنعِمْ علينا بفضلِكَ ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾: أرحمُ بنا منَّا بأنفُسِنا.

الحسنُ: أرحمُ بنا منَ الأبوَين[1].

***

(١٥٢) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾: هو أنْ أُمِرُوا بقولِه: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، فقتَلَ الأبُ ابنَه والابنُ أباه.

وقيل: هو الجزيةُ زمَنَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: أولادَهم[2].

وقيل: تقديرُه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ ولـم يتوبُوا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ الآية، والذين تابُوا غُفِرَ لهم، ودلَّ عليه قولُه:

(١٥٣) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾؛ أي: بعد السَّيِّئاتِ. وقيل: بعد التَّوبةِ ﴿وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٥٣).

(٢) أي: سينال أولادهم.

ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الآيتَين من كلامِ موسى، وصدَّقَه اللهُ بقولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾.

وقال بعضُهم: هذا من كلامِ الله قالَه لموسى؛ أي: فأجابَه الله بهذا.

***

(١٥٤) ـ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾؛ أي: سكَنَ باعتذارِ هارونَ إليه(١).

وقيل: بتوبتِهم عن كُفرِهم.

وسكَنَ وسكَتَ: قطَعَ الكلامَ.

وقيل: كلُّ كافٍّ عن شيءٍ ساكتٌ، ومنه: سكَتَ عن الكلامِ.

ابنُ عيسى: ﴿سَكَتَ﴾ مُستعارٌ هاهنا؛ لأنَّ الغضَبَ لـمَّا كانَ دالًّا على ما في النَّفسِ للمغضوبِ عليه كان بمنزلةِ النُّطقِ(٢).

وقيل: هذا من المقلوبِ؛ أي: سكَتَ موسى عن الغضبِ(٣).

﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾؛ أي: فيما نُسِخَ فيها وكُتِبَ ﴿هُدٗى﴾: بيانُ الطَّاعةِ منَ المعصيةِ ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾: تخليصٌ منَ الذُّنوبِ ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾: اللَّامُ دخلَ المفعولَ لمَّا تقدَّمَ(٤).

---

(١) «إليه»: ليست في (و).

(٢) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٨٧): (﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾، وحقيقته انتفاء الغضب، والاستعارة أبلغ؛ لأنه انتفى انتفاءَ مُراصدٍ بالعودة، فهو كالسكوت على مُراصدةِ الكلام بما توجبه الحكمة في الحال، فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره، والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٤)، واستغربه.

(٤) أي: دخلت اللام لتقدم المفعول؛ لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً، ونحوه: ﴿لِلرُّءۡيَا =

وقيل: الفعلُ محمولٌ على المصدرِ؛ أي: رَهبتُهم لربِّهم.

ويحتمِلُ أنَّ المفعولَ محذوفٌ، وتقديرُه: يرهَبونَ معاصيَ الله لربِّهم؛ أي: لأمرِ ربِّهم، وقد سبقَ.

***

(١٥٥) ـ ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾؛ أي: من قومِه، فحُذِفَ، قال:

منّـا الـذي اختِيـرَ الرِّجـالَ سَـماحَةً ... وجُودًا إذا هَـبَّ الرِّيـاحُ الزَّعـازِعُ[1]

﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾: لميعادِنا، وهو الميقاتُ الأوَّلُ؛ لأنَّ فيه ذكرَ الرُّؤيةِ[2].

= تَعۡبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وتقول: لك ضربت، فإذا قدمت الفعل قلت: ضربتك. انظر: «الكامل» للمبرد (٣/ ٧٣)، و«الكشاف» (٢/ ١٦٣).

(١) البيت للفرزدق في «ديوانه» (ص: ٣٦٠)، و«الجمل» (ص: ١٢٢)، و«الكتاب» (١/ ٣٩)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٣/ ٨٢٢)، و«الكامل» (١/ ٣٢)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٤٧٢).
وموضع الشاهد حذف (من) والأصل: اختير من الرجال.

(٢) قوله: «لأن فيه ذكر الرؤية» يعني: لورود ذكر الرؤية في الميقات الثاني، ولعل هذا أمر استنباطي من خلال الربط بين ما جاء في سورة البقرة وما جاء هنا، ويوضحه ما رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٩٥) عن السدي أنه: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضاً كما أمرهم به، أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فإنك قد كلمته فأرناه، فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي =

وقيل: هو ميقاتٌ آخرُ للتَّوبةِ عن عبادةِ العجلِ(١).

= ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارهم؟ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: ١٥٥]؟ فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، فذلك حين يقول موسى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وذلك قولُه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾.

قلت: فلعل السدي إنما استنبط ذلك استنباطاً، فإنه لم يرد التصريح بذكر الرؤية في هذا الميقات في الكتاب ولا في السنة، بل قد روي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم غير هذا السبب كما سيأتي، ومن هنا اختار أكثر المفسرين أن هذا الميقات غير الأول. انظر التعليق الآتي.

(١) واختار هذا القول بالتغاير أبو حيان في «البحر» (٥/ ١٨٨) فقال: والذي يظهر أن هذا الميقات غير ميقات موسى الذي قيل فيه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ لظاهر تغاير القصتين وما جرى فيهما، إذ في تلك أن موسى كلمه الله، وسأله الرؤية، وأحاله في الرؤية على تجليه للجبل وثبوته، فلم يثبت وصار دكّاً وصعق موسى، وفي هذه اختير السبعون لميقات الله وأخذتهم الرَّجفة ولم تأخذ موسى، وللفصل الكثير الذي بين أجزاء الكلام لو كانت قصة واحدة.

وقد ذكر الطيبي في «فتوح الغيب» (٦/ ٥٩٩) نحوه، واستدل أبو حيان على تغاير القصتين بما روى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو ميقات وقته الله لموسى وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدعوا فقالوا: يا الله أعطنا ما لم تعطِ أحداً قبلنا ولا أحداً بعدنا، فكره الله ذلك فأخذتهم الرَّجفة.

قلت: رواه الطبري (١٠/ ٤٦٩)، وهذا الإسناد وإن كان من علي بن أبي طلحة صحيفة ولم يسمعه من ابن عباس، إلا أن العلماء قد استحسنوه، ومنهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، حيث نقل عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣) قوله: بمصر صحيفة في التَّفسير رواها عليٌّ بن أبي طلحة لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً.

وفي سببِ اختيارِه السَّبعين أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه اختارَهم لتمامِ الوعدِ(١)، والأكثرُ على أنَّه اختارَهُم ليعتَذِروا عن عبادةِ العجلِ.

وقيل: قالت طائفةٌ من بني إسرائيلَ: إنَّ اللهَ لا يُكلِّمُك، فأوحى اللهُ إلى موسى: أن اخترْ من قومِكَ من خيارِهم سبعينَ رجلًا، ثم ارتَقِ بهم إلى الجبلِ أنت وهارونُ، واستخلِفْ على بني إسرائيلَ يُوْشَعَ بنَ نُوْنٍ، ففعلَ ثمَّ ذهبَ بهم ليسمعوا كلامَ الله، فلمَّا أتَوا ذلك المكانَ وسمعُوا كلامَ الله قالوا: لن نُؤمِنَ لك بأنَّك قد كلَّمْته حتَّى نرى الله جهرةً، فأخذَتْهم الصَّاعقةُ فماتوا.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ السَّبعينَ الذين قالوا: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [البقرة: ٥٥] غيرُ السَّبعينَ الذين أخذَتْهم الرَّجفةُ(٢).

وعن عليٍّ رضي الله عنه: إنَّما أخذَتْهم من أجلِ دَعواهُم على موسى قتلَ هارونَ، وذلك أنَّ موسى وهارونَ وشَبرًا وشَبِيرًا ابنَي هارونَ انطلَقُوا إلى صَفْحِ الجبلِ، فنام هارونُ على سريرٍ وتوفَّاه الله، فلمَّا ماتَ دفنَه موسى، فلمَّا رجعَ موسى إلى بني إسرائيلَ قالوا: أين هارونُ؟ قال: توفَّاه الله، قالوا: بل أنتَ قتلتَه حسَدًا على خُلُقِه ولِيْنِه، فاختارَ منهم سبعين وذهَبَ بهم، فلمَّا انتهَوا إلى القبرِ قالوا: يا هارونُ، أقُتِلْتَ أم مِتَّ؟ فقال هارونُ: ما قتَلَني أحدٌ ولكنْ توفَّاني الله،

(١) في (ن): «الموعد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٤٥).

فقالوا: يا موسى، لن تُعصَى بعد اليومِ، فأخذَتْهم الصَّاعقةُ فماتوا[١].

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ قال موسى: يا ربِّ، ما أقولُ لبني إسرائيلَ إذا رجعتُ إليهم؟ يقولون: أنتَ قتلتَهم، فأحياهُم اللهُ وجعلَهُم أنبياءَ[٢].

والصَّحيحُ أنَّهم لمَّا سمعوا كلامَ الله هم و[٣]موسى وقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ أخذتهم الرَّجفةُ[٤].

والرَّجفةُ: الموتُ، وقيل: الزَّلزلةُ. وقيل: النَّارُ. وقيل[٥]: الصَّاعقةُ.

وقال الفرَّاءُ: لمَّا ماتوا فقامَ موسى يبكي ﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَ﴾؛ أي: إنْ شئتَ أمتَّهم وأمتَّني بغير الرَّجفةِ[٦].

الزَّجَّاجُ: إنْ شئتَ أمتَّهم من قبلِ أن تبتليَهم بما أوجبْتَ عليهم الرجفةَ[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٣).

(٢) هذا من تتمة الخبر السابق عن علي رضي الله عنه.

(٣) «هم و» أثبتناها من نسخة ذكرت في هامش (ن)، وكونهم سمعوا مع موسى كلام الله؛ رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٩٣) عن ابن إسحاق.

(٤) وفي هذا التصحيح نظر، وقد تقدم الكلام عليه.

(٥) في (و): «وهي».

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٥): «وذلك أن الله تبارك وتعالى أرسل على الذين معه ـ وهم سبعون ـ الرجفة، فاحترقوا، فظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل، فقال: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، وإنما أهلكوا بمسألتهم موسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٨٠). وكلمة «الرجفة» ليست في (ن)، والمثبت من (و) والمصدر.

وقيل: إنْ شئتَ أهلكْتَهم عند اتِّخاذِ العجلِ ولم تُمهِلْهُم إلى المصيرِ إلى الميقاتِ وإيَّاي، وأهلَكْتَني حين قتَلْتُ القِبْطيَّ بمصرَ.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: استفهامٌ معناه النَّفيُ[1].

وقيل: استفهامُ إنكارٍ. وهذا لا يجوزُ.

وقيل: استفهامٌ يتضمَّنُ معنى قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

والسُّفهاءُ: هم الذين عبَدُوا العجلَ.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ما هي إلَّا عذابُك. وقيل: ابتلاؤُك، و﴿هِيَ﴾ كنايةٌ عن الفَعْلةِ، وقيل: البليَّةِ. وقيل: العقوبةِ.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: مَن سَلِمَ منها فهو سعيدٌ، ومَن بقيَ فيها فهو شقيٌّ.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: مُدبِّرُ أمرِنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ذُنوبَنا ﴿وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

***

(١٥٦) ـ ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) نقل الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٤٨) عن المبرد أنه سماه: «استفهام استعطاف»، ومعناه: لا تهلكنا.

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: توفيقَ الطَّاعةِ وإسباغَ النِّعمةِ ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الجنَّةَ والرُّؤيةَ والثَّوابَ؛ سأَلَ خيرَ الدَّارَين.

﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: تُبْنا، من (هادَ يهودُ): إذا رجعَ.

وقيل: منَ (التَّهوُّدِ) في السَّيرِ، وهو تمكُّثٌ.

وقيل: منَ (الهوادةِ)، وفعلُه: هادَ يهودُ(١).

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾؛ أي: عمَّتْ في الدُّنيا على الكفَّارِ والمؤمنين، وخُصَّتْ على المُؤمنين في العُقبَى(٢).

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾؛ أي: أُثبِتُها(٣) في الآخرةِ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ والمعصيةَ ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضةَ. وقيل: يُطهِّرون أنفُسَهم عن دَنَسِ المعاصي.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بكتُبِنا، وقيل: بدلائلِنا ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾.

* * *

---

(١) وهذه المعاني يجمعها أصل واحد، فهي تدلُّ على السكون والسلامة، والأشهر أن ﴿هُدۡنَآ﴾ من التوبة، وفي التوبة هوادة حال وسلامة، كما قال ابن فارس. انظر: «مقاييس اللغة» (٦/ ١٨).

(٢) في العبارة شيء من التجوّز، فقد ضمّن الفعل (خُصَّت) معنى الفعل (قُصِرَت)، ولو قال: وخَصَّت المؤمنين، لكان أظهر، والله أعلم.

(٣) في (ن): «أثيبها».

(١٥٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، وفي ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: لا يكتبُ، ولا يقرأُ منَ الكتابِ.

وقيل: منسوبٌ إلى أمِّ القُرى، وهي مكَّةُ.

وقيل: منسوبٌ إلى الأمَّةِ، وهي الجماعةُ؛ لأنَّ أكثرَهم لا يكتبُون.

وبعضُ المُفسِّرين على أنَّه عليه السَّلامُ ما ماتَ حتَّى كتَبَ[1].

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٢) من طريق مجالد بن سعيد عن عون بن عبد الله عن أبيه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ. قال مجالد: فذكرت ذلك للشعبي فقال: قد صدق، قد سمعت من أصحابنا يذكرون ذلك. قال البيهقي: «هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين».

قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٢) عن إبراهيم أنه كان يقرأ ولا يكتب، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ٣٧٧): ومعرفة الكتابة بعد أميته ﷺ لا ينافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم، وردّ بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وقال: كل ما ورد في الحديث من قوله: كتب، فمعناه أمر بالكتابة كما يقال: كتب السلطان بكذا لفلان...» وقد استوفى رحمه الله الكلام في هذه المسألة، وحديث: «إنا أمة أمية...» رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾؛ أي: يجدون وصفَه واسمَه مكتوبًا؛ لأنَّ الشَّخصَ لا يُكتَبُ.

﴿عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ رُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه سألَ أبا مالكٍ عن صفةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ في التَّوراةِ، وكان من علماءِ اليهودِ، فقال: صفتُه في كتابِ بني هارونَ الذي لم يُبدَّلْ ولم يُغيَّرْ: أحمدُ من ولدِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، وهو آخرُ الأنبياءِ، وهو النَّبيُّ العربيُّ الذي يأتي بدينِ إبراهيمَ الحنيفِ، يأتزِرُ على وسطِه، ويغسلُ أطرافَه، في عينَيه حمرةٌ، وبين كتفَيه خاتمُ النُّبوّةِ مثلَ زرِّ الحَجَلَةِ، ليس بالقصيرِ ولا بالطَّويلِ، يلبسُ الشَّمْلَةَ، ويجتزي بالبُلْغةِ، ويركبُ الحمارَ، ويمشي في الأسواقِ، معه حربٌ وقتلٌ وسَبْيٌ، سيفُه على عاتقِه لا يُبالي مَن لقيَ من النّاسِ، معه صلاةٌ لو كانت في قومِ نوحٍ ما أُهلِكُوا بالطُّوفانِ، ولو كانت في عادٍ ما أُهلِكُوا بالرِّيحِ، ولو كانت في ثمودَ ما أُهلِكُوا بالصَّيحةِ، مولدُه بمكّةَ ومنشَؤُه بها، وبُدُوُّ نبوَّتِه بها، ودارُ هجرتِه بيثربَ بين حَرّةٍ ونخلٍ وسَبِخَةٍ، هو أمِّيٌّ لا يكتُبُ بيدِه، هو الحمَّادُ يحمدُ الله على كلِّ شدَّةٍ ورخاءٍ، سلطانُه بالشّامِ، صاحبُه منَ الملائكةِ جبريلُ عليه السَّلامُ(١).

وحكى الماورديُّ وابنُ عيسى في «تفسيرِهما»: أنَّ في الإنجيلِ بشارةً بالفارَقْليطِ في مواضعَ، منها: يُعطيكم الفارَقْليطُ أجرًا(٢) يكونُ معَكُم الدَّهرَ كلَّه.

وفيها قولُ المسيحِ للحواريِّين: أنا أذهبُ وسيأتيكم الفارِقْليطُ روحُ الحقِّ

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٥٣) عن الواقدي، وساق إسناده.

(٢) في «النكت والعيون»، و«غرائب التفسير»: «آخر».

الذي لا يتكلَّمُ من قِبَلِ نفسِه، إنَّه نذيرٌ لجميعِ الخلقِ، ويُخبِرُكم بالأمورِ المُزمَعةِ، ويمدحُني ويشهدُ لي[1].

وأبلغُ من هذَين الخبرَين قولُه تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى قولِه: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالإسلامِ والشَّرعِ ومحاسنِ الأخلاقِ، ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: الكفرِ والفسادِ ومساوئِ الأخلاقِ، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: ما يُستَطابُ من الرِّزقِ ويُستلَذُّ.

وقيل: ما كان مُحرَّمًا عليهم في قولِه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾ [النساء: ١٦٠].

وقيل: الطَّيِّبُ: الحلالُ.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: المُحرَّماتِ، والمعنى: أنَّ شريعتَه بهذه الصِّفةِ.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: خفَّفَ عنهم ما شُدِّدَ عليهم في التَّوراةِ منَ العهودِ والأثقالِ، كالقاتلِ لا يُنجِّيه إلَّا القِصاصُ، ولا ديةَ ولا عفوَ، وقطعِ الأعضاءِ الخاطئةِ، وقرضِ الثَّوبِ إذا أصابَه نجاسةٌ. وشبَّهها بالأغلالِ للُزومِها لزومَ الغُلِّ في العُنُقِ.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾: بمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ قيل: عظَّموه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ قيل: منعُوه.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٨). وجاء في «رحلة بنيامين التطيلي» (ص: ١١٤): وقد وعد سيدنا عيسى بمجيء محمد وأشار إليه بإشارات كثيرة، إنه قد سماه «الفارقليط» وهي كلمة يونانية، وترجمتها للعربية: الداعي، وبسبب هذه الإشارات أسلم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما كثير.

ابنُ عيسى: أصلُ التَّعزيرِ: المنعُ، ومنه تعزيرُ المُفسِدِ[١]، ومعنى الآية: نصروه بمَنعِهم كلَّ مَن أرادَ كيدَه.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾؛ أي: القرآنَ، وسمَّاه نورًا لأنَّه بيَّنَ للنَّاسِ أمورَ دينِهم ودُنياهم، وآخرتِهم وعُقباهم.

و(مع) يدلُّ على البقاءِ؛ أي: أُنزِلَ عليه وبقيَ معه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الظَّافرون بالأماني، الباقون في النَّعيمِ.

***

(١٥٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: عامٌّ، وقيل: المُرادُ به أهلُ الكتابِ ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾: صفةٌ لله، ومحلُّه جرٌّ، ويجوزُ أن يقفَ[٢] على ﴿جَمِيعًا﴾، فيكون ﴿ٱلَّذِي﴾ مبتدأً وما بعدَه خبرٌ[٣].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ﴾: الذي يُنبئُ عن الله ما كانَ وما يكونُ ﴿ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: التَّوراةِ والإنجيلِ وسائرِ كتبِ الله ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

***

(١) ذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٨٠).

(٢) أي: القارئ.

(٣) والخبر في هذه الحالة هو جملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

(١٥٩) ـ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: يهدونَ النّاسَ مُحِقِّين.

وقيل: بسببِ الحقِّ الذي هم عليه.

﴿وَبِهِۦ﴾؛ أي: وبالحقِّ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينَ النّاسِ. وفي هذا (القومِ) ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: هم قومٌ كانوا في زمانِ موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: هم قومٌ وراءَ الصِّينِ، رآهُم رسولُ الله ﷺ ليلةَ المِعراجِ، فآمَنُوا به وصدَّقوه، وقرأ عليهم عشرَ سُوَرٍ مـمَّا نزلَ عليه بمكَّةَ[١].

وقيل: هم الذين آمنوا برسولِ الله ﷺ كعبدِ الله بن سلامٍ وأصحابِه.

***

(١٦٠) ـ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أُعرِبَ (اثنا عشرَ) من بين أخواتِها لأنَّ (عشرةَ) بدلٌ من النُّونِ، فأُعرِبَ كما يُعرَبُ التَّثنيةُ، وبُني (عشرة) على الفتحِ لأنَّها بدلٌ من النُّونِ[٢].

وأنَّثَ حملًا على الأمَّةِ. وقيل: على القطعةِ.

وجمعَ (أسباطًا) لأنَّها بدلٌ من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾، وليس بتمييزٍ.

وقيل: جعَلَ كلَّ واحدةٍ من اثنتَي عشرةَ أسباطًا، كما تقولُ: لزيدٍ دراهمُ ولعَمرٍو دراهمُ، فهذه عشرونَ دراهم[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واستغربه.

(٢) انظر: «التعليقة على كتاب سيبويه» لأبي علي الفارسي (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: «بحر العلوم» لأبي الليث السمرقندي (١/ ٥٥٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥) =

والسِّبْطُ مُشتقٌّ من السَّبَطِ، وهو شجرٌ يعتلِفُه الإبلُ، وكذلك القبيلةُ اسمُ شجرةٍ، جعلَ الأبَ كالشَّجرةِ والأولادَ كالأغصانِ؛ فإسماعيلُ صلَواتُ الله عليه شجرةٌ، وإسحاقُ شجرةٌ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الآية مُفسَّرةٌ في سورة (البقرة).

ومعنى الآيةِ: جعَلَ الله بني إسرائيلَ اثنتَي عشرةَ فِرقةً، وإنَّهم إذ كانوا في التِّيهِ لم يكُنْ لهم طعامٌ ولا شرابٌ ولا ظِلٌّ يأْوُونَ إليه، فأنزلَ الله عليهم غمامًا ظلَّلَهم، وأنزلَ عليهم المنَّ والسَّلوى طعامًا لهم وإدامًا، وأمرَهُم بالأكلِ منهما، وما ظلَمُونا بما أوجبَ لهم الحبسَ في التِّيهِ، ولكنْ ظلَمُوا أنفُسَهم بذلك.

***

(١٦١ ـ ١٦٢) ـ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ سبقَ تفسيرُ الآيتَين.

= واستغربه. وذكر أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بإسناد له من رواية الضحاك عن ابن عباس خبراً طويلاً في لقاء النبي ﷺ بهم وإيمانهم به، ولا يصح في ذلك شيء، والله أعلم.

والمعنى: أمَرْنا بني إسرائيلَ بدخولِ القريةِ مُستغفرين مُتواضِعين لنغفرَ لمُذنِبهم ونزيدَ إحسانًا لمُحسِنِهم، فبدَّلوا ما أُمِروا فاستَحَقُّوا العذابَ الأليمَ.

* * *

(١٦٣) - ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: عمَّا وقعَ بأهلِها ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: عندَه، وهي أَيْلةُ، وقيل: أرِيحا ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: جاوَزُوا الحقَّ يومَ السَّبتِ.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾: جمعُ حوتٍ، وهي السَّمكُ، وأضافَ إليهم لأنَّهم أرادوا صيدَها.

﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ هو من الأيَّامِ، وأضافَ إليهم لأنَّهم المخصوصون بأحكامٍ فيه.

والوجهُ أنَّه مصدرٌ، والمعنى: يومَ يسبِتونَ، بدليلِ قولِه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾، وبدليلِ الإضافةِ[١].

والسَّبتُ: تعظيمُ السَّبتِ، تقولُ: سَبَتَ؛ أي: عظَّمَ السَّبتَ.

وقيل: يومَ راحتِهم بترَكِهم[٢] أعمالَهم.

﴿شُرَّعًا﴾: واردةً. وقيل: ظاهرةً. وقيل: رافعةً رُؤوسَها، وقيل: خافِضةً رُؤوسَها كأنَّها الكِباشُ البيضُ. وقيل: كالمخاضِ السِّمانِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥)، واستغربه.

(٢) في (و): «القول».

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ وقُرِئَ: (يُسْبِتُونَ)(١).

و(سَبَتَ) و(أَسْبَتَ) بمعنًى. وقيل: سَبَتَ: عظَّمَ السَّبْتَ، وأسْبَتَ: دخَلَ في السَّبْتِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ قيل: متَّصلٌ بالأوَّلِ على تقديرِ: لا تأتيهم شُرَّعًا مثلَ إتيانِ يومِ السَّبتِ، وقيل: متَّصلٌ بما بعدَه، وهو قولُه: ﴿نَبْلُوهُم﴾؛ أي: نختبرُهم مثلَ هذا الاختبارِ؛ أي: نُعاملُهم مُعاملةَ المُختبِرِ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بخروجِهم عن طاعةِ الله.

وذلك أنَّه حُرِّمَ عليهم الصَّيدُ يومَ السَّبتِ وأُمِرُوا بتعظيمِه، فوسوَسَ لهم الشَّيطانُ وقال: إنَّما نُهيتُم عن صيدِها يومَ السَّبتِ، فحفَرُوا الحِياضَ ونصبُوا الشِّباكَ، وكانوا يسوقونَ إليها الحيتانَ يومَ السَّبتِ، وتبقى فيها ولا يُمكِنُها الخروجُ منها، فيأخذونها يوم الأحدِ، وصار أهلُ القريةِ ثلاثَ فِرَقٍ: فرقةً صادوا، وهم أصحابُ الخطيئةِ، وفرقةً نهَوهُم، وفرقةً قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾، وهو قولُه:

(١٦٤) ـ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: من أهلِ القريةِ للأمَّةِ الواعظةِ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾: لأيِّ شيءٍ تعِظُونَ ﴿قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ في العُقْبى؛ أي: يُعذِّبُهم في العاجلِ والآجلِ ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

---

(١) نسبت هذه القراءة لعلي بن أبي طالب والجعفي عن عاصم في: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٢)، وللحسن والأعمش والمفضل في «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٩٧).

ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا إنكارُ الموعظةِ على الأمَّةِ الواعظةِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّهم قالوا هذا بعد أن وعظَهُم الواعظةُ فلم ينفَعْهم وعظُهم وأيسوا[1]، فيكونُ هذا أبلغَ في الموعظةِ.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: الواعظةُ ﴿مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: موعِظَتُنا معذرةٌ إلى ربِّكم لإقامةِ العُذرِ عندَ الله، ولرجاءِ تقواهُم.

ومَن نصَبَ[2] فمفعولٌ له.

و(المعذرةُ) بمعنى: الاعتذارِ؛ لأنَّ معنى عَذَرَ: قَبِلَ العُذْرَ، واعتَذَرَ: أقامَ العُذْرَ.

وقيل: (عَذَرَ) إذا تعدَّى بنفسِه معناه: قَبِلَ العُذْرَ، وإذا تعدَّى بـ(إلى) معناه: اعتَذَرَ.

وقيل: (المعذرةُ) بمعنى: العذيرِ، وعذيرُ الرَّجلِ: ما يُحاوِلُه ممَّا يُعذَرُ عليه إذا فعلَه.

***

(١٦٥) ـ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾: تركُوا ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾: ما وُعِظُوا به من العذابِ على صيدِ الحيتانِ ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾: عن العذابِ الشَّديدِ، فيكون (عن) متَّصلًا بـ﴿أَنجَيْنَا﴾، ويَحتمِلُ أن يكونَ متَّصلًا بـ﴿يَنْهَوْنَ﴾؛ أي: عن المعصيةِ.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ أي: صادوا في السَّبتِ وخالَفُوا أمرَ الله ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: شديدٍ ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: بخُروجِهم عن طاعةِ الله، وهو أنَّهم صاروا قردةً.

---

(١) فيأبون هذا القول من الفرقة الثالثة توبيخاً لمن لا ينتهون عن المعاصي.

(٢) قرأ حفص: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» (ص: ١١٤).

والفرقةُ الأخرى مختلَفٌ فيها:

قال الحسنُ: نجَتْ فرقتانِ وهلكَت فرقةٌ[(١)].

وقال بعضُهم: هلكَت فرقتانِ.

وقال بعضُهم بالتَّوقُّفِ في أمرِهم.

والرِّواياتُ الثَّلاثُ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[(٢)].

***

(١٦٦) ـ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾: استكبَروا واجترَؤوا على الذَّنبِ، ومرَدُوا على المعصيةِ، وبالَغُوا في الإثمِ، ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾: جمعُ (قِرْدٍ).

﴿خَاسِئِينَ﴾: مُبعَدين مطرودين.

وقال بعضُهم: خُوطِبُوا بهذا القولِ، فيكونُ أبلَغَ في النَّازلةِ.

وقال بعضُهم: صُيِّروا قردةً، وكانت القِردةُ تعلمُ ما حلَّ بها وتعرفُ أقرباءَها.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنّها ماتَتْ بعد ثلاثٍ. ورَوَى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «لم يمسَخِ الله شيئًا فجعَلَ له نسلًا وعاقبةً»[(٣)].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٤٣).

(٢) رواها جميعاً الطبري: فروى في «تفسيره» (١٠/ ٥١٤ ـ ٥١٩) عدة روايات عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه توقف في أمرهم وأن عكرمة راجعه أنهم من الناجين، فكساه حلة.
وروى عنه (١٠/ ٥٢٠) أنهم هلكوا، ولم ينج إلا الذين نهوا.
وروى عنه (١٠/ ٥٢١) التوقف في أمرهم.

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٣) بلفظ: «إن الله عز وجل لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك».

وقال بعضُهم: بقيَتْ وتناسَلَتْ.

مجاهدٌ: مُسِخَتْ قلوبُهم، لا أبدانُهم[1].

***

(١٦٧) - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلَمَ[2]، ويأتي تفعَّلَ وأفعَلَ بمعنًى، نحو: توعَّدَه وأوعَدَه، وترضَّاه وأرضاه، وتيقَّنْتُه وأيقَنْتُه.

وقيل: ﴿تَأَذَّنَ﴾: أمرَ، من (الإِذْنِ).

وقيل: حلَفَ ليَبْعَثَنَّ.

وقيل: تكفَّلَ، من (الأَذِينِ)، وهو الكفيلُ.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: ليُسلِّطَنَّ عليهم ﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾: يُكلِّفُهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شديدَه.

هم اليهودُ، بعثَ الله عليهم محمَّدًا عليه السَّلامُ وأمَّتَه يُقاتلونَهم حتَّى يُسْلِموا أو يُعطُوا الجزيةَ.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: هم أهلُ الكتابِ، بعثَ الله عليهم العربَ يَجْبُونَهم الخراجَ إلى يومِ القيامةِ[3].

وكِلا القولينِ واحدٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لهؤلاءِ في الدُّنيا ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمُؤمنين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣).

(٢) وأصله على هذا: آذنَ.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٤).

(١٦٨) ـ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيلَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: جعَلْناهم مُتفرِّقين في الأرضِ.

وقيل: معناه: جعَلْناهم على أديانٍ مختلفةٍ.

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهم الذين أسلَمُوا، وقيل: هم الذين رآهم رسولُ الله عليه السَّلامُ ليلةَ المعراجِ.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في مكانٍ مُنحَطٍّ عن الصَّلاحِ، هذا أصلُ الكلمةِ؛ أي: ومنهم عاصون مُفسِدون[١].

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾: بالخِصْبِ والنِّعمةِ ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الجَدْبِ والمِحنةِ؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: كي يتذكَّروا ويعودوا إلى الطَّاعةِ.

* * *

(١٦٩) ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: قومُ سوءٍ.

ابنُ عيسى: اشتقاقُه من (خَلَفَ اللَّبَنُ): إذا طالَ مُكثُه في السِّقاءِ فتغيَّرَ، ومنه الخُلوفُ[٢].

---

(١) في (ن): «ومفسدون».

(٢) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٥) دون نسبة. ونقل صاحب «التاج» مادة: (خ ل ف) عن شيخه أن: الخُلُوف ـ بالضم ـ هو المشهور، ومعناه: تَغيُّرُ الفم، وهو الذي صرَّحَ به أَئِمَّةُ اللُّغة، =

و(الخَلَفُ) بالفتح يُستَعملُ في الخيرِ، وبالسُّكونِ في الشَّرِّ، وقد يُستَعملُ في الخيرِ مع الإضافةِ.

وهو مصدرٌ وُصِفَ به. وقيل: جمعُ خالفٌ، وهو الذي يأتي خَلْفَ مَن سبقَه.

﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أخذُوا عن آبائِهم التَّوراةَ وعلمَها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾؛ أي: الأمرَ الأقرَبَ، وهو الدُّنيا.

وقيل: تقديرُه: هذا العَرَضَ الأدنَى، يأخُذون الرِّشا في الحكمِ ويتجوَّزونَ فيه، ويترخَّصُونَ في أكلِ الحرامِ.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: يتمنَّونَ على الله المغفرةَ، وقيل: قالوا: سيُغفَرُ لنا وإنْ لم نستغفِرْه.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾: من الحرامِ ﴿يَأْخُذُوهُ﴾؛ أي: هم مُصِرُّون على الذَّنبِ.

وقيل: لا يُشبِعُهم شيءٌ.

وقيل: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ﴾ يعني به: قومًا آخرَ ﴿عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾ مثلُ العرَضِ الأوَّلِ.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: كتابِ الله ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: الصِّدقَ ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾: وقرؤُوا ما في الكتابِ؛ أي: لم يفعَلُوا على جهلٍ[1].

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾؛ أي: الجنَّةُ ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الشِّركَ والمعصيةَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنَّها خيرٌ من العرَضِ الأدنَى.

* * *

= وحكى بعضُ الفقهاء والمُحدِّثين فتحَها، واقتصَر عليه الدَّمِيريُّ في «شرح المنهاج»، وأظنُّه غَلَطاً كما صرَّح به جماعةٌ، وقال آخرون: الفتح لغةٌ رديئةٌ، واللهُ أعلم.

(١) في (و): «من الجهل».

(١٧٠) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾: يُؤمِنونَ به ويقومون بأحكامِه ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ يُريدُ: منهم.

وقيل: المُصلِحون هم الذين يُمسِّكون، فقامَ مَقامَ العائدِ(١).

وقيل: الخبرُ محذوفٌ دلَّ عليه ما بعدَه؛ أي: نُعطيهم أجورَهم؛ إنَّا لا نُضيعَ أجرَ المُصلِحين.

***

(١٧١) ـ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾: اذكُرْ إذا قلَعْنا ورفَعْنا، والنَّتْقُ: الجذبُ بمرَّةٍ؛ أي: جَذَبَ وقَلعَ، وامرأةٌ ناتِقٌ: تجذِبُ ماءَ الرَّجلِ فتحفَظُه. وقيل: سُمِّيَتْ ناتقًا كأنَّ أولادَها تُجذَبُ منها(٢).

ومنه قولُه عليه السَّلامُ: «عليكم بالأبكارِ؛ فإنَّهنَّ أعذَبُ أفواهًا، وأنتَقُ أرحامًا، وأرضَى باليسيرِ»(٣).

---

(١) لأن تكرر الاسم بلفظ يعني عن العائد، بل هو أبلغ في التعظيم والتفخيم، وهنا تكرر اللفظ بمعناه، فجعل كالمكرر بلفظه. انظر: «المرتجل» لابن الخشاب (ص: ٢٧٩).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٦)، وفيه: «والنتق: الجذب، ومنه قيل للمرأة الولود ناتق، واختلف في سبب تسميتها ناتقاً؛ فقيل: لأن خروج أولادها بمنزلة الجذب. وقيل: لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولداً».

(٣) رواه ابن ماجه (١٨٦١) من طريق محمد بن طلحةَ التَّيْمِيِّ عن عبد الرحمن بن سالم بن عُتْبَةَ بن عُوَيْمِ بـن سَاعِدَةَ الأنصاريِّ عن أبيه عن جَدِّهِ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بالأبكارِ...». وعتبة بن عويم مختلف في صحبته، وقال البخاري وأبو حاتم: «لم يصح حديثه»، وانظر تفصيل =

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾: يخافُ مَن تحتَه وُقوعَه عليه؛ لأنَّ الجبلَ لا يَثبتُ في الهواءِ.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: وعلِموا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ﴾: ساقِطٌ عليهم.

﴿خُذُواْ﴾؛ أي: وقُلْنا لهم: خُذُوا ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: اقبَلوه باجتهادٍ.

وقيل: بالقدرةِ التي لكم على أخذِها.

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: اعمَلُوا بما فيه ولا تنسَوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتَّقوا النَّارَ، وقد سبقَ في (البقرةِ).

* * *

(١٧٢) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ذكِّرْهم يا محمَّدُ إذ أخذَ ربُّك ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أولادَهم وأولادَ أولادِهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

= الكلام عليه في «الإصابة» (٤/ ٣٦٣).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٩٨): «هذا إسناد فيه محمد بن طلحة، قال فيه أبو حاتم: لا يحتج به، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة، قال البخاري: لم يصح حديثه، وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه».

والشاهد من حديث جابر رواه البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (٧١٥)، وفيه أن النبي ﷺ قال لجابر: «أَبِكْرًا تَزَوَّجْتَهَا، أم ثيِّبًا؟» قال: قُلْتُ: بل ثيِّبًا، قال: «هَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ».

ورواه بنحو حديث عتبة بن عويم الطبراني في «الكبير» (١٠٢٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٩): «رواه الطبراني، وفيه أبو بلال الأشعري، ضعفه الدارقطني».

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٥) عن جابر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٩): «وفيه محمد بن كنيز السقاء، وهو متروك».

أشهَدَ بعضَهم على بعضٍ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: استفهامُ تقريرٍ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: إثباتٌ وجوابٌ لكلامٍ يتضمَّنُ نفيًا ﴿شَهِدْنَآ﴾ هذا من كلامِ الذُّرِّيَّةِ، وقيل: من كلامِ الملائكةِ.

﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾؛ أي: كراهةَ أن تقولوا، ولأنْ لا تقولوا.

وقيل: هو مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ كراهةَ أن تقولوا.

وقيل: مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿شَهِدْنَآ﴾ إذا جُعِلَ من كلامِ الملائكةِ، وكذلك الآيةُ الأخرى، وهي قولُه:

(١٧٣) ـ ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وهذا دليلٌ على أنَّ التَّقليدَ في التَّوحيدِ كفرٌ[1].

جلُّ المُفسِّرينَ على أنَّ الله تعالى أخرَجَ ذُرِّيَّةَ آدمَ من ظهرِ آدمَ، فأولادُه أخرجَهم

---

(١) كذا قال، وليس هذا بمجمع عليه، قال ابن حزم في «الفصل» (٤/ ٢٨ ـ ٢٩): «ذهب محمد بن جرير الطبري والأشعرية كلها ـ حاشا السمناني ـ إلى أنه لا يكون مسلمًا إلا مَن استدل وإلا فليس مسلمًا، وقال الطبري: مَن بلغ الاحتلام أو الإشعار من الرجال والنساء، أو بلغ المحيض من النساء، ولم يعرف الله عز وجل بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر، وقال: إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك. وقالت الأشعرية: لا يلزمهما الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ.

وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه وقال بلسانه: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن كل ما جاء به حق، وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ، فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك». وقد تقدم الكلام عليه.

من ظهرِه، ثمَّ أخرَجَ من ظهورِ أولادِه أولادَهم واحدًا بعد واحدٍ على ما يكونون عليه إلى يومِ القيامةِ.

قيل: كان ذلك قبل الدُّخولِ في الجنَّةِ بين مكَّةَ والطَّائفِ.

وقيل: ببطنِ نَعمانَ؛ وادٍ إلى جنبِ عرفةَ(١).

وقيل: أخرجَهم من ظهرِه في الجنَّةِ.

وقيل: بعد النُّزولِ(٢) منَ الجنَّةِ بدهيا(٣) أرضٍ بهند.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «مسحَ اللهُ ظهرَ آدمَ بيدِه اليُمنَى ـ وكلتا يدَيه يمينٌ ـ بعد ما أهبطَه إلى الأرضِ بنعْمانَ، فأخرَجَ من صُلبِه جميعَ مَن يُخلَقُ إلى يومِ القيامةِ كأمثالِ الذَّرِّ، نثَرَهُم بينَ يدَيه وجعلَهم على هيئةِ الرِّجالِ والنِّساءِ ـ يعني: في عقولِهم ـ ثمَّ كلَّمَهم وقال لهم: ألستُ بربِّكم؟ قالوا: بلى»(٤).

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٦) من طريق كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه (١٠/ ٥٥٦) من طريق ابن جريج عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «أخذ عليهم الميثاق بنَعْمانَ ونَعْمانُ مِن وراءِ عرفةَ».

(٢) في (و): «الدرك».

(٣) كذا في النسخ: (دهيا) بالياء، وفي «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٨٥): (دهنا بالنون)، وقد حقق الشيخ أحمد شاكر هذا اللفظ باستفاضة في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٢٥)، وخلص إلى أنه: (دحنا) أو (دجنا) بالقصر والمد، وقال: «وظني أنه تعريب دهنج، وهي الأرض التي بالهند، وأما التي ببلاد العرب فهي (دحناء) بالحاء لا غير».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٥٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٠) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قِبَلًا، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾».

وزادَ بعضُهم: «وكان أنورَهم ذرَّةً داودُ عليه السَّلامُ، فقال: مَن هذا؟ فقيل: هذا داودُ نبيٌّ من ذُرِّيَّتِك، قال: كم عمرُه؟ قال: ستُّونَ سنةً، قال: ربِّ زِدْهُ، قال: قد جرى القلَمُ وجفَّ عن زيادةِ بني آدمَ، قال: ربِّ زِدْهُ من عمري أربعين سنةً، فأُثبِتَ لداودَ الأربعون، وكان عمرُ آدمَ عليه السَّلامُ ألفَ سنةٍ، فلمَّا استكمَلَ آدمُ تسعَ مئةٍ وستِّين سنةً جاءَه ملَكُ الموتِ، فلمَّا رآه آدمُ قال: ما لَكَ؟ قال: قد استوفَيتَ أجلَكَ، قال له آدمُ: بقي من عمري أربعونَ سنةً، قال: أليس وهَبْتَها لداودَ؟ قال: لا، فجَحَدَ آدمُ فجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُه، ونسيَ آدمُ فنسِيَتْ ذُرِّيَّتُه، وخطِئَ آدمُ فخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُه»[1].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ ظاهرَ الآيةِ لا يدلُّ على هذا؛ لأنَّه قالَ: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ ولم يقُلْ: من ظهرِ آدمَ.

قالوا: والذُّرِّيَّةُ إذا كانت كالذَّرِّ[2] لا يُخاطَبون.

وقالوا: إنَّا[3] لا نتذَكَّرُ ذلك، فكيفَ يُحتَجُّ علينا؟!

وقالوا: إنَّما المُرادُ بأخذِ الذُّرِّيَّةِ: وجودُهم في الدُّنيا قرنًا بعد قرنٍ إلى يومِ القيامةِ.

وأوَّلوا الإشهادَ على وجهَينِ: **أحدُهما**: بما رُكِّبَ فيهم من العقلِ، **والثَّاني**: ببعثِ الرُّسلِ.

والأوَّلُ[4] هو مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لأنَّ جُلَّ المُفسِّرين على ذلك؛ لأنَّ الأخبارَ في ذلك شاعَتْ وذاعَتْ، وأمَّا قولُهم: لم يقُلْ: من ظهرِ آدمَ، فلأنَّهم لم يخرُجوا كلُّهم من ظهرِ آدمَ، بل بعضُهم من بعضٍ على ما سبقَ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) في (ن): «إذا كانوا من الذر».

(٣) في (و): «لأنا».

(٤) وهو إخراج ذرية آدم من ظهره؛ والإشهاد عليهم.

وأمَّا كونُهم كالذَّرِّ، فلا تُنكَرُ قدرةُ الله على أن يجعلَ الذَّرَّةَ[1] وأصغرَ منَ الذَّرَّةِ عاقلًا يفهمُ الخطابَ ويسمعُ ويُجيبُ.

وقيل: كانوا كالذَّرَّةِ كثرةً لا صغرًا، وكانوا على أشخاصِهم التي يكونون عليها.

وأمَّا قولُهم: لا نتذكَّرُ ذلك، فإنَّ تذكيرَ الله أبلَغُ.

وقيل: أخذَهم من ظُهورِ الآباءِ، وجعلَهم في بُطونِ الأمَّهاتِ، وحوَّلهم من خِلْقةٍ إلى خِلْقةٍ، ومن حالةٍ إلى حالةٍ، وأشهَدَهم على أنفُسِهم عند البلوغِ وكمالِ العقلِ.

وقيل: على لسانِ الأنبياءِ وفي كتبِهم، وقد سبقَ الجوابُ، والله أعلَمُ.

***

(١٧٤) ـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾؛ أي: كبيانِ هذه القِصَّةِ نُبيِّنُ سائرَ الآياتِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بيَّنَّاها[2].

***

(١٧٥) ـ ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ اختلَفَ المُفسِّرون فيه: فقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو بلعمُ بنُ باعوراءَ منَ العَمالقةِ[3]، دعا على قومِ موسى

---

(١) في (و): «الذرية».

(٢) في (و): «ببيانها»؛ أي: ببياننا إياها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦) بلفظ: «هو رجل من مدينة الجبارين يقال له: بلعم»، وللخبر تتمة ستأتي.

فبقُوا فـي التِّيـهِ، ودعا عليه موسـى عليـه السَّـلامُ فسَـلَبَ اللهُ إيمانَه(١).

عبدُ الله بنُ عَمرِو بنِ العاصِ: نزَلَتْ في أُميَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ الثَّقفيِّ(٢)، وكان قد قرأ الكتبَ، وعلِمَ أنَّ اللهَ مرسِلٌ رسولًا في ذلك الوقتِ، ورجا أن يكونَ هو ذلك الرَّسولَ، فلمّا أُرسِلَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ حسَدَه وكفَرَ به(٣).

وقيل: نزلَتْ في رجلٍ قد أُعطِيَ ثلاثَ دعواتٍ مُستجابةٍ، وكانت له امرأةٌ اسمُها البسوسُ، لها منه ولدٌ، فقالت له: اجعَلْ لي منها واحدةً، فقال: ما تُريدين؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلَني أجملَ امرأةٍ في بني إسرائيلَ، فدعا لها، فجُعِلَتْ كذلك، ثمَّ رغِبَتْ عنه، فدعا عليها فصارَتْ كلبةً نبَّاحةً، فجاء بَنوها فقالوا: قد صارَتْ أُمُّنا كلبةً والنّاسُ يُعيِّرُوننا بها، فادعُ الله أن يرُدَّها كما كانت، فدعا الله فعادَتْ كما كانت، فذهبَتْ فيها الدَّعواتُ(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٦) عن مقاتل. وتعقبه أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بقوله: وهذا كلامٌ مختلٌّ، واحتباسهم في التِّيه كان بقولهم: ﴿اذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] لا بدعاء بلعم، وكيف يُستجاب دعاءُ بلعم وقد انسلخ من الآيات، ولأنه قد دعا على موسى وقومه بالباطل، وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الإيمان وكان مبعوثاً إلى الناس ليدعوَهم إلى الإيمان.

قلت: وسياق خبر ابن عباس السابق لا إشكال فيه، ولفظه بتمامه: هو رجلٌ من مدينةِ الجَبَّارِين يقال له: بَلْعَمُ، وكان يَعْلَمُ اسمَ الله الأكبر، فلمَّا نَزَل بهم موسى أتاه بنو عمِّه وقومُه، فقالوا: إن موسى رجلٌ حديد، ومعه جنودٌ كثيرة، وإنه إنْ يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يردَّ عنَّا موسى ومن معه. قال: إني إنْ دعوت الله أن يردَّ موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي! فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٣٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٧)، واستغربه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

سعيدُ بنُ المُسيِّبِ: نزلَتْ في أبي عامرٍ الرَّاهبِ الذي بُنِيَ له مسجدُ الشِّقاقِ، حينَ ذهبَ إلى الشَّامِ ليأتيَ بجُندٍ فيُخرِجَ محمَّدًا وأصحابَه منَ المدينةِ، فماتَ بها طريدًا وحيدًا(١).

عبادةُ بنُ الصّامتِ رضيَ الله عنه: نزلَتْ في قُريشٍ(٢).

الحسَنُ: نزلت في مُنافقي أهلِ الكتابِ(٣).

وقيل: هو مَثَلٌ ضرَبَه الله(٤).

مجاهدٌ: كان نبيًّا في بني إسرائيلَ اسمُه بلعمُ أوتيَ النُّبوَّة، فرشاه قومُه على أن يسكُتَ ففعَلَ(٥).

= والراوي عن عكرمة أبو سعد الأعور ـ واسمه سعيد بن المرزبان ـ وهو ضعيف.
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٧)، وعدَّه من العجائب.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٧)، وروى ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧) عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هو بلعم بن باعورة رجل من بني إسرائيل، قال: وتقول ثقيف: هو أمية بن أبي الصلت، وتقول الأنصار: هو الراهب الذي بني له مسجد الشقاق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٧) عن قتادة قال: «هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله وتركه. قال: وكان الحسن يقول. هو المنافق».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٧)، واستغربه.
وروى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٨) عن مجاهد قال: «﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ قال: بلعام بن باعراء من بني إسرائيل».

وجوَّزَ بعضُهم أن يكونَ فرعونَ، والآياتُ آياتُ موسى[١].

قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ قيل: اسمُ الله الأعظمُ. وقيل: كتابٌ من كتبِ الله. وقيل: النُّبوَّةُ. وقيل: العلمُ بمجيءِ النَّبيِّ.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾: فخرَجَ من علمِها كانسلاخِ الشَّاةِ من جلدِها.

والانسِلاخُ: التَّعرِّي منَ الشَّيءِ حتى لا يعلقَ به منه شيءٌ.

﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: استتبعَه، وقيل: اتَّبعَه.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: الفاسدين. وقيل: منَ الهالكين.

***

(١٧٦) ـ ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ﴾: شرَّفْناه وقدَّمْناه وجعلنا له الدَّرجةَ الرَّفيعةَ ﴿بِهَا﴾: بسببِ تلك الآياتِ. وقيل: الباءُ للحالِ.

الزَّجَّاجُ: ولو شئنا أن نحُولَ بينَه وبين المعصيةِ[٢].

وقيل: لرفَعْنا عنه الحالَ التي صارَ إليها منَ الكفرِ بالله وآياتِه.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: اختارَ السَّفالَ على الرِّفعةِ، ومالَ إلى لذَّاتِ الدُّنيا.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إيثارِ الدُّنيا ولذَّاتِها على الآخرةِ ونعيمِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩١).

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: زجَرْتَه وطرَدْتَه ﴿يَلْهَثْ﴾: يُدْلِعْ لسانَه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ غيرَ مطرودٍ ﴿يَلْهَث﴾ وكلُّ حيوانٍ يلهَثُ عندَ عطشٍ أو إعياءٍ إلّا الكلبَ؛ فإنَّه لاهِثٌ[1] في الأحوالِ كلِّها. شبَّهَه الله بأخَسِّ حيوانٍ في أخسِّ أحوالِه.

الحسنُ: شبَّهه بدابَّةٍ لا فؤادَ له، فهو يلهثُ على كلِّ حالٍ، فكذلك هو سواءٌ عندَه الوعظُ وتركُه[2].

ابنُ بحرٍ: شبَّهه بالكلبِ فحسبُ، ثمَّ وصفَ الكلبَ فقال: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[3].

﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: الشَّبَهُ المذكورُ في المثَلِ المضروبِ مَثَلُ الذين كذَّبوا بآياتِ الله.

﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: اتلُ عليهم خبرَهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: كي يتأمَّلُوا فيتَّعِظُوا.

* * *

---

(١) في (ن): «يلهث».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٦) عن ابن جريج بلفظ: «الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن حملت عليه يلهث، أو تتركه يلهث. قال: مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع».

(٣) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٨٢): «ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ ثم قال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفي التخسيس؛ فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا على عنف، وهذا يدل على حكمة الله سبحانه وتعالى في أنه لا يمنع اللطف».

(١٧٧) ـ ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾.

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ تقديره: ساءَ مثلًا مثَلُ القومِ، فحُذِفَ المضافُ.

وقيل: ساء مثلًا ما تقدَّمَ ذكرُه منَ الكلبِ واللَّهثِ.

***

(١٧٨) ـ ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾.

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾؛ أي: مَن هداه إلى الإيمانِ ووفَّقَه فهو المُهتَدي الثّابتُ على الإيمانِ.

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾: ومَن أضلَّه عن الإيمانِ وخذَلَه فقد خسِرَ نفسَه ومنزلَه منَ الجنَّةِ.

***

(١٧٩) ـ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾: خلقْنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ يعني: الكفَّارَ منَ الفريقَين، وذَرْؤُهُ لها: خَلْقُه إيَّاهُ كافرًا.

ولا مُنافاةَ بينَه وبينَ قولِه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ لأنَّ ذلك لكثيرٍ منهم، وهذا لكثيرٍ.

وقيل: لامُ ﴿لِجَهَنَّمَ ﴾ لامُ العاقبةِ؛ أي: خلَقْنا للعبادةِ، فآلَ أمرُهم إلى جهنَّمَ.

وقيل: هذا من المقلوبِ، وتقديرُه: ذَرأْنا جهنَّمَ لكثيرٍ منَ الجنِّ والإنسِ(١).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٩)، واستغربه.

ورَوَى عبدُ الله بنُ عَمرٍو رضي الله عنهما عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّ الله تعالى لمَّا ذرأ لجهنَّمَ ما ذرأ كانَ ولدُ الزِّنى ممَّنَ ذرأ لجهنَّمَ»[1].

ثمَّ ذمَّهم فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لتركِهم التَّدبُّرَ في كتابِ الله، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾؛ أي: لا ينتفِعون بأعيُنِهم وآذانِهم، فهم كالفاقدينَ السَّمعَ والبصرَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في قلَّةِ انتفاعِها بالمعقولاتِ والمرئيَّاتِ والمسموعاتِ، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنَّهم أعرَضُوا عنها وفوَّتوها على أنفُسِهم.

وقيل: إنَّ الأنعامَ تعرِفُ اللهَ تعالى، والكافرُ لا يعرِفُه.

وقيلَ: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنَّ الأنعامَ تُبصِرُ منافعَها ومضارَّها فتلتزمُ بعضَ ما تُبصِرُه، والكافرُ لا يعلمُ مضارَّها حيثُ اختارَ النَّارَ.

وقيل: لأنَّ الكفَّارَ بقبيحِ فعلِهم يصيرونَ إلى النَّارِ، والأنعامَ لا تصيرُ إليها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾؛ أي: عمَّا لهم وعليهم.

* * *

(١٨٠) ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ جميعُ أسماءِ الله تعالى صفاتٌ إلَّا كلمةَ (الله)، فإنَّهم اختلفُوا فيه، وقد سبَق.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٢)، وضعف إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٧٧) لجهالة رجل في إسناده، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٩)؛ واستغربه.

والفرقُ بينهما: أنَّ الاسمَ يدلُّ دلالةَ إشارةٍ، والصِّفةَ تدلُّ دلالةَ إفادةٍ[١]، وصفةُ الله صفةُ ذاتٍ وصفةُ فعلٍ، ويجبُ على المُكلَّفِ معرفةُ معاني أسمائِه وصفاتِه.

وسمَّاها الحسنى لأنَّها تدُلُّ على توحيدِ الله وحُسنِ أفعالِه، تعالى عمَّا يقولُ الظَّالمون.

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ رَوى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إنَّ لله تعالى تسعةً وتسعين اسمًا مئةً إلَّا واحدةً[٢]، مَن أحصاها دخَلَ الجنَّةَ»[٣].

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾: بعينِها، ولا تخترِعُوا لله تعالى اسمًا غيرَ ما وصَفَ نفسَه به.

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾: يميلونَ عنِ الصَّوابِ ﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ هو أنَّهم عَدَلوا بها عمَّا هي عليه، فسمَّوا بها أوثانَهم، وزادوا ونَقَصوا، واشتقُّوا منَ الله: اللَّاتَ، ومن العزيزِ: العُزَّى، ومنَ المنَّانِ: مَناةَ.

وقيل: هو تسميتُهم أصنامَهم آلهةً، والإلهيَّةُ صفةُ الله وحدَه.

وقيل: هو أن يُسمَّى الله بما ليسَ من أسمائِه؛ كتسميةِ النَّصارى إيَّاه: أبا المسيحِ.

وقيل: الإلحادُ في أسمائِه أن يُقالَ: له ولدٌ، وله شريكٌ.

﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

* * *

---

(١) في (ن): «فائدة».

(٢) في أكثر الروايات: «إلا واحدًا»، وجاء في بعضها: «إلا واحدة»، وبعضهم عدها خطأ، ولها توجيه، قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢١٩): «وخرج التأنيث على إرادة التسمية، وقال السهيلي: بل أنَّث الاسم لأنه كلمة، واحتج بقول سيبويه: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، فسمى الاسم كلمة، وقال ابن مالك: أنث باعتبار معنى التسمية أو الصفة أو الكلمة».

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٨١) ـ ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾.

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ قال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «إنَّها أمَّتي، وقد أُعطِيَ القومُ بين أيديكم مثلَها»، يعني: قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٩][1].

***

(١٨٢) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالقرآنِ والرَّسولِ ومُعجِزاتِه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: نأخُذُهم قليلًا قليلًا حتَّى يبلُغوا الغايةَ، نأخذُهم بالعقوبةِ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلَّما أحدَثُوا خطيئةً، جدَّدَ الله لهم نعمةً، وأنساهُم الاستغفارَ[3].

والدَّرَجُ والدَّرَجانُ: مشيةُ الشَّيخِ والصَّبيِّ، والدَّرْجُ: الطَّيُّ مِن هذا؛ لأنَّه يُؤخَذُ شيءٌ فشيءٌ، والدَّرَجةُ منها؛ لأنَّه يُصعَدُ فيها شيءٌ فشيءٌ.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم يُؤخَذونَ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٠) عن قتادة يبلغ به النبي ﷺ، ونحوه عن ابن جريج، والخبران منقطعان.

(٢) في (و): «تأخذهم العقوبة».

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة» (٣٤٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢٣٥٢) عن سفيان الثوري، ورواه أبو الشيخ عن يحيى بن المثنى كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦١٨).

(١٨٣) ـ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾.

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾: أُطيلُ لهم المدَّةَ فلا أُعاجِلُهم، مشتقٌّ من (الملاوةِ)، وهو الزَّمانُ الطَّويلُ.

والكيدُ: التَّدبيرُ. وقيل: العذابُ. وقيل: الكيدُ: عملٌ في خُفيةٍ.

والمتينُ: القويُّ له متنٌ.

***

(١٨٤) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم﴾ لمَّا نسبُوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ إلى الجنونِ أنزَلَ الله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقريعِ. وقيل: بمعنى التَّحريضِ؛ أي: ألم يتفكَّروا بقلوبِهم فيعلَمُوا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾؛ يعني: النَّبيَّ عليه السَّلامُ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنونٍ. وقيل: جمعُ جِنٍّ، كـ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قوله: ﴿يَتَفَكَّرُوا۟﴾ ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾، لأنَّ التَّفكُّرَ لا يُعلَّقُ[1].

وقيل: العِلمُ مُضمَرٌ[2]، وهو مُعلَّقٌ كما سبَقَ.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مُنذرٌ منَ الله ﴿مُّبِينٌ﴾: مُوضِّحٌ إنذارَه.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٩)، واستغربه.

(٢) لعل المراد: أن الفعل ﴿يَتَفَكَّرُوا۟﴾ تضمن معنى الفعل ﴿يعلموا﴾، فاحتاج إلى مفعول، والله أعلم.

(١٨٥) ـ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: يُفكِّروا[١] فيها.

والملكوتُ: الملكُ، ولا يُستعمَلُ إلّا في حقِّ الله[٢].

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾؛ أي: وفيما خلقَ اللهُ من شيءٍ من الأشياءِ.

﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: وفي أن عسى أن يكونَ أجلُهم قد اقترَبَ، فـ(أنْ عسى) في محلِّ جرٍّ، و﴿أَن يَكُونَ﴾ اسمُ ﴿عَسَىٰ﴾، واسمُ (كانَ) مُضمَرٌ فيه يُفسِّره ﴿أَجَلُهُمْ﴾، كما تقولُ: قامَ وقعدَ زيدٌ.

ويحتمِلُ أن يكونَ اسمُه مُضمَرًا؛ أي: أن يكونَ الأمرُ والشَّأنُ؛ أي: لا تأمَنوا انقضاءَ العمرِ، وبادِرُوا إلى التَّوبةِ.

وما قيلَ في إعرابِ: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ سوى ما أوردتُه فباطلٌ.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾؛ أي: بعد القرآنِ، والمعنى: سِواهُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذ[٣] لم يُؤمِنُوا به، وهو النِّهايةُ في الإيضاحِ والبيانِ.

***

(١٨٦) ـ ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: مَن خذلَه فسلَكَ غيرَ الطَّريقِ المُستقيمِ، ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾: لا يَهديهِ أحدٌ سوى الله، ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: يترُكُهم ويُمهِلُهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: كُفرِهم وعُتوِّهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: مُتحيِّرِينَ.

---

(١) في (ن): «تفكروا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨)، وقد تقدم في تفسير سورة (الأنعام) أن العرب تقول: «ملكوت العراق واليمن».

(٣) في (و): «إذا».

(١٨٧) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ في سببِ النُّزولِ: قال قتادةُ: قالت قريشٌ لمحمَّدٍ عليه السَّلامُ: إنَّ بيننا وبينَك قرابةً فأسِرَّ[1] إلينا متى السَّاعةُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قالَ جبلُ بنُ أبي قشيرٍ وسموءلُ[3] بنُ زيدٍ وكانا منَ اليهودِ: أخبِرْنا يا محمَّدُ متى السَّاعةُ إن كنتَ نبيًّا، فإنَّا نعلمُ متى هي؟ فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[4].

والمعنى: يطلُبون منك علمَ يومِ القيامةِ.

قولُه: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: متى وقوعُها ومُستقَرُّها وظُهورُها وقيامُها ومُنتَهاها، وأصلُه منَ الإرساءِ، وهو إقرارُ الشَّيءِ الثَّقيلِ وإمساكُه، واستُعيرَ لها هذا اللَّفظُ لِثقَلِها على الخلائقِ.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ لهم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾: لا يعلمُها غيرُه ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾: لا يُظهِرُها ولا يُقيمُها ولا يُرسيها ﴿لِوَقْتِهَآ﴾: لمعرفةِ وقتِها ﴿إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: إلَّا الله.

و(جلَّى): أظهَرَ المعنى الغامضَ.

---

(١) في النسخ: «فأشر»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٤).

(٣) كذا في (ن)، وفي (و): «سمول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، وفي «سيرة ابن هشام»: «شمويل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٤)، وهو في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٦٩).

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خفِيَتْ على أهلِها.

أبو عبيدةَ: إذا خفيَ عليك شيءٌ فقد ثقُلَ عليك[1].

وقيل: ثقُلَتْ على مَن يعرِفُها لِـمَا بعدَها منَ الحسابِ والعقابِ.

وقيل: صعُبَتْ.

وقيل: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأنَّها سببُ خرابِها وفسادِها[2]، من قولِه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] وأمثالها.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأةً، وهي أشدُّ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الحفيُّ[3]: العالمُ بالشَّيءِ المعنيُّ به، تقولُ: حفيَ عن الشَّيءِ: سألَ، وحفِيَ بالشَّيءِ: عُنِيَ به، وحفِيَ بالشَّيءِ حَفاوَةً: فرحَ به.

وقيل: ﴿حَفِيٌّ﴾ من حَفا يحفُو: إذا أحكمَ[4].

ويحتمِلُ أنَّه فعيلٌ بمعنى مُفعِلٍ؛ أي: أحفَيتَ في السُّؤالِ عنها وبالَغْتَ فيه[5].

وقولُه: ﴿عَنْهَا﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: فيه تأخيرٌ، وتقديرُه: يسألونَكَ عنها كأنَّك حفيٌّ؛ أي: عالمٌ.

والثَّاني: واقعٌ موقعَه بمعنى الباءِ؛ أي: كأنَّك حفِيٌّ بها.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٣٥).

(٢) في (و): «خرابهما وفسادهما».

(٣) «الحفي»: ليست في (و).

(٤) في (ن): «حكم»، والمثبت من (و)، ويؤيده ما قاله الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٤): «﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: كأنك عالمٌ بها، وحقيقتُه: كأنك بليغٌ في السؤال عنها؛ لأن مَن بالغ في المسألة عن الشيء والتنقيرِ عنه استحْكَم علمُه فيه ورَصُنَ». وهذا أقرب إلى الإحكام منه إلى الحُكم.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٠)، واستغربه.

وقيل: أكثرْتَ البحثَ عنها.

الزَّجَّاجُ: يسألونك عنها كأنَّك حفيٌّ؛ أي: فرِحٌ بسُؤالِهم[1].

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كرَّرَ لأنَّ المُرادَ بالأوَّلِ علمُ وقتِها، وبالثَّاني علمُ كونِها.

***

(١٨٨) ـ ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: إنَّ أهلَ مكَّةَ قالوا: يا محمَّدُ، ألَا أخبرتَنا بالسِّعرِ الرَّخيصِ قبل أن يغلُوَ فنشتريَ ونربحَ به، وبالأرضِ التي تريدُ أن تُجْدِبَ فنرتحلَ عنها إلى ما قد أخصبَتْ، فأنزلَ الله تعالى هذه الآيةَ[2].

والمعنى: لا أملكُ نفعَ نفسي ولا ضَرَّها إلَّا ما شاءَ الله أن أملكَه.

وقيل: لا أملكُ هدًى ولا ضلالًا[3].

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾؛ أي: الذي سألتُموني عنه ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾؛ أي: لادَّخَرْتُ في زمانِ الخِصْبِ منَ الطَّعامِ ما يكفيني وما أربحُ ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾: الجدبُ والقحطُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٣).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٥٧٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢٨)، وهو في. و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٣)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ٥٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«زاد المسير» (٢/ ١٧٦) عن ابن عباس، ولعل الوارد عن ابن عباس هو من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٣) في (ن): «ولا ضلالة».

وقيل: (الغيبُ) هاهنا: علمُ السَّاعةِ.

وقيل: (الغيبُ): الموتُ، و(الخيرُ): العملُ الصّالحُ.

وقيل: لو كنتُ أعلمُ بالغيبِ الذي تسألونني عنه ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: لأخبرتُكم عمَّا سُئِلْتُ ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾؛ أي: لم يلحَقْني تكذيبٌ.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: للمؤمنين.

***

(١٨٩) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿وَجَعَلَ﴾: وخلقَ ﴿مِنْهَا﴾: منَ النَّفسِ. وقيل: من جنسِ ما خلَقَ منها[1] النَّفسَ ﴿زَوْجَهَا﴾: حوَّاءَ.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنسَ بها أُنْسَ الشَّيءِ بشكلِه. وقيل: أُنْسَ الذَّكرِ بالأنثى.

الحسنُ: ليس المُرادُ بالنَّفسِ الواحدةِ وزوجِها آدمَ وحوَّاءَ، بل هو عامٌّ لجميعِ النَّاسِ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ خُلِقَ من نفسٍ واحدةٍ أُنثاها من جنسِها[2].

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: لابَسَها مُلابسةً مباشِرةً ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يعني: النُّطفةَ، ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾؛ أي: مرَّتْ وجاءَتْ وقعدَتْ وقامَتْ، والباءُ للحالِ.

---

(١) قوله: «منها» كذا في النسخ، ولعل الضمير يعود على «ما» والتي هي بمعنى: التي؛ أي: من جنس المادة التي خلق منها النفس.

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ١١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨) عن عكرمة.

وقيل: مرَّتْ: استمرَّتْ، وكذلك قرأ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما[1]، والاستمرارُ: المُصاحبةُ.

وقيل: هو من المقلوبِ؛ أي: استمرَّ بها الحملُ.

قتادةُ: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: استبانَ حملُها[2].

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: صارَتْ ذاتَ ثِقْلٍ؛ كأثمرَ: صارَ ذا ثَمَرٍ؛ أي: كبرَ الولدُ في بطنِها.

﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾: ولدًا سويًّا يُشبِهُ أبوَيه ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ﴾ لك على نِعمِكَ.

* * *

(١٩٠) ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾: أجابَ دُعاءَهما ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ جلُّ المُفسِّرين على أنَّ هذا في آدمَ وحوّاءَ عليهما السَّلامُ، وذلك أنَّ حوَّاءَ لـمَّا أثقلَتْ أتاها إبليسُ فقال لها: ما يُدريكِ ما في بطنِكِ؟ لعلَّه كلبٌ أو خنزيرٌ أو بقرةٌ أو حمارٌ، وما يُدريكِ من أين يخرُجُ، أمِنْ أُذنِك أم من عينِكِ أم من كذا أو من كذا، أم يشُقُّ بطنَكِ فيقتُلُكِ؟ فخافَتْ حوَّاءُ من ذلك، ثمَّ قال لها: أطيعيني وسمِّي ولدَكِ عبدَ الحارثِ تلِدِي شَبَهَكُما[3]، وكانَ اسمُه في الملائكةِ: الحارثَ، فذكَرَتْ ذلك لآدمَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ١١٤)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٣)، و«المحتسب» (١/ ٢٧٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٦٢١)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٠٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٨٦)، و«البحر» (١٠/ ٤٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣١).

(٣) في (ن): «شبيهكما مثلكما».

فقال: لعلَّه صاحبُنا الذي قد علمتِ، فعاوَدَهما إبليسُ، فلم يزَلْ بهما حتَّى غرَّهما، فسمَّياه عبدَ الحارثِ[(١)].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت حوَّاءُ تلدُ لآدمَ فيُسمِّيه[(٢)] عبدَ الله وعُبيدَ الله وعبدَ الرَّحمن، فيُصيبُهم الموتُ، فأتاهما إبليسُ وقال: إنْ يسرَّكما[(٣)] أن يعيشَ لكما ولدٌ فسمِّياه عبدَ الحارثِ، فولدَتْ ابنًا فسمَّياه عبدَ الحارثِ، وقالَ آدمُ: لعلَّه لا يضُرُّ التَّسميةُ، ويبقى لنا ولدٌ نأنسُ به في حياتِنا، ويخلُفُنا بعد مماتِنا[(٤)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢١) عن سعيد بن جبير والسدي.

(٢) في (و): «فتسمية».

(٣) في (ن): «وقال أيسركما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠١١٧)، والترمذي (٣٠٧٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا، ولفظ الترمذي: عن النبي ﷺ، قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه».

وهذا التفسير فيه مشكل؛ لأنه ينسب الإشراك لآدم وحواء، وإن قال بعضهم: إنه إشراك اسم لا إشراك عبادة، لكن الحديث معلول، قد أعله ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٧٥) من ثلاثة وجوه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعًا، فالله أعلم.

الثاني: أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعًا، رواه الطبري.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما عدل عنه: فقد روى الطبري عن الحسن: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم =

= يكن بآدم.

ثم قال ابن كثير: «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع».

ورجَّح ما فسر به الحسن الآية من أن المراد: ذرية آدم، وقال: «وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله فتعالى الله عما يشركون».

وقبلَ ابنِ كثير ضعَّفَ هذا الروايات وهذا التفسير للآية ابنُ العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٥٥) فقال: «وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات، ولا يعوِّل عليها مَن له قلبٌ؛ فإن آدم وحواء وإن كان غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحًا ولا يسمعا منه قولًا».

وممن أسهب في ردها وبيان خطأ مَن تناولها من المفسرين العلامة أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات» (ص: ٢٠٩ ـ ٢١٥) ثم خلص إلى أن التفسير الصحيح لها على وجهين ـ أحدهما قول كثير ـ فقال: والمحققون من المفسرين منهم مَن نحا منحى العلامة ابن كثير فجعل الآية الأولى في آدم وحواء، وجعل قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ الآيةَ في المشركين من ذريتهما؛ أي: جعل أولادهما شركاء لله فيما أتاهما، والمراد بهم الجنس؛ أي: جنس الذَّكَر والأُنثى، فمِن ثَمَّ حسُن قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بالجمع، ويكون هذا الكلام من الموصول لفظاً المفصول معنى، ومنهم من جعل الآيتين في ذرية آدم وحواء؛ أي: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ وهي نفس الذَّكَر ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا﴾؛ أي: من جنسها ﴿زَوۡجَهَا﴾ وهي: الأنثى، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾؛ أي: بشراً سويًّا كاملاً، ﴿جَعَلَا﴾؛ أي: الزوجان الكافران ﴿لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، وبذلك أبدلا شكر الله كفرانًا به وجحودًا، وعلى هذا: لا يكون لآدم وحواء ذكر مّا في الآيتين.

وإنما أطلنا في هذا التعليق لأن كثيراً من كتب التفسير ذهبت إلى القول الأول، ومنهم شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله.

وقيل: سمَّياه عبدَ الحارثِ، كما قالَ حاتمٌ:

وإنّي لعبدُ الضَّيفِ ما دامَ ثاويًا ... وما فيَّ إلّا تلك[1] مِنْ شيمةِ العبدِ[2]

وهذا معنى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وهو شركُ تسميةٍ لا شركُ عُبودةٍ.

ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: الكفَّارَ.

«الحجَّة»: تقديرُه: جعَل أولادُهما، فحُذِفَ المُضافُ[3]. والدَّليلُ عليه سياقُ الآيةِ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بلفظِ الجمعِ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿جَعَلَا﴾ يعودُ إلى الولدِ الذي دلَّ عليه قولُه: ﴿ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا﴾، وثُنِّيَ الضَّميرُ لأنَّ حوَّاءَ كانت مِتآمًا[4]، حملَتْ خمسَ مئةِ بطنٍ.

---

(١) في (ن): «تيك».

(٢) انظر: «ديوان حاتم» ت: أحمد رشاد، (ص: ١٩) و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٦٢٥)، و«شرح حماسة أبي تمام» للفارسي (٣/ ٢٩٥).
ونسب أيضاً لقيس بن عاصم المنقري في «الكامل» (٢/ ١٣٣)، و«قواعد الشعر» لثعلب (ص: ٤٤)، و«الجليس الصالح» (ص: ٦٠).
ولدعبل في «عيون الأخبار» (٣/ ٢٦٣).
وللمقنع الكندي في «محاضرات الأدباء» (١/ ٧٥١)، و«أمالي القالي» (١/ ٢٨١)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ٨٢٩)، والرواية في «الأمالي» و«شرح الحماسة»:
وإني لعبد الضيف مادام نازلا ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

(٣) انظر: «الحجة» (٤/ ١١١). ولم أجد مثل هذا التقدير في كلامه، بل لم يرد في مطبوعه شيء عن هذه القراءة، وانحصر كلامه في القراءة الأخرى كما سيأتي، وهذا التقدير الذي ذكره المؤلف قال عنه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥١٧): «وهذا معنى قول الحسن وقتادة وعكرمة».

(٤) المرأة المتآم: تلد التوأم كثيرًا. انظر: «العين» (٨/ ٤٢٤). وجعل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٠) هذا القول من الغريب.

وقيلَ: جعَلا لغيرِه شركاءَ؛ أي: لغيرِ اللهِ، وهو إبليسُ لعنَه الله.

وقولُه: ﴿شِرْكًا فيما آتاهما﴾[١]؛ أي: (ذا شِركٍ)؛ لأنَّه مصدرٌ؛ أو[٢]: (ذَوِي شِركٍ) بالجمعِ؛ لتُوافقَ قراءةَ ﴿شُرَكَآءَ﴾ بالجمعِ.

والمُرادُ بالجمعِ واحدٌ فيمَن قال: هو إبليسُ، ومَن لم يجعل القِصَّةَ لآدمَ وحوّاءَ - بل للمشركين من بني آدمَ - فـ ﴿شُرَكَآءَ﴾ جمعٌ لفظًا وحكمًا.

وقيل: تقديرُ ﴿جَعَلَا﴾: جعَلَ أحدُهما؛ يعني: حوَّاءَ.

وقولُه: ﴿لَهُۥ﴾ قيل: الهاءُ يعودُ إلى الله سُبحانَه، وقيل: إلى إبليسَ؛ أي: جعلا لإبليسَ شركاءَ فيما آتاهُما الله، يُقوِّيه قولُ مَن قالَ: تقديرُه: لغيرِه.

ويحتمِلُ أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الولدِ على تقديرِ: ﴿جَعَلَا﴾ للولدِ الصَّالحِ الذي آتاهُما اللهُ ﴿شُرَكَآءَ﴾: نصيبًا ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ منَ الرِّزقِ في الدُّنيا، وكانا قبلَه يأكُلانِ ويشرَبانِ وحدَهما، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: الكفَّار.

ومَن قرأ: ﴿شِرْكًا﴾[٣] فالمعنى: صارَا له - أي: معه - شركاً فيما آتاهُما.

وهذا القولُ لم أُسبَقْ إليه، وهو حسَنٌ؛ لأنَّه تنزيهٌ لآدمَ وحوَّاءَ عن الشِّركِ، وثناءٌ عليهما[٤]، والله أعلمُ.

***

---

(١) هذه قراءة نافع وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ الباقون بضم الشين وفتح الراء والمد والهمز من غير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٢) في (و): «أي».

(٣) في (و): «ومن قال شركا».

(٤) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٠): «العجيب - وهو أحسن الوجوه -: أن الهاء في قوله: (له) تعود إلى الولد، أي: جعل آدم وحواء للولد نصيبًا فيما آتاهما».

(١٩١) ـ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ يعني: الأصنامَ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ذهبَ المُفسِّرون إلى أنَّ قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ للمعبودين، وإنَّما جُمع جَمْعَ السَّلامةِ بعد قوله: ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ لمَّا وصفَها بأنَّها تُعبَدُ.

وقيل: لأنَّ فيما يُعبَدُ الشَّياطينَ والملائكةَ والمسيحَ.

ويحتمِلُ أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى العابدين، وهم المُشركون، وتقديرُه: أيُشرِكون ما لا يقدرُ على خلقٍ، وهم مخلوقو الله؛ أي: فليعبُدوا خالقَهم.

***

(١٩٢) ـ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾: لا تنصرُ مَن أطاعَها ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: ولا يدفَعون عن أنفُسِهم مضرَّةَ مَن قصَدَهم بكسرٍ أو غيرِه، هذا صفةٌ للأصنامِ.

***

(١٩٣) ـ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أيُّها المشرِكونَ؛ أي: أصنامَكم ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: إلى الرُّشدِ والصَّوابِ ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ لأنَّها لا تعقلُ ولا تفهمُ.

وقيل: هذا خطابٌ للمسلمين، وضميرُ المفعولِ يعودُ إلى قومٍ مِنَ الكُفَّارِ علِمَ الله أنَّهم لا يُؤمِنون.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾؛ أي: دُعاءُ الصَّنمِ والسُّكوتُ عن الدُّعاءِ سِيَّان؛ لأنَّه لا يسمعُ ولا يُجيبُ.

وقيل: دعاءُ هذا الكافرِ.

والتَّقديرُ: أدَعَوتُموهم أم صمَتُّم، واسمُ الفاعلِ نابَ عن الفعلِ.

(١٩٤)- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: تعبُدون، وقيل: ﴿تَدۡعُونَ ﴾ منَ الدُّعاء. وقيل: تُسمُّونَهم آلهةً، فحُذِفَ المفعولُ الثّاني.

﴿عِبَادٌ ﴾: جمعُ عبدٍ، وهو المملوكُ من ولدِ آدمَ ﴿أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ في كونِها مخلوقةً لله تعالى.

وأجرَى ﴿ٱلَّذِينَ ﴾ ولفظَ ﴿عِبَادٌ ﴾ للأصنامِ على زَعمِ الكفَّارِ أنَّها تعقِلُ وتضُرُّ وتنفعُ، وله نظائرُ في القرآنِ، ومَن زعمَ أنَّ ذلك لاشتمالِ المعبودين على الملائكةِ والجنِّ وعيسى عليه السَّلامُ فمدفوعٌ هاهنا، كقولِه: ﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥].

وقيل: المُرادُ بهم الكفَّارُ، ثمَّ عدَلَ إلى ذكرِ الأصنامِ.

وقيل: هذا على طريقِ الاستفهامِ؛ أي: إنَّ[١] الذين تدعونَ[٢]...؟! والمعنى: أنتم أعلى وأفضلُ منها فلِمَ تعبدونَها؟!

---

(١) «إن»: ليست في (و).

(٢) ذكر هذا الوجه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥٣٠) عن صاحب «النظم» فقال: وسلك صاحب «النظم» في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ طريقة أخرى؛ فقال: تأويل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ ﴾ على استفهام، وفي الاستفهام طرف من الإنكار كقوله: ﴿أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا ﴾ [التغابن: ٦] إلا أنه استُثقل همزتان فاقتُصر على إحداهما، وقد تستفهم العرب بغير الألف، قال الله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ [الشعراء: ٢٢] بمعنى: أو تلك على الإنكار، ولا يجوز أن يكون هذا خبرًا؛ لأن تعبيده بني إسرائيل لم يكن منّة عليه، ومثله قول الشاعر:

أفــرحُ أن أرزأَ الكــرامَ وأن ... أُورثَ ذودًا شـصائصًا نبــلا

أراد: أأفرح؛ لأنه ينتفي من ذلك، ولا يرضى أن يقال له ذلك.

﴿فَٱدۡعُوهُمۡ﴾ أمرُ إنكارٍ ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾؛ أي: فليُجيبوا، أمرُ تعجيزٍ.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّها تعقِلُ وتسمعُ وتُجيبُ.

* * *

(١٩٥) ـ ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾.

﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ﴾ مشيَكُم ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ﴾: يتناولونَ بها ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَا﴾ قيَّدَ الأعضاءَ والحواسَّ بمنافعِها؛ لأنَّ المُشركينَ يجعلون للأصنامِ صورةَ الأعضاءِ والحواسِّ.

﴿قُلِ﴾ يا محمَّدُ: أيُّها المشركون ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ وأضافَ إليهم؛ لأنَّهم يزعمُونَها شركاءَ لله.

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾: بالِغُوا في مكروهي سرًّا وجهرًا، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: لا تُؤخِّروا عنِّي ما تقدرون عليه منَ المكروهِ.

* * *

(١٩٦) ـ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾: نَصيري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآنَ، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يحفظُ المؤمنينَ الذين لا يُشرِكُونَ.

* * *

(١٩٧ ـ ١٩٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: دونِ الله ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ

يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾: يُقابلونَكَ، من قولِهم: داري تنظرُ إلى دارِكَ.

وقيل: تراها كأنَّها تنظرُ إليك.

وقيل: فاتحةً أعينَها فعلَ النَّاظرِ.

﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾؛ لأنَّها لا حياةَ بها(١).

وقيل: ﴿وَتَرَىٰهُمْ ﴾؛ يعني: الكفَّارَ ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ بأعيُنِهم ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾؛ لأنَّهم لا يُقِرُّون بنبوَّتِك، من قولِه: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧].

***

(١٩٩) ـ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾.

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ عن جماعةٍ منَ العلماء أنَّهم قالوا: ليس في القرآنِ آيةٌ أجمعَ لمكارمِ الأخلاقِ من هذه الآيةِ(٢).

ولمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال عليه السَّلامُ لجبريلَ عليه السَّلامُ: «ما هذا؟» قال: لا أدري حتى أسألَ، ثمَّ رجعَ فقالَ: يا محمَّدُ، إنَّ ربَّك يأمرُكَ أن تصِلَ مَن قطعَكَ، وتُعطِيَ مَن حرمَكَ، وتعفُوَ عمَّن ظلمَكَ(٣).

---

(١) في (ن): «لها».

(٢) قال ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢/ ٢٥٥): «وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ جوامع الكلم في كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات، فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾؛ ففي أخذه العفو: صلةُ مَن قطَعه والصفحُ عمن ظلمه، وفي الأمر بالمعروف: تقوى الله، وغضُّ الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين: تنزيه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة اللجوج».

(٣) رواه ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨). =

قولُه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ هو العفوُ عن المُذنبِ؛ أي: اترُكْ عقوبتَه، وهو منسوخٌ بآيةِ القتالِ.

وقيل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ من أموالِـهم؛ أي: ما فضَلَ وطابَ وسهُلَ، من قوله: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وهو منسوخٌ بآيةِ الزَّكاةِ.

وقيل: ما عَفا من أخلاقِ الرِّجالِ وما لا يَجْهَدُهم.

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾: بالمعروفِ، وهو ما حسُنَ فعلُه، وعرفَتْه القلوبُ ولم تُنكِرْه.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بتَركِ مُؤاخذِتهم، قيل: منسوخةٌ بالقتالِ.

وقيل: أعرِضْ عنهم بتركِ مُقابَلتِهم[1].

وقيل: بتركِ مُوافقتِهم.

***

(٢٠٠) ـ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: نالَكَ منه وسوسةٌ وفسادٌ وغضبٌ.

والنَّزغُ: الإزعاجُ بالإغراءِ.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: فاستَجِرْ بالله منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ من مكائدِه، واستَغِثْ به.

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤٣) من طريق سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه، ومن طريق سفيان عن أُميٍّ الصيرفي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨) من طريق سفيان عن أُميٍّ عن الشعبي، وكل هذه مرسلات كما قال ابن كثير عند تفسير الآية، وزاد: «وقد روي له شواهد من وجوه أُخر». قلت: له شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عند أحمد في «المسند» (١٧٤٥٢).

(١) في (و): «مقاتلتهم».

وقيـل: معنـى الآيـة: وإنْ دعاكَ الشَّيطانُ إلى خـلافِ ما أمرنـاكَ بقولِنا: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآيـةَ، فاسـتَعِذْ به منه.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يسمعُ الدُّعاءَ ويعلمُ ما في الضَّمائرِ.

***

(٢٠١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إذا زلُّوا تابوا[١].

والطَّيفُ: ما يُتَخيَّلُ في العقلِ ممَّا لا تلحقُه العينُ أو يُرى في المنامِ.

وقيل: اللَّمَمُ والوسوسةُ والخَبْلُ.

تقولُ: طافَ الخيالُ يَطيفُ طيفًا، وطافَ الرَّجلُ يطوفُ طَوفًا: إذا أقبَلَ وأدبَرَ.

و﴿طَيْفٌ﴾[٢] من طافَ الخيالُ، ويجوزُ أن يكونَ من طافَ الرَّجلُ، فيكونُ أصلُه (طيِّفٌ) بالتَّشديدِ، فخُفِّفَ كـ(ميِّتٍ)، و﴿طَٰٓئِفٌ﴾ اسمُ فاعلٍ من أحدِهما.

«الحجَّة»: يجوزُ أن يكونَ ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ مصدرًا كالطَّيفِ[٣].

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ عقوبةَ الله. وقيل: تذكَّروا المَخرجَ منه بالتَّوبةِ.

ابنُ بحرٍ: أعاذُوا بذكرِ الله[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤١) عن السدي.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزة ولا ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠١)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٣) انظر: «الحجة» (٤/ ١٢١).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٥٨)، وفيه: «عاذوا بذكر الله»، و(أعاذ) لغة في (عاذ).

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: على بصيرةٍ. والمُبصِرُ: صاحبُ البصيرةِ.

وقيل: مُهتَدون. وقيل: مُنتَهون.

* * *

(٢٠٢) - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ يعني: الشَّياطين، يجوزُ أن يكونَ الإخوانُ للشَّياطين والضَّميرُ للكفَّارِ، ويجوزُ أن يكونَ الإخوانُ[1] للكفَّارِ والضَّميرُ للشَّياطينِ.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: منَ (المددِ)، وهو الزِّيادةُ، ومنَ (المدِّ)، وهو الجذبُ؛ أي: يُزيِّنون لهم الكفرَ والمعاصيَ ويُغرونَهم.

و: ﴿يُمِدُّونهم﴾ بالضَّمِّ[2]: يُعينونَهم.

﴿فِي الْغَيِّ﴾: الضَّلالِ والهلاكِ، وهو نقيضُ الرُّشدِ.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لا يُقلِعون ولا ينتَهون.

و﴿فِي﴾ مُتعلِّقةٌ بالمدِّ، وقيل: حالٌ للإخوانِ.

* * *

(٢٠٣) - ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾؛ أي: ممَّا اقترَحُوا عليك. وقيل: بآيةٍ منَ القرآنِ. وقيل: بفريضةٍ.

﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾: تقوَّلْتَها من نفسِكَ، تقولُ: اجتبَيْتَ الشَّيءَ واختَرَعتَه وارتجَلْتَه واختَلَقْتَه؛ بمعنًى.

---

(١) «يجوز أن يكون الإخوان للشياطين والضمير للكفار ويجوز أن يكون الإخوان»: من (ن).

(٢) هي قراءة نافع بضم الياء وكسر الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠١).

وقيل: اختَرتَها لنفسِكَ. وقيل: طلبتَها منَ الله.

الحسنُ: هي الآيةُ منَ القرآنِ إذا جاءَتْ كذَّبوا بها، وإذا تأخَّرَتْ طلَبُوها استهزاءً[١].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾: لستُ آتيكم بها من قِبَلِ نفسي، فأجعلُ لكم ما تُريدونَ.

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾؛ أي: القرآنُ بصائرُ ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: فيه بيانُ كلِّ شيءٍ؛ أي: فأيُّ آيةٍ أعظمُ منه ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

***

(٢٠٤) - ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: نزَلَتْ في رفعِ الأصواتِ في الصَّلاةِ خلفَ رسولِ الله عليه السَّلامُ[٢].

قتادةُ: كانوا يتكلَّمونَ في صلاتِهم أوَّلَ ما فُرِضَتْ، كانَ الرَّجلُ يقولُ لصاحبِهِ: كم صلَّيْتَ؟ فيقولُ: كذا وكذا، فأُنزِلَتْ هذه الآيةُ[٣].

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٣٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٥).

وقد روى أبو داود (٨٢٦)، والترمذي (٣١٢)، والنسائي (٩١٩)، وابن ماجه (٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: «هل قرأ معي أحد منكم آنفًا؟» قال رجل: نعم يا رسول الله. قال: «إني أقول ما لي أنازع القرآن» قال: فانتهى الناس عن القراءة فيما جهر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٢).

الزُّهريُّ: نزلَتْ في فتًى منَ الأنصارِ كانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ كلَّما قرأ شيئًا قرأه، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1].

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في جماعةٍ: نزلَتْ في الإنصاتِ للإمامِ في الخطبةِ يومَ الجمعةِ[2].

وقيل: هو عندَ قراءةِ القرآنِ، ومعنى ﴿وَأَنصِتُواْ﴾؛ أي: للاستماعِ.

***

(٢٠٥) ـ ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾؛ أي: خلفَ الإمامِ.

وقيل: واذكُرْهُ بقلبِكَ ولا تنسَهُ.

وقيل: واذكُرْه بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ.

﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: خاشِعًا مُتذلِّلًا خائفًا فَرِقًا.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: اذكُرْهُ بقلبِكَ وبلسانِكَ غيرَ مجهورٍ به ولا مرفوعٍ به صوتُكَ.

﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾: بالبُكْرةِ ﴿وَٱلْآصَالِ﴾: العَشيِّ، وهي جمعُ (أصيلٍ)، وقيل: جمع (أُصُلٍ)، و(أُصُلٌ) جمعُ (أصيلٍ)، وهو اسمٌ لِمَا بينَ العصرِ إلى المغربِ، وآصَلَ: دخَلَ فيه.

وقيل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾: صلاةُ الظُّهرِ والعصرِ ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ بالفجرِ والعِشاءَين؛ أي: ارفَعِ الصَّوتَ وسطًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٥٩).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٦) بلفظ: «الإنصات: يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة».

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ بقلبِكَ ولسانِكَ، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به هو والمؤمنون.

وقيل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أيُّها المُستمِعُ المُنصِتُ.

***

(٢٠٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكةَ، و﴿عِندَ﴾ للقربةِ والمنزلةِ.

وقيل: عندَ رحمتِه وفضلِه.

وقيل: (عندَه): على معنى: رُسُلِه.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يتعظَّمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: عن عبادةِ الله ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: ويُنزِّهُونَه عمَّا لا يليقُ به.

المُفضَّلُ: يرفَعونَ أصواتَهم بذكرِه.

وقيل: ﴿يسبّحونه﴾: يُصلُّونَ له، من (السُّبْحةِ)، وهي الصَّلاةُ.

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾.

***

سُورَةُ الأَنفَالِ

سُورَةُ الأَنفَالِ

خمسٌ وسبعون آيةً[1]، مدنيَّةٌ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلَّا سبعَ آياتٍ، من قولِه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٣٠] الآيات[2].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قال: لمَّا كانَ يومُ بدرٍ قُتِلَ أخي عُمَيرٌ، وقَتلْتُ سعيدَ بنَ العاصِ، فأخَذْتُ سيفَه وكان يُسمَّى: ذا الكَتيفةِ، فأتيتُ به رسولَ الله عليه السَّلامُ قال: «اذهَبْ فاطرَحْهُ في القَبَضِ»، فرجعتُ وبي ما لا يعلمُه إلّا اللهُ مِن قَتْلِ أخي وأخذِ سَلَبي، فما جاوَزْتُ إلّا قريبًا حتَّى نزلَتْ سورةُ الأنفالِ، فقال لي رسولُ الله عليه السَّلامُ: «اذهَبْ وخُذْ سيفَكَ»[3].

---

(١) «خمس وسبعون آية»: ليست في (و). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٥٨) وفيه: وهي سبعون وخمس آيات في الكوفي، وست في المدنِيين والمكي والبصري، وسبع في الشَّامي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٨٦) نقلاً عن الماوردي. قال البغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٦): «والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة».

(٣) رواه أبو عبيد في «الأموال» (٧٥٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٨٩)، وابن أبي شيبة في =

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لـمَّا كانَ يومُ بدرٍ قالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «مَن قتَلَ قتيلًا فله كذا وكذا»، فذهبَ الشُّبَّانُ وجلسَ الشُّيوخُ تحتَ الرَّاياتِ، فلمَّا كانتِ الغنيمةُ جاءَ الشُّبَّانُ يطلُبون نَفْلَهُم، وقالتِ الشُّيوخُ: لا تستأثِرُوا علينا، فإنَّا كنَّا تحتَ الرَّاياتِ، ولو انهزَمْتُم كنَّا رِدْءًا لكم، فأنزلَ اللهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، فقسَمَها بينَهم على السَّواءِ(١).

وعن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رضي الله عنه قال: لمَّا هُزِمَ العدوُّ يومَ بدرٍ ذهبَتْ طائفةٌ خلفَ العدُوِّ، وأحدَقَتْ طائفةٌ رسولَ الله ﷺ، واستولَتْ طائفةٌ بالعسكرِ والنَّهبِ، ثمَّ

= «المصنف» (٣٣٠٨٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥٥٦)، والبزار في «مسنده» (١٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦)، من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه به، ورجاله ثقات غير أن فيه انقطاعاً، محمد بن عبيد الله الثقفي لم يُدرك سعداً، لكن رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٣٨)، وأبو داود (٣٧٤٠)، والترمذي (٣٠٧٩) متصلاً من طريق مصعب بن سعد، عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري من المشركين ـ أو نحو هذا ـ هب لي هذا السيف، فقال: «هذا ليس لي ولا لك» فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي، فجاءني الرسول فقال: «إنك سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك»، قال: فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقوله: «سعيد بن العاص» كذا في الخبر، وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٧٤): فالذي جاء في الخبر هنا «سعيد بن العاص» وَهَم، فإن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي متأخر، قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وله تسع سنين، وهو لم يُشرك قط، وقُتل أبوه العاص بن سعيد يوم بدرٍ كافراً، أما جده سعيد بن العاص بن أمية فمات قبل بدرٍ مشركاً، ويكون الصواب كما قال ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة عمير بن أبي وقاص: العاص بن سعيد بن العاص، ويكون الاختلاف إذن في الذي قَتله: أهو علي بن أبي طالب، أم سعد بن أبي وقاص؟

(١) رواه أبو داود (٢٧٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣).

اختلَفُوا في الغنيمةِ، وادَّعى كلُّ واحدٍ أنَّها له، فأنزَلَ الله سورةَ الأنفالِ[١].

قولُه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ الواوُ ضميرُ المؤمنين وإنْ لم يتقدَّمْ في السُّورةِ ذِكرُهم؛ لأنَّ الحالَ وسببَ النُّزولِ يدُلَّانِ على ذلك، ولأنَّ القرآنَ كلَّه كسورةٍ واحدةٍ.

والسُّؤالُ على وجهين: سؤالِ استعلامٍ، وسؤالِ طلبٍ، وهذا سؤالُ استعلامٍ؛ لأنَّه عُدِّيَ بـ(عن).

وقيلَ: معناه: يسألونَكَ عن حِلِّها وحُرمَتِها؛ ليعلَمُوا ما حكمُها مع تحريمِها على مَن كانَ قبلَهم.

وقيلَ: (عن) هاهنا زيادةٌ، والسُّؤالُ للطَّلبِ، وكذلك قراءةُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[٢].

وقيل: (عَن) بمعنى (مِن).

والأنفالُ: جمع نَفَلٍ ونَفْلٍ[٣]، وهو العطيَّةُ، والنَّوفلُ: الرَّجلُ الكثيرُ العطاءِ.

وقيلَ: النَّفْلُ: الزِّيادةُ، ومنه: (النَّافلةُ) لولدِ الولدِ، وكذلك: النَّافلةُ منَ الصَّلاةِ.

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ بدأ بذكرِ الله تعظيمًا ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: الأمرُ في الغنائمِ إلى الرَّسولِ عليه السَّلامُ[٤].

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٨٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٠٧)، وصححه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩)، وهي قراءة شاذة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٠١)، و«المحتسب» (١/ ٢٧٢).

(٣) «ونفل» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩) بلفظ: «الأنفال: المغانم كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شيء، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به، فمن حبس منه إبرة أو سلكا فهو غلول...».

ابنُ جريرٍ: الأنفالُ غيرُ الغنائمِ، وإنَّما هي زياداتٌ يزيدُها الإمامُ مَن رأى[١].

الحسَنُ: هي ما شذَّ منَ العدُوِّ من عبدٍ أو دابَّةٍ بغيرِ قتالٍ، فللإمامِ أن يُنفِّلَ مَن يشاءُ[٢].

وقيلَ: الأنفالُ: أنفالُ السَّرايا خاصَّةً.

مجاهدٌ: هي الخُمُسُ[٣].

فمَن جعلَها الغنائمَ[٤] قال: هي منسوخةٌ بقولِه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ [الأنفال: ٤١]، ومَن لم يجعَلْها الغنائمَ قال: هي مُحكَمةٌ.

والفرقُ بينَ الفيءِ والنَّفلِ والغنيمةِ:

أنَّ **الفيءَ**: ما عادَ إلى المسلمين من أموالِ المُشركين من غيرِ حربٍ ولا إيجافِ خيلٍ، وذلك لبيتِ المالِ.

والغنيمةُ: ما أُصيبَ بحربٍ عن ظَفَرٍ، وذلك يُقسَمُ على حُكمِ قولِه تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

والنَّفْلُ: زيادةٌ على ما يُصيبُ منَ القسمةِ.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾؛ أي: الحالةَ التي بينكم؛ ليكونَ سببًا لأُلفتِكُم واجتماعِ كلمَتِكُم. وقيل: أمورَكُم.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ في فرائضِه ﴿وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في سُنَّتِه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ فإنَّ الإيمانَ يُوجِبُ ذلك.

***

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠).

(٤) في (ن): «للغنائم».

(٢) ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾: خافَتْ فانقادَتْ لأوامرِه، وارتَدَعَتْ عن نواهيه، واطمأَنَّتْ إلى وَعْدِه، وفَرِقَتْ من وعيدِه.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ إذا تأمَّلُوا وتدبَّرُوا معانيَه يزيدُ في إيمانِهم ويقينِهم وقُوَّةِ بصائرِهم. وقيل: تصديقًا. وقيل: يقينًا. وقيل: خشيةً.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: يُفوِّضون أمورَهم إليه.

***

(٣) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: يُخرِجون حقَّ الله بالزَّكاةِ والصَّدقةِ.

وقيل: يُقِرُّونَ أنَّه من عندِ الله.

***

(٤) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾: سرًّا وجهرًا، بخلافِ المُنافقِ.

وقيل: هم الذين استحَقُّوا هذه التَّسميةَ.

وقيل: هو تأكيدٌ للكلامِ؛ أي: أَحُقُّ هذا الخبرَ حقًّا.

و(الحقُّ) في الكلامِ على وجهَينِ:

أحدُهما: المُستَحَقُّ.

والثَّاني: ما له حقيقةُ الوجودِ، بخلافِ الباطلِ؛ فإنَّه لا وجودَ له.

وقيل: تمَّ الكلامُ على (المؤمنين)، و﴿حَقًّا﴾ مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: منازلُ في الجنَّةِ. وقيل: مراتبُ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ للذُّنوبِ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: خالصٌ منَ الشَّوائبِ[1]. وقيل: مُرتفِعُ القَدْرِ عندَ النَّاسِ.

***

(٥) ـ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: كما أمرَكَ بالخروجِ ودعاكَ إليه ﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ قيل: من مكَّةَ، حكاه الماوَرْديُّ[2].

والجمهورُ: على أنَّه منَ المدينةِ، حين سمعَ بأبي سفيانَ مُقبلًا منَ الشَّامِ في عيرِ قُريشٍ ومعه أموالٌ وتجاراتٌ كثيرةٌ، وهي اللَّطيمةُ[3]، فقال للمُهاجرين والأنصارِ: «اخرُجوا معي إليها لعلَّنا نأتي بخيرٍ»، فخرجَ معه ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلًا، وكان الجملُ بين ثلاثةٍ يتعاقَبونَ عليه، ولم يكُنْ معهم إلَّا فَرسانِ، فخرجُوا من غيرِ قُوتٍ ولا سلاحٍ لا يُريدونَ إلَّا أبا سفيانَ، ولا يرَوْنَ[4] أنْ يكونَ ثَمَّ قتالٌ، فلمَّا سمعَ أبو سفيانَ مسيرَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بعثَ ضَمْضَمَ بنَ عمرٍو الغفاريَّ إلى مكَّةَ ليُخبِرَهم أنَّ محمَّدًا قد عرَضَ لعِيرِهم، فغضِبَ أهلُ مكَّةَ فانتَدَبُوا ولم يتخلَّفْ عنهم إلَّا الضَّعيفُ، فلمَّا بلغَ رسولُ الله عليه السَّلامُ واديًا يُقالُ له: دَفِرانُ، أتاه جبريلُ عليه السَّلامُ فقال:

---

(١) في (ن): «شوائب الكدر».

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٩٥)، وفيه: «فيه قولان: أحدهما: كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهة فريق من المؤمنين، كذلك ينجز وعدك في نصرك على أعدائك بالحق. والثاني: كما أخرجك ربك من بيتك من المدينة إلى بدر بالحق، كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق».

(٣) اللطيمة: العير التي تحمل الطيب وبز التجار، ولا يقال: لطيمة، إلا إذا كان فيها طيب، وإلا فهي عير. انظر: «فقه اللغة» (ص: ٣٤).

(٤) في (ن): «ولا يريدون».

إنَّ الله وعدَكُم إحدَى الطَّائفتَين؛ إمَّا العيرَ، وإمَّا قُريشًا، فشَقَّ ذلك على بعضِهم وقالوا: يا رسولَ الله، هلَّا أخبَرْتَنا أنَّه يكونُ قتالٌ حتَّى نُخرِجَ سلاحَنا ونتأهَّبَ له، إنَّا خرَجْنا نُريدُ العيرَ، فاستشارَ عليه السَّلامُ أصحابَه فقالوا: امضِ لِمَا أمرَكَ اللهُ ونحنُ معَكَ، والله ما نقولُ كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، فقالَ عليه السَّلامُ: «سيروا على بركةِ الله وأبشِروا، فإنَّ الله قد وعَدَني إحدى الطَّائفتَين، ولكأنِّي الآنَ أنظُرُ إلى مصارعِ القومِ»، فسارَ رسولُ الله عليه السَّلامُ حتى نزَلُوا بدرًا بجانبِ الوادي الأدنى[1]، ونزلَ به المُشركونَ على جانبِه الأقصى على الماءِ وبينَهما الوادي[2].

وفي قولِه: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ خلافٌ بينَ المُفسِّرين:

فذهَبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّشبيهَ وقعَ بين الحقَّينِ؛ أي: ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾. وقيل: قسمتُك الغنائمَ حقٌّ كما كانَ خروجُك حقًّا.

وقيل: بينَ الكراهتَين؛ أي: الأنفالُ لله ورسولِه وإنْ كرِهَ بعضُهم، كما أخرجَكَ ربُّك وفريقٌ منهم[3] كارِهونَ.

وقيل: بين المُجادلَتَين؛ لأنَّهم جادَلُوا في الأموالِ، وادَّعى كلُّ فريقٍ أنَّها لهم، كما جادَلُوا في لقاءِ العدوِّ عندَ دُنوِّهم منهم. وقيل: يُجادِلُونَك في القتالِ كما جادَلُوا في الخروجِ.

---

(١) في (و): «الأيمن».

(٢) انظر سياق غزوة بدر في: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤١) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «من المؤمنين».

وقيلَ: بينَ الصَّلاحَينِ؛ أي: صلاحُهم في إصلاحِ ذاتِ بينِهم كصلاحِهم في إخراجِ الله إيّاهُم[١].

وقيل: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، وهو مكَّةُ[٢] ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ﴾، وهو مكَّةُ[٣].

وقيل: هو يمينٌ؛ أي: والذي أخرجَكَ، وهذا سهوٌ، وإن كانَ قائلُه أبا عُبيدةَ[٤].

وقيل: امضِ على ما أخرجَكَ ربُّك، والكافُ بمعنى (على)، حكاه قُطربٌ[٥]، ونسبَه إلى ابنِ عبَّاسٍ[٦].

قولُه: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالواجبِ. وقيل: الخروجُ لذلك[٧] حقٌّ لا باطلٌ.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾؛ أي: الخروجَ، قيل: لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أمرَهُم بالخروجِ بغتةً كي لا ينتشِرَ الخبرُ فيبلُغَ أبا سفيانَ، ولم يكونُوا متأهِّبين للخروجِ.

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٤): «وأحسن هذه الوجوه الأربعة، التشبيه بين الحقين؛ لوجود لفظ الحق قبل ذكر الكاف وبعده، وأما الكراهة والجدال فمذكوران بعد الكاف في الآية، والصلاح مذكور قبل الكاف فحسب».

(٢) «معاد وهو» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٤)، واستغربه.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٤٠). وكذا استبعده أبو بكر الأنباري، ونص كلامه كما نقله الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٠): «وهذا بعيد؛ لأن الكاف ليست من حروف الإقسام».

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤)، ونسبه إلى بعض نحويي البصرة. قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٧٣): «وهذا ضعيف؛ لأنه لم يثبت أن الكاف تكون بمعنى (على)، ولأنه يحتاج الموصول إلى عائد، وهو لا يجوز أن يحذف في مثل هذا التركيب».

(٦) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ١٤٥).

(٧) في (و): «كذلك».

وقيل: كارِهونَ كراهةَ نِفَارِ الطَّبعِ عنِ المشاقِّ، لا كراهةً ضِدَّ الإرادةِ.

وقيل: كرِهُوا أوَّلًا ثمَّ أرادوه.

* * *

(٦) - ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: يُخاصِمُونَكَ. والمُجادَلةُ: المُخاصَمةُ والمُنازَعةُ التي يُعتَلى بها عن مذهبٍ إلى مذهبٍ؛ أي: يُجادِلُونَكَ حينَ فاتَهم العِيرُ ونزلَ بإزائِهم النَّفيرُ، ويقولون: لو علِمْنا أنَّا نُقاتِلُ لتأهَّبْنا للقتالِ وأعدَدْنا له عُدَّتَه.

وقيلَ: كرِهُوا القتالَ لقِلَّتِهم وكونِهم رَجَّالةً.

﴿فِي ٱلۡحَقِّ﴾: في الجهادِ. وقيل: في الخروجِ.

﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أنَّ الجهادَ واجبٌ والخروجَ صوابٌ.

وقيل: بعدَ ما تبيَّنوا وعلمُوا أنَّ أمرَكَ أمرُ الله.

والتَّبيُّن: ظُهورُ المعنى للنَّفسِ.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: يكرهونَ القتالَ كراهيةَ مَن يُساقُ إلى الموتِ وهم ينظُرون إلى أسبابِه.

والسَّوقُ: الحثُّ على السَّيرِ.

وقيل: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿فِي ٱلۡحَقِّ﴾: في الإسلامِ ﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: بانَ وظهرَ الإسلامُ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ﴾ حين دُعوا إلى الإسلامِ ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ تلك الحالةَ.

* * *

(٧) ـ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ إمَّا العيرَ وإمّا النَّفيرَ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾: بدلٌ من ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾؛ أي: يصيرُ ما معَهم لكم.

والوعدُ: الخبرُ بما يَسُرُّ، بخلافِ الوعيدِ؛ فإنَّه خبرٌ بما يغُمُّ، ولا يكونانِ إلَّا بما يُستأنَفُ، والبشارةُ تقعُ للماضي والمُستقبلِ.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: وتمنَّون أنَّ الطَّائفةَ غيرَ ذاتِ ﴿ٱلشَّوْكَةِ﴾[1] السِّلاحِ؛ السَّيفِ والسِّنانِ والنِّصالِ.

وقيل: الشَّوكةُ: شِدَّةُ الحربِ.

والشَّوكةُ: الحِدَّةُ، واشتقاقُها منَ الشَّوكِ: وهو النَّبتُ الذي له حِدَّةٌ.

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: ينصُرَ أهلَ الإسلامِ. وقيل: يُظهِرَ الإسلامَ. وقيل: يأمرَ بالجهادِ.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوامرِه ونواهيه. وقيل: بمواعيدِه.

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: يستأصِلَهم.

والدَّابرُ: الآخرُ، والدَّابرُ: الأصلُ[2]. وقيل: الدَّابرُ: آخرُ مَن بقيَ.

* * *

(٨) ـ ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: ليُعبدَ اللهُ وحدَه، وذلك تحقيقُ الحقِّ ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾: الكفرَ.

وقيل: ﴿ٱلْحَقَّ﴾: القرآنَ، و﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: إبليسَ.

---

(١) «الشوكة» ليست في (ن).

(٢) «والدابر الأصل» من (ن).

وقيل: لينصُرَ محمَّدًا عليه السَّلامُ، ويُبطِلَ فعلَ المُشركين.

وقيل: يحقِّقَ وعدَه.

ومعنى ﴿يُحِقَّ﴾: يُثبِتَ ويُظهِرَ، وكُرِّرَ لأنَّ الأوَّلَ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾؛ أي: أنتم تُريدونَ العِيرَ واللهُ يُريدُ إهلاكَ النَّفيرِ، والثَّاني مُتَّصلٌ بالكلِّ.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

الحسنُ في جماعةٍ: هاتانِ الآيتانِ مُتقدِّمتانِ في النُّزولِ على قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، وفي القراءةِ بعدَهما(١).

* * *

(٩) ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الاستغاثةُ: طلَبُ المَغُوثةِ(٢)، وهي سدُّ الخَلَّةِ في وقتِ شدَّةِ الحاجةِ.

وقيل: الاستغاثةُ: طلَبُ الغَوْثِ، وهو التَّخليصُ منَ المكروهِ.

وقيل: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾: تستَجيرون، منَ لغَوثِ؛ واغَوْثاهُ.

والمُستَغيثُ: المسلوبُ القدرةِ، والمُستعينُ: الضَّعيفُ القُدرةِ، والمُستجيرُ: طالبُ الخلاصِ، والمُستنصِرُ: طالبُ الظَّفَرِ.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾: أجابَ.

وقيل: الاستجابةُ: ما تقدَّمَها امتناعٌ، والإجابةُ: لم يتقدَّمْها امتناعٌ(٣).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٩٧) عن الحسن.

(٢) في (و): «المعونة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٥)، واستغربه.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾: مُعينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُتتابعينَ.

وقيل: مع كلِّ مَلَكٍ مَلَكٌ، فيكونُ ألفينِ.

وقيل: ﴿مُرْدِفِينَ﴾: جاؤوا على آثارِهم، قال:

إذا الجوزاءُ أَرْدَفتِ الثُّريَّا ظَنَنْتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنونا[١]

والجوزاءُ: تطلُعُ على إثْرِ الثُّريَّا.

ومَن قرأ بالفتحِ[٢]؛ أي: أُردفَ بعضُهم ببعضٍ، أو أردَفَهم المسلمون. تقولُ: رَدِفْتُه: إذا ركبْتَ خلفَه، وأَرْدَفْتُه[٣]: أركبْتَه خلفَكَ.

الحسنُ: أُمِدُّوا بخمسةِ آلافٍ؛ هذا ألفٌ، وثلاثةٌ في آلِ عمرانَ، ثمَّ

---

(١) البيت لخزيمة بن نهد كما في «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٤٥)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٧١) (مادة ق ظ ر)، و«الصحاح» (مادة: ر د ف)، وورد فيه اسم الشاعر: خزيمة بن مالك بن نهد، وفي بعض المصادر: حزيمة بالحاء.

يقول: إذا أردفتِ الجوزاء الثريا؛ أي: إذا طلَعَتْ الجوزاء إثر الثريا عند الفجر ثم لم يَرْدُفْها نجم آخرُ لغلبة نورِ الشمس على النجوم، فلذلك خص الجوزاء بالإرداف دون غيرها، فإذا كان في ذلك الوقت رجع أهل البوادي إلى مياههم لانقطاع الحر وحاجتهم إلى المياه، قال: فعند ذلك أظن بآل فاطمة الظنون؛ لأني لا أدري أين ينزلون: معنا أم مع غيرنا؟ وقال قوم أراد بقوله: «إذا الجوزاء أردفت الثريا»: جعلتْها خلفها، وهذا لا يكون لأن الجوزاء لا تتقدم الثريا، فهذا كقولهم: حتى يشيب الغراب، و: حتى يبيضَّ القارُ، يقول: أنا لا أظن الشر بآل فاطمة أبداً. ذكر هذا المعنى الآخر محمد بن يزيد. انظر: «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» (ص: ٤٧٤).

(٢) هي قراءة نافع، وقرأ باقي السبعة بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

(٣) في (و): «ورادفته».

أردَفَهم ألفًا، فصاروا خمسةَ آلافٍ[(١)]. وقيل: صاروا[(٢)] ثمانيةَ آلافٍ.

***

(١٠) ـ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الإمدادُ. وقيل: الإردافُ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: ما يُؤذِنُ بالمسرَّةِ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ﴾: ولتسكُنَ به ﴿قُلُوبُكُمْ﴾.

وحُذِفَ (لكم) في هذه السُّورةِ لتقدُّمِ قولِه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، وقُدِّمَ ﴿بِهِۦ﴾ هاهنا لأنَّه القياسُ، وأُخِّرَ في (آل عمران) كما أُخِّرَ ﴿لَكُمْ﴾[(٣)].

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُغلَبُ ﴿حَكِيمٌ﴾: يضعُ الشَّيءَ موضِعَه.

***

(١١) ـ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ اذكُرْ إذْ، وقيل: لتطمَئِنَّ إذْ.

﴿يغشيكم﴾: علاكم[(٤)]، و﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ اللهُ ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ والنُّعاسُ: النَّومُ، تقولُ: نَعَسَ ينعُسُ ـ بالضَّمِّ ـ فهو ناعِسٌ ونعسانُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٢٢).

(٢) «صاروا»: ليست في (و).

(٣) في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. انظر: «درة التنزيل» (١/ ٣٩٠) و«البرهان» للمصنف (ص: ٩٢ ـ ٩٣).

(٤) قوله: «يغشيكم علاكم» كذا في النسخ، ولعل المراد قراءة: ﴿يغشاكم﴾ بفتح الياء والتخفيف وضمِّ سِين ﴿النعاسُ﴾ مرفوعاً، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي =

﴿أَمَنَةً﴾: أمْنًا ﴿مِّنۡهُ﴾: من عندِ الله.

لمَّا وعدَ الله المسلمينَ بالنَّصرِ سكَنُوا إلى وعدِ الله فنامُوا؛ لأنَّ الأمْنَ يُنِيمُ والخوفَ يُسْهِرُ.

ابنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه: النَّومُ عندَ القتالِ أَمَنةٌ منَ الله، والنَّومُ في الصَّلاةِ منَ الشَّيطانِ(١).

وجاء في الخبرِ: ناموا حتَّى احتلَمَ أكثرُهم فأصبَحُوا مُجنِبين(٢).

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مُطِرُوا مطرًا جَودًا(٣).

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾: بالماءِ منَ الأحداثِ والجنابةِ، ﴿وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: كيدَه ووسوستَه، وقيل: عذابَه بالوسوسةِ(٤).

= بضم الياء وتشديد الشين من التغشية، وقرأ نافع بضم الياء وتخفيف الشين من الإغشاء، انظر هذه القراءات في «السبعة» (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» (ص: ١١٦)، و«جامع البيان في القراءات السبع» للداني (٣/ ١١٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٧٦)، وسقطت قراءة نافع من مطبوع «التيسير».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٩٤)، ولفظ عبد الرزاق: «النعاس في الصلاة من الشيطان، والنعاس في القتال أمنة من الله تعالى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤، ٦٧) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما والضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٦٥ ـ ١٦٦٦) عن قتادة. ولفظ الطبري عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مجنبين محدثين، حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول الله ﷺ. فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المسلمون وملؤوا الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهوراً، وثبت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله عليها المطر فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام».

(٣) في (و): «جوادًا». والمثبت من (ن)، والجَود: المطر البالغ.

(٤) «وقيل: عذابه بالوسوسة»: ليست في (و).

وقيل: ﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الجنابةَ منَ الاحتلامِ؛ لأنَّه منَ الشَّيطانِ، وذلك أنَّ المُشركينَ غَلَبوا على الماءِ، فوسوَسَ إليهم الشَّيطانُ وقالَ: كيفَ ترجُونَ الظَّفَرَ وقد غُلِبتُم على الماءِ وأنتُم تُصلُّونَ مُجنِبينَ مُحدِثين، وتزعُمونَ أنَّكم أولياءُ الله وفيكم رسولُه؟!

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقينِ، والرَّبطُ: الشَّدُّ.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ وكانوا على كثيبٍ أعفرَ[1] تغيبُ فيه الأقدامُ، فلبَّدَه المطرُ.

وقيل: ﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الكفرَ، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإيمانِ، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾: ويُقوِّيَ القلبَ، فيكونَ سببًا لثباتِ القَدمِ.

***

(١٢) ـ ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ بالنُّصرةِ ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالبشارةِ.

وكان الملَكُ يمشي أمامَ الصَّفِّ ويقولُ: أبشِرُوا أبشِرُوا، إنَّكم كثيرٌ، وعدوُّكم قليلٌ، واللهُ ناصِرُكم[2].

وقيل: كانوا يُخبِرون النَّبيَّ عليه السَّلامُ بالنُّصرةِ، وكان النَّبيُّ عليه السَّلامُ يُخبِرُ المُؤمنين بذلك.

﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوفَ. والرُّعْبُ: امتلاءُ القلبِ

---

(١) قوله: «كثيب أعفر»؛ أي: رمل أبيض تعلوه حمرة. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (٧/ ٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في «تفسيره» (١٠/ ٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٧٤) عن مقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٠٤).

منَ الخوفِ، من قولِ العربِ: رَعَبَ السَّيْلُ الوادِيَ: إذا ملأَهُ ماء[١].

﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ قيل: (فوقَ) صلةٌ. وقيل: بمعنى: على[٢].

وقيل: ما بدا من أعناقِهم.

وقيل: جلدةَ الأعناقِ. وقيل: فاضرِبُوا الرُّؤوسَ فوقَ الأعناقِ[٣].

ويحتملُ أنَّ (فوق) مفعولٌ به لا ظرفٌ، تقولُ: «فوقُكَ رأسُك» بالرَّفع، و«فوقَكَ قَلَنْسُوَتُكَ» بالنَّصبِ[٤].

﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾؛ أي: اضرِبُوا الرُّؤوسَ؛ فإنَّها المَقْتَلُ، واقطَعُوا الأناملَ؛ لأنَّها مواضعُ استعمالِ السِّلاحِ.

والبَنان: الأصابعُ، واحدُها: بنانةٌ، من أَبَنَّ بالمكانِ: إذا أقامَ.

وقيل: ﴿كُلَّ بَنَانٖ﴾: كلَّ طَرَفٍ ومَفْصِلٍ.

وقيل: حيثُ استقبَلْتُم من أعضائِهم، وحيثُ استقبَلَكُم منها.

* * *

(١٣) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الضَّربُ والقتلُ ﴿بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بسببِ أنَّهم خالَفُوا اللهَ ورسولَه.

---

(١) «ماء» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربه.

(٣) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربهما. وزاد: «فحذف المفعول وبقي صفته، وهي الظرف».

(٤) انظر: «تعليق الفرائد» للدماميني (٣/ ١٢٥).

والشِّقاقُ: الخلافُ، وأصلُه من مُفارقةِ الشَّيءِ الشَّيءَ، وحقيقتُه: أن تكونَ في شقٍّ وغيرُكَ في شقٍّ، وعلى هذا أكثرُ هذا البابِ.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ في الدُّنيا بالقتلِ والأسرِ، وفي الآخرةِ بالنّارِ والنَّكالِ.

***

(١٤) ـ ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾؛ أي: الأمرُ ذلكُم، وهو إشارةٌ إلى ما عُجِّلَ لهم يومَ بدرٍ.

ويجوزُ أن يكونَ نصبًا نحو: زيدًا فاضرِبْه.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ عطفٌ على (ذلك)[1].

***

(١٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

عطاءٌ في جماعةٍ: منسوخةٌ، نسخَتْها آيةُ تحريضِ[2] المؤمنينَ على القتالِ[3].

الحسنُ في جماعةٍ: مخصوصةٌ بأهلِ بدرٍ[4].

---

(١) يعني على (ذلك) التي في ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ في وجهيه النصب والرفع. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٠٥).

(٢) في (و): «حرض».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٠)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٥٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٥). وعندهم أن النسخ بقوله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ قال: فليس لقوم أن يفروا من مثلَيْهم. فنسخت تلك الآية هذِه العِدَّة.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٠).

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: مُحكَمةٌ، والفرارُ منَ الزَّحفِ منَ الكبائرِ(١).

الزَّحفُ: الجيشُ يزحَفُ لقتالِ جيشٍ آخرَ، والزَّحفُ: السَّيرُ الثَّقيلُ، وهكذا سيرُ العساكرِ.

وقيل: الزَّحفُ: الدُّنوُّ قليلًا قليلًا.

وقيل: هو من زَحَفَ الصَّبيُّ: إذا جرَّ أسفلَه على الأرضِ.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: لا تنهَزِمُوا، ولا تجعَلُوا أدبارَكم ممَّا يلي أعداءَكم، وخُصَّ الدُّبُرُ بالذِّكرِ دونَ الظَّهرِ تقبيحًا للفرارِ.

* * *

(١٦) - ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ مُستَطرِدًا(٢)، أو تولَّى مكيدةً ومكرًا، أو رأى غيرَ موضِعِه أصلحَ له. والتَّحرُّفُ: المصيرُ إلى الحَرْفِ، وهو الحدُّ.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو مُنضَمًّا إلى جماعةٍ غيرِهم بالقُربِ منهم، مُشتقٌّ من حُزْتُ الشَّيءَ: جمعتُه، وأصلُه: مُتَحَيْوِزٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨١) ورجحه، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦١).

(٢) في (ن): «متطردًا». والمثبت من (و) وهو الموافق لما في المصادر، ففي «تفسير مقاتل» (٢/ ١٠٥): مُستَطرِداً يريد الكرة للقتال. وقال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٥): إلا مستطرِدًا لقتال عدوه، يطلب عورةً له يمكنه إصابتها فيكرّ عليه. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٠) عن سعيد بن جبير: مُستطردًا يريد الكَرَّةَ على المشركين. وقال الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٦٣): أي: منعطفًا مستطردًا، كأنه يطلب عورة تمكنه إصابتها، فينحرف عن وجه، وُيرى أنه منهزم ثم يكر.

﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: استحَقَّ ورجعَ واحتملَ، وقد سبقَ.

﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾: مَرجِعُه إلى النَّارِ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

***

(١٧) - ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ في سببِ نُزولِه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أخذَ قبضةً من حصباءِ الوادي يومَ بدرٍ، فرماهُم بها وقال: «شاهتِ الوجوهُ»، فلم تبقَ عينُ مُشركٍ إلّا دخلَها منها شيءٌ[1].

وقال حكيمُ بنُ حزامٍ: لـمَّا كانَ يومُ بدرٍ سمِعْنا صوتًا وقعَ منَ السَّماء إلى الأرضِ كأنَّه صوتُ حصاةٍ وقعَتْ في طَسْتٍ، ورمى رسولُ الله عليه السَّلامُ بتلك الحَصَياتِ فانهزَمْنا[2].

وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ طعَنَ أُبيَّ بنَ خلَفٍ يوم أُحُدٍ بحَرْبَتِه، فسقَطَ أُبيٌّ عن فرسِه ولم يخرُجْ من طعنَتِه دمٌ، فجعلَ يخورُ خوارَ الثَّورِ، فقيل له: ما أعجزَكَ، إنَّما هو خَدْشٌ؟! [فذكرَ لهم قولَ رسولِ الله ﷺ: «بل أنا أقتُلُ أُبيًّا»] فقالَ: والذي نفسي بيدِه، لو كان هذا الذي بي بأهلِ ذي المَجازِ لماتُوا أجمعون[3]،

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٤ - ٨٦) عن ابن عبّاسٍ وقتادة وابن زيد والسدي.

ومن قوله: «شاهت الوجوه» إلى آخره رواه مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، لكن في قصة غزوة حنين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٢).

(٣) في (ن): «جميعًا».

فماتَ أُبيٌّ، فأنزَلَ اللهُ في ذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١].

وقيل: نزلَ يومَ حُنَينٍ، رمى رسولُ الله عليه السَّلامُ نحوَ الحصنِ بسهمٍ، فأقبلَ السَّهمُ يهوي حتَّى قتلَ كنانةَ بنَ أبي الحقيقِ وهو على فراشِه، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[٢].

وجمهورُ المُفسِّرينَ على القولِ الأوَّلِ؛ أي: فلم تقتُلُوهم فتستَحِقُّوا الأنفالَ، ولكنَّ الله قتلَهم؛ أي: تولَّى نصرَكُم وإمدادَكُم بالملائكةِ.

وقيل: ساقَهُم إليكم ومكَّنكُم منهم.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٦٣)، وصححه، وما بين معكوفتين منه.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٣) بلفظ: «لما كان يوم أحد أخذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله ﷺ واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه فقال لهم فقال رسول الله ﷺ: «استأخروا»، فاستأخروا، فأخذ رسول الله ﷺ حربته في يده فرمى أبي بن خلف وكسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع أبي بن خلف إلى أصحابه ثقيلاً فاحتملوه حتى ولَّوا قافلين، فطفقوا يقولون: لا بأس، فقال أبيٌّ حين قالوا ذلك له: والله لو كانت بالناس لقتلتهم، ألم يقل: إني أقتلك إن شاء الله تعالى؟ فانطلق به أصحابه يتغشونه حتى مات ببعض الطريق، فدفنوه. قال ابن المسيب: وفي ذلك أنزل عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآية».

وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٧) نحوه عن الزهري.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨): «وهذا القول عن هذين الإمامين غريب جدًّا، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، لا أنها نزلت فيه خاصة».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٣) عن عبد الرحمن بن جبير، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧) إلى الطبري، وقال ابن كثير: «وهذا غريب، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير، ولعله اشتبه عليه أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم، والله أعلم».

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾؛ أي: ﴿مَا رَمَيْتَ﴾ في أعيُنِهم كلِّهم؛ لأنَّ ذلك ليسَ في طَوْقِ البشرِ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ من يدِكَ[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فلا اعتدادَ لرميِكَ.

وقيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ قلوبَ المُشركينَ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ وجوهَهم بالحصباءِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ رَمْيَ الإصابةِ.

وقيل: ﴿مَا رَمَيْتَ﴾: ما ظَفِرْتَ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: أظفرَكَ، من قولِ العربِ: رَمَى اللهُ لك؛ أي: نصرَكَ[2].

﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾: ليُسدِيَ إليهم وينصُرَهُم ويُنعِمَ عليهم، تقولُ: أبلاهُ اللهُ: إذا أنعَمَ عليه، وبلاه: امتحَنَه.

والبلاءُ يُستَعملُ للخيرِ والشَّرِّ، فقيَّدَه بقوله: ﴿حَسَنًا﴾.

وتقديرُه: وليُبليَ المؤمنين فعَلَ ما فعَلَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٨) ـ ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: فعلُ اللهُ ذلك الذي شاهدتُموه.

ويجوزُ أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: الأمرُ ذلكُم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مُضعِفُ كيدِ الكافرين بإبطالِ حيَلِهم، وإلقاءِ الرُّعبِ في قلوبِهم، وتفريقِ كلمتِهم، ونقضِ ما أبرَمُوا.

* * *

---

(١) في (و): «ربك».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربه.

(١٩) - ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾: إن تستنصِرُوا فقد جاءَكُم نصرُ الله.

وقيل: إن تستقْضُوا فقد جاءكُم قضاءُ الله.

الخطابُ للكفَّارِ حيثُ قالوا: اللَّهمَّ افتَحْ بينَنا وبينَ محمَّدٍ[١].

وقال أبو جهلٍ يومَ بدرٍ: انصُرْ أعلى الجندَينِ، وأهدَى الفئتَينِ، وأكرَمَ الحزبَينِ، وأفضَلَ الدِّينَينِ[٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٠) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٢) عن السدي: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا: «اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين» فقال الله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾، يقول: نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ..

وروى الواقدي في «المغازي» (١/ ٧٠)، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٢٨)، ومن طريقه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٧٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٣١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٤)، ومن غير طريقه رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٣٧)، والطبري (١١/ ٩٢) نفسه، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٦٤)، وصححه، جميعهم عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير حليف بني زهرة قال: «كان المستفتِح يوم بدر أبا جهل، قال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأَحِنه الغداة»، فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٦٦١)، ولم يذكر الآية.

وروى الطبري أيضًا عن يزيد بن رومان وغيره: «قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أحب الدينين إليك، دينَنا العتيق، أم دينهم الحديث» فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٣) عن الزهري نحو هذا.

﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الكفرِ والقتالِ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: الانتهاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ﴾ للقتالِ ﴿نَعُدْ﴾ للقتلِ والهزيمةِ ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: جَمْعُكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ الفئةُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقيل: الخطابُ للمؤمنين، ومعنى الآية: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ يومَ بدرٍ، ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن أمرِ الأنفالِ وفداءِ الأسرى ببدرٍ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ﴾ إلى معصيةِ الله ﴿نَعُدْ﴾ إلى الإنكارِ، ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ لكثرةِ أعدائِكم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والأوَّلُ أظهرُ.

وقيل: ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ للاستفتاحِ ﴿نَعُدْ﴾ لنصرِ محمَّدٍ والمؤمنين.

* * *

(٢٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يدعوكُم إلى الجهادِ.

وقيل: هو قَبولُ الأمرِ والنَّهيِ، وخصَّ المؤمنين بالذِّكرِ رَفعًا لأقدارِهم، وإن كان غيرُ المؤمنينَ داخِلًا معهم.

﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ﴾: لا تُعرِضُوا ﴿عَنْهُ﴾ ولا تُخالفوه، ووحَّدَ الكنايةَ لأنَّه يعودُ إلى الله.

وقيل: إلى رسولِه؛ لأنَّه المُنْبِئُ عن الله.

وقيل: إلى الله ورسوله، ووحَّدَ لأنَّ أمرَ كلٍّ واحدٍ أمرُ الآخرِ.

وقيل: يعودُ إلى الجهادِ والأمرِ الذي أُمِرُوا به.

ويحتملُ أنَّه لمَّا لم يجز إطلاقُ لفظِ التَّثنيةِ على الله سُبحانَه وتعالى وحدَه لم يجُزْ إجراءُ لفظِ التَّثنيةِ عليه مع غيرِه، بخلافِ لفظِ الجمعِ؛ فإنَّه لـمَّا جازَ إطلاقُ لفظِ الجمعِ عليه وحْدَه تعظيمًا، جاز إجراءُ لفظِ الجمعِ عليه مع غيرِه.

ولهذا[1] نظائرُ في القرآنِ، منها قولُه: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ومنها: ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وجاءَ النَّكيرُ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ على مَن ذكرَه مع غيرِه بلفظِ التَّثنية، وهو أنَّ رجُلًا قام بينَ يدَيه فقال: مَن أطاعَ اللهَ ورسولَه فقد رَشَدَ، ومَن عصاهُما فقد غوَى، فقال: «بئسَ خطيبُ القومِ أنتَ، هلَّا قُلْتَ: ومَن عَصَى اللهَ ورسولَه»[2]، واللهُ أعلمُ.

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآنَ. وقيل: الأمرَ والنَّهيَ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: هم المُنافقون.

وقيل: هم أهلُ الكتابِ.

وقيل: هم المُشرِكون يسمعونَ بآذانِهم فلا ينتَفعون، فصاروا كمَن لا يسمعُ.

وقيل: هم الذين قالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١].

وقيل: نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ.

وقيل: في بني عبد الدَّارِ بنِ قُصيٍّ، لم يُسْلِمْ منه إلَّا رجلانِ: مصعبُ بنُ عُمَيرٍ، وابنُ حرملةَ[3].

---

(١) أي: لذكرُ ضمير الواحد بعد ذكر الله سبحانه ورسوله ﷺ.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٥٩٤) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) روى البخاري (٤٦٤٦) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠): وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصيٍّ، لم يُسلِمْ منهم إلَّا رجلان: مُصْعَبُ بن عُمير وسُوَيْدُ بن حَرْمَلَة، كانوا يقولون: نحن صمٌّ بكمٌ عميٌ عما جاء به محمدٌ لا نسمعُه ولا نُجيبُه، فقُتلوا جميعاً بأُحدٍ وكانوا أصحابَ اللِّواء.

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ كلُّ ما دبَّ على الأرضِ فهو دابّةٌ، ولا يُطلَقُ على الإنسانِ إلَّا ذمًّا، وعلى الذَّمِّ حُملَتِ الآيةُ؛ لأنَّهم كالأنعامِ حيثُ[1] لم يسمعُوا الموعظةَ ولم ينطِقُوا بالحقِّ، ولم يتدبَّروا القرآنَ فيعرِفُوا الرُّشدَ منَ الغيِّ.

***

(٢٣) ـ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: إيمانًا وقَبولَ موعظةٍ. وقيل: سعادةً سبقَتْ لهم.

﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: جعلَهُم ينتفِعُونَ بالسَّمعِ.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾؛ أي: كلامَ الموتى بصحَّةِ نبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ جوابَ كلِّ ما سألوا عنه، ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ عن الإيمانِ ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

وقيل: تولَّوا عن الجهادِ.

ويحتملُ: ولو أسمَعَهم من غيرِ أن يَعلمَ فيهم خيرًا لتولَّوا، والله أعلَمُ.

***

(٢٤) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ولم يقُلْ: دَعواكُم؛ لِمَا سبقَ.

---

(١) في (و): «بحيث».

وقولُه: ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾؛ أي: للإيمانِ؛ فإنَّه الحياةُ، والكفرُ الموتُ.

وقيل: ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾: الجهادُ.

وقيل: الشَّهادةُ؛ فإنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ.

وقيل: العلمُ؛ فإنَّه سببُ الحياةِ الدَّائمةِ.

وقيل: لِمَا يُبقيكُم، وهو قتلُ الأعداءِ وكسرُهم حتَّى لا يجترِئُوا على الإقدامِ على مُقاتلَتِكُم.

وقيل: على ما ينالون منَ الغنيمةِ في الجهادِ ويعيشُونَ بها.

ورَوَى أبو هُريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ أُبيًّا كان يُصلِّي، فدَعاهُ رسولُ الله عليه السَّلامُ فلم يُجِبْهُ حتى فرَغَ من صلاتِه، ثمَّ جاءَه وسلَّم عليه فقالَ عليه السَّلامُ: «لِمَ لَمْ تُجِبْني إذْ دَعوتُكَ؟ أَمَا تقرأُ قولَه: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾؟» فقالَ: لَمْ أعلَمْ، ولا أعودُ بعدَه إلى مثلِه[(١)].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾؛ أي: إنَّه في القُرْبِ بهذه الصِّفةِ، كقولِه: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦][(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٤١). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
وروى نحوه البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلى ولفظه: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾»، ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: «﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨)، وعدَّه من العجائب، ولفظه هناك: «العجيب: يحول بين المرء وقلبه، فيكون أقرب إليه من حبل الوريد».

وقيل: بين المُؤمنِ والكفرِ، وبينَ الكافرِ والإيمانِ.

وقيل: يسلُبُه عقلَه، فلا يقدرُ على كفرٍ ولا إيمانٍ[1].

وقيل: يحولُ بينَه وبينَ ما يتمنَّاه من طولِ الحياةِ.

وقيل: يحولُ بين المرءِ وقلبِه بالموتِ، فتفوتُه التَّوبةُ.

وقيل: يُقلِّبُ قلبَه من حالٍ إلى حالٍ.

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيُجازيكم وَفقَ أعمالِكم.

***

(٢٥) - ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ الفتنةُ: البليَّةُ والامتحانُ والاختبارُ الذي يظهرُ به باطنُ أمرِ النَّاسِ، فيُستحَقُّ عليه الجزاءُ.

والمُرادُ بها هاهنا عند المُفسِّرين: إقرارُ المُنكَرِ؛ أي: لا تُقِرُّوا المُنكرَ بين أظهُرِكم فيعمَّكُم بالعذابِ.

وقيل: اتَّقوا أن يُبتَلى[2] الظَّالمون بنقمةٍ[3] منَ الله.

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: الفتنةُ: الأموالُ والأولادُ، يُقوِّيه قولُه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥][4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨)، واستغربه.

(٢) في (و) زيادة: «من القرآن».

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعل الأنسب للسياق أن تكون: «بفتنة»، والله أعلم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٥)، ولفظه: «ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥]، فليستعذ بالله من مضلات الفتن».

الحسنُ: هي التي بُلِيَ بها النَّاسُ يومَ الجملِ(١).

وقيل: ظُهورُ البِدَعِ.

﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: الفتنةُ، وقيل: عقوبةُ الفتنةِ؛ أي: يتعدَّى ضررُها إلى غيرِ الظَّالمين، فيكونُ للظَّالمين جزاءً على ذنوبهم، ويكونُ للصَّالحين امتحانًا يُثابونَ عليه.

وقيل(٢): ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهيٌ، والضَّميرُ فيه للفتنة، من بابِ قولهم: لا أَرَيَنَّكَ هاهنا؛ أي: لا تفعلُوا ما تُفتَنُوا به.

وقيل: قسَمٌ. حكاهُ عليُّ بنُ عيسى(٣).

ولا يصحُّ أن يكونَ جوابًا للأمرِ، ولا جزاءً لشرطٍ مُقدَّرٍ، كما ذهبَ إليه بعضُهم، وقاسُوه على قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨](٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٣) عن الحسن بلفظ: «نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم»، ورواه الطبري في تفسيره» (١١/ ١١٥) عن السدي بلفظ: «هذه نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا».

(٢) في (و): «وقوله».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨)، واستغربه، وفيه: «قسم؛ أي: والله لا تصيبن الذين ظلموا».

(٤) وسياقه في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨) أوضح من هنا وأتم، ولفظه: «ذهب الفراء إلى أنه نهي فيه جواب الأمر، وذهب جماعة إلى أنه نهي فيه جزاء الشرط، وكلا القولين فاسد من حيث المعنى، والاحتجاج بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ لا يصح؛ لأن تقدير هذه الآية: إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان، وهذا مستقيم، ولو قلت في الأول: إن تتقوها لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصةً، لا يستقيم في المعنى». وانظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٠٧).

وهذا الذي أجازه الفراء من كون الجملة جواباً للأمر منعه أبو حيان كالمؤلف، وأجازه الزمخشري =

المعنى[1]، ولا يصحُّ أن يكونَ وصفًا؛ للنُّونِ[2].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إذا عاقبَ.

***

(٢٦) ـ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقلَّةِ العددِ والعُدَّةِ، قيل: الخطابُ لمَن كانوا بمكَّةَ من المسلمين والضُّعفاءِ، وهم المُهاجرون. وقيل: لأهلِ بدرٍ. وقيل: للعربِ عامّةً.

﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: كفَّارُ قريشٍ. وقيل: فارسُ والرُّومُ.

والخطفُ والتَّخطُّفُ: الأخذُ بسرعةٍ.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ إلى المدينةِ. وقيل: حفِظَكم ونصرَكم وجعلَ لكم مأوًى

= أيضاً، لكنه قدر الجملة هكذا: إنْ أصابتكم لا تُصِبِ الظالمين منكم خاصةً ولكنها تعمُّكم. فتعقبه أبو حيان أيضاً. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢١١)، و«البحر» (٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٨٩ ـ ٥٩٤). وانظر التعليق الآتي.

(١) أي: لا يصح أن تكون جملة ﴿تُصِيبَنَّ﴾ جواباً للأمر، أو الشرط مقدر؛ لفساد المعنى، فالمعنى في آية النحل: إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان، وهو مستقيم، أما المعنى في الآية فيصبح: إن تتقوا الفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة، وهذا المعنى غير مستقيم: لأنه يرد عليه معنى مشكل، وهو إن تتقوا الفتنة لا تصيب الذين ظلمواً خاصة، بل تعمّ الجميع، وهذا ظاهر الفساد والله أعلم.

(٢) أي: لا يجوز أن تكون جملة ﴿تُصِيبَنَّ﴾ صفة لـ ﴿فِتْنَةً﴾؛ لأن نون التوكيد لا تدخل على المنفي في غير القسم، انظر: ((التبيان)) للعكبري (٢/ ١٢٦).

تتحصَّنـون بـه وتسـكُنون فيـه، ﴿وَأَيَّدَكُم﴾: وقوَّاكُـم ﴿بِنَصۡرِهِۦ﴾ علـى الكفَّـارِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحلالِ الذي ساقَ إليكم. وقيل: الغنائمِ؛ أحلَّها لكم دونَ غيرِكم، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: لكي تشكُروا نعمَتي.

***

(٢٧)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أبي لُبابةَ بنِ عبدِ المُنذرِ الأنصاريِّ، وذلك أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه حاصرَ يهودَ قُريظةَ إحدى وعشرين ليلةً، فسألوا رسولَ الله عليه السَّلامُ الصُّلحَ على ما صالحَ عليه إخوانَهم من بني النَّضيرِ على أن يسيروا إلى إخوانِهم بأذرِعاتٍ وأريحا من أرضِ الشَّامِ، فأبى أن يُعطيَهم ذلك إلَّا أن ينزلُوا على حكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ، فأبَوا، وقالوا: أرسِلْ إلينا أبا لُبابةَ، وكان مُناصحًا لهم؛ لأنَّ عيالَه وولدَه ومالَه كانت عندَهم، فبعثَه رسولُ الله عليه السَّلامُ، فأتاهم فقالوا: يا أبا لُبابةَ، ما ترى؟ أننزلُ على حكمِ سعدٍ؟ فأشارَ أبو لُبابةَ إلى حلقِه؛ أي: إنَّه الذَّبحُ فلا تفعلُوا، قال أبو لُبابةَ: والله ما زالت قدمايَ حتى علمتُ أنِّي قد خُنْتُ اللهَ ورسولَه، فنزلَتْ فيه هذه الآيةُ، فلمَّا نزلَتْ شدَّ نفسَه على ساريةٍ من سواري المسجدِ وقال: والله ما أذوقُ طعامًا ولا شرابًا حتَّى أموتَ أو يتوبَ الله عليَّ، فمكَثَ سبعةَ أيَّامٍ لا يذوقُ فيها طعامًا حتَّى خرَّ مغشيًّا عليه، ثمَّ تابَ اللهُ عليه، فقيل: يا أبا لُبابة، قد تِيبَ عليك، فقالَ: لا والله، لا أُحلُّ نفسي حتَّى يكونَ رسولُ الله هو الذي يَحُلُّني، فجاءَه فحلَّه بيدِه، ثمَّ قال أبو لُبابة: إنَّ من تمامِ توبتي أن أهجُرَ دارَ قومي التي أصبْتُ فيها الذَّنبَ، وأن أنخلعَ من مالي، فقال عليه السَّلامُ: «يَجزيك الثُّلثُ أن تتصدَّقَ به»[1].

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٧٢) عن الزهري والكلبي، وخبر الزهري رواه الطبري =

وعن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ قال: نزلَتْ حينَ همَّ رسولُ الله عليه السَّلامُ بالذَّهابِ إلى أبي سُفيانَ، فكتبَ إليه رجلٌ من المنافقين: إنَّ محمَّدًا يُريدُكم فخُذوا حِذرَكُم[1].

السُّدِّيُّ: كانوا يسمعون الشَّيءَ من النَّبيِّ عليه السَّلامُ فيُفشونَه حتى يبلغَ المُشركينَ[2].

المُغيرةُ بنُ شُعبةَ رضي الله عنه: نزلَتْ هذه الآيةُ في قتلِ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضيَ الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ[3].

= في «تفسيره» (١١/ ١٢١)، وخبر الكلبي رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨).
وذكره مطولاً ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥) من طريق ابن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك، ثم قال: هكذا قال ابن إسحاقَ بإسناده، وزعَم سعيدُ بنُ المسيِّب أنَّ ارتباطَه بساريَة التَّوبة كان بعد تَخَلُّفِه عن غزوةِ تبوكَ، حين أَعْرَض عنه رسولُ اللهِ ﷺ، وهو عليه عاتبٌ بما فَعَل يومَ قُريظةَ، ثُم تَخَلَّف عن غزوة تبوكَ فيمَن تَخَلَّف، واللهُ أعلمُ. وفي روايةِ عليِّ بن أبي طلحةَ، وعَطِيَّةَ بنِ سعدٍ، عن ابن عباسٍ في ارتباطه حين تَخَلَّف عن غزوة تبوكَ ما يؤكِّد قولَ ابن المسيِّب. اهـ. وروايتا علي بن أبي طلحة وعطية عن ابن عباس رواهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢). وأبو لبابة مختلف في اسمه، فقيل: مروان، كما ذكر المؤلف، وقيل: بشير، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في «الإصابة» في الكنى و«الاستيعاب» (٤/ ١٧٤٠). وانظر ما سيأتي في قصة تبوك والمخلفين في سورة التوبة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢١) عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٦): «هذا حديث غريب جدًّا، وفي سنده وسياقه نظر. وفي «الصحيحين» قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إياهم عام الفتح، فأطلع الله رسوله على ذلك، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطباً فأقر بما صنع..». والحديث رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٧٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٢). وهذا الخبر ـ إن =

والمعنى: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فتُضمِروا له خلافَ ما تُظهِرون.

وقيل: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركِ فرائضِه، ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ بتركِ سُنَّته.

﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ قيل: هي الغنائمُ، وهو الغُلُولُ.

وقيل: لا تخونوا أماناتِكُم فيما بينكُم ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقيل: لا تخونُوا اللهَ والرَّسولَ، فتكونُوا قد خُنتُم أماناتِكُم.

وقيل: أماناتُكم: فرائضُ الله ودينُه.

ابنُ عيسى: الخيانةُ: منعُ الحقِّ الذي ضُمِنَ فيه التَّأديةُ.

وقيل: الخيانةُ: انتِقاصُ الحقِّ في خُفيةٍ، وأصلُها: النُّقصانُ، يُقالُ: خانَه واختانَه وتخوَّنَه: إذا انتَقَصَه.

وقيل: أصلُه: القَطعُ.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حالٌ؛ أي: عن تعمُّدٍ وقصدٍ.

وقيل: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الخيانةِ منَ الإثمِ.

ويجوزُ في ﴿وَتَخُونُوٓا۟﴾ النَّصبُ والجزمُ[1].

***

= صح ـ فليس مراد المغيرة نزولها بهذا السبب، وإنما المراد كما قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٥١٧): أنه يُتمثل بالآية في قتل عثمان رحمه الله، فقد كانت خيانة لله وللرسول والأمانات.

(١) النصب على اعتبار الواو واو المعية، والجزم على اعتبارها عاطفة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٥).

(٢٨) ـ ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾: ابتلاءٌ وامتحانٌ، فلا يحملنَّكم حبُّها على الخيانةِ مثلَ أبي لُبابةَ.

وقيل: بأن تأخُذوا المالَ من غيرِ حِلِّه، أو تقعُدوا عن جهادٍ وطاعةٍ لمكانِهما، بل قوموا بالحقِّ فيهما يصيرا نعمةً خالصةً.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمَن آثرَ رِضا الله فيهما.

***

(٢٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾: حُجَّةً وسُلطانًا؛ بإعزازِ دينِ الله وأهلِه، وخُذلانِ الشِّركِ وحِزبِه.

وقيل: مخرجًا ممَّا تحذَرون. وقيل: نجاةً. وقيل: فصلًا تُفرِّقون به بينَ الحقِّ والباطلِ.

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: يسترُها بالعفوِ عنها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبَكم بفضلِه، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ على عبادِه، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ؛ لاختلافِ اللَّفظَينِ.

وقيل: السَّيِّئاتُ: الصَّغائرُ، والذُّنوبُ: الكبائرُ.

ويحتمِلُ أنَّ السَّيِّئاتِ: التي مضَتْ، والذُّنوبَ: التي تقعُ؛ لأنَّها في أهلِ بدرٍ، والله قد غفَرَها لهم(١).

---

(١) ولا تكرار على هذا الاحتمال الذي أورده المصنف، ولا على القول الذي قبله. ويرى علماء البلاغة أن التكرار يجوز لتأكيد المعنى، ويحسن إن كان باختلاف اللفظين؛ لأن هذا الاختلاف يجيز إضافة الشيء إلى نفسه. انظر: «تفسير الماتريدي» (٣/ ٤٣٠)، و«الصحاح» مادة: (ج م ع) (٣/ ١١٩٩).

(٣٠) - ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ رُؤَساءَ قريشٍ اجتمَعُوا في دارِ النَّدوةِ ليتشاوروا في أمرِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وأغلقوا البابَ كي لا يدخُلَ عليهم أحدٌ من بني هاشمٍ، فدخل إبليسُ في صورةِ شيخٍ عليه ثيابٌ أطْمارٌ[1]، وجلسَ معهم فقالوا: من أنتَ؟ قال: شيخٌ من نجدٍ، سمعتُ باجتماعِكم فأردْتُ أن أحضُرَكم، ولن تَعْدَمُوا منِّي رأيًا ونُصْحًا، فقالوا: هذا رجلٌ من نجدٍ، لا بأسَ عليكم منه.

فتكلَّموا فيما بينَهم، فقال بعضُهم: الرَّأيُ أن تأخذوه وتجعلوه في بيتٍ، وتسدُّوا بابَه، وتدَعوا له كوَّةً لطعامِه وشرابِه حتى يموتَ، فقال الشَّيخُ النَّجديُّ: بئسَ الرَّأيُ رأيتُموه، تعمدونَ إلى رجلٍ له فيكم آصرةٌ وأهلُ بيتٍ، وقد سمعَ به مَن حولَكم فتحبِسُونَه، يوشكُ أهلُ بيتِه أن يُقاتلوكم ويُفسِدوا جماعتكم، قالوا: صدَقَ واللهِ الشَّيخُ.

وقال بعضُهم: الرَّأيُ أن تحملوه على بعيرٍ، ثمَّ تُخرِجوه من أرضِكم حتَّى يموتَ أو يذهبَ حيثُ يشاءُ، فقال إبليسُ: بئسَ الرَّأيُ رأيتُموه، تعمدونَ إلى رجلٍ قد أفسدَ جماعتكم ومعه منكم طائفةٌ، فتُخرِجُونَه إلى غيرِكم، فيأتيهم فيُفسِدُ منهم أيضًا جماعةً، فيُقبِلُ عليكم فيكونُ فيه هلاكُكُم، قالوا: صدَقَ واللهِ الشَّيخُ.

فقال أبو جهلٍ: الرَّأيُ أن يجتمعَ عليه فتيانٌ من قريشٍ، فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فلا يقدرُ بنو هاشمٍ أن يطلُبوا ثأرَه[2] من جميعِ قريشٍ، فيرضَوا بالعقلِ، فقال الشَّيخُ: صدَقَ واللهِ الشّابُّ. فتفرَّقوا على ذلك.

---

(١) أي: ثياب بالية خلقة. انظر: «المخصص» لابن سيده (١/ ٣٩٨).

(٢) في (ن): «ثأرهم».

فأتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ جبريلُ عليه السَّلامُ وأخبرَه الخبرَ وأمرَه بالهجرةِ، فبيَّتَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ عليًّا كرَّمَ الله وجهَه على مضجعِه، فخرجَ هو وأبو بكرٍ إلى الغارِ، ونزلَ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية[١].

المكرُ: إيصالُ المكروهِ في خُفيةٍ.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ في الوَثاقِ، وقيل: في الحبسِ. المُبرِّدُ: هو الإثخانُ بالجراحاتِ، تقولُ: ضربَه حتَّى أثبتَه؛ أي: جرَحَه جراحةً مُتلِفةً[٢].

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفِهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكّةَ.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: ويرُدُّ مكرَهُم عليهم، فسمَّى ردَّ المكرِ: مكرًا.

وقيل: معنى مكرَ الله: جازاهُم على مكرِهم، وقد سبقَ.

وقيل: مَكْرُه: أنْ أخرَجَهم إلى بدرٍ فقُتِلوا.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: المُجازِينَ على المكرِ.

***

---

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٧٧) عن ابن عباس وغيره من المفسرين، ورواه ابن إسحاق ـ كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٨٠) وما بعدها ـ فقال: فحدثني مَن لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر وغيره ممن لا أتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٨)، من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله: « فبيَّتَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ عليًّا كرَّمَ الله وجهَه على مضجعِه».

(٢) ذكر أبو حيان نحو هذا عطاء والسدّيّ. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٣٠٩).

(٣١) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآنُ ﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ قائلَ هذا الكلامِ النَّضرُ بنُ الحارثِ[١].

وقيل: إنَّما قالها الذين ائتَمَروا في أمرِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما سطَّره الأوَّلون وكتبُوه، باهَتُوا بهذا الكلامِ؛ فإنَّهم قد دُعوا مرَّةً بعد أُخرى إلى الإتيانِ بسورةٍ مثلِه فعجَزُوا.

***

(٣٢) ـ ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ هذه الآيةُ مُتَّصلةٌ بالأولى[٢]، وهي من كلامِ النَّضرِ.

ورُوِيَ أنَّ النَّضرَ لمَّا قال: إنْ هذا إلَّا أساطيرُ الأوَّلين، قال له النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «ويلَكَ، إنَّ هذا كلامُ الله وتنزيلُه»، فرفعَ النَّضرُ رأسَه إلى السَّماءِ وقال: إنْ كانَ هذا هو الحقَّ من عندِكَ...[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٢) عن ابن جريج والسدي وسعيد بن جبير، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٩) عن السدي وسعيد بن جبير.

(٢) في (و): «بالأخرى».

(٣) وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٩)، وعدَّه من العجائب.

وعن عطاءٍ قال: نزلَتْ في النَّضرِ بضعَ عشرةَ آيةً[1].

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ قائلَه أبو جهلٍ[2].

﴿إِن كَانَ هَٰذَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: ﴿هُوَ﴾ فصْلٌ وعمادٌ، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ خبرُ ﴿كَانَ﴾.

﴿مِنْ عِندِكَ﴾: وحيَكَ.

﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: منَ السَّماءِ لا منَ الهواءِ؛ استهزاءً منه، ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سوى الحجارةِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾؛ أي: استعجَلُوا العذابَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾؛ أي: لا يفعَلُ، وليس من شأنِه وأنتَ يا محمَّدُ فيهم وبينَ أظهُرِهم ومعهم؛ لأنَّك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين، ولـم يُعذَّبْ قومٌ ونبيُّهم بينَ ظَهرانيهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: وفيهم مَن يستغفِرُ؛ يُريدُ: مَن بمكَّةَ منَ المؤمنين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٨٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١٣).

(٢) رواه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦)، ولفظ البخاري: «عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية».

وقيل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ يعني: المُؤمنين، فلمَّا هاجرَ أولئكَ منها قالَ الله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني: الكفَّار.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو استغفارُ الكفَّارِ؛ لأنَّهم كانوا يطوفونَ بالبيتِ ويقولون: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شريكَ لك إلّا شريكٌ هو لك، تملكُه وما ملَك، قال: وكانوا يقولون: غُفرانَكَ اللَّهمَّ غُفرانَكَ[1].

وعن بعضِهم[2]: كان لهم أمانانِ: النَّبيُّ عليه السَّلامُ، والاستغفارُ، فهاجَرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ وبقيَ لهم الاستغفارُ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥٠) من طريق عكرمة عن أبي زميل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) بعدها في (و): «يعني ابن مسعود».

(٣) قطعة من خبر ابن عباس السابق، لكنه في «تفسير الطبري» بلفظ: «فذهب النبيُّ».

وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٩٥٠٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٩) عن أبي موسى رضي الله عنه: «أمانان كانا على عهد رسول الله ﷺ، رفع أحدهما، وبقي الآخر: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٢) من قول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وروى نحوه الحاكم في «المستدرك» (١٩٨٨) من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه الترمذي (٣٠٨٢) عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «أنزل اللهُ عَلَيَّ أمانين لِأُمتي ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إذا مَضَيْتُ تركتُ فيهم الاستغفارَ إلى يوم القيامة». قال: «هذا حديث غريب، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف في الحديث».

وظاهر هذه الأخبار يخالف ما ذكره المؤلف: «فهاجَرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ...»؛ لأن هذه الأخبار تدل على أن زوال الأمان المتعلق بالنبي ﷺ حاصل بموته لا بهجرته، وأن الأمة هي أمة الإسلام إلى قيام الساعة لا كفار قريش، كما يشير إلى ذلك ما ذكرناه من المرفوع، وكذا ما جاء في لفظ الموقوف عند الطبري: «إنه كان فيكم أمانان؛ قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: أما النبي فقد مضى، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة».

وقيل: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: سيُولَدُ منهم أولادٌ مُؤمنون[1].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ: هذه حكايةٌ عن المُشركين، كانوا يقولون: والله إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُنا ونحنُ نستغفرُ، ولا يُعذِّبُ أمَّةً ونبيُّها معها، حكاه الثَّعلبيُّ[2]، وفيه بُعدٌ[3].

***

(٣٤) - ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ وقد خرجَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ من بينِ أظهُرِهم.

وقيل: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرةِ. وقيل: يومَ بدرٍ.

ويحتملُ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ وقد استحَقُّوه، ولولا كونُك وكونُ مَن يستغفِرُ فيهم لعجَّلَ لهم[4] العذابَ. والعذابُ: تجديدُ الآلامِ حالًا بعد حالٍ، وأصلُه الاستمرارُ.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يمنَعون المسلمين عنه ﴿وَمَا كَانُوا﴾ يعني: المشركين ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾: أولياءَ المسجدِ، وقيل: أولياءَ الله ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ﴾ الله[5] ﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ولايتَه للمُتَّقين.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٨٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥١).

(٣) وكذا استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٩).

(٤) في (و): «عليهم».

(٥) اسم الجلالة: «الله» ليس في (و).

(٣٥) ـ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: كانوا يطوفُونَ بالبيتِ فيُصفِّقون ـ ووَصَفَ الصَّفْقَ بيدِه ـ ويُصفِّرونَ ـ ووَصَفَ صفيرَهم ـ ويضَعُونَ خُدودَهم بالأرضِ، فنزلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]؛ أي: الذي يُسمُّونَه صلاةً ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾: هو تصويتٌ يُشبِهُ صوتَ المُكَّاءِ، وهو طائرٌ معروفٌ، تقولُ: مَكا يمكُو، قال:

تَمكُـو فَريصَتُـه كشِـدْقِ الأعلَـمِ[2]

وقيـل: هـو أن يجعلَ بعـضَ أصابعِ اليميـنِ وبعضَ أصابعِ الشِّـمالِ فـي الفمِ، ثمَّ يُصفِّـرَ فيه.

وقيل: المُكاءُ: الصَّفيرُ.

والتَّصديةُ: التَّصفيقُ، وهو ضربُ إحدى اليدَين على الأخرى، واشتقاقُه منَ

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٣٦)، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٣)، وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) عجز بيت لعنترة في معلقته، وصدره:

وحَليـلِ غانيـةٍ ترَكـتُ مُجَـدَّلاً

انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٦٣)، و«تفسير الطبري» (١١/ ١٦١)، و«شرح القصائد السبع الجاهليات» لأبي بكر الأنباري (ص: ٣٤٠)، و«شرح المعلقات» للزوزني (ص: ٢٥٦).

ومعنى تمكو: تصوِّت، والفريصة: لحمة في مرجع الكتف ترتعد عند الفزع، والأعلم المشقوق الشفة العليا.

(الصَّدى)، وهو أن تسمعَ مثلَ صياحِكَ في أماكنَ تمنعُ الصَّوتَ منَ النُّفوذ، وكانوا يُعارِضُونَ به القرآنَ.

يُقوِّيه قولُ سعيدِ بنِ جُبيرٍ في التَّصديةِ: إنَّها صلاتُهم عند المسجدِ الحرامِ[١].

وقيل: مُكاؤُهم: أذانُهم، وتصديَتُهم: إقامتُهم، حكاه الثَّعلبيُّ[٢].

الحسنُ: إذا أرادَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ الصَّلاةَ خلَّطوا عليه، وأرَوْا أنَّهم يُصلُّونَ لله عبادةً[٣].

ابنُ بحرٍ: أي: إنَّ صلاتَهم ودُعاءَهم غيرُ رادِّين عليهم ثوابًا إلَّا كما يُجيبُ الصَّدى الصَّائحَ[٤].

وقيل: أصلُ المُكاءِ مِن (مَكَّ)، وأصلُ التَّصديةِ مِن (صَدَّ): إذا صاحَ، أو منعَ، قُلِبَ اللَّامُ ياءً، وهذا شائعٌ[٥] عند اجتماعِ ثلاثِ مُتماثلاتٍ[٦].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وقوله: «صلاتهم عن» تصحيف، وصوابه «صدَّهم عن»، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٧) عن سعيد بن جبير: «﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾: صدهم عن بيت الله الحرام»، وقد استشهد النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٥٣) بقول سعيد هذا في أن القصدية مشتقة من (صدَّ).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٠) دون نسبة، واستغربه.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٤) عن سعيد قال: «كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزئون به، يصفرون به ويصفقون، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾».

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٣٥١)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٠) دون نسبة، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ن): «سائغ».

(٦) نسب القول بأن التصدية مشتقة من (صدَّ) لأبي عبيدة، ولم أقف عليه في «مجاز القرآن»، وأما قلب المضعف ياء فقد ذكر سيبويه أنه ليس بمطرد، وذكر الجوهري أنهم يستثقلون ثلاثة أمثال. انظر: =

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: يومَ بدرٍ، وقيل: في الآخرةِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

***

(٣٦) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال مقاتلٌ والكلبيُّ: نزلَتْ في المُطعِمين يومَ بدرٍ، وكانوا اثنَي عشرَ رجلًا، وكلُّهم من قُريشٍ، وكان يُطعِمُ كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يومٍ عشرَ جُزُرٍ[١].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: نزلَتْ في أبي سُفيانَ، استأجرَ يوم أُحدٍ ألفَين من الأحابيشِ يُقاتلُ بهم النَّبيَّ عليه السَّلامُ سوى مَن استجاشَ منَ العربِ، وفيهم يقولُ كعبُ بنُ مالكٍ:

فَجِئْنا إلى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلاثَةُ آلافٍ ونحنُ نَصِيَّةٌ[٢] ... ثلاثُ مِئِينٍ إنْ كَثُرْنا فَأَرْبَعُ[٣]

= «الكتاب» (٢/ ٤٢٤)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٤٦) و«الكنز اللغوي» (ص: ٥٩) و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥) و«الصحاح» مادة (ق ض ض) (٣/ ١١٠٢).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٩٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٣٦)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٤).

(٢) النصية: خيار القوم. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» لأبي ذر الهروي (ص: ٤٤٧). ووقع في النسخ: «بقية»، وقد وضع مثله في «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٣١٦)، والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٨)، وانظر الأبيات في «طبقات فحول الشعر» لابن سلام (١/ ٢٢٠)، وقد نسب ابن فارس البيت الأول لابن رواحة في «مقاييس اللغة» (٢/ ١٢٩).

وأنفقَ على المُشركين أبو سُفيانَ يومَ أُحدٍ أربعين أوقيَّةً، فنزلَتْ هذه الآيةُ[١].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاقَ: لمَّا أُصيبَ قُريشٌ يومَ بدرٍ فرجعَ كلُّهم إلى مكَّةَ، ورجعَ أبو سُفيانَ بِعِيرِه إليها، وجمعَ مَن بقيَ من الأكابرِ وقال[٢]: إنَّ محمَّدًا قد وَتَرَكُم وقتَلَ أشرافَكُم، فأعينُونا بهذا المالِ لعلَّنا نُدرِكُ منه ثأرًا بمَن أُصيبَ بنا، ففعلوا، فأنزَلَ الله تعالى فيهم هذه الآيةَ[٣].

قولُه: ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الله والإسلامِ.

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾: الأموالُ، وقيلَ: إنفاقُها؛ أي: وما يُنفِقونَه الآن ويُنفقونَ بعدُ.

وقيل: سيُنفِقُونَها بتمامِها[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٧)، عن الحكم بن عتيبة.

(٢) كذا في النسخ، وفي مصادر التخريج أن القائل هم من أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر.

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٨)، وسياق الطبري: «عن ابن إسحاق قال: ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، قالوا: لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا، ففعلوا. قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عبّاسٍ أنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾».

(٤) في (و): «﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾؛ أي: ما ينفقونه الآن وينفقون بعد. وقيل: سينفقونها بتمامها. ﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ الأموال، وقيل: نفقاتها»، والسياق في (ن) أشبه بطريقة المصنف، فقد فسَّر بناء على المعنى الأحج للآية، وهو أن المراد بالضمير العائد على الأموال بعضها، ثم ذكر القول الآخر، وهو أن =

﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: غمًّا على ما فاتَهم، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: يُقهَرون.

وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ لأنَّ الحسرةَ عليها بعد الغَلَبَةِ، وهذا دليلٌ من دلائلِ النُّبوَّةِ؛ إذ أخبرَ عنِ اللهِ تعالى قبلَ وقوعِه، فكانَ كما أخبرَ[1].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾؛ أي: يُساقُونَ إليها ويُجمَعون فيها.

* * *

(٣٧) ـ ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾؛ أي: يُغلَبون ليميزَ الله ﴿الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: الكافرَ منَ المُؤمنِ.

وقيل: الكفرَ منَ الإيمانِ.

وقيل: الصَّلاحَ منَ الفسادِ.

وقيل: الطَّيِّبُ: إنفاقُ المُؤمنِ، والخبيثُ: إنفاقُ الكافرِ.

والخبيثُ: الرَّديءُ من كلِّ شيءٍ؛ كخَبَثِ الحديدِ والفضّةِ والذَّهبِ. والطَّيِّبُ: المُستلَذُّ من كلِّ شيءٍ.

﴿وَيَجْعَلَ﴾ الله ﴿الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: يجمعه ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ كلَّه؛ يعني: الكافرَ وما أنفقَه.

وفي الآثارِ: يُؤتَى بالدُّنيا يومَ القيامةِ قَضِّها بقضيضِها، فيُميِّزُ ما كان منها لله، ويُطرَحُ الباقي في النّارِ[2].

= المراد بالأموال تمامها، كما يدلّ عليه ظاهر اللفظ عند من لا يعرف طرائق العرب في التعبير. انظر «الرسالة» للإمام الشافعي (ص ٥٨٠).

(١) يُلاحظ اهتمام المصنف ـ رحمه الله ـ بهذا الجانب من دلائل النبوة، وقد تقدمت أمثلة على هذا أولها في سورة (البقرة)، وستأتي أمثلة أخرى آخرها في سورة (الكافرون).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٤٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» =

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: المُنفِقون أموالَهم ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: خسِرُوا أموالَهم وأنفُسَهم.

***

(٣٨) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أبي سُفيانَ وأصحابِه: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عنِ الكُفرِ باللهِ ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ من ذُنوبِهم وإنْ عَظُمَتْ، ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى الكفرِ ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بالإهلاكِ في الدُّنيا، والعذابِ في العُقبَى.

وقيل: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى الحربِ ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بالإهلاكِ يومَ بدرٍ.

وسُنَّةُ الله: ما يفعلُها دائمًا.

***

(٣٩) ـ ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: لا يبقى شِركٌ ولا مُشرِكٌ.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾: ولا يُعبَدَ غيرُ الله، وتكونَ أنتَ الحاكمَ على الأديانِ، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

= (٢٠/ ٥٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٣٦)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولفظ ابن المبارك: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة فيميز ما كان لله عز وجل، ثم يرمى بسائر ذلك في النار».
ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٤٥) من طريق آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا، ورواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٦) عن عبادة رضي الله عنه شاكًّا في رفعه.
ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وضعفه بعبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان الشامي.

(٤٠) - ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾.

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾: أعرَضُوا عن الإيمانِ، وقيل: أعرَضُوا عن الانتهاءِ.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: يلي نصرَكُم ومعُونَتكُم.

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: لا يَضيعُ مَن تولَّاه، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾: لا يُغلَبُ مَن نصرَه.

***

(٤١) - ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾؛ أي: ما أصبتُم وأخذتُم منَ الكفَّارِ قهرًا ﴿مِّن شَىْءٍ﴾: قليلٍ وكبيرٍ ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ ذِكْرَ الله هاهنا للتَّعظيمِ والتَّيمُّنِ، وأنَّ الغنيمةَ تُقسَمُ خمسةَ أقسامٍ؛ أربعةٌ للمُقاتِلة وخُمُسٌ لخمسةٍ، هم المذكورون في قولِه: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] إلا الرَّبيعَ وأبا العاليةِ الرِّياحيَّ فإنَّهما ذهبا إلى أنَّ الخُمُسَ الباقيَ يُقسَمُ ستَّةَ أقسامٍ: قسمٌ لله، يُصرَفُ إلى عمارةِ الكعبةِ وتزيينِها[2].

وقد قيل: اسمُ الرَّسولِ أيضًا للتَّيمُّنِ والتَّبرُّكِ، وأنَّها تُقسَمُ[3] على أربعةِ أقسامٍ[4].

---

(١) إلى هذا ذهب الإمام الشافعي. انظر: «الأم» (٤/ ١٤٦ و١٦٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٠٣) عن الربيع عن أبي العالية، ولفظ الطبري: «كان رسول الله ﷺ يؤتى بالغنيمة، فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة، وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل».

(٣) «على»: من (ن).

(٤) هذا مستفاد من قول ابن عباس رضي الله عنه «فما كان الله والرسول فهو لقرابة النبي ﷺ» رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٠).

وأكثرُهم على أنَّها اليومَ تُقسَمُ ثلاثةَ أقسامٍ: اليتامَى والمساكينُ وابنُ السَّبيلِ، وسقَطَ سهمُ الرَّسولِ صلَواتُ الله عليه بمَوتِه، وكذلك سهمُ ذي القُربى رفعةً لهم عنها، وفُقَراؤُهم وأيتامُهم وابنُ السَّبيلِ منهم فيها كغيرِهم[1].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ سهمَ ذي القُربى باقٍ، وأنَّ سهمَ الرَّسولِ عليه السَّلامُ يُصرَفُ إلى العُدَّةِ منَ الكُراعِ والسِّلاحِ وغيرِ ذلك.

وقال بعضُهم: يصرِفُ الإمامُ إلى مَن شاءَ منَ المسلمين، وإنَّ ذكرَ هؤلاءِ للاختصاصِ؛ كذكرِ جبريلَ وميكائيلَ بعد الملائكةِ في قولِه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ الآية [البقرة: ٩٨][2].

وذهبَ المُبرِّدُ إلى أنَّ قولَ مَن قال: «اسمُ الله هاهنا للتَّعظيمِ»[3] سهوٌ، ولم يأتِ في بيانِ كلامِه بما فيه مَقْنَعٌ.

﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قُربى النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وهي مصدرُ (قَـرُبَ)، ووحَّدَ (ذو) لأنَّ الجمعَ في هذا كالواحدِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم بنو هاشمٍ[4].

---

(١) وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحاب الرأي. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٤/ ٨٠).

(٢) وهذا مذهب مالك. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤١٥).

(٣) وعبارتهم في ذلك أنهم قالوا: ﴿لله﴾ مفتاح كلام كل شيء، انظر: «الأم» (٤/ ١٦٠)، و«تفسير الطبري» (١١/ ١٨٨).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٠٤) عن سعيد المقبري، قال: كتب نجدة إلى ابن عبَّاسٍ يسأله عن ذي القربى، قال: فكتب إليه ابن عبَّاسٍ: «قد كنا نقول: إنَّا هم، فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى».

وجاء بأصرح من هذا في عدة روايات؛ فقد روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٤٥٢) عن عطاء بن السائب: «أن عمر بن عبد العزيز لما قام بعث بهذين السهمين: سهم رسول الله ﷺ، وسهم ذوي القربى»، يعني: لبني هاشم.

وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٣) عن مجاهد قال: «قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء، =

جُبَيرُ بنُ مُطعمٍ: بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلبِ[١].

ولم يختلفوا في بني أُميَّةَ وبني نَوفلٍ.

واختلَفَ النَّحويُّون في قولِه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم... فَأَنَّ﴾:

فذهبَ الفرَّاءُ إلى أنَّ (ما) للشَّرْطِ والفاءَ للجزاءِ[٢]. وهذا باطلٌ عند البصريِّين؛ لأنَّ (أنَّ) لا يدخُلُ (ما) الشَّرط.

وذهبَ الجمهورُ إلى أنَّ ﴿أَنَّمَا﴾ مفعولُ ﴿وَاعْلَمُوا﴾، والخبرُ محذوفٌ، والفاءُ للعطفِ، وهذا فيه كلامٌ[٣].

والوجهُ أن تكونَ (ما) هي الموصولةَ، و﴿غَنِمْتُم﴾ صلتُه، والعائدُ محذوفٌ، والفاءُ داخلٌ في خبرِه، و(أنَّ لله خُـمُسَه) مع ما بعدَه خبرُه، والتَّقديرُ: فالأمرُ أنَّ لله خُـمُسَه، ومثلُه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ﴾ [التوبة: ٦٣]، وكذلك: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ [الحج: ٤].

وقال ابنُ عيسى: تقديرُه: فعلى أنَّ لله خُـمُسَه، فحُذِفَ الجارُّ[٤].

قولُه: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ قيل: هو مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

وقيل: إنْ كنتُم آمنتُم بالله فاقبَلُوا ما أُمِرتُم به في الغنائمِ.

= فجعل لهم الخمس مكان الصدقة».

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٤٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤١) دون نسبة، وعدَّه من العجائب، وقال: «لأن الخبر لا يحذف إلا بدليل»، وهذا الذي نسبه للجمهور لم أجد من قال به غيره.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٠) دون نسبة، واستغربه.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ النَّصرِ والإمدادِ منَ الملائكةِ.

وقيل: الأمرِ بقسمةِ الغنائمِ على خمسةِ أسهُمٍ.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يومَ بدرٍ، فرَّقَ فيه بينَ الحقِّ والباطلِ.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والكفَّارُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

(٤٢) - ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بشفيرِ الوادي الأقربِ إلى المدينةِ، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾: بشفيرِ الوادي الأبعدِ منَ المدينةِ.

و(القُصوى): شاذٌّ خرجَ على أصلِه[1].

﴿وَٱلرَّكْبُ﴾؛ أي: العِيرُ ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾؛ أي: مكانًا أسفَلَ من مكانِكُم؛

---

(١) أي: القياس هو قلب الواو ياءً كالعُليا، لكن (القُصوى) جاء على الأصل، كالقَوَد في مجيئه على الأصل، وقياسه أن تُقلب واوه ألفاً كأشباهه، فتركوه على ما كان، وقد جاء: (القُصْيا) إلّا أن استعمال (القُصوى) أكثر؛ كما كثُرَ استعمالُ (استصوبَ) مع مجيء (استصاب)، و(أَغْيَلَتْ) ـ أي: أرضعت ولدها وهي حامل ـ مع (أغالَتْ).

ونَصُّوا على أن (القُصْوى) شاذة وإن كانت لغة الحجاز، وأن (القُصْيا) قياسٌ، وهي لغة تميم. انظر: «الكتاب» (٤/ ٣٨٩)، و«شرحه» للسيرافي (٥/ ١٢٣ و٣٠٥)، و«الكشاف» مع شرحه «فتوح الغيب» (٧/ ١١٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٣٢٢)، و«الدر المصون» (٥/ ٦١١).

لأنَّكم على نَشَزٍ[1] من الأرضِ. وقيل: أقربَ إلى ساحلِ البحرِ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾: أنتم والمُشركون في[2] القتالِ، ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾؛ أي: كانوا لا يصدُقونَ في مُواعدَتِكم؛ طلبًا لغِرَّتِكم والحيلةِ عليكم.

وقيل: لو تواعَدْتُم ثمَّ بلغَكُم كثرةُ عدوِّكُم، لنقضْتُم الميعادَ.

وقيل: لو تواعَدْتُم من غيرِ قضاءِ الله أمرَ الحربِ، لاختلفتُم في الميعادِ.

﴿وَلَٰكِن﴾ جمعَ بينكم ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾: نصْرَ المُؤمنين وكسْرَ الكافرين ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾: كائنًا.

وسمَّاه ﴿مَفْعُولًا﴾ من حيثُ تحقُّقُ كونِه. وقيل: هو إشارةٌ إلى قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

والمعنى: جمعَ اللهُ بينكم من غيرِ إرادةٍ ولا قصدٍ منكُم.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ قيل: هذا اللَّامُ بدلٌ من قولِه: ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ﴾، وقيل: هو للعطفِ، والواوُ مُختزلٌ[3]، ويحتمِلُ أن يكونَ مُتَّصلًا بقولِه: ﴿مَفْعُولًا﴾، والتَّقديرُ: فعَلَ ليَهْلِكَ.

والمعنى: أنَّ وقعةَ بدرٍ بيِّنةٌ واضحةٌ ومُعجزةٌ ظاهرةٌ، فمَن ضلَّ بعدَها فإنَّما يضِلُّ بعد أن تبيَّنَ له الأمرُ، ومَن اهتَدَى بعدها فإنَّما يهتَدي عن بيِّنةٍ.

وقيل: ليمُوتَ مَن يموتُ كافرًا عن حُجَّةٍ قائمةٍ عليه، ويعيشَ مَن يعيشُ عن بيِّنةٍ ثبتَتْ عندَه.

وقيل: ليهلكَ ببدرٍ من هلَكَ بعد أن رأى الآياتِ، ويحيى مَن حيَّ كذلك.

---

(١) أي: مرتفع. انظر: «لسان العرب» مادة (ن ش ز) (٥/ ٤١٧).

(٢) «في»: ليست في (ن).

(٣) أي: مضمر، فالتقدير: ليقضي الله وليهلك من هلك. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤١)، واستغربه.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لكلامهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالِـهم.

قلتُ: لـم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ منَ التَّفاسيرِ مع جموعِها مَن تكلَّمَ على لفظَي: ﴿يهلك﴾ و﴿هَلَكَ﴾، وكذلك في مُغايرةِ لفظَي ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ و﴿حَيَّ﴾، وذلك يحتمِلُ ثلاثةَ أوجُهٍ:

أحدُها: أنَّ تقديرَه: ليَهلكَ مَن حَكَمَ الله بهلاكِه، ويحيا مَن حكَمَ الله بحياتِه.

والثّاني: ليحكُمَ بهلاكِ مَن هلكَ، ويحكُمَ بحياةِ مَن حيَّ.

والثّالث: وقعَ الماضي موقعَ[1] المستقبلِ، وفيه بعدٌ؛ لأنَّ الشَّيءَ لا يقومُ مَقامَ غيرِه إلَّا بدليلٍ[2].

***

(٤٣) ـ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ الحسنُ في جماعةٍ: عينِكَ[3]؛ لأنَّه مَفْعَلٌ، وهو للمصدرِ والزَّمانِ والمكانِ.

---

(١) في (و): «موضع».

(٢) ذكر المصنف الأوجه الثلاثة في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، ونسب الأخير لابن السراج.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٠٩) بلفظ: «بعينك»، وفي سنده سهل السراج، وهو سهل بن أبي الصلت العيشي البصري، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «صدوق له أفراد، كان القطان لا يرضاه».

وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، واستغربه، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦٩): «هذا القول غريب».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٢٥): «وهذا تفسيرٌ فيه تعسُّفٌ، وما أحسبُ الرِّوايةَ صحيحةً فيه عن الحسن، وما يُلائم علمَه بكلام العرب وفصاحتَه».

وقال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٠٩): وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى =

غيرُه: في رُؤياكَ؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ رآهُم في نومِه في قلَّةٍ وذلَّةٍ، فأوَّلَها أنَّهم يُغلَبون، وبشَّرَ المُؤمنين فسكَنُوا إليه، وعلِمُوا أنَّ رُؤيا الأنبياءِ حقٌّ.

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا﴾ أي: على صورةٍ عرَفْتَ أنَّ الغلبةَ لهم، ثمَّ أخبرتَهم به، ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾: جَبُنْتُم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: أمرِ القتالِ والفرارِ.

وهذا أظهرُ؛ لأنَّ (المنامَ) موضعُ النَّائمِ لا موضعُ[1] النَّومِ[2].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: سلَّمَكُم منَ الفشلِ والتَّنازعِ، وقيل: سلَّمَ لكم أمرَهُم حتَّى غلبْتُم أعداءَكم، وقيل: ولكنَّ الله سلَّمَكُم عن العدوِّ.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيَّاتِ القلوبِ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ قلَّلَ اللهُ الأعداءَ في أعيُنِ المؤمنين ساعةَ اللِّقاءِ، حتَّى رُوِيَ أنَّ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه قال: لقد قُلِّلوا في أعيُنِنا يومَ بدرٍ حتَّى قلتُ لرجلٍ إلى جَنْبي: تُراهُم سبعين؟ قال: أُراهُم مئةً، فأسَرْنا رجُلًا، فقلنا له: كم كنتُم؟ قال: ألفًا[3].

= مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾؛ أي: في عينك التي تنام بها، فصيَّر المنام هو العين، كأنه أراد: إذ يريكهم الله في عينك قليلا». ويريد الطبري بكلامه أبا عبيدة؛ فإنه قال ذلك في «مجاز القرآن» (١/ ٢٤٧).

(١) «النائم لا موضع» ليست في (ن).

(٢) أي: الأظهر أن المراد بالمنام الرؤيا؛ لأن النوم ليس مكانه العين، فكلمة (منام) في الآية تحتمل المصدر واسم الزمان فقط.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١٠).

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ وقلَّلَ المُؤمنين في أعيُنِ الكافرين، حتَّى قالَ أبو جهلٍ وأصحابُه(١): إنَّ محمَّدًا وأصحابَه أكلةُ رأسٍ(٢).

ولم يُكثِّرِ المؤمنين في أعيُنِ الكفَّارِ ليَثبُتَ الكفَّارُ فيقتُلَهم المؤمنون، أو يأسِروهُم ويغنَمُوهم.

وقيل: قلَّلَهم لئلَّا يستعِدُّوا كلَّ الاستعدادِ.

وقيل: قُلِّلوا مع إلقاءِ الرُّعبِ في قلوبهم، فيكونُ أعظمَ للحُجَّةِ عليهم.

﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ سبقَ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعةً من الكفَّارِ في الحربِ ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ للقائِهم وقاتلوا ولا تنهزِمُوا، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بالقلبِ واللِّسانِ، وهو التَّكبيرُ عندَ المُسايفةِ: الله أكبرُ الله أكبرُ، وعن عطاءٍ قال: يُكرَهُ الكلامُ في الحربِ إلّا ذكرَ الله(٣).

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفَرون في الدُّنيا وتبقَون في الجنّةِ.

---

(١) «وأصحابه»: ليست في (ن).

(٢) قوله: «أكلة رأس» يُضرب مثلاً في القلة والأمر الذي لا يُعبأ به، قال الجوهري: «قولهم: هم أكلة رأس؛ أي: قليل يشبعهم رأس واحد، وهو جمع: آكل». انظر: «الصحاح» مادة: (أ ك ل) (٤/ ١٦٢٤)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٤٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١١) من طريق ابن جُريجٍ عن عطاء قال: وَجَب الإنصاتُ والذِّكرُ عند الزحف ثُم تلا: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قلتُ: يجهرون بالذِّكر؟ قال: نعم.

(٤٦) - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في إقامةِ الجهادِ، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾ فتكونوا فيه على آراءٍ مختلفةٍ، ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ فتجبُنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ استعارةٌ عن الدَّولةِ، وقيل: عن القوَّةِ والحِدَّةِ والجدِّ والمهابةِ، وقيل: عن النُّصرةِ، فكلٌّ قريبٌ.

وقيل: هي الرِّيحُ حقيقةً، وتلك الرِّيحُ[1] إذا كانت في قومٍ ظَفِرُوا[2]، ومنه قولُه عليه السَّلامُ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ»[3].

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ينصُرُهم ولا يخذُلُهم.

* * *

(٤٧) - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا﴾ يعني: أبا جهلٍ وأصحابَه يومَ بدرٍ، ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ من مكّةَ، ﴿بَطَرًا﴾ فخرًا وأشَرًا، والبطَرُ: الغُلوُّ في النِّعمةِ واحتقارُ الغيرِ. ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ ليُثنُوا عليهم. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينِ الله، والمصدرانِ والفعلُ حالٌ. ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عالـمٌ به من كلِّ الوُجوهِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا رأى أبو سفيانَ أنَّه أحرَزَ عِيرَه أرسلَ إلى قُريشٍ: إنَّكم خرجتُم لتمنعُوا عِيرَكم فقد نجَّاها الله فارجِعُوا، فوافى الرَّكبُ الذي

(١) في (و): «ريح».

(٢) ذكر هذا عن قتادة وابن زيد والحكم ومقاتل. انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٨)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٥٣٧)، و«زاد المسير» (٢/ ٢١٥)، وقد ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

بعثَهم أبو سفيانَ قُريشًا بالجُحْفةِ، فقالوا لهم: انصرِفُوا، فقال أبو جهلٍ: واللهِ لا نَنصرفُ حتَّى نرِدَ بدرًا لنُقيمَ به ثلاثًا، وننحَرَ الجُزُرَ، ونُطعِمَ الطَّعامَ، ونسقيَ الخمرَ، وتعزِفَ علينا القِيَانُ، وتسمعَ بذلك العربُ، فلا يزالون يهابونَنا أبدًا[1].

وكان بدرٌ موسمًا من مواسمِ العربِ يجتمعُ لهم بها سوقٌ كلَّ عامٍ، فنهى اللهُ المؤمنين أن يكونوا مثلَهم.

***

(٤٨) ـ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ثمَّ إنَّ بعضَ قُريشٍ قالوا: بينَنا وبينَ كنانةَ إِحْنةٌ[2]، فلا نأمنُ أن يتعرَّضُوا لنا، وقد أغنانا اللهُ عن هذا الخطرِ، فأتى إبليسُ قُريشًا في صورةِ سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ في جماعةٍ ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3]؛ أي: لا أحدَ يغلبُكم.

قولُه: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: من كثرتِكُم[4]، وقيل: من جنسِ النَّاسِ.

﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾: مُجيرٌ لكم من بني كنانةَ، وضامنٌ أنْ لا يتعرَّضُوا لكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١٧)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٨).

(٢) الإحنة: الحقد، وجمعها: إِحَن. انظر: «الصحاح» مادة (أحن).

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٠٥)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٦٦٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢١، ٢٢٢) عن السدي وابن إسحاق وغيرهما.

(٤) ظاهر صنيع المصنف هنا أنه يرجّح هذا القول، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، واستغربه، والظاهر من ذلك أنه قد مال هناك إلى ما مال عنه هنا، والله أعلم.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾؛ أي: اجتمَعُوا واصطَفُّوا.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾: رجعَ القَهْقَرى، وهي الرُّجوعُ إلى وراءٍ، وقيل: رجَعَ بخِزْيٍ[1]، وقيل: رجَعَ من حيثُ جاءَ.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾: أُفارِقُكم ولا أدنُو منكم.

وذُكِرَ في بعض[2] القصصِ والمغازي أنَّ أبا جهلٍ أو غيرَه قال: يا سُراقُ، أفِرارًا من غيرِ قتالٍ؟! قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ يعني: الملائكةَ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾[3].

قيل: كذَبَ عدوُّ الله.

وقيل: خافَ أن ينالَه مكروهٌ منَ الملائكةِ؛ لأنَّهم كانوا يعرِفُونَه.

وقيل: خافَ أن يكونَ الوقتُ الذي أُنظِرَ إليه قد حانَ.

وقيل: معناه: إنِّي أخافُ اللهَ عليكم.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ يجوزُ أن يكونَ متَّصلًا بكلامِه، ويجوزُ أن يكونَ مُستأنفًا.

وهذا إجماعٌ منَ المُفسِّرين إلّا الحسنَ وابنَ بحرٍ؛ فإنَّهما قالا: زيَّنَ

---

(١) في (و): «يجري».

(٢) «بعض» ليست في (و).

(٣) وفي أكثر المصادر: أن القائل هو الحارث بن هشام لا أبو جهل. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٩)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٣)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٧١).

وفي بعضها: أنه الحارث بن هشام وعمير بن وهب الجمحي. انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٠٥).

والحارث بن هشام هو أخو أبي جهل وابن عم خالدبن الوليد، أسلم يوم الفتح، وخرج إلى الشام في خلافة أبي بكر الصديق فشهد أجنادين وغيرها، حديثه في الصحيحين، ومات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: استشهد يوم اليرموك. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٤)، و«الإصابة» لابن حجر (١/ ٦٩٧).

لهـم بوسوسـتِه(١)، قـالا: ونُكوصُـه علـى عقبَيـه إخلافُـه مـا وعـدَ لهـم.

* * *

(٤٩) - ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قيل: هم المنافقون أيضًا، وقد عُطِفَ الوصفُ على الوصفِ بالواوِ.

وقيل: هم قومٌ لم يكونوا مُطمئنِّين إلى الإيمانِ بعدُ، وهؤلاء كانوا بمكَّةَ فخرجُوا مع القومِ ليكونوا مع أكثرِ الفئتَين، فلمَّا رأوا محمَّدًا عليه السَّلامُ والصَّحابةَ في قلَّةٍ قالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾ حتَّى(٢) تعرَّضُوا لِـمَا لا طاقةَ لهم به، فحكَى اللهُ عنهم ذلك، فقُتِلَ هؤلاءِ فيمَن قُتِلَ.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يُفوِّضْ أمرَه إليه لا يُغلَبْ؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

* * *

---

(١) ذكره عن الحسن الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٢٧)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٥/ ٤٩١).
وضعَّفه ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية فقال: ولا يخفَى ضعفه؛ فإن قوله: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ ليس مما يُلْقَى بالوسوسة، وكذا النُّكوص على عقبيه وما بعده من الأقوال، وليس مما يُلْقَى بها.
قلت: وقد روي عن الحسن خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢٤) عنه قوله: «﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨]، قال: سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده، وألقى في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم، ولن تغلبوا كثرة. فلما التقوا ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾، يقول: رجع مدبراً وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾. يعني الملائكة».

(٢) في (ن): «حين».

(٥٠) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقبضِ أرواحِهم ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ ببدرٍ ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ إذا أقبلُوا ﴿وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾: ظُهورَهم وأَسْتاهَهُم إذا أدبرُوا؛ يُريدُ: حالةَ قبضِ الرُّوحِ[1].

وقيل: هو قتلُهم إيَّاهُم ببدرٍ، فإذا أقبلُوا ضربُوا وجوهَهُم، وإن أدبرُوا ضربُوا ظُهورَهُم.

وقيل: هذا عامٌّ في كلِّ كافرٍ عندَ موتِه تضربُه الملائكةُ.

وقيل: الفعلُ لله تعالى، و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ ابتداءٌ، و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبرُه.

والأوَّلُ أظهرُ بدلالةِ مَن قرأ بالتَّاءِ[2].

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: ويقولون لهم: ذوقوا عذابَ الحريقِ، وقيل: هذا يكونُ في القيامةِ، والأوَّلُ أظهرُ.

* * *

(٥١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الضَّربُ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: كسبْتُه، أضافَه إلى اليدِ مجازًا.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وبأنَّ الله، وقيل: ذلك أنَّ الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فيأخُذَهم بغيرِ ذنبٍ.

---

(١) في (ن): «أرواحهم».

(٢) قرأ بها ابن عامر، والباقون: ﴿يَتَوَفَّى﴾ بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١١٦).
وقد استدل المصنف بقراءة ابن عامر على ضعف القول الأخير الذي جعل فاعل الفعل ﴿يَتَوَفَّى﴾ هو الله سبحانه وتعالى، واستظهر أن الفاعل هو الملائكة، كما في جميع الأقوال السابقة.

(٥٢) ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: كعادتِهم وإدآبِ عملِهم، وقيل: كصنيعِ آلِ فرعونَ.

ومحلُّ الكافِ رفعٌ؛ أي: صنيعُ هؤلاءِ في كفرِهم كصنيعِ آلِ فرعونَ.

وقيل: محلُّه نصبٌ؛ أي: يفعلُ بهم كما فعَلَ بآلِ فرعونَ، أو يفعلُ هؤلاءِ كما فعلَ آلُ فرعونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جرٌّ بالعطفِ على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، والضَّميرُ يعودُ إلى ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ويحتملُ أن يعودَ إلى كفَّارِ قُريشٍ، ويجوزُ أن يرتفعَ بالابتداءِ ﴿كَفَرُوا۟﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿كَفَرُوا۟﴾ لكفَّارِ قُريشٍ، ويجوزُ أن يكونَ لـ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ و﴿الَّذين مِن قَبْلهم﴾، ويجوزُ أن يكونَ لـ﴿الَّذين مِن قَبْلِهِمْ﴾ فحسبُ.

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: بما نَصبَ منَ الأدلَّةِ[1] وبعثَ مع الأنبياءِ مُعجزةً لهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: عاقبَهُم عليها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لا يغلبُه شيءٌ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأخذُ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: بسببِ أنَّ اللهَ ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾: مُبدِّلًا ﴿نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟﴾: يُبدِّلوا ﴿مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: التي هي ثابتةٌ عندَهم؛ يُريدُ: أهلَ

(١) في (و): «الدلالة».

مكَّةَ، بعثَ الله محمَّدًا عليه السَّلامُ نعمةً عليهم وأطعمَهُم من جوعٍ وآمنَهُم من خوفٍ، فكفَرُوا بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، وجحَدُوا نعمةَ الله سُبحانَه، فسلَبَهم النِّعمةَ بمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ وجعلَه في الأنصارِ، وكذلك سلَبَهُم الأمنَ حتَّى قُتِلَ بعضُهم وهم سبعون، وأُسِرَ بعضُهم وهم سبعون، وهُزِمَ بعضُهم وهم مَن بقي؛ يُريدُ: يومَ بدرٍ.

وأصلُ ﴿يَكُ﴾: يكونُ، فحُذِفَ الحركةُ للجزمِ، وحُذِفَ الواوُ لالتقاءِ السَّاكنَين، وحُذِفَ النُّونُ لشبهِهِ بحروفِ المدِّ واللِّينِ، ولأنَّ كلمةَ الكَوْنِ يكثُرُ دورُها؛ لأنَّه عامٌّ في كلِّ الأشياءِ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

***

(٥٤) ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ سبقَ.

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ كلُّ أمَّةٍ أُهلِكَتْ بنوعٍ منَ العذابِ ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: أهلَكْناهم بماءِ البحرِ، ﴿وَكُلٌّ﴾؛ أي: كلُّ قومٍ منهم ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: كافرين.

والتَّكرارُ للتَّأكيدِ، وقيل: شُبِّهَ الكفرُ والأخذُ بالكفرِ والأخذِ في الأولى، وشُبِّهَ التَّغييرُ بالتَّغييرِ في الثَّانيةِ.

ويحتمِلُ أنَّ الفعلَ في قولِه: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لكفَّارِ قريشٍ كما سبقَ، و﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لآل فرعون والَّذين مِن قبْلِهم، فأعادَ ذِكرَهم لـمَّا حيلَ بينَهم وبينَ أفعالِـهم بأفعالِ غيرِهم.

***

(٥٥) ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يوقِنون؛ لكونِهم شرَّ الدَّوابِّ.

وقيل: الفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ من غيرِ إضمارٍ، فيكونُ في قومٍ أخبرَ الله عنهم أنَّهم لا يُؤمِنون، كقولِه: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

***

(٥٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾؛ أي: بني قُريظةَ، عاهَدَهُم النَّبيُّ عليه السَّلامُ على أن لا يُعاوِنُوا عليه عدوًّا، ثمَّ نقضُوا العهدَ وأعانُوا مُشرِكي مكَّةَ بالسِّلاحِ على قتالِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، ودَعاهُم أبو سفيانَ إلى مقاتلةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ يومَ الأحزابِ فأجابُوه، ومالَؤوا[1] الكفَّارَ على رسولِ الله عليه السَّلامُ يومَ الخندقِ.

وقولُه: ﴿مِنْهُمْ﴾ قيل: (مِن) هاهنا صلةٌ؛ أي: عاهَدْتَهم، وقيل: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: معَهم، وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: أخذتَ منهم العهدَ[2]، ويَحتمِلُ أنَّه للتَّبعيضِ على أصلِه[3].

﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ يجوزُ أن يكونَ معنى ﴿فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾: في كلِّ مُعاهَدةٍ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾: عند كلِّ فتنةٍ وخُصومةٍ.

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ في نقضِ العهدِ، وقيل: لا يتَّقونَ أن ينصُرَ الله المؤمنين فيقتُلوهُم[4].

---

(١) في هامش (ن): «أي: عاونوا».

(٢) وهو ما يُعرف بالتضمين. انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٩٧).

(٣) هذا هو الوجه الذي اختاره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٣٣٩)، وضعَّف.

(٤) في (و): «﴿لَا يَتَّقُونَ﴾ أي: بنصر الله المؤمنين فيقتلونهم».

(٥٧) ـ ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾: تظفرْ بهم وتجِدْهُم، وأصلُه: أخذُ الشَّيءِ بسرعةٍ، قاله المُفضَّلُ. ورجلٌ ثَقِفٌ: سريعُ العملِ.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: فنكِّلْ به مَن وراءَهُم؛ أي: مَن سِواهُم. وقيل: أثخِنْ[1] فيهم القتلَ حتَّى يهابَكَ غيرُهم منَ الكفَّارِ، وقيل: غيرُهم مِن ناقِضي العهدِ.

وأصلُه: التَّفريقُ، مِن شرَدَ البعيرُ، وكذلك مُعجَمًا[2]، وقُرِئَ به في الشَّواذِّ[3].

وقيل: التَّشريدُ: التَّخويفُ الذي لا يبقى معه القَرارُ؛ أي: لا ترضَ منهم إلَّا الإيمانَ أو السَّيفَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يعتَبِرون.

***

(٥٨) ـ ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾: تعلَمَنَّ ﴿مِن قَوْمٍ﴾ مُعاهِدين لكَ ﴿خِيَانَةً﴾: نَقْضَ عهدٍ بما يَظهرُ لكَ منهم منَ الأماراتِ، ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: ألقِ[4] واطرَحْ إليهم عهدَهُم بإعلامِكَ إيّاهُم[5] أنَّك فاسخٌ للعهدِ؛ يُريدُ: قبلَ المُناجزةِ.

﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ لتكونَ أنتَ وهم في الخوفِ على سواءٍ مُستَوِين فيه، والسَّواءُ: الاستِواءُ.

---

(١) في (ن): «أنجز».

(٢) شرد وشرذ بمعنى واحد، وهي لغة نادرة، وقد ذكر ابن جني أن الذال بدل من الدال. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٠)، و«تاج العروس» مادة (ش ر ذ) (٩/ ٤٢٥).

(٣) نسبت هذه القراءة لابن مسعود رضي الله عنه، ونسبت للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٥)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٠)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٠٧).

(٤) في (ن): «ألق إليهم».

(٥) في (و): «إليهم».

وقيلَ: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[1]: عَدْلٍ في العداوةِ.

وقيل: معنى ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: جهرًا لا سرًّا.

وقيل: افعَلْ بهم مثلَ ما يفعلون.

وقيل: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على مَهَلٍ، من قولِه: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: النَّاقِضين للعُهودِ.

* * *

(٥٩) - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

﴿ولا تحسبنّ الّذين كفروا سبقوا﴾؛ أي: لا تحسبَنَّ يا محمَّدُ الذين كفَرُوا فاتُوا، فإنَّهم في القَبضةِ وإنْ طالتِ المدَّةُ، وقيل: سبقُوا إلى الأفضَلِ.

وقيل: ولا تحسبَنَّ الذين قُتِلُوا من هذه الحربِ سبقُوا إلى الحياةِ.

ومَن قرأ بالياءِ[2] فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الفاعلُ، و﴿سَبَقُوٓا۟﴾ سدَّ مسدَّ المفعولَين بإضمارِ (أنْ)[3]، وعليه قراءةُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[4].

---

(١) في (و): «على المقاتلة سواء».

(٢) قرأ بالياء حفص وابن عامر وحمزة، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٣) أي: مع اسمها، وظاهر كلام المصنف أنه يذهب إلى أن (أنْ) هنا هي المخففة من الثقيلة، وليست الناصبة، والله أعلم.

(٤) قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا)، ذكرها الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٢١)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢١٣)، وشمس القراء الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٢٠٧). والتقدير على هذا الوجه كما ذكر الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٣١) مستدلاً بقراءة ابن مسعود المذكورة: أنْ سبقوا، فحذفت (أنْ) كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤]. =

ويجوزُ أن يكونَ المفعولُ الأوَّلُ محذوفًا؛ أي: إيَّاهم سبقُوا.

ويجوزُ أن يكونَ الفاعلُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كالوجهِ الأوَّلِ، لكِنْ ذُكِرَ بلفظِ الغَيبةِ.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾؛ أي: لا يفُوتُونكَ، وقيل: لا يفُوتُونَ الله، والإعجازُ: سلبُ القُدرةِ.

***

(٦٠) - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيُّها المُؤمنون ﴿لَهُم﴾: للنَّاقِضي العهدِ، وقيل: لجميعِ الكفَّارِ.

﴿مَّا اسْتَطَعْتُم﴾: ما سهُلَ عليكم تحصيلُه ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ هي ما يُتقوَّى به في الحربِ منَ السِّلاحِ والخيلِ والنَّفقةِ، وروَى عقبةُ بنُ عامرٍ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ على المنبرِ: «ألَا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ، ألا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ»، قالها ثلاثًا[1].

وعن عكرمةَ: أنَّها الحصونُ[2].

﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾: الأفراسِ.

= وهذا الوجه من الإعراب ذكره الفراء، وتعقبوه بأن حذف (أنْ) المصدرية ضعيف في القياس شاذ في الاستعمال، فلا ينبغي أن يخرَّج عليه كلام الله تعالى. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٤)، و«روح المعاني» (١٠/ ١٦٤).

وقد ذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٣)، واستغربه.

(١) رواه مسلم (١٩٠٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٢١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٢)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١٣٨٠).

و(رِباطٌ) مصدرُ (ربَطَ) و(رابَطَ) جميعًا[١]، وهو شدُّ الحبلِ[٢] وإمساكُه.

الفـرَّاءُ فـي جماعةٍ: ﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: الإنـاثُ منها[٣]. والخيلُ عـامٌّ في الذُّكورِ والإناثِ.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾: تُخوِّفون غايةَ التَّخويفِ، و﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى (الإعدادِ)، أو إلى ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾، أو إلى ﴿رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾، أو إلى (القوَّةِ) حملًا على المعنى، أو إلى (القوَّةِ والرِّباطِ) فوُحِّدَ، وله نظائرُ.

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾؛ أي: الذيـن تعرِفُونَهم بالعداوةِ ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: غيرِهـم، ومحلُّـه نصـبٌ عطفًـا علـى ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾، وقيل: جـرٌّ عطفًـا على ﴿لَهُم﴾ عنـد الكوفيِّين[٤].

---

(١) كذا قال، وهو غير ممتنع؛ لأن مصادر الثلاثي غير مقيسة، لكن نصَّ أكثر مصنفي المعاجم على أن مصدر (رَبَطَ): رَبْطاً، ومصدر (رَابَطَ): رباطاً، وهو الظاهر، لكن كلام المصنف يبقى محتملاً، والله أعلم. انظر: مادة (ر ب ط) في «العين» (٧/ ٤٢٢)، و«تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٣٠)، و«مجمل اللغة» (ص: ٤١٢) و«المحكم» (٩/ ١٦١) وانظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٥٤٦).

(٢) في النسخ الخطية: «الخيل»، وهو تصحيف، وصوابه: «الحبل» كما أثبت؛ ففي «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٥٥): «وأما ربط يربط فهو بمعنى شدّ الحبل والخيط».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٦)، ورواه ابن أبي شيبة والطبري وابن أبي حاتم عن عكرمة تتمة للخبر السابق، وهذا القول يقابل قول مجاهد وغيره: القوة في الآية هي ذكور الخيل. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٧٢٢).

(٤) نصّ الفراء على أنه في موضع نصب في هذه الحالة، وكلام المصنف مبني على قولهم المشهور عنهم بجواز العطف على الضمير المخفوض بلا تكرار الخافض، والبصريون يوجبون تكرار حرف الجر. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٦)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لا تعرِفُونَهم بأعيانِهم ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفُهم.

واختلَفُوا فيهم؛ ابنُ زيدٍ: هم المنافقون. مجاهدٌ: قُرَيظةُ. السُّدِّيُّ: أهلُ فارسَ(١).

ابنُ جريرٍ: هم الجنُّ؛ لأنَّ قولَه: ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ اشتملَ جميعَ الأعداءِ منَ الآدميِّين(٢).

ولو سكتَ المُفسِّرُ عن بيانِه بعدَ قولِ الله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ جازَ(٣).

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: يُوفَّرُ عليكم جزاؤُه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾: مالُوا، ومنه: الجَناحُ، وقيلَ: انقادُوا، وقيلَ: عدَلُوا إلى ما تُحِبُّ.

﴿لِلسَّلْمِ﴾: الصُّلحِ والاستسلامِ والانقيادِ؛ بالدُّخولِ في الإسلامِ، أو بالتزامِ الجزيةِ.

﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾: فمِلْ إليها وأعطِهم ما سألوكَ في الوقتِ، والسَّلْمُ مُؤنَّثٌ، وقيل: يعودُ إلى الفعلةِ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فوِّضْ أمرَكَ إليه واتَّخِذْه وكيلًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

(١) روى الأقوال الثلاثة الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٣ ـ ١٧٢٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٣) هذا رأي ذهب إليه المصنف بعد استعراض أقوال المفسرين، وهو جدير بالتأمل.

قتادةُ: نسخَتْها ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥][1].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: النَّاسخُ لها: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [محمد: ٣٥][2].

وقيل: هي ثابتةٌ؛ لأنَّها في مُوادَعةِ أهلِ الكتابِ.

***

(٦٢) - ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾: يمكُروا بكَ ويَغْدُروا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾: كافيكَ اللهُ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾: قوَّاكَ ﴿بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعًا، وقيل: هم الأنصارُ.

***

(٦٣) - ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: قلوبِ الأوسِ والخزرجِ، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: بلغَتْ عداوتُهم نهايةً لو أنفقَ مُنفِقٌ في إصلاحِ ذاتِ بينِهم ما في الأرضِ منَ الأموالِ لم يقدِرْ على الأُلفةِ والإصلاحِ ورفعِ الإِحْنةِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بفضلِه ورحمتِه وعِزَّتِه وحكمتِه ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

***

(٦٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٥٢)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٨).

(٢) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٨).

سعيدِ بنِ جُبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أسلَمَ مع النَّبيِّ ﷺ تسعةٌ وثلاثون رجلًا، ثمَّ أسلَمَ عمرُ رضي الله عنه، فنزلَتْ هذه الآيةُ(١)؛ أي: الذي يكفيك كلَّ مُهِمٍّ ومحذورٍ اللهُ والمؤمنون.

ومحلُّ ﴿مَن﴾ نصبٌ؛ أي: يكفيك ومَن اتَّبعَكَ، ويجوزُ الرَّفعُ عطفًا على ﴿ٱللَّهُ﴾، ويجوزُ الجرُّ عندَ الكوفيِّين(٢)، ويجوزُ الرَّفعُ بالابتداءِ؛ أي: ومَن اتَّبعَكَ منَ المؤمنين كذلك، والمعنى: حَسبُهم الله.

وكرَّرَ ﴿حَسْبُكَ﴾؛ لأنَّ الأوَّلَ في كفايةِ الخداعِ والثَّاني عامٌّ.

***

(٦٥) - ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ التَّحريضُ: الحثُّ على المُبادرةِ إلى الفعلِ والصَّبرِ عليه، وفي اشتقاقِه قولان:

أحدُهما: أنَّه منَ (الحارِضِ)، وهو الذي قارَبَ الهلاكَ، وقريبٌ منه: الحَرِضُ.

والثَّاني: من (الحُرُضِ)، وهو الأُشْنانُ(٣)، والحرَّاضُ: مُحْرِقُه.

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (١٣٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٧٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٨) عن سعيد بن جبير.

(٢) ولا يجوز هذا عند البصريين إلا بإعادة الجار، كما تقدم، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «الصحاح» مادة: (ح ر ض) (٣/ ١٠٧٠) وفيه: «الحُرُضُ والحُرْضُ: الأُشْنانُ. والمِحْرَضَةُ =

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ شرطٌ في معنى الأمرِ[1]؛ أي: ليصبِرْ عشرون وليَثبُتوا في مُقابلةِ مئتَينِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان فرضًا على المسلمين أن يُقاتلَ الرَّجلُ منهم العشرةَ منَ المُشركين، فشقَّ ذلك عليهم، فأنزَلَ اللهُ التَّخفيفَ، فجعلَ على الرَّجلِ أن يُقاتِلَ الرَّجُلَين[2].

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ وهذه الآيةُ[3] تدلُّ على أنَّ الأولى ليست بمنسوخةٍ، بل خُفِّفَ حكمُها فصارَ كإفطارِ الصَّائمِ في السَّفرِ.

ومنهم مَن قال: الأولى منسوخةٌ بالثَّانيةِ، وهي ناسخةٌ للفرارِ منَ الزَّحفِ.

= بالكسر: إناؤه. والحَرَّاضُ: الذي يوقِد على الحُرُضِ ليتَّخذ منه القلي، وكذلك الذي يوقد على الصخر ليتخذ منه نورَةً أو جِصًّا».

وفي «تهذيب اللغة» (٤/ ١٢١): والحُرُض: الأُشْنان تُغسَل بِهِ الْأَيْدِي على أَثَر الطَّعَام.

والأشنان: شجر من الفصيلة الرمرامية ينْبت فِي الأَرْض الرملية يسْتَعْمل هُوَ أَو رماده فِي غسل الثِّيَاب والأَيدِي. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (أ ش ن) (١/ ١٩).

ويقال: الأشنان والإشنان بضم الهمزة وكسرها، وهو فارسي معرب. انظر: «حاشية ابن بري» (ص: ٣٣).

(١) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٦٨).

(٢) رواه البخاري (٤٦٥٣) بلفظ: «لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم».

(٣) في (و): «اللفظة».

قالَ ابنُ شُبْرُمَةَ: وكذا النَّهيُ عن المُنكرِ، لا يحلُّ للواحدِ أن يفِرَّ من اثنَين إذا كانا على مُنكرٍ، وله أن يفِرَّ منَ الأكثرِ(١).

الحسنُ: هذا التَّغليظُ كان على أهلِ بدرٍ خاصَّةً، ثمَّ جاءت الرُّخصةُ(٢).

ابنُ جريرٍ: لم يكُنْ أمرًا عَزْمًا(٣)، بل كانَ تحريضًا على الثَّباتِ في الحربِ(٤).

قال الخليلُ: ﴿عِشْرُونَ﴾ جمع «عِشْرٍ» من أظماءِ الإبلِ، وهو تسعٌ في الحسابِ، لكنَّه جُمِعَ كما جُمِعَ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ [البقرة: ١٩٧](٥).

---

(١) رواه البخاري بعد حديث (٤٦٥٢) ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص:٢٩٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٨)، كلاهما بلفظ: «هذا يوم بدر خاصة، ليس الفرار من الزحف من الكبائر»، ورواه الطبري (١١/ ٧٩) بلفظ: «ذلك يوم بدر، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر ـ أحسبه قال: ـ فلا بأس به».

(٣) في (و): «جزمًا».

(٤) روى هذا الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٦٤)، أما مذهبه فهو مخالف لما نسب المصنف إليه، فقد قال (١١/ ٢٦٨): «وهذه الآية ـ أعني قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ ـ وإن كان مخرجها مخرج الخبر، فإن معناها الأمر، يدل على ذلك قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبًا لم يكن للتخفيف وجه؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدمًا لم يكن للترخيص وجه؛ إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن حكم قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ ناسخ لحكم قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾».

(٥) قوله: «كما جمع ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾» يعني: أن أشهر الحج عند الأكثر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وأقل الجمع ثلاثة أفراد عند الجمهور، فجُعِل بعضٌ من فردٍ فرداً ثم جُمع، وكذا قال اللّيث: =

وقيل: هو اسمٌ مفردٌ وُضِعَ علَمًا لعددٍ معلومٍ كثلاثينَ وأربعين وبابِه.

ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أنَّ لهم الجنَّةَ والثَّوابَ والحياةَ بعد المماتِ، فلا يَثْبُتون إنْ صدَقْتُموهُم القتالَ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: عدمَ قوَّةٍ.

وقُرِئ: ﴿ضُعَفَاءَ﴾ بالجمعِ[1]، ويحتملُ: ضَعْفًا عن مُقاومةِ الواحدِ العشرةَ.

= «قلت للخليل: زعمت أنّ عشرين جمع عِشْر، والعِشْرُ تسعةُ أيام، فكان ينبغي أن يكون العشرون سبعةً وعشرين يوماً، حتى تستكمل ثلاثة أتساع؟! فقال الخليل: ثماني عَشَرَ يوماً عِشْران، ولمّا كان اليومان من العِشْر الثالث مع الثمانية عشر يوماً سمَّيته بالجمع. قلت: من أين جاز لك ذلك، ولم تُسْتكْمَلِ الأجزاء الثلاثة؟ هل يجوز أن تقول للدّرهمين ودانَقَيْن: ثلاثة دراهم؟ قال: لا أقيس على هذا ولكن أقيسه على قول أبي حنيفة، ألا ترى أنه قال: إذا طلقتها تطليقتين وعُشْر تطليقة فهي ثلاث تطليقات، وليس من التطليقة الثالثة في الطّلاق ألا عُشْرُ تطليقةٍ، فكما جاز لأبي حنيفةَ أن يَعتدَّ بالعُشْرِ جاز لي أن أعتدَّ باليومين». انظر: «العين» مادة: (ع ش ر) (١/ ٢٤٦).

وقوله: «جمع عِشْرٍ من أظماءِ الإبلِ» العِشر بكسر العين: وهو الظِّمء بين الوردين إذا كان ثمانية أيام، وهذه الأظماء معروفة، وكلها مكسورة الأوّل، وهي: وِرْدٌ وغِبٌّ ورِبْعٌ إلى العِشْر. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٣٥٣).

(١) هي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٧)، وقد اختلف باقي العشرة في ضم الضاد وفتحها، فقرأ حمزة وعاصم وخلف بفتح الضاد والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» (ص: ١١٧)، و«النشر» (٢/ ٢٧٧).

﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قيَّدَ من كلِّ آيةٍ واحدًا بالصَّبرِ ليُقاسَ الثَّاني عليه.

وذِكْرُ المئةِ في الآيةِ الأولى وفي العشرينَ مَقنَعٌ، والألْفَ في الآيةِ الثّانيةِ وفي المئةِ مَقنَعٌ أيضًا؛ ليُعْلَمَ أنَّ هذا الحكمَ مُطَّرِدٌ في جميعِ الأعدادِ، وليس بمقصورٍ على المذكورِ.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؛ أي: فمَن يغلِبُهم؟!

***

(٦٧) ـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: حدَّثني عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه قال: لـمَّا كان يومُ بدرٍ والتَقَوا فهزَمَ الله المُشركينَ، وقُتِلَ منهم سبعونَ رجلًا وأُسِرَ سبعونَ رجُلًا، استشارَ رسولُ الله عليه السَّلامُ أبا بكرٍ وعمرَ وعليًّا رضي الله عنهم؛ فقال أبو بكرٍ: يا نبيَّ الله، هؤلاءِ بنو العمِّ والعشيرةِ والإخوانُ، وإنِّي أرى أن تأخُذَ منهم الفِديةَ، فيكونَ ما أخَذْنا منهم قوَّةً لنا على الكفَّارِ، وعسى أن يهديَهم الله فيكونُوا عضُدًا. فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «ما ترى يا ابنَ الخطّابِ؟» قال: قلتُ: والله ما أرى ما رأى أبو بكرٍ، ولكنْ أرى أن تُمكِّنَني من فلانٍ ـ قريبٍ لعمرَ ـ فأضرِبَ عُنُقَه، وتُمكِّنَ عليًّا من عَقِيلٍ فيضرِبَ عنُقَه، وتُمكِّنَ حمزةَ من فلانٍ ـ أخيه ـ فيضربَ عُنُقَه، حتَّى يُعلَمَ الله أنْ ليسَ في قُلوبنا هَوادةٌ للمُشركين، هؤلاء صناديدُهم وأئمَّتُهم وقادتُهم، فهوِيَ رسولُ الله

عليه السَّلامُ ما قالَ أبو بكرٍ، ولم يَهْوَ ما قلْتُ[١]، فأخذَ منهم الفِداءَ، فلمَّا كانَ منَ الغدِ قال عمرُ: غدَوْتُ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فإذا هو قاعدٌ وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وإذا هما يبكِيانِ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أخبِرْني[٢] ماذا يُبكيكَ أنتَ وصاحبَكَ؟ فإنْ وَجدْتُ بكاءً بكيتُ، وإنْ لم أجِدْ بُكاءً تباكَيتُ، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «أبكي للَّذي عرَضَ عليَّ أصحابُك من الفِداءِ، لقد عُرِضَ عليَّ عذابُهم أدنَى من هذه الشَّجرةِ» ـ لشجرةٍ قريبةٍ ـ وأنزلَ الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣].

والمعنى: لم يكُنْ لنبيٍّ أن يشتغلَ بالأسرِ والفِداءِ ـ لأنَّ ذلك يذهبُ بالمهابةِ ـ حتَّى يكثُرَ القتلُ.

ابنُ عبّاسٍ: حتَّى يغلبَ عليها[٤]؛ ليقعَ له في القلوبِ مَهابةٌ ورُعبٌ.

والإثْخانُ: الإكثارُ منَ القتلِ، مُشتقٌّ من (الثَّخانةِ)، وهي الصَّلابةُ والكثافةُ، وقيل: الشِّدَّةُ والقوَّةُ.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: المالَ، فسمَّاه عَرَضًا؛ لأنَّه سريعُ الانقِضاءِ قليلُ اللَّباثِ[٥].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾؛ أي: يُريدُ لكم ثوابَ الآخرةِ منَ الجنَّةِ والنَّعيمِ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أمرُ بإثخانِ الكفَّارِ.

* * *

---

(١) في (و): «ما قال عمر».

(٢) في (و): «فقلت: أخبرني يا رسول الله».

(٣) رواه مسلم (١٧٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٢) بلفظ: «حتى يظهر على الأرض».

(٥) في (و): «الثبات»، واللَّباث واللُّباث: المكث. انظر: «تاج العروس» مادة: (ل ب ث) (٥/ ٣٣٨).

(٦٨) ـ ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ في هذا الكتابِ ستَّةُ أقوالٍ:

ابنُ عبَّاسٍ: أنَّه سيُحِلُّ لهم الغنائمَ(١).

وقيل: هو أن لا يُؤاخِذَ على جهالةٍ.

وقيل: سبقَ لأهلِ بدرٍ أن لا يُعذِّبَهم.

وقيل: هو ما كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ أنْ لا يُعذِّبَهم على ذلك.

وقيل: سبقَ أنَّه لا يُعذِّبُ مَن أذنَبَ ثمَّ تابَ.

وقيل: الكتابُ قولُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤].

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: لنالَكُم وأصابَكُم، وقيل: المسُّ: الطَّلَبُ.

﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾؛ أي: من فداءِ الأَسْرَى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ورُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ قال: «لو عُذِّبْنا في هذا الأمرِ يا عمرُ ما نجا غيرُك»(٢).

ورُوِيَ: «إلا سعدُ بنُ مُعاذٍ»(٣).

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٥) مرسلاً عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٣) مرسلاً عن ابن إسحاق، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ»؛ لقوله: يا نبي الله كان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال.

(٦٩) ـ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثمَّ أحلَّ لهم الغنائمَ، فقال: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: أصبْتُم وأخذْتُم منَ الكفَّارِ قهرًا، و(مِن) للتَّبيينِ.

﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: لم تحلَّ لغيرِكم، وإنَّما كانت نارٌ تنزلُ منَ السَّماءِ فتأكلُها.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: مُخالفتَه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: غفرَ لكم ذنبَكُم ﴿رَّحِيمٌ﴾: رخَّصَ لكم أخذَ الغنائمِ.

***

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: نزلَتْ في العبّاسِ بنِ عبد المُطَّلبِ وعقيلِ بنِ أبي طالبٍ ونَوفلِ بن الحارثِ، فكان العبَّاسِ أُسِرَ يومَ بدرٍ ومعه عشرونَ أوقيَّةً من ذهبٍ، كان خرجَ بها معه إلى بدرٍ ليُطعِمَ بها النَّاسَ، وكان أحدَ العشرةِ الذين ضمِنُوا إطعامَ أهلِ بدرٍ، ولم يكُنْ بلغَتْه النَّوبةُ حتَّى أُسِرَ فأُخِذَتْ معَه، فأخذَها رسولُ الله عليه السَّلامُ منه، قال: فكلَّمْتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ أن يجعلَ لي العشرينَ أوقيةً من الذَّهبِ التي أخذَها منِّي في فدائي، فأبى عليَّ وقالَ: «أمَّا شيءٌ خرجتَ به تستعينُ به علينا فلا»، وكلَّفَني فداءَ ابنِ أخي عقيل بنِ أبي طالبٍ ونَوفلِ بنِ الحارثِ عشرينَ أوقيَّةً من فضَّةٍ، فقلتُ له: تركتَني والله أسألُ قريشًا بكفِّي والنَّاسَ ما بقيتُ، قال: «فأينَ الذَّهبُ الذي دفعْتَه إلى أمِّ الفضلِ وقتَ[1] مخرجِكَ إلى بدرٍ؟ وقلتَ لها: إنْ حدَثَ بي حدَثٌ في وجهي هذا فهو لكِ

(١) «وقت»: ليست في (ن).

ولعبدِ الله والفضلِ وقُثَم» قلتُ: وما يُدريكَ؟ قال: «أخبَرني اللهُ سُبحانَه بذلك»، قال: أشهدُ إنَّك صادقٌ، وإنِّي قد دفعتُ إليها الذَّهبَ ولم يطَّلعْ عليه أحدٌ[1] إلّا الله، وأنا أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأنَّك رسولُ الله، قال العبَّاسُ: فأعطاني الله خيرًا ممّا أخذَ منِّي كما قال، عشرينَ عبدًا كلُّهم يُضارِبُ بمالٍ كثيرٍ مكانَ العشرينَ أوقيةً، وأنا أرجو المغفرةَ من ربِّي[2].

﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: إيمانًا وإسلامًا، ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من المالِ ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾؛ أي: خيرَ الدُّنيا بما يفتحُ لكُم[3]، وخيرَ الآخرةِ بما يغفرُ لكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

رُوِي أنَّ العبّاسَ كان يقولُ: أنجزَ أحدَ الوعدَينِ، وأنا على ثقةٍ منَ الآخرِ[4].

***

(١) «أحد»: ليست في (و).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤١). وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٣١٠) عن ابن إسحاق عمن سمع عكرمة عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، والحاكم في «المستدرك» (٥٤٠٩) ـ وصححه ـ من حديث عائشة رضي الله عنها، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٤٢) من طريق ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن الزهري وجماعة سماهم، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٩) عن ابن إسحاق مرسلًا، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠٩) عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه عن مقسم عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

وروى قول العباس في آخره: «فأبدلني الله...» أيضًا الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٧) من طرق عن ابن عباس.

(٣) في (ن): «عليكم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٧) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٧١) ـ ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ ﴾ يعني: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ ﴾: نقضَ ما عهِدوا معكَ ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ ﴾ بالكفرِ والشِّركِ ﴿مِن قَبْلُ ﴾: من قبلِ العهد، وقيل: من قبلِ بدرٍ.

وقيل: معناه: إنْ منعُوكَ ما تدعوهُم إليه منَ الإيمانِ فقد فعلُوا مثلَه قبلُ.

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾؛ أي: فأمكنَكَ منهم ونصرَكَ عليهم فهزَمْتَهم وأسَرْتَهم، والمعنى: إنْ عادوا عُدْنا لهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

* * *

(٧٢) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ ديارَهم وأوطانَهم؛ يُريدُ: المهاجرين.

﴿وَجَٰهَدُواْ ﴾: قاتَلُوا الكفَّارَ ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ صرَفُوها إلى أثمانِ الخيلِ والسِّلاحِ وأنفقوها على الفقراءِ فبذلوها كبَذلهم أنفُسَهم ﴿وَأَنفُسِهِمْ ﴾ بمباشرةِ القتالِ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ هم الأنصارُ آووا المُهاجرين وأسكَنُوهم منازِلَهم، وجعلوا لكلِّ واحدٍ مأوًى يأوي إليه ويسكُنُه، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ ﴾؛ أي: ونصروهم على أعدائِهم وحارَبُوا معهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: في الميراثِ، وكانوا يتوارَثونَ بالإيمانِ وبالهجرةِ وبالمُؤاخاةِ التي كانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يُؤاخي بينهم دونَ القرابةِ

المُفردةِ حتَّى نُسِخَ بقولِه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥](١)؛ أي: في الميراثِ، وقيلَ: يُريدُ بالولايةِ: المُؤازرةَ والنُّصرةَ والمُعاونةَ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ من مكَّةَ ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ من ميراثٍ وغنيمةٍ وفيءٍ ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾، فكان لا يرِثُ المؤمنُ الذي لا يُهاجِرُ ممَّن آمنَ وهاجرَ، وقيل: هي المُؤازَرةُ كما سبق.

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾: طلبوا معونتَكم؛ أي: إنْ وقَعَ بينَهم وبينَ الكُفَّارِ قتالٌ ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾؛ أي: فعلى المؤمنين أن ينصُروهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهدٌ إلى مدَّةٍ أو مُوادعةٌ، فلا تغدُرُوا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ﴾ في الميراثِ، وقيل: في المُؤازرةِ ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: ما أُمِرتُم به منَ التَّوارثِ بالإيمانِ والهجرةِ، وقيل: بالتَّعاوُنِ والتَّآزُرِ ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: زوالُ نظامِ المؤمنين وتفريقُ كلمَتِهم ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ في الدِّينِ من جهةِ الكفَّارِ وسفكِ الدِّماءِ.

قسَّمَ النّاسَ في هذه الآيةِ أربعةَ أقسامٍ:

ـ قسمٌ آمَنُوا وهاجَرُوا من مكّةَ، وهم المُهاجِرون.

ـ وقسمٌ آمَنُوا ونصَرُوا المؤمنين، وهم الأنصارُ.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٢٤).

ـ وقسمٌ آمَنُوا ولـم يُهاجِرُوا، وهم الذين أمَرَ بنصرِهم إنِ استَنْصَرُوهُم.

ـ وقسمٌ هم الكُفَّارُ.

فاختارَ من بينِهم المُهاجرين والأنصارَ، ثمَّ ألحقَ بهم مَن يأتي بعدَهم فقال:

***

(٧٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾: صِدْقًا؛ أي: المُبالغون في إيمانِهم، وقيل: ﴿حَقّٗا﴾: تأكيدٌ للكلامِ.

﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾: الجنَّةُ.

ومعنى ﴿كَرِيمٞ﴾: لا منَّةَ فيه ولا تنغيصَ. وقيل: رزقٌ كريمٌ لا يصيرُ حَدَثًا، بل رَشْحًا كالمسكِ.

***

(٧٥) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ ﴾: بعد نُزولِ هذه الآيةِ. وقيل: هي الهجرةُ الثّانيةُ.

﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ ﴾ ذكرَ في الآيةِ الأولى سبيلَ الله والأموالَ والأنفُسَ، وتركَ في الثّانيةِ الأموالَ والأنفُسَ اكتِفاءً بالذِّكرِ في الأولى، وترَكَ في الثّالثةِ سبيلَ الله أيضًا اكتفاءً بالذِّكرِ فيهما.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ﴾: في حُكمِكُم وجُملتِكُم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾

يعني: الأقرباءُ الذين تجمَعُهم بالقُربِ رَحِمٌ واحدةٌ، أو يُنسَبُونَ إلى أبٍ واحدٍ، بعضُهم أولى ببعضٍ في الميراثِ منَ الأجانبِ.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: حُكمِه، وقيل: في القرآنِ، وهو ما في سورةِ (النِّساءِ) منَ الفرائضِ، وقيل: في اللَّوحِ المحفوظِ.

وهذه الآيةُ ناسخةٌ للتَّوارُثِ بالهجرةِ والإخاءِ[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ منَ الفرائضِ والمواريثِ وغيرِ ذلك.

* * *

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٢٤)، وللنحاس (ص: ٤٧٤)، ولابن حزم (ص: ٣٩).